

السَّهَابُ لِلتَّائِقِينَ

لِلْمُحْتَاجِ بِكِتَابِ اللَّهِ

فِي الرَّدِّ عَلَى النَّاصِبِ أَحْمَدَ الْهَاتِبِ

تَأْلِيفُ

عَسَّامِ سَبِيحِ الْبَيْهَقِيِّ

مَنْشُورَاتُ

الرَّابِطَةُ الْقَصْدِيَّةُ



الشَّهَابُ الثَّقِيبُ

لِلْمُحْتَجِّ بِكِتَابِ اللَّهِ
فِي الرَّدِّ عَلَى النَّاصِبِ إِعْمَادُ الْكَاتِبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشَّهَابُ الثَّقِيفُ

لِلْمُحْتَجِّ بِكِتَابِ اللَّهِ
فِي الرَّدِّ عَلَى النَّاصِبِ مُحَمَّدِ الطَّائِبِ

القسم الأول

(الإمامة بين الثابت والمتحول)

يتضمن الرد على كتاب

تطور الفكر الشيعي لأحمد الكاتب وأشباهه

تأليف

عبدالمسيح السبيعي

مكتبة

الرابطة القصدية

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ
الطبعة الأولى
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ
وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾

[القصص: ٥]

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُجْمَلُ أَكَاذِبِ (الكاتب) فِي مَقْدَمِهِ وَيَتَضَمَّنُ:

- إبطالُ دَعْوَاهُ فِي الإِمَامَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ.
- الشُّورَى الْوَرَاثِيَّةُ الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا الْكَاتِبُ.
- الرَّدُّ عَلَى دَعْوَاهُ بِكَوْنِ الإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام مِنْ دُعَاةِ الشُّورَى بِأَوَّلِ الْخُطْبَةِ الشَّقِيقِيَّةِ.

ذَكَرَ الْمَوَارِدُ الَّتِي احْتَجَّ فِيهَا الإِمَامُ عَلِيُّ عليه السلام بِالْوَصِيَّةِ وَالنَّصِّ الْإِلَهِيِّ:

- أ - قوله عليه السلام: «أَنْتُمْ وَاللَّهُ لِأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ.. الخ».
- ب - فقرة من قوله: «لِتُقَامَ الْمَعْظَلَةُ مِنْ حُدُودِكَ.. الخ».
- ج - تكفيره قريشاً في فقرة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِيدُكَ عَلَى قَرِيشٍ.. الخ».
- د - احتجاجه بحديثِ الحوضِ وتكفيره لأهلِ الشُّورَى.
- هـ - تكفيره لَهُمْ بحديثِ الْمَنْزِلَةِ - مَعْلُومَاتُ جَدِيدَةٍ عَنِ الرَّدَّةِ.
- و - تَأْكِيدُهُ عَلَى الْوَصِيَّةِ فِي وَصِيَّتِهِ لِلْحَسَنِ عليه السلام - مَفَاهِيمُ جَدِيدَةٌ لِقَوْلِهِ عليه السلام: «لَا أَمْرُكُمْ وَلَا أَنْهَاكُمْ» - أَفْكَارٌ مُنْدرِسَةٌ عَنْ مَعْنَى الإِمَامِ بِالنَّصِّ.
- ز - الْاِحْتِجَاجُ عَلَيْهِمْ بِعَلَمِهِمْ بِمَقَامِهِ مِنَ الْإِمَامَةِ - طَرِيقُ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ هُوَ الْحَقُّ لَا الرِّجَالُ.
- ح - وَصْفُهُمْ بِأَنَّهُمْ ظَلَمَةٌ وَتَزْوِيرُهُمْ مَقُولَاتِ الرَّسُولِ ﷺ.

ط - احتجاجُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بوجودِ إمامين : كتابُ الله وأهلُ البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ - إيضاحُ جديدٌ لآيةِ الغارِ وَمَا فِيهَا مِنْ تَكْفِيرِهِمْ - بعضُ خصائصِ المنافقين .

ي - الاحتجاجُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَا يُقَاسُ بِأَلِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَحَدٌ .. الخ » .

ك - تفسيرُ قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .. الخ » .

ل - رفضُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ تَكُونَ الإمامَةُ بالقِرايةِ أو الصحابةِ وفيهِ إبطالُ آخرٍ للشُّورى .

م - الاحتجاجُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ وَأَنْتَى تَوْفَكُونَ .. الخ » .

ن - الاحتجاجُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُم الراسخون في العلمِ دوننا كذباً .. الخ » من الخطبة ١٤٢ - مبحثُ آخرٍ في القتالِ عَلَى التَّأْوِيلِ وأحاديثُ في العَدْرِ .

س - الاحتجاجُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « نَحْنُ الشُّعَارُ وَالْأَصْحَابُ .. الخ » - تفسيرِ الخطبةِ بالنصوصِ القِرائيةِ والنبويةِ .

ع - قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فَعُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشَلُّوا .. الخ » - شَرْحُ أقوالِهِ مِنْ كتابِ الله وَكُشْفُ أَكَاذِبِ الْكَاتِبِ - فضائلُ عُمَرَ : فَهَمَّ جَدِيدٌ لِلْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ فِي عُمَرَ وَكُشْفُ السَّرِّ عَنْ حَقِيقَتِهِ .

ف - قولُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فَنظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بِيَعْتِي .. الخ » - نصوصٌ أُخْرَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ سَابِقَةً عَلَى عِلْمِ الْكَلَامِ - أبحاثُ أُخْرَى تَكْشِفُ عَنْ أَكَاذِبِ الْكَاتِبِ النَّاصِبِ - تَكْذِيبُهُ لِعُلَمَاءِ الْحَدِيثِ لِأَهْلِ السَّنَةِ - مَبْحَثٌ فِي وَجُوبِ وَجُودِ الْحُجَّةِ وَتَبْعِيَةِ الْفَضَائِلِ - عِلَاقَةُ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ بِالتَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ .

ص - تَأْكِيدُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَنَّهُ وَارِثُ الْأَنْبِيَاءِ وَسَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ مِنَ الْخُطْبَةِ ١٨١ .

ق - احتجاجُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْقُرْآنِ .

ر - أوامرُهُ ﷺ يَتَّبَعِ أَهْلَ الْبَيْتِ ﷺ - مبحثٌ في الْفِتْنَةِ وأسبابِها
ونَتَائِجِها - تَفْسِيرُ غِيَةِ الْحُجَّةِ وعلاقَتُهُ بالتَّوْحِيدِ - مغالطاتُ الْكَاتِبِ الْكَاذِبِ -
الكَشْفُ عَنْ تَحْرِيفِهِمْ لِتَفْسِيرِ آيَةِ الشُّورَى .

ش - الْاِحْتِجَاجُ بِدَعَائِهِ ﷺ عَلَى قَرِيشٍ - كَفَرُهُمْ بِعَلِيِّ ﷺ يشبهُ كُفْرَ
اليَهُودِ بِالْمَسِيحِ ﷺ .

ت - الْاِحْتِجَاجُ بِصَلَاتِهِ ﷺ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ - شَرْحُ الْخِصَائِصِ السَّعِ
فِي هَذِهِ الصَّلَاةِ - مبحثٌ نَفِيسٌ فِي الْعَقْدِ النَّفْسِيِّ لِعَائِشَةَ - شَرْحُ قَوْلِهِ ﷺ :
«لِلَّهِ بِلَادُ فُلَانٍ . . الْخ» - خِصَائِصُ أُخْرَى لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - الْمُخَاطَبَانِ فِي
قَوْلِهِ تَعَالَى : «يَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» [الرَّحْمَنُ : ١٣] - شَرْحُ قَوْلِهِ ﷺ :
«لَمَعَ لَامِعٌ وَلاَحٌ لَانِعٌ وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ . . الْخ» - شَرْحُ قَوْلِهِ ﷺ : «لَا يَدْخُلُ
الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ الْأَثَمَةَ وَعَرَفُوهُ» - مغالطاتُ الْكَاتِبِ النَّاصِبِ - شَرْحُ
قَوْلِهِ ﷺ : «وَأَوْجَبَ مَوَدَّتَهُمْ» - تَوْضِيحٌ جَدِيدٌ لِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى الْمَوَدَّةِ .

ث - الْاِحْتِجَاجُ بِالآيَاتِ الْمُرْتَبِطَةِ بِقَوْلِهِ ﷺ : «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ
أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاؤُوا بِهِ . . الْخ» .

خ - الْاِحْتِجَاجُ بِقَوْلِهِ ﷺ : «لَا يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ . . الْخ» -
إِبْضَاحٌ جَدِيدٌ لَانْقِلَابِ الْمَفَاهِيمِ الْعَقَائِدِيَّةِ عِنْدَ الْأُمَّةِ .

ذ - شَرْحُ قَوْلِهِ ﷺ : «عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعْذِرُونَ فِي جِهَالَتِهِ . . الْخ» -
اسْتِخْرَاجُ الْقَاعِدَةِ الْعَامَّةِ لِلْإِمَامَةِ مِنْ كَلَامِهِ ﷺ .

ض - شَرْحُ قَوْلِهِ ﷺ : «مَا اخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلَالَةً . .
الْخ» - مغالطاتُ شَرَّاحِ النُّهْجِ بِخُصُوصِ الْعِبَارَةِ .

غ - الْاِحْتِجَاجُ بِالْبَشَارَةِ فِي قَوْلِهِ ﷺ : «لَتَعَطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا عَظْفَ
الضُّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا . . الْخ» .

تَقْدِيمٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ مشكلةَ الفكرِ عموماً ومشكلةَ الدِّينِ خصوصاً وَمَا حَصَلَ ويحصلُ فيهما من اختلافٍ لَيْسَ مرجعُهُ إلى عَدَمِ وضوحِ الحَقِّ من الباطلِ . إِنَّمَا مرجعُهُ إلى خَلْطِ الحَقِّ بالباطلِ عِنْدَ الناسِ . وَمَعْنَى القَوْلِ الأوَّلِ إِنَّ اللهَ لَمْ يجعلِ الحَقَّ مختلفاً عَنِ الباطلِ اختلافاً واضحاً بَيِّنًا بحيثُ يمكنُ أن يحاسبَ الخَلْقُ حساباً عادلاً . وَمَعْنَى القَوْلِ الثاني هُوَ عَلَى العكسِ من ذَلِكَ أي أَنَّ الحَقَّ والباطلَ مُخْتَلِفَانِ ومتناقِضَانِ بِدَرَجَةٍ كافيةٍ بحيثُ إِنَّ كُلَّ إنسانٍ يَعْلَمُ أو يمكنُهُ أَنْ يَعْلَمَ الحَقَّ ويميزُهُ عَنِ الباطلِ كَمَا يميزُ جيداً بَيْنَ الظُّلُمَاتِ والنُّورِ أو الظِّلِّ والحرورِ أو اللَّيْلِ والنَّهَارِ . فيصبحُ كُلُّ إنسانٍ (عَلَى نَفْسِهِ بصيرةٌ ولو ألقى مَعَاذِيرَهُ) كَمَا قَالَ الله تَعَالَى .

القَوْلُ الأوَّلُ إِذْنُ هُوَ الكُفْرُ بعينه ، والقَوْلُ الثاني هُوَ الإيمانُ الحَقُّ .

القَوْلُ الأوَّلُ هُوَ الشِّرْكُ ، والقَوْلُ الثاني هُوَ التوحيدُ .

في القَوْلِ الأوَّلِ يُلقِي المُفَكِّرُ اللَّوْمَ والتَّبِعَةَ عَلَى الخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَبْرَأُ نَفْسَهُ وَالنَّاسَ . وفي القَوْلِ الثاني يُلقِي المُفَكِّرُ بِاللَّوْمِ عَلَى الناسِ وَيَبْرَأُ الخَالِقَ مِنَ الظُّلْمِ .

وَمَا نريدُ أَنْ نقولهُ في هَذَا الكتابِ هُوَ أَنَّ الناسَ دأبوا عَلَى الجدالِ حَوْلَ الحَقِّ والباطلِ والصحيحِ والخطأ ، وتَمَادَوْا في ذَلِكَ إلى درجَةٍ أَنَّ عُلَمَاءَ الدِّينِ أَصْبَحُوا يأخذونَ بفكرةِ احترامِ الآراءِ جميعاً ولو فيما بينهم ، ويبرِّرونَ الاجتهادَ ويزعمونَ أَنَّ الاختلافَ في الدِّينِ رحمةٌ وَأَنَّهُ ضرورةٌ لإغنَاءِ الفكرِ والبحثِ .

لَكِنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيِّنَ الْبَحْثِ عَنِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَبَيِّنَ الْاِخْتِلَافِ فِي الْحَقِّ
وَالْبَاطِلِ هُوَ عَيْنُهُ الْفَرْقُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ .

إِنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَبْرُرُونَ الْاِخْتِلَافَ وَيَسْمَحُونَ بِتَعَدُّدِ الْوُجُوهِ فِي تَأْوِيلِ النَّصِّ
الْإِلَهِيِّ هُمْ ظَلَمَةٌ وَكَفَرَةٌ، بَلْ هُمْ أَظْلَمُ الْخَلْقِ طُرّاً وَإِنْ لَبَسُوا الْعِمَائِمَ وَتَجَلَّبَوا
بِجِلْبَابِ الدِّينِ، لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِعَدَمِ وَضُوحِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ابْتِدَاءً،
وَيَجْعَلُونَ النَّصَّ الْإِلَهِيَّ الَّذِي جَاءَ لِإِزَالَةِ الْاِخْتِلَافِ، يَجْعَلُونَهُ مَضْذَرّاً
لِلْاِخْتِلَافِ .

وَفِي هَذَا الْكِتَابِ نَحَاوُلُ كَمَا حَاوَلْنَا مِنْ قَبْلِ إِجْرَاءِ التَّصْحِيحِ الْعَقَائِدِيَّ فِي
أَهَمِّ قَضِيَّةٍ فِي الدِّينِ مِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ، حَيْثُ اعْتَبَرْنَا كَلِمَةَ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي
حَرْبِ الْجَمَلِ الَّتِي قَالَهَا لِسَائِلٍ سَأَلَهُ عَنِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي تَمَكِّنُهُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْمُحَقِّقِ
وَالْمُبْطِلِ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، وَهِيَ قَوْلُهُ لِلْسَائِلِ:

«وَيُحَاكَ إِنَّ الْحَقَّ لَا يُعْرَفُ بِالرِّجَالِ . . إِنْ عَرِفَ الْحَقَّ تَعْرِفَ أَهْلُهُ» .

هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَحْدَهَا اعْتَبَرْنَاهَا قَاعِدَةً عَامَّةً لِلانْطِلَاقِ فِي عَمَلِيَّةِ التَّصْحِيحِ
الْعَقَائِدِي .

إِنَّ كُلَّ مَا جَرَى مِنْ أبحاثٍ وَمَجَادَلَاتٍ بَيْنَ الْفِرَقِ وَالْمَذَاهِبِ فِي كُلِّ
الْأَدْيَانِ، وَلَيْسَ فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ وَحْدَهُ قَدْ جَرَى بِخِلَافِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ! .
فَهِيَ كُلُّهَا مَجَادَلَاتٌ وَأبحاثٌ لَا تَمَثِّلُ مُطْلَقاً بَأَيَّةِ دَرَجَةٍ مُحَاوَرَاتٍ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ
وَالْبَاطِلِ، بَلْ هِيَ أبحاثٌ الْبَاطِلِ مَعَ نَفْسِهِ فَقَطْ، وَمَجَادَلَاتٌ الْبَاطِلِ مَعَ
الْبَاطِلِ . . لِأَنَّهُا بَعِيدَةٌ عَنِ الْحَقِّ بُعْدَ السَّمَاءِ عَنِ الْأَرْضِ مُنْذُ ابْتَدَأَتْ وَإِلَى هَذَا
الْيَوْمِ، لِأَنَّهُا أَقْوَالُ الرِّجَالِ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ .

فَهَذِهِ الْأبحاثُ وَالْكِتُوبُ وَالْآرَاءُ لَيْسَتْ سِوَى آرَاءِ الرِّجَالِ فِي بَعْضِهِمْ

البعض... ولا علاقةَ لَهَا بِمُرَادِ اللَّهِ ولا كتابِ اللَّهِ ولا مُرَادِ رَسُولِهِ وإنْ كَانَ النِّصُّ الإِلَهِيُّ هُوَ مَوْضُوعُهَا الدَّائِمُ.

هَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ النِّصُّ الإِلَهِيُّ بَيِّنًا بِنَفْسِهِ بِاعْتِبَارِهِ حَقًّا وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ غَامِضًا وَيَحْتَاجُ إِلَى تَبْيِينٍ مِنَ الرُّجَالِ!.

وَجَيْنَمَا تَفْهَمُ النِّصَّ الإِلَهِيَّ - سواءَ أَكَانَ قَرَأْنَا أوِ سَنَّةٌ مِنْ خِلَالِ الرُّجَالِ فَإِنَّكَ تَعْبُدُ الرُّجَالَ ولا تَعْبُدُ اللَّهَ!.

وَجَيْنَمَا تَرَى مَا فِي النِّصِّ مِنْ حَقٍّ وَبَاطِلٍ مُسْتَقِلًّا عَنِ الرُّجَالِ فَقَدْ بَدَأْتَ بِالْفِعْلِ أَوَّلَ خُطْوَةٍ فِي الطَّرِيقِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ!.

مِنْ هُنَا نَرَى بوضوحٍ كافٍ أَنَّ الهجماتِ الموجهةَ إِلَى الدِّينِ السِّمَاطِيِّ وَعَلَى كَافَّةِ الْمَسْتَوِيَّاتِ هِيَ هَجَمَاتٌ عَلَى التفسيرِ السائدِ لِلدِّينِ وَلَيْسَتْ عَلَى الدِّينِ نَفْسِهِ، وَلَكِنَّهَا تُحَاوِلُ إِبْطَالَ أَسْئِ الدِّينِ مِنْ خِلَالِ التناقضاتِ فِي أقوالِ علماءِ الدِّينِ والمفسرينَ، فيحسبُ البعضُ بَلْ أَكْثَرُ النَّاسِ أَنَّ الدِّينَ أَصْبَحَ فِي خَطَرٍ مِنْ هَذِهِ الْهَجَمَاتِ.

وَالوَاقِعُ هُوَ خِلَافُ ذَلِكَ، إِذْ إِنَّ الْخَطَرَ هُوَ عَلَى التفسيرِ الخاطيءِ لِلدِّينِ وَعَلَى التَّأْوِيلَاتِ الْمُتَنَاقِضَةِ لِلنِّصِّ. فَهِيَ إِذَنْ هَجَمَاتُ الْبَاطِلِ عَلَى نَفْسِهِ. فَهِيَ مِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ نَافِعَةٌ مُنْفَعَةٌ عَظِيمَةٌ، لِأَنَّهَا تَكْشِفُ عَنِ الانحرافِ والزَّيْفِ وَإِنْ كَانَ مُصَدِّرُهَا أَقْطَابُ الْكُفْرِ والإلحادِ العَلَنِيِّ.

وَمِثْلُهَا مِثْلُ الْإِفْكِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ عَصْبَةٌ فِي عَصْرِ الرِّسُولِ ﷺ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

ذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا الْإِفْكَ قَدْ بَنَاهُ الْمُنَافِقُونَ عَلَى أُسُسٍ خَاطِئَةٍ مَغْرُوسَةٍ فِي الْأُذْهَانِ لِأَصُولِ الْعَقِيدَةِ فَأُمَكَّنَ مِنْ خِلَالِهِ الْكَشْفُ عَنْ هَذِهِ الْمَبَادِئِ وَتَصْحِيحُهَا وَتَمْيِيزُ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْمُنَافِقِ . إِذْ لَمْ يَكُنْ بِالْإِمْكَانِ أَضْلاً اسْتِقْبَالُ هَذَا الْإِفْكِ مِنْ قِبَلِ الْمُسْلِمِينَ لَوْلَا اسْتِعْدَادُهُمْ لِقَبُولِ الْمَغَالِطَاتِ ، وَلِذَلِكَ وَبَخَّهِمُ الْقُرْآنُ عَلَى تَرْيِيدِ مَقُولَاتِ الْمُنَافِقِينَ .

إِنَّ مَا حَصَلَ فِي عَقَائِدِ الْمُسْلِمِينَ مُنْذُ قُرُونٍ طَوِيلَةٍ هُوَ انْقِلَابٌ شَامِلٌ لِمَبَادِئِ الدِّينِ وَانْعِكَاسٌ لِلْمَفَاهِيمِ بِحَيْثُ إِنَّ الدِّرَاسَةَ الْجَادَّةَ لِلنَّصِّ الْقُرْآنِيِّ وَمَحَاوَلَةَ فَهْمِهِ مُسْتَقْبَلًا عَنْ آرَاءِ الرُّجَالِ تَبَيَّنَ بوضوحٍ كَافٍ أَنَّ الدِّينَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْنَا الْيَوْمَ هُوَ نَقِيضُ الدِّينِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَلِذَلِكَ يَتِمَكَّنُ دَعَاؤُ الْإِلْحَادِ وَالْكُفْرِ مِنْ تَوْجِيهِ الضَّرْبَاتِ الْقَوِيَّةِ إِلَى هَذَا الدِّينِ الْمَزْيِفِ فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّ الدِّينَ فِي خَطَرٍ ! .

وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ كَمَا قُلْنَا مِنْ قَبْلُ : إِنَّ الْخَطَرَ هُوَ عَلَى الْبَاطِلِ مِنَ الْبَاطِلِ لَا غَيْرٍ ! .

وَلَكِنْ يَبْقَى عَلَيْنَا أَنْ نَوْضِّحَ لِلْقَارِئِ الْفَرْقَ بَيْنَ دِينِ اللَّهِ وَدِينِ النَّاسِ ! ، إِذْ هُنَا تَكْمُنُ الْمَشْكَلَةُ بِكُلِّ أَبْعَادِهَا ! .

فَإِنَّ هَذَا التَّوْضِيحَ يَسْتَلْزِمُ إِجْرَاءَ سِلْسِلَةٍ مِنَ الْأَعْمَالِ سَتَكُونُ الْمَفَاجَأَةُ فِيهَا عَلَى رِجَالِ الدِّينِ مِنْ كَافَّةِ الْمَذَاهِبِ أَشَدَّ وَقَعاً مِمَّا هِيَ عَلَى الْقَارِئِ الْعَادِي . وَمِنَ الْمَتَوَقَّعِ أَنْ يَقِفَ أَكْثَرُهُمْ ضِدَّ عَمَلِيَةِ التَّصْحِيحِ وَفِي صَفِّ الْعَدُوِّ إِذَا أَحْسَوْا بِالْخَطَرِ الدَّاهِمِ عَلَى مُسْلِمَاتِهِمْ وَمَبَادِيهِمْ ، وَسَوْفَ يَحْسُبُونَ أَنَّ الْخَطَرَ فِي التَّصْحِيحِ أَعْظَمُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَطَرِ الْآتِي مِنْ هِجَمَاتِ الْمَلَاحِدَةِ وَالْكَفَّارِ .

ذَلِكَ لِأَنَّا لَوْ قُلْنَا أَنَّ مَا تَنْتَفِدُونَهُ هُوَ آرَاءُ الرُّجَالِ وَأَعْمَالُ الرُّجَالِ ، وَبَيْنَا فِيهِ حَقِيقَةُ الدِّينِ ظَهَرَ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ كُفْرُ هَؤُلَاءِ الرُّجَالِ وَانْحِرَافُهُمْ عَنِ الدِّينِ ،

وَهُمْ أَسْمَاءٌ لَامِعَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي الْأُمَّةِ وَمَعْرُوفَةٌ بِالِ (التقوى والصلاح)، بَلْ
أَسْمَاءٌ مُقَدَّسَةٌ جِدًّا. ذَلِكَ لِأَنَّ الدِّينَ الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ النَّاسُ الْيَوْمَ هُوَ فِي الْوَاقِعِ
أَسْمَاءُ رِجَالٍ، فَلَا يَفْصِلُونَ وَلَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الدِّينِ وَمَا يَسْمَى بِهِ (رِجَالِ الدِّينِ).

وَفِي السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ تَكَاثَفَتِ الْحَمَلَاتُ الْمَوْجَّهَةُ ضِدَّ الدِّينِ عَلَى كَافَّةِ
الْمُسْتَوِيَّاتِ، وَمِنْ بَيْنِهَا مَوْلَفَاتٌ مَشْهُورَةٌ تَدْعُو إِلَى إِخْرَاجِ النَّصِّ الدِّينِيِّ مِنْ حِيزِ
الْمُؤَسَّسَاتِ الدِّينِيَّةِ الْعَتِيدَةِ، وَمَحَاوِلَةٌ تَفْسِيرِهِ بِالطَّرَائِقِ الْحَدِيثَةِ. وَهِيَ مُحَاوَلَاتٌ
تُعْتَبَرُ فِي سِلْسِلَةِ التَّطَوُّرِ التَّارِيخِيِّ لِتَأْوِيلِ النَّصِّ آخِرَ أَهْدَافِ الْانْحِرَافِ وَغَايَتُهُ
النِّهَايَةُ. وَإِذَا تُرِكَتْ بِغَيْرِ رَدٍّ فَإِنَّ الْمُصَالَحَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُؤَسَّسَةِ الدِّينِيَّةِ وَاقِعَةٌ
حَتْمًا وَإِنْ تَأَخَّرَتْ زَمَنِيًّا شَأْنُهَا كُلُّ انْحِرَافٍ جَدِيدٍ وَمَوْجَةٍ جَدِيدَةٍ مِنْ هَجَمَاتِ
الْإِلْحَادِ كَمَا أَثْبَتَ ذَلِكَ التَّطَوُّرُ التَّارِيخِيُّ لِلْمُؤَسَّسَةِ الدِّينِيَّةِ.

لَقَدْ لَاحَظْتُ لِمَجْلِسِ التَّصْحِيحِ الْعَقَائِدِيِّ الَّتِي انبَثَقَ عَنْهَا هَذَا الْكِتَابُ خَطُورَةَ
هَذَا الْأَمْرِ وَبَلُوغَهُ الْحَدَّ الْأَقْصَى الَّذِي لَيْسَ وَرَاءَهُ شَيْءٌ سِوَى الْخَطُورَةِ الْأَخِيرَةِ
الَّتِي هِيَ خَطُورَةُ انْكَارِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، وَلِذَلِكَ حَاوَلْتُ إِيْصَالَ الْحَقَائِقِ الْمُتَعَلِّقَةِ
بِالْعَقِيدَةِ وَالنَّصِّ بِأَسَالِيبَ وَطُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ لَا تَتِيرُ سُخْطَ الْمُؤَسَّسَةِ الدِّينِيَّةِ، وَذَلِكَ
بِاتِّمُسُّكِ بَعْضِ الْمَبَادِئِ الْمُشْتَرَكَةِ مَعَهَا وَالْإِنْطِلَاقِ مِنْهَا مِثْلُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ، وَوَحْدَةِ الدَّعْوَةِ الْإِلَهِيَّةِ عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ، وَالثَّوَابِتِ فِي الْمَأْثُورِ، وَإِجْرَاءِ
التَّصْحِيحِ فِي أُسُسٍ وَمَبَادِئِ اللَّغَةِ مِنْ جِهَاتٍ بَعِيدَةٍ عَنْ نِقَاطِ الْخَطَرِ أَمْلًا فِي
التَّقَاءِ هَذِهِ الْأَبْحَاثِ فِي النِّهَايَةِ عِنْدَ تِلْكَ الْغَايَةِ.

وَكَانَ ظَهُورُ كِتَابِ (تَطَوُّرِ الْفِكْرِ الشَّيْعِيِّ مِنَ الشُّورَى إِلَى وَلايَةِ الْفَقِيهِ) لِمَوْلَانِ
الْمَدْعُو (أَحْمَدِ الْكَاتِبِ) يُمَثِّلُ أَهْزَعَ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ التَّحْرِيفِ وَالزَّيْفِ الْقَائِمِ
عَلَى أَقْوَالِ الرِّجَالِ وَالَّذِي لَا شَأْنَ لَهُ بِأَصُولِ الْعَقِيدَةِ الدِّينِيَّةِ وَلَا دُسْتُورِهَا
الثَّابِتِ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالسُّنَّةُ الْمُقَدَّسَةُ.

فَقَدْ عَمَدَ هَذَا الْمُؤَلِّفُ إِلَى اسْتِخْدَامِ أَقْوَالٍ وَتَنَاقُضَاتٍ عُلَمَاءِ الدِّينِ فِي تَوْجِيهِ
آخِرِ ضَرْبَاتِهِ الْمَوْجِعَةِ إِلَى الْبَاطِلِ، وَلَكِنَّهُ وَبِسَبَبٍ مِنْ انْحِرَافِهِ وَكَذِبِهِ حَاوَلَ
الخُرُوجَ بِنتَائِجٍ عُمُومِيَّةٍ لِإِبْطَالِ الْإِمَامَةِ أَمْلًا مِنْهُ فِي إِبْطَالِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ فِيمَا
بَعْدُ أَوْ تَحْوِيلِ وَجْهَتِهَا.

ادَّعى الكَاتِبُ الْمَذْكُورُ أَنَّ الْإِمَامَ عَلِيًّا عليه السلام لَمْ يَدَافِعْ عَنْ نَظَرِيَّةِ الْوَصِيَّةِ
وَلَمْ يَدَّعِ الْعِصْمَةَ وَلَمْ يَدَّعِ إِلَى النَّصِّ، وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ دُعَاةِ الشُّورَى، وَأَنَّهُ لَمْ
يَجِدْ فِي كَلَامِهِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ مَا يَجْعَلُنَا نَعْتَقِدُ بِأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِالنَّصِّ،
وَأَنَّ الْإِمَامَةَ بِهَذَا الْمَعْنَى هِيَ مِنْ وَضْعِ الْمُتَكَلِّمِينَ.

وَبِالطَّبَعِ فَبَعْدَ إلْغَاءِ الْإِمَامَةِ وَالْعِصْمَةِ يَصْبِحُ الْأَثْمَةُ الْإِثْنَا عَشَرَ أَكْذُوبَةً،
وَيَصْبِحُ الْمَهْدِيُّ الثَّانِي عَشَرَ مَجْرَدَ فَرْضِيَّةٍ لَا أَسَاسَ لَهَا مِنَ الْوَاقِعِ.

وَلَمَّا كَانَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ عليه السلام هُوَ الشَّخْصَ الْوَحِيدَ الْمُتَّفَقَ عَلَى صَلَاحِهِ
وَتَقْوَاهُ فِي الْأُمَّةِ كُلِّهَا - إِذْ إِنَّ الْخِلَافَ حَصَلَ فِي غَيْرِهِ لَا فِيهِ -، وَلَمَّا كَانَتْ
أَقْوَالُهُ كُلُّهَا مَنْقُولَةً عَنْ أَهْلِ الْخِلَافِ، وَهِيَ الَّتِي اعْتَمَدَهَا الْكَاتِبُ الْمَذْكُورُ،
فَقَدْ رَأَيْنَا أَنَّ يَكُونُ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مُخَصَّصًا لِكَلَامِهِ عليه السلام الْمُرْتَبِطُ بِالْإِمَامَةِ،
حَيْثُ سَيَلَا حِطُّ الْقَارِئِ الْمُحْتَرِّمِ وَمِنْ أَوَّلِ الصَّفَحَاتِ أَنَّ الْكَاتِبَ الْمَذْكُورَ هُوَ
مِنْ أَكْذَبِ الْخَلْقِ، وَأَكْثَرِهِمْ إِمْعَانًا فِي الْإِفْتِرَاءِ وَالتَّزْوِيرِ، فَتَسْقُطُ مَصْدَاقِيَّتُهُ مِنْ
أَوَّلِ الْبَحْثِ، وَلِذَلِكَ فَلَا نَعْتَبِرُ هَذَا الْكِتَابَ رَدًّا عَلَى هَذَا الْكَاتِبِ بِقَدْرِ مَا هُوَ رَدٌّ
عَلَى كُلِّ انْحِرَافٍ وَتَحْرِيفٍ فِي أُسُسِ الْعَقِيدَةِ، حَيْثُ اعْتَمَدْنَا فِي شَرْحِ
أَقْوَالِهِ عليه السلام عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَالْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ بَيْنَ أَهْلِ الْأَدْيَانِ، وَأَوْضَحْنَا جَوَانِبَ
كَثِيرَةً مِنَ الْمُعَالِطَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالتَّوْحِيدِ فَاصِلِينَ فَضْلًا تَامًا بَيْنَ حُكْمِ اللَّهِ وَحُكْمِ
الْخَلْقِ - بِحَيْثُ إِنَّ عَلِيًّا عليه السلام نَفْسَهُ سَيَظْهَرُ وَكَأَنَّهُ شَخْصٌ مَأْمُورٌ بِطَاعَةِ الْإِمَامِ
عَلِيٍّ عليه السلام مِنْ خِلَالِ كَلَامِهِ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ وَحُكْمٍ إلهِيٍّ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى دَفْعِهِ وَإِلَّا

فَإِنَّهُ كَانَ يَفْضِلُ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، بَيْنَمَا تَتَجَلَّى فِي الْبَحْثِ أَحْكَامُ الْخَلْقِ الَّتِي قَابَلُوا بِهَا حُكْمَ اللَّهِ.

فِي هَذَا الرَّدِّ سَتُظْهِرُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الْإِمَامَةِ وَالتَّوْحِيدِ فِي أَجَلَى صُورِهَا الْمُمَكِّنَةِ حَالِيًا إِلَى أَنْ تَحِينِ الْفُرْصَةُ لِلإِعْلَانِ عَنْ حَقَائِقِ أُخْرَى فِي الْمَوْضُوعِ.

وَالْغَايَةُ مِنَ الْبَحْثِ أَيْضًا تَسْرِيْبُ التَّصْحِيحِ الْعَقَائِدِيَّ بِالتَّدرِجِ إِلَى الْمَوْسَسَةِ الشَّيعِيَّةِ الَّتِي تُرَوِّجُ مَعَادِلَةً مَعْكَوسَةً هِيَ طَاعَةُ عَلِيِّ فِي اللَّهِ لَا طَاعَةُ اللَّهِ فِي عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَمَلًا مِنَّا فِي انْعِكَاسِ هَذَا التَّصْحِيحِ عَلَى الْجَوَانِبِ الْأُخْرَى فِي أَوْسَاطِ الْمُسْلِمِينَ كَافَّةً وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ.

لَقَدْ لَاحَظْتُ اللَّجْنَةُ أَنَّ الْمَوْسَسَةَ الدِّينِيَّةَ غَيْرُ قَادِرَةٍ عَلَى الرَّدِّ عَلَى دَعَوَاتِ الْكَاتِبِ هَذَا. وَأَكَّدَ هَذَا الْحَدَسَ لَدِيهَا أَنَّ أَكْثَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَنْجَدُوا بِهَا لِعِلْمِهِمْ أَنَّ اللَّجْنَةَ هِيَ وَخِذَهَا الْقَادِرَةُ عَلَى الرَّدِّ، لِأَنَّهَا لَا تُؤْمِنُ أَصْلًا بِالتَّغْيِيرَاتِ وَالِاجْتِهَادَاتِ الرَّجَالِيَّةِ الَّتِي اعْتَمَدَهَا (الْكَاتِبُ) فِي النَّقْدِ وَالتِّي هِيَ مِنْ أَعْمَالِ هَذِهِ الْمَوْسَسَةِ ذَاتِهَا. وَكَذَلِكَ لِثِقَةِ هَؤُلَاءِ الْقُرَّاءِ بِأَنَّ لَدَى اللَّجْنَةِ الْقُدْرَةَ عَلَى النِّفَازِ إِلَى الْمَفَاهِيمِ الْحَقِّقَةِ فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ وَالتِّي تَمَكَّنَتْ بِهَا مِنْ مُحَاكَمَةِ الْكَثِيرِ مِنَ الْمَقُولَاتِ الرَّجَالِيَّةِ الْمُعْتَمَدَةِ فِي الدِّرَاسَاتِ الدِّينِيَّةِ عَلَى الصَّعِيدِ الْعَقَائِدِيِّ وَالتَّشْرِيعِيِّ كَمَا ظَهَرَ ذَلِكَ فِي أَبْحَاثِهَا السَّابِقَةِ.

وَلِذَلِكَ فَقَدْ أَكَّدَ الْبَحْثُ فِي هَذَا الْكِتَابِ عَلَى مَسْأَلَةٍ هَامَّةٍ جِدًّا هِيَ: إِنَّ الْإِمَامَةَ عَقِيدَةٌ إِلَهِيَّةٌ لَا عِلَاقَةَ لَهَا بِعَدَدِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا، وَلَا بِالتَّغْيِيرِ الْحَاصِلِ عَلَيْهَا عَلَى أَيْدِي الرُّجَالِ وَلَا بِانْكَارِ الرُّجَالِ لَهَا أَوْ اعْتِرَافِهِمْ بِهَا. . . بَلْ تُعْرَضُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِنْ ثَبَّتَ بِهِمَا فَهِيَ حَقٌّ حَتَّى لَوْ لَمْ يَوْجَدْ إِلَّا وَاحِدٌ يُؤْمِنُ بِهَا، وَإِنْ بَطَلَتْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَهِيَ بَاطِلَةٌ وَإِنْ دَعَا لَهَا كُلُّ الْخَلْقِ. وَإِنْ وَاجِبَ الْمُؤْمِنِ هُوَ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ مُجَرَّدًا عَنْ الْأَسْمَاءِ وَقَبْلَ مَعْرِفَةِ الرُّجَالِ وَأَقْوَالِهِمْ

بَحِثْ يُمْكِنُهُ الْحُكْمُ عَلَيْهِمْ بِالْحَقِّ لَا الْحُكْمُ بِهِمْ عَلَى الْحَقِّ كَمَا فَعَلَ الْكَاتِبُ
الْأَفَّاكُ الْكَذُوبُ الْمُلْحِدُ الَّذِي اتَّخَذَ مِنَ الدِّينِ وَسِيلَةً لِهَظْمِ الرُّكْنِ الْأَسَاسِيِّ فِيهِ،
وَلِذَلِكَ رَجَعَ كَيْدُهُ إِلَى نَحْرِهِ وَأَبْطَلَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ.

وَبَعْدُ فَإِنَّ اللِّجَنَةَ تَتَقَدَّمُ بِالشُّكْرِ الْجَزِيلِ والدُّعَاءِ إِلَى الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ بِالثَّوَابِ
الْعَظِيمِ لِكُلِّ الَّذِينَ أَعَانُوهَا عَلَى إِكْمَالِ هَذَا الْقِسْمِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ الَّتِي
أَعْلَنْتُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ لِلْقُرَّاءِ الْكِرَامِ عَنِ الْحَقَائِقِ بِلا خَوْفٍ وَلَا تَزْوِيرٍ وَلَا كَذِبٍ وَلَا
تَمْوِيهِ وَلَا مَجَامِلَاتٍ، إِذْ لَا مُجَامَلَةَ فِي الْحَقِّ، وَهِيَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّهَا وَهِيَ
تَحَاوُلُ الدِّفَاعَ عَنِ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ وَالْحُكْمِ الْإِلَهِيِّ الْمُطْلَقِ فَلَنْ تَكُونَ هُنَاكَ
أَيُّ قُوَّةٍ فِي الْعَالَمِ قَادِرَةٌ عَلَى إلْحَاقِ الضَّرَرِ بِهَا، لِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَقَوْلُهُ
صِدْقٌ.. فَهَوَّ تَعَالَى الْقَائِلُ:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَضُرُوا اللَّهَ يَضُرَّكُمْ وَيَبْتَئِ أَفْدَاكُمْ﴾ [محمد: ٧].

نَعَمْ.. إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَقُولُونَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَكِنَّهُمْ يَضُرُّونَ الشَّيْطَانَ، وَلِذَلِكَ
فَإِنَّ مَصِيرَ أَبْحَاثِهِمُ الْهَبَاءَ وَجَنَائَتِهِمْ مِنْهَا الْعَنَاءُ وَمَالُهُمْ أَنْ يَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْأَشْرَارُ
وَأَنْ يَذُوبَ بِأَطْلُهُمْ، لِأَنَّ الْبَاطِلَ يَأْكُلُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

وَقَدْ أَطْلَقْنَا الْأِسْمَ الْفِرْعَوِيَّ لِلْبَحْثِ [الإِمَامَةُ بَيْنَ الثَّابِتِ وَالْمُتَحَوِّلِ] لِلدَّلَالَةِ
عَلَى أَنَّ لِأَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ نَظْرِيَّةَ إِلَهِيَّةٍ، وَهِيَ حُكْمٌ إِلَهِيٌّ عَلَيْهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ،
وَهُمْ مَقْهُورُونَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ فِيهَا. وَإِنَّ هَذَا هُوَ مِنَ الثَّوَابِتِ الْقِرَائِيَّةِ، وَإِنَّ
التَّحَوَّلَاتِ فِي الْفِكْرَةِ إِنْ وَجِدَتْ فَهِيَ مِنْ آرَاءِ الرُّجَالِ وَلَا عِلَاقَةَ لَهَا بِالْإِمَامَةِ.
فَهِيَ عَلَى الْعَكْسِ مِمَّا زَعَمَهُ (الْكَاتِبُ) تُؤَكِّدُ نَظْرِيَّةَ الْإِمَامَةِ، لِأَنَّ الْإِمَامَةَ أَضْلًا
إِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لِلاحتِجَاجِ عَلَى الْخَلْقِ وَلِإِزَالَةِ الْاِخْتِلَافِ.

فَالْكُفْرُ بِالْإِمَامَةِ هُوَ مَنْشَأُ الْخِلَافِ وَالْاِخْتِلَافِ، وَإِنْكَارُهَا يَعْنِي السَّمَاخَ لِكُلِّ
مَنْ هَبَّ وَدَبَّ بِإِدْلَاءِ رَأْيِهِ فِي حُكْمِ اللَّهِ، وَهَذَا هُوَ الْكُفْرُ. وَهُوَ نَاتِجٌ سِتْلَاحُظُهُ

في كُلِّ أقوالِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام والتي تعمَّدَ (الكاتبُ) الكاذِبُ تجاهلَها،
وجاءَ بغيرها ممَّا يحسُّبه مؤيِّداً لَهُ. ولكنَّا أثبتنا أنَّ الَّذي جاءَ بِهِ من
أقوالِهِ عليه السلام هُوَ أَوْضَحُ حُجَّةٍ وَأَيِّنُ بُرْهَانًا من النصوصِ المتروكةِ - ذَلِكَ لِأَنَّ
هَذَا (الكاتبَ) اعْتَمَدَ الافتراءَ والكَذِبَ مِنْ أَوَّلِ مَا بَدَأَ البَحْثَ، فَمِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنْ
يُضِلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَيَعْمِي بَصَرَهُ وَبَصِيرَتَهُ عَنِ الْحَقَائِقِ.

هَذَا وَنَطْلُبُ مِنَ الْقَارِئِ الْكَرِيمِ قَبْلَ قِرَاءَةِ هَذَا الْكِتَابِ التَّحَرُّرَ مِنْ كُلِّ حُكْمٍ
سَابِقٍ فِي أَيِّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، وَأَنْ يُرْغَمَ نَفْسُهُ عَلَى فَهْمِ سُورَةِ
الْإِخْلَاصِ وَتَرْدِيدِهَا مِرَاراً وَأَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَيَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى
لِهَدَايَتِهِ إِلَى الْحَقِّ قَبْلَ الْبَدْءِ بِالْقِرَاءَةِ. فَإِنْ كَانَ كِتَابُنَا بِاطِلَاءٍ وَهُوَ سَلِيمُ الْقَلْبِ فَلَا
شَكَّ أَنَّ اللَّهَ سَيَسْتَجِيبُ دَعَاءَهُ وَيَكْشِفُ لَهُ عَنْ بَطْلَانِ هَذَا الْكِتَابِ. وَإِنْ كَانَ مَا
فِي كِتَابِنَا حَقًّا - وَهُوَ كُلُّهُ حَقٌّ - فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ سَوْفَ يَهْدِيهِ إِلَى الْحَقِّ. وَمَعْنَى
هَذَا الْكَلَامِ يَرْجِعُ إِلَى أَوَّلِهِ، أَيِ لَيْسَتْ الْعِلَّةُ فِي عَدَمِ وَضُوحِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ،
وَأِنَّمَا الْعِلَّةُ فِي الْقُلُوبِ الَّتِي فِي الصُّدُورِ. فَإِذَا سَلِمَتِ الْقُلُوبُ أَذْرَكَتِ الْعُقُولُ.
وَفِي هَذَا النُّصْحِ كَفَايَةٌ لِمَنْ اكْتَفَى بِاللَّهِ، وَكَفَى بِاللَّهِ هَادِيًا وَكَفَى بِهِ نَصِيرًا.



مُجْمَلُ أَكَاذِيبِ الْكَاتِبِ فِي مُقَدِّمَتِهِ



اُتَشَرَّ فِي الْآوَنَةِ الْأَخِيرَةِ فِي أَنْحَاءِ الْعِرَاقِ كِتَابٌ لِمُؤَلِّفِ اسْمُهُ (أَحْمَدُ الْكَاتِبُ) حَيْثُ ادَّعَى أَنَّهُ مِنْ طَائِفَةِ الشَّيْعَةِ، وَأَنَّهُ قَدْ دَافَعَ عَنِ الْفِكْرِ الشَّيْعِيِّ طَوَالَ حَيَاتِهِ. وَلَكِنَّهُ (وَبِفَضْلِ اللَّهِ وَعَنَانِيَّتِهِ) اكْتُشِفَ كَافَّةُ التَّنَاقُضَاتِ فِي هَذَا الْمَذْهَبِ.. وَقَدْ رَتَّبَ كَشُوفَاتِهِ فِي الْمُقَدِّمَةِ بِطَرِيقَةٍ تَعْتَمِدُ عَلَى الْعَامِلِ النَّفْسِيِّ لِلْقُرَّاءِ لِيَكْسِبَهُمْ إِلَى صَفِّهِ مِنْ أَوَّلِ الْبَحْثِ. وَلِذَلِكَ تَمَيَّزَتِ الْمُقَدِّمَةُ بِوُجُودِ أَرْبَعِ مَرَاجِلٍ لِهَذِهِ الْكَشُوفَاتِ، وَسَاحَاوُلٌ لِإِبْثَاتِهَا هُنَا لِيَكُونَ الْقَارِئُ مُسْتَعِدًّا نَفْسِيًّا لِإِجْرَاءِ الْمَقَارَنَةِ:

الأولى: إِنَّهُ بَدَأَ الْبَحْثَ فِي (وَلَايَةِ الْفَقِيهِ) الَّتِي تَبَنَّى طَرَحَهَا الزَّعِيمُ الدِّينِيُّ الْخَمِينِيُّ فِي إِيرَانَ مُتَسَائِلًا عَنْ سَبَبِ إِعْطَاءِ الْفَقِيهِ بِاعْتِبَارِهِ نَائِبًا عَنِ الْمَعْصُومِ وَلَايَةً مُطْلَقَةً هِيَ ذَاتُهَا وَلَايَةُ الْإِمَامِ وَصَلَاحِيَّتُهُ، وَحَسَبَ تَعْبِيرِهِ: (كُلُّ صَلَاحِيَّاتِ الْإِمَامِ وَالرَّسُولِ، وَسُمِّحَ لَهُ بِتَجَاوُزِ الدِّسْتُورِ وَإِرَادَةِ الْأُمَّةِ جَمْعَاءَ). وَيَدَّعِي (الْكَاتِبُ) أَنَّهُ مَنْدَهَشٌ لِنَفْسِهِ حِينَمَا اكْتُشِفَ فَجْأَةً [هَكَذَا] أَنَّ الْعُلَمَاءَ السَّابِقِينَ لَمْ يَكُونُوا يُؤْمِنُونَ بِنَظَرِيَّةِ وَلَايَةِ الْفَقِيهِ!.

وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ ائْتَدَهَشْتُ أَكْثَرَ مِنْهُ لِانْتِشَارِ هَذَا الْكِتَابِ فِي أَوْسَاطِ الْمُتَقَفِّينَ فِي الْعِرَاقِ.. ذَلِكَ لِأَنَّ (الْكَاتِبَ) يُنْبِئُ بِهَذِهِ الْعِبَارَاتِ جَهْلُهُ مِنْ جِهَةٍ، وَكِذْبُهُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

فَقَدْ أَفْشَلَ بِنَفْسِهِ مُحَاوَلَةَ التَّأْثِيرِ النَّفْسِيِّ لِلْبَحْثِ مِنْ أَوَّلِ خَمْسَةِ أُسْطُرٍ، لِأَنَّ كُلَّ الْعِرَاقِيِّينَ وَحَتَّى بَعْضَ الصَّبْيَانِ مِنْهُمْ يَعْلَمُونَ جَيِّدًا أَنَّ مَبْدَأَ (وَلَايَةِ الْفَقِيهِ)

هُوَ تَنْظِيرٌ جَدِيدٌ فِي سَاحَةِ الْفِكْرِ الشَّيْعِيِّ يُقَابِلُ فِكْرَةَ (اِنْتِظَارِ الْإِمَامِ الْقَائِمِ)، وَأَنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ لَا زَالُوا عَلَى النِّظَرِيَّةِ الْأُولَى (اِنْتِظَارِ الْقَائِمِ)، وَخَاصَّةً الْمُحَدِّثِينَ وَالْإِخْبَارِيِّينَ وَكَثِيرًا مِنَ الْأَصُولِيِّينَ، بَلْ وَفِي دَاخِلِ إِيرَانَ أَيْضًا. فَكَيْفَ غَابَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ عَنْ ذَهْنِهِ وَهُوَ فِي الْوَسْطِ الدِّينِيِّ؟.. بَلْ الْحَرْبُ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَإِيرَانَ قَدْ أَعْطَتْ فُرْصَةً كَبِيرَةً لِلتَّعَرُّفِ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مِنْ قَبْلِ كَافَّةِ الْمُتَقَفِّينَ الْعَادِيِّينَ جِدًّا. فَقَدْ نَشَرْتُ صُحُفَ الْعِرَاقِ وَمَجَلَاتُهُ مِثْلَ «آفَاقٍ عَرَبِيَّةٍ» أَبْحَاثًا لِلرَّدِّ عَلَى فِكْرَةِ وَلايَةِ الْفَقِيهِ، بَلْ كَتَبْتُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ وَتَحَدَّثْتُ فِيهِ رِجَالُ السِّيَاسَةِ أَيْضًا، فَكَيْفَ اكْتَشَفَ (الكَاتِبُ) (فَجْأَةً) أَنَّ الْعُلَمَاءَ الْقُدَمَاءَ لَا يُؤْمِنُونَ بِوَلايَةِ الْفَقِيهِ؟، وَهَلْ هَذِهِ قَضِيَّةٌ خَافِيَةٌ أَمْ أَنَّهَا خَافِيَةٌ عَلَى (الكَاتِبِ) وَحْدِهِ فِي وَقْتٍ اشْتَغَلَتْ فِيهِ جَنْهَةٌ طَوَّلَهَا ١٥٠٠ كَمِ بِالنَّارِ بِسَبَبِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ؟.

يَبْدُو لَنَا أَنَّ (الكَاتِبَ) يَحَاوِلُ اسْتِغْلَالَ الْمَسْأَلَةَ السِّيَاسِيَّةَ فِي الْعِرَاقِ خُصُوصًا لِأَغْرَاضِ الْبَحْثِ.. فَهُوَ يَتَصَوَّرُ أَنَّ الْمَرْءَ سَيَكُونُ فِي حَرَجٍ شَدِيدٍ وَهُوَ يَحَاوِلُ الرَّدَّ عَلَى (الكَاتِبِ) لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ الْإِيمَانِ بِالْأُئِمَّةِ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنْكَارِ وَلايَةِ الْفَقِيهِ!.. وَلَمَّا كَانَ إِنْكَارُ نَظَرِيَّةِ الْخَمِينِيِّ قَضِيَّةً لَا بُدَّ (لِلْعِرَاقِيِّ) مِنْ إِعْلَانِهَا فَإِنَّ إِنْكَارَ الْأُئِمَّةِ الْمَعْصُومِينَ سَيَكُونُ تَحْصِيلَ حَاصِلٍ!.

وَهَذَا هُرَاءٌ، فَلَا عِلَاقَةَ مُطْلَقًا بَيْنَ وَلايَةِ الْفَقِيهِ لِلْخَمِينِيِّ وَالْإِمَامَةِ الْإِلَهِيَّةِ لِلْأُئِمَّةِ الْإِثْنِي عَشَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ التِّيَّارَاتِ الدِّينِيَّةَ كُلَّهَا تَحَاوِلُ الْيَوْمَ الْحَصُولَ عَلَى الْحُكْمِ سِوَاءَ أَكَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالْأُئِمَّةِ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ الشُّورَى.

الثَّانِيَّةُ: هَذَا الْاِكْتِشَافُ قَادَهُ حَسَبُ مَدَّعَاهُ إِلَى الْمَرَحَلَةِ التَّالِيَةِ، وَهِيَ دِرَاسَةُ (الْغَيْبَةِ الصَّغْرَى)، وَبَعْدَمَا دَرَسَهَا (فَوْجِي) أَيْضًا بِالْوَحْيِ الْإِلَهَامِيِّ وَهُوَ

يَكشِفُ لَهُ عَنْ سِرِّ آخِرًا قَالَ: (فَقَدْ اكْتَشَفْتُ أَثْنَاءَ الْبَحْثِ شُبُهَاتٍ تَارِيخِيَّةٍ
وَعَلَامَاتٍ اسْتَفْهَامٍ تَدَوَّرُ حَوْلَ صِدْقِ ادِّعَاءِ النَّوَابِ الْأَرْبَعَةِ ضَمْنِ أَكْثَرِ مِنْ
عِشْرِينَ نَائِبًا)^(١)!

يا للكشوفاتِ العجيبة!

تصوّر شخصاً شيعياً (حسب ادّعاءه) ولا يدري إلى الآن أن ثبوت أربعة
نواب للإمام عليه السلام لَمْ يَحْضُرْ إِلَّا بَعْدَ الشَّكِّ والتردّد!

معلوم أن الإمام إذا غاب وأوصى إلى (نائب واحد)، فإنّ هناك من يدّعي
النيابة قطعاً. ويكون واجب المكلّف هو الفحص، أم أن (الكاتب) يزعم أنه
يقدر على منع الناس من انتحال الشخصيات بالإكراه.

لماذا إذن لا يخلّصنا من آلاف المنتحلين في كل عصر ودور، وفي كل عمل
بما في ذلك أخطر الأعمال المرتبطة بالأمن العام حيث كثيراً ما يدّعي قوم
أنهم من رجال الأمن، ثمّ يكتشف صاحب الدار أنهم عصابة من السّراق
وليسوا من الشرطة!

فهل نذهب لوزير الداخلية ونقول له: لقد اكتشفنا أن وزارتك وهمية لا
وجود لها لأننا اكتشفنا وجود المنتحلين؟!.

بل النبوة نفسها قد انتحلها (مسيلمة الكذاب) و(سجاح)، فهل سيكذب
الكاتب بالنبوة لوجود المنتحلين؟
ما هذه الحماقات؟!.

إذا كان المرء يؤمن بأن الله لا بدّ من أن يبعث رسولاً فعليه إذن أن يفحص
ويتأكّد من الفوارق بين المنتحلين وبين الرسول الحقيقي. أم!! إذا كان لا يؤمن
بوجود رسول أصلاً فمن الحمق الإتيان بهكذا دليل سوفسطائي.

(١) تطور الفكر الشيعي/ ص ٦.

نعم . . . إِنَّ (الكاتب) لا يؤمن بوجود الحُجَّةِ أَصلاً ، ولذلك يتوصَّلُ إلى الكشفِ الثالثِ من كشوفاته الكاذبة! .

وقد كَانَ عَلَيْهِ أن يمتلك الحدَّ الأدنى من الشجاعة وينكر وجود الحُجَّةِ منذُ البدء . . . بَيِّدَ أَنَّ القرآنَ أَكَّدَ مراراً عَلَى أَنَّ المنافقينَ جبناءً دوماً ويقولون بِخِلَافِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ كَمَا سنلاحظه من خصائصِ قرآنيَّةٍ للمنافقين . . . فَهُوَ يَخْشَى الإعلانَ عن هدفِهِ الحقيقيِّ ، فضلاً عن القضايا التاريخية والدينيَّة التي يتتقى مِنْهَا مَا يَشَاءُ ويقومُ بتأويلها كيف شَاءَ ، بل طَريقَتُهُ في التوصلِ إلى النتائجِ هِيَ ذاتُ الطريقةِ ، فكلُّمَا وجدَ مدَّعيّاً لشيءٍ معيَّنٍ في فكرةٍ مبتدعةٍ اعتمدها للوصولُ إلى نتيجةٍ مسبقَةٍ حدَّدها ، وَهِيَ إنكارِ أَصلِ الفكرة!! .

إِنَّ هَذَا الطَريقَ غريبٌ جِدّاً في البحثِ ، وإنَّ انتشارَهُ في الأوساطِ ليدلُّ عَلَى صدقِ الرسولِ ﷺ في مَا أَخْبَرَ به من علاماتٍ لآخرِ الزمانِ حيثُ التسطُّيحُ الفكري وغيابُ الحقائقِ واللاعقلانيَّة في التفكير . . . فَمَا علاقةُ آراءِ الرُّجَالِ وأقوالهم بالحقائقِ الثابتةِ في النصِّ الدينيِّ والتي يجبُ أن تُكونَ هِيَ المرجعُ في الحُكْمِ عَلَى أقوالِ الرُّجَالِ؟ .

فَهُوَ يَأْتِي بالقصصِ لإثباتِ بطلانِ القضايا الدينيَّة أو يحشر الثوابتِ الواردةَ في السنَّةِ المقدَّسةِ من جُملةِ القضايا المشكوكِ فِيهَا . . . وأينما تصفَّحتَ في الكتابِ فَإِنَّكَ تجدُ نفسَ الطريقةِ التي لا تمثُلُ إلى البحثِ العلميِّ بأَيَّةِ صلةٍ تُذكرُ . . . ولذلك فإنَّ كشوفاته العجيبة تتوالى :

الثالثة: بعدما اكتشف السرَّ الثاني وهو وجود المتحلِّين جرَّهَ هذا إلى دراسة (موضوعِ الإمامِ نَفْسِهِ) حسب تعبيره! حيثُ قَالَ: (وجدتُ لأوَّلِ مرَّةٍ في حياتي أجواءَ من الحيرة والغموضِ تلفُ تلكَ القضية)! .

وهو متعجَّبٌ من نَفْسِهِ لأنَّه اكتشفَ لأوَّلِ مرَّةٍ وجودَ الشكِّ والحيرةِ حولَ الإمامِ نَفْسِهِ!

مَا هَذِهِ الْكُشُوفَاتُ أَيُّهَا الْكَاتِبُ الْعَبْقَرِيُّ؟!
أَوَلَا تَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ أَطْفَالِ الشَّيْعَةِ يَرُدُّوْنَ عِبَارَةً:

«إِذَا اسْتَدْرَكَ الْفَلَكَ وَقَلْتُمْ مَاتَ أَوْ هَلَكَ فِي أَيِّ وَادٍ سَلَكَ».

كوَاحِدَةٍ مِنْ عِلَالِمِ الْغِيْبَةِ وَبَدِءِ الْاِنْتِظَارِ؟ فَكَيْفَ لَمْ تَسْمَعْ فِي حَيَاتِكَ قَطَّ أَنَّ
الْمَهْدِيَّ مَشْكُوكٌ فِي وَجُودِهِ؟ فَأَنْتَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مَشْكُوكٌ فِي نَبَوِّهِ
عِنْدَ أَرْبَعَةِ أَخْمَاسِ سَكَّانِ الْأَرْضِ وَأَكْثَرِ مِنْ ثُلُثِ الْمُسْلِمِينَ وَخَاصَّةً الْمُتَعَلِّقِينَ
بِالثَّقَافَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ؟

وَلَمْ تَسْمَعْ أَيْضًا أَنَّ الْمَسِيحَ ﷺ مَشْكُوكٌ بِوُجُودِهِ فِي الْعَالَمِ الْمَسِيحِيِّ إِلَى
حَدِّ ادِّعَاءِ الْبَعْضِ أَنَّ هَذَا الْاِسْمَ لَا وَجُودَ لَهُ فِي التَّارِيخِ أَضْلًا، وَالْيَ حُدُّ أَنَّ
(بِرْنَارْد شُو) فِي كِتَابِ (الْمَسِيحِ لَيْسَ مَسِيحِيًّا) يَعلَنُ أَنَّ تَبَنِي هَذِهِ الْفِكْرَةَ مِنْ قَبْلِ
الْمُتَقَفِّينَ يُعَدُّ سَخَافَةً وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَوْضُوعِيَّةِ، إِذْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِثْلُ هَذَا
الدِّينِ الْمُنْتَشِرِ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ قَدْ ارْتَبَطَ بِاِسْمِ شَخْصٍ لَا وَجُودَ لَهُ مُطْلَقًا.

لَمْ يَسْمَعْ (الْكَاتِبُ) فِي حَيَاتِهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، فَهَوَ يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْجَهْلِ
وَالْعُبُودِيَّةِ وَعَدَمِ التَّحَرُّرِ، إِذْ لَيْسَ الْمَطْلُوبُ مِنَ الْمَرْءِ إِلَّا أَنْ يَخْتَارَ الْفِكْرَةَ الَّتِي
يُؤْمِنُ بِهَا مِنْ مَجْمُوعِ الْأَفْكَارِ الْمَطْرُوحَةِ! . أَمَّا أَنَّهُ آمَنَ بِالْمَهْدِيِّ لِاعْتِقَادِهِ بِأَنَّ
الْجَمِيعَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ثُمَّ تَرَكَ الْإِيمَانَ بِهِ بَعْدَ اكْتِشَافِهِ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَشْكُكُ بِالْمَهْدِيِّ
فَهَوَ اسْتِدْلَالٌ شَخْصِيٌّ لَا يَحْسَنُ حَتَّى تَجْمِيلِ صُورَتِهِ أَمَامَ الْقُرَّاءِ، وَبَدَأَ بِتَقْبِيحِ
نَفْسِهِ مِنْ أَوَّلِ خُطْوَةٍ، لِأَنَّهُ عَبْدٌ لَأَرَاءِ الْآخَرِينَ وَلَيْسَ حَرًّا فِي أَفْكَارِهِ.

إِذْنِ سَيَكْتَشِفُ الْكَاتِبُ أَنَّ بَعْضَ الْخَلْقِ لَا يُؤْمِنُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَسُوفَ
يُفَاجَأُ الْمَسْكِينُ مَرَّةً أُخْرَى وَيَشْكُ بِوُجُودِ الرَّسُولِ ﷺ، وَسُوفَ يَلْتَقِي يَوْمًا مَا
بِجَمَاعَةٍ مِنَ الشَّيُوعِيِّينَ وَسُوفَ يُفَاجَأُ لِلْمَرَّةِ الرَّابِعَةِ أَنَّ بَعْضَ الْخَلْقِ لَا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ! وَأَنَّ الْفَارَابِيَّ وَابْنَ رَشْدٍ وَعَمَانُوتِيلَ كَانَتْ حَاقِلُوا إِثْبَاتَ وَجُودِهِ، وَسُوفَ
يَتَخَلَّى عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ أَيْضًا! .

فانظروا ماذا يقول؟ ..

يقول:

«لقد تعجبتُ من نفسي جداً لشدة جهلي بالتاريخ الشيوعي إلى حد أنني لم أسمع ولم أقرأ تفاصيل وجود الشك والحيرة حول ولادة للإمام الثاني عشر مع أنني كنت أقوم بالدعوة والتبشير بالمذهب الإمامي»^(١)!!

إذن فأنت داعية غبي!!

لأنك كنت تدعو وتبشّر بإمام لا تدري كيف وُلِدَ ولا تعلم إن كان موجوداً أم لا، بل لمجرد أن بعضهم أخبرك بوجود إمام بهذا الاسم! .
وما أدراني فلعلّ غباءك مستمرّ للآن، وأنّ ما تقوله الآن ما هو إلاّ واحدة جديدة من أوهامك الغبية التي رانت على عقلك طوال هذا العمر المديد؟!

إني لا أتعجب منك يا أحمد الكاتب!

إنما عجبني هو من الذين ينفقون دانقاً أو درهماً لاستنساخ كتابك وقراءته حتى لو كانوا يبغضون المهدي عليه السلام ولا يصدّقون بوجوده!، ذلك لأنهم ليسوا بحاجة أضلاً إلى أن يخسروا أموالهم بهذه الطريقة، فإنّ الله تعالى لم يُجِبِ الخلق على الإيمان به، وبإمكان المرء أن يكفر وأن يؤمن كما يحلو له بدون مصاريف إضافية:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

لماذا لا نتصارع يا أحمد (الكاذب)؟! ..

(١) تطور فكر السياسي الشيوعي / ص ٧.

فَأَنْتَ يَا هَذَا تَكْذِبُ عَلَنًا، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ لَسْتَ مِنَ الشَّيْعَةِ، وَلَمْ تَدْعُ لِحِظَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَى الْمَذْهَبِ الْإِمَامِيِّ، وَلَسْتَ مِنْ دَعَاةِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَقْتِ مَا . ذَلِكَ لَانْ دَعَاةِ الْمَهْدِيِّ إِنَّمَا يَجِيبُونَ فَقَطْ عَلَى هَذِهِ الْإِشْكَالَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِوُجُودِهِ! . أَيُّ أَنْتُمْ يَدْعُونَ إِلَيْهِ ضِدَّ الشُّكِّ وَالْحِيرَةِ أَضَلًّا . فَمَاذَا كُنْتَ تَدْعُو فِي تِلْكَ الْمَرَحِلَةِ؟ ، وَكَيْفَ بَشَّرْتَ بِالْمَذْهَبِ الْإِمَامِيِّ؟ ، أَلَمْ يَسْأَلْكَ أَحَدٌ مِنَ التَّلَامِيذِ يَوْمًا مَا عَنِ الْغِيَةِ وَعَنِ الظُّهُورِ وَعَنِ أَسْبَابِ الْغِيَةِ؟ .

فَلِمَاذَا تَكْذِبُ يَا هَذَا عَلَى النَّاسِ؟

وَهَلْ هُنَاكَ حَدِيثٌ عَنِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْمَذْهَبِ الشَّيْعِيِّ سِوَى الرَّدِّ عَلَى الْخُصُومِ؟
 بَلِ الْمَذْهَبُ الشَّيْعِيُّ فِكْرِيًّا وَعَقَائِدِيًّا مَا هُوَ إِلَّا رَدُّودٌ عَلَى الْخُصُومِ، فَإِنَّ جُلَّ مَوْلَفَاتِهِمُ الْعَقَائِدِيَّةِ هِيَ فِي مَنَاقِشَةٍ أَدْلَةٍ الْمُنْكَرِينَ لِلْإِمَامَةِ عَمُومًا وَالنَّوَاصِبِ خُصُوصًا، بَلِ ذَخَرَتْ عَنَاوِينَ كَتَبَهُمْ بِهَذِهِ الْمَسْمِيَّاتِ .

انظر هذه العناوين لبعض كتبهم:

- ١ - إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: تأليف المحدث الحسن بن الحرّ العاملي/ ثمانية أجزاء .
- ٢ - إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب: تأليف المحدث علي الحائري/ أربعة أجزاء .

(فانظر: أليست العناوين نفسها تتحدّث عن الشك؟)

- ٣ - الغيبة/ للشيخ محمّد بن الحسن الطوسي/ مجلّد واحد .
- ٤ - البرهان في أخبار صاحب الزمان/ للشيخ الفقيه محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي .
- ٥ - الفصول العشرة في الغيبة/ للشيخ محمد بن النعمان العكبري الملقّب بالمفيد .

- ٦ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد/ للشيخ المفيد أيضاً.
- ٧ - تبين الحجة إلى تعيين الحجة/ للشيخ ميرزا محسن التبريزي.
- ٨ - البيان في أخبار صاحب الزمان/ للإمام الطبري المفسر/ مطبوع.
- ٩ - البرهان في علامات مهدي آخر الزمان/ علاء الدين بن حسام الهندي نزيل مكة/ مطبوع بهامش المناقب للمؤلف.
- ١٠ - الفصول المهمة في معرفة الأئمة/ لعلي بن محمد الصباغ المالكي المذهب والشهير بابن الصباغ/ مطبوع.
- ١١ - البرهان على طول عمر صاحب الزمان/ لأبي الفتح محمد بن عثمان الكراجكي.
- ١٢ - بشارة الإسلام في ظهور صاحب الزمان/ للسيد مصطفى الكاظمي/ مطبوع.
- ١٣ - أربعون حديثاً عن المهدي/ للشيخ أبي نعيم الاصبهاني صاحب كتاب حلية الأولياء من علماء الحديث لأهل السنة.
- ١٤ - عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر/ للشيخ يوسف بن يحيى السلمي الشافعي/ المخطوطة في معهد المخطوطات/ القاهرة/ برقم ٦١ - من علماء السنة أيضاً.
- ١٥ - المختصر في علامات المهدي المنتظر/ للشيخ ابن حجر الهيتمي الشافعي/ توجد منه نسخ في حلب وستانبول وذكره صاحب إسعاف الراغبين في/ ١٣٩ - وذكر الشيخ آل ياسين أن عنده نسخة مصورة عن الأصل في هامش كتابه الآتي ص ٢٥.
- ١٦ - المهدي المنتظر بين التصور والتصديق/ محمد حسن آل ياسين/ مطبوع.
- ١٧ - البرهان على وجود صاحب الزمان (ع)/ للسيد محسن الامين الشامي/ مطبوع.

- ١٨ - الإمام الثاني عشر/ للسيد محمد سعيد الموسوي/ مطبوع.
- ١٩ - الردُّ عَلَى من قضى أن المهدي جاء ومضى/ للشيخ علي القاري من الأحناف. توجد منه نسخة خطية في الهند وتركيا، ونسخة مخطوطة في دار الكتب في قطر حسب ما ذكر الشيخ آل ياسين ورقمها ٣٨/٩.
- ٢٠ - العرف الوردي في أخبار المهدي/ للمفسر اللغوي جلال الدين السيوطي. من علماء الستة/ مطبوع.
- ٢١ - علامات المهدي/ للسيوطي أيضاً.
- ٢٢ - تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان/ لابن كمال الحنفي/ منه نسخة في خزانة سعيد الديوه جي في الموصل كما في معهد المخطوطات مجلة العهد/ ٩/ ٢١٥ والأصل في مركز استانبول.
- ٢٣ - المهدي إلى ما وَرَدَ في المهدي/ لمحمد بن طولون الدمشقي ذكره المؤلف في كتابه الآتي.
- ٢٤ - الائمة الاثني عشر/ لمحمد بن طولون الدمشقي/ مطبوع.
- ٢٥ - التوضيح في ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح/ للقاضي محمد بن علي الشوكاني ذكرته مجلة الجامعة الإسلامية - ع/ ٣/ ١٣١ - والشوكاني من أشهر علماء الحديث والفقه لأهل الستة.
- ٢٦ - أخبار المهدي/ للشيخ عباد بن يعقوب الراوطني المتوفى ٢٥٠ هـ.
- ٢٧ - المحجة في ما نزل في القائم الحجة من القرآن/ للمحدث الشهير سليمان البحراني الكتكتاني.
- ٢٨ - غاية المرام في حجة الخصام/ في إثبات الإمامة للبحراني المذكور آنفاً.
- ٢٩ - الأربعين في المهدي/ للعلامة المحدث محمد باقر المجلسي.

- ٣٠ - بحار الانوار/ للعلامة المجلسي المذكور سابقاً. خُصَّصَ منه المجلد الثالث والعشرين للمهدي عليه السلام على الطباعة الحجرية، وَهُوَ يوافق المجلد السابع والخمسين من الطباعة الحروفية أو مَا يَقْرَبُ منها. وَهُوَ مطبوع عدّة مرات.
- ٣١ - دلائل الامامة/ لأبي جعفر ممد بن جرير الطبري. خَرَجَ فِيهِ نصوصاً كثيرةً تتعلّق بالمهدي عليه السلام / مطبوع.
- ٣٢ - الغيبة/ للشيخ الأقدم أبي عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني/ مطبوع عدّة مرات/ توفي الشيخ سنة ٣٢٩ هـ.
- ٣٣ - إكمال الدّين وإتمام النعمة/ في الامامة وإثباتها للشيخ الأقدم أبي جعفر ابن بابويه المعاصر للغيبة والمتوفى سنة ٣٢٩ هـ.
- ٣٤ - التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول/ للشيخ منصور علي ناصف من الأزهر/ خلاصة للمصباح في آخره علامات الساعة وعلامات المهدي في الجزء الخامس.
- ٣٥ - كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب/ لأبي عبد الله محمد بن يوسف الشافعي. طبع في آخره كتابه المسمى (البيان في أخبار صاحب الزمان).
- ٣٦ - منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر/ للشيخ لطف الله الصافي ذكر فِيهِ المرجع في ستة آلاف حديث في المهدي عليه السلام.
- ٣٧ - صحيح البخاري/ للشيخ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ قبل ولادة المهدي المنتظر عليه السلام ذكر فِيهِ حديث الأئمة الاثني عشر في الجزء الرابع من كتاب الأحكام.
- ٣٨ - صحيح الترمذي: أخرج حديث الاثني عشر من باب مَا جَاءَ فِي الخلفاء من الجزء ٤٥/٢ وأنهم يكونون من بعد النبي صلى الله عليه وآله بلا فاصلٍ. عدا النصوص الكثيرة في مناقبهم عموماً.

٣٩ - صحيح مسلم: أخرج أحاديث الأئمة الاثني عشر من جزء ٢ ص ١٩١ حسب طبعة مصر سنة ١٣٤٨ هـ وأنهم من بعده ﷺ بلا فاصل. عدا النصوص الكثيرة في مناقبهم عموماً.

٤٠ - صحيح أبي داود/ لأبي سليمان بن الأشعر السجستاني المتوفى مع ولادة المهدي أو بعدها بسنين: أخرج حديث المهدي من كتاب المهدي ج/ ٢/ ٢ ص ٢٠٧ - فذكر عن النبي ﷺ اثني عشر إماماً أو خليفة يكونون من بعده بلا فاصل وذكر أن الناس كبروا حينما سمعوا ذلك أو ضجّوا. (ويظهر أن الذين ضجّوا هم من أمثال هذا «الكاتب»).

٤١ - كفاية الأثر في النصوص الدالة على الأئمة الاثني عشر/ للشيخ أبي القاسم علي بن محمد الرازي من تلامذة الشيخ الصدوق. ذكر فيه أكثر من ألف حديث عن أرباب الآثار في المهدي وصفاته وخصائصه وظهوره وحال أهل الأرض قبله وبعده مروية كلها عن رسول الله ﷺ.

أقول: علام كتب كل أولئك العلماء تلکم الكتب والمؤلفات؟، أليس لإثبات ما أراد الله إثباته في كتابه وسنة نبيه ﷺ بعد أن تكاثر الشك فيه سواء داخل الشيعة أو خارجها؟، فكيف لم يسمع الكاتب في حياته بوجود من يشك في المهدي؟ أم أنه سمع بوجود من ينكر الله فاعتبره مسألة هيئة قياساً إلى المهدي؟.

لكننا تركنا الكثير الكثير جداً، فهناك ألوف الكتب التي ذُكر فيها المهدي. وكل ذلك إنما جرى للرد على الشكائكم تماماً مثلما انبرى العلماء لإثبات النبوة والمعاد وعموم الإمامة، بل وإثبات وجود الله بوجه الشك. بل الشك قرين لذكر المهدي في أصول الأحاديث النبوية لأنها مسألة يتلى بها الخلق ويمحصوا ويميزوا ويغربلوا حتى يحى من حي عن يمينه... بل التكذيب بالمهدي ورد في القرآن والسنة في عشرات المواضع، ولكن العيون عماء والآذان صماء والقلوب متحجرة قاسية طال عليها الأمد فقسّ واحتذت

بالأمم السالفة كما ذكر النبي ﷺ حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلته هذه الأمة. وهو واقعٌ مُعَيْنٌ بين أيدينا.

من أوّل سطورِ قراتها وأنا أدركُ كلّ الكشوفاتِ اللاحقةِ للكاتبِ، وبدأتُ الردّ ولم أقرأ سوى سبع صفحاتٍ.. لِمَذا؟!

لأنني أعلمُ إلى أيّ موضعٍ يريدُ الوصولُ!!..

وأقسمُ باللهِ وملائكته وكتبه ورسله أنّي علمتُ من أوّلِ خمسةِ أسطرٍ أنّه في الطريقِ لإنكارِ الوصيّةِ والإمامةِ، وأنّ هذه كلّها مقدّماتٌ نفسيةٌ لهذا الهدفِ.. وهكذا تأتي مرحلةُ اكتشافِ الرابعةِ!!:

الرابعة: بعدما ادّعى أنّه اكتشفَ وجودَ من ينكر المهدي والذي لم يسمع به في حياته دَفَعَهُ هَذَا إلى البحثِ في أصلِ الموضوعِ وهو الإمامة حيث قال: «وهذا ما دفعني إلى إجراءِ دراسةٍ جديدةٍ في نظريةِ الإمامةِ نفسها فاكشفتُ أنّها من صنَعِ المتكلمينَ وبعيدةٌ ومتناقضةٌ مع أقوالِ الأئمةِ وأهلِ البيتِ وأحاديثهم الصحيحةِ الراضيةِ لاحتمارِ السلطةِ أو تداولها بشكلٍ وراثيٍّ، وأحاديثهم داعيةٌ إلى اختيارِ الإمامِ من قبلِ الأُمّةِ عبرِ الشورى»^(١).

أنتِ اكتشفتِ هذا؟

قُلْ لي برّبكَ أنتِ اكتشفتِ هذا أم كَشَفَهُ من قبلكَ عمرُ بن الخطّابِ في مجلسِ الشورى، وقامت من بعده نظريةٌ كاملةٌ مقابلَ نظريةِ التعيين والوصيّةِ انقسمتَ عَلَيْهَا الأُمّةُ إلى مذاهبٍ ومشاربٍ عديدةٍ؟!

لقد نفَذَ عُمَرُ بن الخطّابِ نظريةَ الشورى فأفضّت إلى فتنةِ عثمانَ والحروبِ الداخليةِ وانتهت دَوماً بتعيينِ السلطانِ من قِبَلِ الأُمّةِ وعَدَمِ (احتكارِ السُّلطةِ وراثياً)!!.

(١) تطور الفكر الشيعي/ ص ٧.

لقد حدثَ هذا أُنْهَا المغفَلُ ولا زالَ يحدثُ إلى اليومِ ولم يستلم أحدُ الأئمةِ بنظريَّةِ الوصيَّةِ السلطانَ باستثناء الإمام علي عليه السلام لا بناءً على الوصيَّةِ، وإنَّما بناءً على حصولِ فتنةٍ عظيمةٍ قُتِلَ فِيهَا خليفةُ المسلمين، وتحتاجُ إلى رجلٍ ورعٍ وشجاعٍ وهادٍ للأمةِ لينقذها من الضلالِ المرتقبِ!.. وقُتِلَ عَلِيٌّ فِي محرابِهِ وعادَتِ الشُّورى لينقذها المغيرةُ بنُ شعبة في أخذِ البيعةِ ليزيدَ بن معاوية!.

ثمَّ قامَ يزيدُ بن معاوية بعقدِ الإمامةِ لابنه معاوية بن يزيد. وأيضاً بايعته الأمةُ عن طريقِ الشُّورى فبقيَ أربعين يوماً. وخرج ابنُ الزبير فاستولى على الحجاز، وعهد مروان لابنه عبد الملك واستولى مصعب أخو ابن الزبير على العراق، وخرج الحجاجُ فأذلَّ أهلَ المدينة. قالَ السيوطي: «وختَمَ في أعناقِهِم وأيديهِم مثل أنس وجابر وسهل بن سعد وبقايا أصحاب رسول الله فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون»^(١).

وتَمَّ في هذه المدةِ قتلُ أكثر من خمسين ألفاً من الصحابةِ والتابعين في حروبِ الجمل وصفين والنهروان والمدينة واليمن وحرب ابن الزبير. وخرج عبد الملك فقاضى على ابن الزبير ثمَّ أخذ البيعةَ لابنه الوليد وشاورَ الأمةَ فقالَ: «قد فُكِّرْتُ فيمن أوليهِ من العرب فلم أجِدْ أحداً»!.

تصوَّرَ.. إنَّه لم يجدْ أحداً يستحقُّ الخلافةَ إلَّا نفسه فإذا هَلَكَ فلا يستحقُّها أحدٌ سواه!.

فقالوا لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الوليد؟». وكانَ الوليدُ لا يُحسِنُ الكلامَ. قالَ السيوطي: «كَانَ قد شَبَّ بلا أدبٍ»^(٢) - فأدخله في دراسةِ النحوِ واللغةِ وجلسَ مَعَهُمْ ستَّةَ أشهرٍ. قالَ السيوطي وابن الأثير: «فخرج وَهُوَ أَجْهَلُ ممَّا كان..»

(١) تاريخ الخلفاء/ ٢١٥.

(٢) المصدر السابق/ ٢٢٣.

فَقَالَ عبد الملك: «أما أَنَّهُ قد أعذر»!!.. ثُمَّ عقد له البيعة بالشورى!!..

أقول: واستمرت الشورى هِيَ الفكرة المعمول بها إلى اليوم حتى ظهرت في صيغتها الحديثة من ممثلين وبرلمان وانتخابات، ولا توجد في أَيْة بقعة في العالم انتخابات اتَّفَقَ عَلَى نزاهتها فضلاً عن الخطأ والمغالطة في نفس الفكرة. إِذ الدِّينُ في جَوْهَرِهِ هُوَ اخْتِيارُ مَا اخْتارَ الله لا اخْتِيارُ مَا اخْتارَهُ الخَلْقُ.. عندئذ يسقط الطرح الديني بأكمله.

فَمَا أَكْذَبَ (الكاتب) إِذْ وَهوَ يزعم أَنَّهُ اكتشف أَنَّ نظرية الإمامة هِيَ من صُنْع المتكلمين!.

لأنَّ المتكلمين هُم ألدُّ أعداء الإمامة كَمَا سترى أخي القارئ، بل الإمامة من صُنْعِ الله وحده وأكثر الخلق كَفَرُوا بها، وبها يدخلهم الله إلى أتون جهنم. فَمَاذَا يَقُولُ (الكاتب) في مَنْ أَعْطَاهُ الإله الإمامة فَقَالَ:

﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾
[ص: ٢٦].

فعلى منطقي (الكاتب) أَنَّ الله قد قام بمصادرة اختيار الناس وضرب باختيارهم عرض الحائط حينما قام بتعيين الخليفة في الأرض!!.

لِمَاذَا يحتكر داود السلطة ولا يعمل انتخابات وشورى ليدلي أمثال (الكاتب) بأرائهم؟!.

وَلِمَاذَا عابَ الله عَلَى الملأ من بني إسرائيل وكَفَرَهُمْ حينما اختاروا مَلِكاً غَيْرَ الَّذِي اخْتارَهُ الله تَعَالَى فقالوا:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ

أَلْمَلِكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٤٧﴾.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ كَفَرُوا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ كَمَا قَصَّ الْقُرْآنُ.
وَلَمَّا ذَا يَرِثُ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَيضْرِبُ الْوَحْيَ بِالشُّورَى عَرْضَ الْحَائِطِ فَيَقُولُ:
﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَاءَتِيهَا النَّاسُ غُلَامًا مَنِطِقًا أَطِيرَ وَأُوتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُمِينُ﴾ [النمل: ١٦].

أَوَلَيْسَ هَذَا احتكاًرُ للسلطة بصورة وراثية؟
وَهَلْ هَذَا مِنْ صَنِيعِ المتكلمين أَمْ هُوَ مِنْ صَنِيعِ اللَّهِ؟
أَجِبْ أَيُّهَا الْأَقَاكُ الكذوب!

بلى والله . . إِنَّهُ مِنْ صَنِيعِ اللَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ بِهِ وَحْدَهُ أَضْغَانَ قَوْمٍ ﴿كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

وَلَمَّا ذَا يَجْعَلُ اللَّهُ النُّبُوَّةَ وَالْحُكْمَ وَالْكِتَابَ فِي (آلِ) ذُرِّيَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مُخْتَكِرًا
السلطة فيقول:

﴿أَمْرٌ يُحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

وَلَمَّا ذَا جَعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْإِمَامَةَ فَقَالَ:
﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

فَمَنْعَ مِنْ هَذَا الْعَهْدِ الظَّالِمِينَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ فَقَطَّ وَأَنْبَتَهَا فِيهِمْ وَجَعَلَ بَعْضَهُمْ مِنْ
بَعْضٍ وَجَعَلَ السُّلْطَةَ حَكْرًا عَلَى هَذِهِ الذَّرِيَةِ حَيْثُ أَعْطَاهُمُ الْكِتَابَ، فَعِلْمُ

الكتاب يدور مدار الحُكم . . أم يحسب (الكاتب) المغفل أننا نؤمن بأن علم الكتاب في قوم والحكم في قوم آخرين . فكيف تُنفذ الأطروحة الإلهية إذن؟
قَالَ تَعَالَى :

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَجِبْرِيلَ وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٤-٨٦].

ثم يعود فيذكر الذرية ويقول:

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧].

وَقَالَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

وَقَالَ فِيهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

فانتبه أخي القاريء إلى قوله تعالى (يهدي به). فهؤلاء هم هدى الله ويهدي بهم مَنْ يشاء من عباده، ولو أشرك معهم هؤلاء العباد بشيء في حكم الله لحبط عنهم ما كانوا يعملون.

فَهُوَ تَعَالَى لَا يَقُولُ إِنَّ هَؤُلَاءِ هِدَاهُمُ اللَّهُ، بَلْ هَؤُلَاءِ هُمْ (هدى الله) نفسه الذي يهدي به العباد.

فَهَلْ يَقِيمُ (الكاتب) الصلاة فعلاً وهو يقرأ في فاتحة الكتاب قوله تعالى :

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

لا أحسبه يُصَلِّي منذ أربعين سنة!!

وَهَلْ يَغْفُلُ المرءُ وَهُوَ يَعِيدُ هذه العبارة سبع عشرة مرة في كلِّ يومٍ لمدة أربعين سنة فلا يسأل من هؤلاء الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عليهم والذين يجب أن يهتدي إلى صراطهم؟

ألا يرى هذا الأبله أنَّ الصراطَ هُوَ صراطُهم المستقيم؟
أوليس هؤلاء هُم المذكورين في القرآن أَنَّهُمْ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ جَعَلَ اللهُ فيهم الْحُكْمَ والكِتَابَ؟

أوليس مُحَمَّدٌ ﷺ وذريته هُم آخر عنقود ذرية إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

فَمَا أَشدَّ الحاقدينَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وذريته دون سائرِ الذراري!!
لَمْ يُوَجَّهْ (الكاتبُ) نَفْذُهُ لَأُمَّةٍ ذراري الفسادِ بالرغم من أَنَّها حكمت تاريخ الإسلام في كلِّ العهود، وبأنَّ مِنْهَا من المخزياتِ والآثامِ مَا جَعَلَ الأُمَّةَ الأُخْرَى تَتَقَرَّرُ من رائحةِ العفونةِ الآتيةِ من المشرقِ بِكُلِّ مَا امتلأتْ به صحائفُ التاريخ من موبقاتٍ وَجِيلٍ ومَكْرِ وخداعٍ للجماهيرِ وَقَتْلٍ وإكراهٍ وتزييفٍ للحقائق!!
تُرى.. مَاذَا سيفعلُ (أحمدُ الكاتبُ) لو رأى بالفعلِ ذريةَ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي نَصَّ عَلَيْهِ الكتابُ - لا المنتحلين والمدَّعينَ من بني هاشمٍ وعليٍّ وعقيلٍ وَمَا أَكْثَرُهُمْ!! - مَاذَا سيقولُ لو رأى أَحَدُهُم بالفعلِ وقد استولى عَلَى الْحُكْمِ؟
بالتأكيد.. سيجنُّ جنونه!!

وَمَا أدراكَ فقد يركبُ هُوَ الآخرُ جملاً أحمرَ ويحاربُ ذلك الإمامَ اقتداءً بالمرأةِ وأتباعِ البهيمةِ الَّذِينَ قَالَ فيهم الإمامُ عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مخاطباً:
(رغاً فأجبتهم وعقرَ ففرزتم).

وَقَالَ لَهُمُ ابن عباسٍ حبر الأُمَّةِ وفقِيها:

(إِنْ كُنَّا مُؤْمِنِينَ فَقَدْ كَفَرْتُمْ بِقِتَالِكُمْ لَنَا وَإِنْ كُنْتُمْ كَافِرِينَ فَقَدْ كَفَرْتُمْ بِفِرَارِكُمْ مَنَا حِينَ الزَّحْفِ).

فَأُثْبِتَ عَلَيْهِمُ الْكُفْرَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ. وَهَذِهِ بِمِثَابَةِ فَتَوَى لِأَنَّهُمْ طَلَبُوا أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ بِالشُّورَى فَلَمْ تَنْفَعِ الشُّورَى، بَلْ بَايَعُوا ثُمَّ نَكثُوا مَرَّتَيْنِ.

فَأَيْنَ هِيَ الشُّورَى الَّتِي لَا تَحْتَكِرُ السُّلْطَةَ فِي الْوَرِثَةِ؟

إِنَّمَا الشُّورَى وَضِعَتْ أَضْلاً لاحتكاري السُّلْطَةِ فِي وَرِثَةِ الْخُلَفَاءِ.. . كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّ ذُرِيَةَ الشَّيْطَانِ حَلَّتْ مَحَلَّ ذُرِيَةِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ!

هَذِهِ قَائِمَةٌ أُخْرَى بَايَعَتْ لَهَا الْأُمَّةُ وَالْمُعَلَّنُ هُوَ الشُّورَى. أَحْفَادُ وَأَخَوَةٌ يَتَنَابَوْنَ الْمُلْكَ بَعْدَ آبِيهِمْ فِي جُزْءٍ مِنَ الْعَائِلَةِ الْمَالِكَةِ!:

١ - عبد الملك بن مروان.

٢ - الوليد بن عبد الملك بن مروان.

٣ - سليمان عبد الملك بن مروان.

٤ - عمر بن عبد العزيز بن مروان.

٥ - هشام عبد الملك بن مروان.

٦ - الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان.

٧ - يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان.

٨ - إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان.

إِنَّهَا شُورَى بِالْفِعْلِ ﴿وَأَمَرُهُمْ شُورَى يَبْنِيهِمْ﴾ [الشورى: ٣٨] لِأَنَّ الْآيَةَ حَسَبَ أَهْلِ الشُّورَى فِي أَهْلِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ أَيِ الزَّعْمَاءِ أَضْلاً.. . وَبِالطَّبَعِ تَخْتَارُ الْعَائِلَةُ الْمَالِكَةُ بَعْدَ التَّشَاوُرِ الشَّخْصَ الْمُنَاسِبَ لَهَا.

أَهَذَا هُوَ فَهْمُكُمْ لِلْقُرْآنِ؟

أَمَّا شُورَى كُلِّ الْأُمَّةِ فَرِداً فَرِداً فَمَا حَصَلَتْ وَلَكِنْ تَحْصُلُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ!

لأنَّ الشُّورى لا تبطلُ باعتراضِ الأقليةِ أصلاً، بل ولا الأكثريةِ، بالرغم من أنَّ الأقليةَ هي دوماً صفة المؤمنين بالفعلِ، والأكثريةَ هي الفاسقةُ بنصِّ القرآنِ. وَهَذِهِ هِيَ الشُّورى الَّتِي يَؤْمِنُ بِهَا (الكاتبُ) وأمثالُهُ خلافاً لقولِ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

بل تطوّرت فكرةُ الشُّورى إلى نظريّةٍ عجيبَةٍ جدّاً!

حيثُ حَكَمْتُ بِصَحَّةٍ وشرعيةِ الحاكمِ ولو توصلَ إلى الحُكْمِ عن طريقِ أقليةٍ، بل ولو توصلَ إليه عن طريقِ القهرِ والغلبةِ، بل ذهبَ (علماءُ) منظرُونَ للطاغوتِ إلى أَنَّها تصحُّ ولو بايعه شخصٌ واحدٌ أوّل الأمر وتابعه الآخرون وإذا بايعوه قهراً فإنَّها تصحُّ أيضاً!!

مَاذَا يَعمَون بِ (تصحُّ)؟

تصحُّ عِنْدَهُم بالطبع . . وألّا فلا أحدَ يَعْلَمُ قضيّةَ مثلِ هذه في الأديانِ ولا في الفلسفةِ . . وَهِيَ أن يَقومَ المرءُ بقهرِ الخَلْقِ بِقوّةِ السلاحِ ثُمَّ يَكونُ عندَ الله إماماً وخليفةً شرعيّاً مثلَ داودَ وإبراهيم!!

تصحُّ في دينهم لا في دينِ الله الَّذِي نَعرِفُه . .

تَبّاً لَكَ يَا (كاتبُ) هذه الترهاتِ . . أَتَينَ وَجَدْتَ أَهْلَ البَيتِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ يَدْعُونَ إلى الشُّورى حتّى تكون الوصيّة من صُنعِ المتكلِّمين؟! وَهَلْ هُنَاكَ مَعْنَى لِعِبارَةِ (أهل البيت) نَفسُها سوى أَنَّهُ بَيتٌ فِيهِ ذَريّةٌ تَدعو لَنَفسِها فقط؟

وَلِمَاذَا يَسمَون أَنفُسَهُم أَهْلَ البَيتِ؟

وَهَلْ دَعُوا إلى الشُّورى وَفِي عَينِ الوَقْتِ وَضَعُوا سَلسَلةً من النَصبِ مَرتبَطةً بَعضُها وَاحِداً وَاحِداً لِإِثباتِ الشُّورى أَمْ لِإِثباتِ الإِمامَةِ في الذَريّة؟ وَكَيْفَ تَقولُ في صَفحة (٥) أَنَّ الإِمامَةَ عندَ الشِيعَةِ جَعَلَتَهُم أَيُّ الشِيعَةِ في

حالة تَبْنِي (فكرٍ يَتَسَمُّ بالانعزال السياسي والسلبية المطلقة)؟
فمن هُم إذن الَّذِينَ قاموا بالثورات المتواصلة ضدَّ المتآمرين عَلَى الخلافةِ
الإلهية؟

أهْمُ أسيادك هَؤُلَاءِ أَمْ هُمُ أبناءُ ذريةِ السبطين الطاهرين الإمامين «إِنْ قَامَا
وإِنْ قَعَدَا» الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة؟

أَمْ أَنَّكَ ستفاجأ مرةً أُخْرَى بالثوراتِ الشيعية عَلَى السلطانِ الأموي
والعباسي والزييري؟ .. بدءاً من ثورة أصحاب علي عليه السلام عَلَى أوَّلِ مؤسِّسٍ
لِلطَّاغُوتِ إِلَى قيامِهِ بحربِ الناكثين والمارقين أمثالكَ والقاسطين وانتهاءً
بثوراتِ يحيى وإدريس العلوي في المغرب ومروراً بمقتلِ سيِّدِ الشهداءِ الحسين
ابن علي عليه السلام وثورة زيد الشهيد في العراق وثورة أخيه إبراهيم المقتول في
«أحجار الزيت» في الحجاز وثورة الحسين بن زيد إلى عشراتِ غيرها في كلِّ
أنحاءِ بلادِ الإسلامِ.

ومن هُمُ المنعزلون في المجالِ السياسي والفكري؟
أَهْمُ أَجدادُكَ الخانعونَ في أبوابِ السلاطين ينتظرون فضلاتِ موائدِ
الأكالين كالوليد وسليمان الهالك بِسَبَبِ كثرةِ الطعامِ .. أَمْ هُمُ شيعةُ
علي عليه السلام المُشرِّدينَ في كلِّ أَصْقَاعِ الأرضِ بِسَبَبِ مواقفِهِمُ السياسية؟
تَبَّأَ لَكَ أَيُّهَا الكاتبُ الغيبيُّ الَّذي لم يَخْسِنِ المداخلَ فَأَعْيَتْ عَلَيْهِ المَخارجُ ..
أَقْسِمُ باللهِ العظيمِ لَوْلا الاقتداءُ بعليِّ بن أبي طالبٍ عليه السلام في عدمِ تكليمِ
الْجُهَّالِ والمنافقين لَكَلَّمْتِكَ بكلامٍ آخرٍ أَجْعَلُكَ فِيهِ عِبْرَةً لِّكُلِّ مُعْتَبِرٍ ..
لكن هيهات يمرُّ ذلك بِسلامٍ عَلَيْكَ .. فانْتَظِرْ فادحةً تحلُّ بِكَ أو فاقرةً تقصُّمُ
ظهرك تتبعها رادفةٌ تنقلُكَ إِلَى النارِ قريباً وقريباً جداً!

فانْتَظِرْ وترَبِّصْ فَإِنَّهُ وَعْدٌ حَقٌّ عَلَى لسانِ الرَسُولِ المَصْدَقِ عليه السلام واللعنةُ عَلَى

عدوّه والرادّ عَلَيْهِ والمختارِ غير مَا اختاره والمحَبّ لمن أبغضه والمبغض لمن أحبه والمكذّب عَلَيْهِ والمعادي لذريّته والمفتري عَلَيْهِ . . آمين .

ويحك أيّها الإنسانُ . . أَلَمْ يقرأ لك كتابك صديقٌ ناصحٌ قبل طباعته أو عدوّ حقودٌ أو حميمٌ ودودٌ حتى ضمّنته فريّةً واحدةً مستمرّةً؟!

فإني بحثتُ فِيهِ الآنَ بحثَ المجتهدِ المحقّقِ عن شيءٍ يليقُ به الرّدُّ أو عن توهمٍ يحتاجُ إلى تحقيقٍ أو عن دعوى حقٍّ تحتاجُ إلى إقرارٍ أو اعتذارٍ، فلم أجِدْ .

ولا تحسب أنّي أردُّ عَلَيْكَ دفاعاً عن دينِ الله، فَإِنَّكَ أهونُ من ذلك، ودينُ الله أعظمُ من أن يناله أحدٌ بسوءٍ لأنّه الحقُّ الدامغُ . ولكن يحزُّ في نفسي تصديقُ بعضِ المساكينِ المُضللّين لافتراءاتك . فعسى أن ينتفعوا بهذا الرّدِّ وتفتَحَ بصيرتُهم وتنشرحَ صدورُهم للإيمان بالله ورسوله . وَإِنَّمَا أَنْتَ دليلٌ عَلَى وجودِ هَذَا النمطِ مِنَ الخَلْقِ الَّذِينَ لَا رَأْيَ لَهُمْ، أَوْ لَهُمْ رَأْيٌ مخالفٌ للحقِّ فأصبحوا وسطاً صالحاً لأضرابك من المتحدلقين يدفعون لَهُمْ ثمنين باهظين : ثمن الدنيا وثمن الآخرة عدا الثمن المدفوع نقداً لكتابك . فهم كَمَا قَالَ الإمامُ عليّ عليه السلام : «باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم» - لا بدنياهم . وَهَذِهِ هِيَ علاماتُ آخر الزمانِ كَمَا ذكرها الأولياء عليه السلام حيثُ تكونُ «مساجدُهم عامرةٌ من البنيانِ ونفوسُهم خرابٌ من الإيمان» كَمَا عَبَّرُوا عَنْهَا فِي فقرَةٍ من الفقراتِ الَّتِي كُلٌّ مِنْهَا تعدُّ فاقرةً الظهرِ فِي هَذَا الزمانِ .

يضعُ (الكاتبُ) فِي ص ١٢ عنواناً هو : «شعور الإمام علي عليه السلام بالأولوية» ليوحى للقارئ أنّه مجردُ شعورٍ بالأولوية .

ومن البديهي أنّ علياً عليه السلام سيكونُ من حقِّه أن يشعرَ بهذه الأولوية شأنه فِي ذلك شأنُ كُلِّ مرشّحٍ فِي آيَةِ انتخاباتٍ، إذ يرى المرشّحُ نفسه دَوِّماً الأولى

بالفوز. وبالطبع سَتَكُونُ الانتخاباتُ وعددُ الأصواتِ هِيَ الفِصلُ، وَهِيَ الَّتِي سَتَقَرُّ مِنْ هُوَ الخليفة. . وَعَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ هُوَ مِنَ المدافعين عن حقِّ الانتخابِ!.

يَا لَكَ مِنْ أَحْمَقٍ غَرِيبِ الْأَطْوَارِ تَجْمَعُ بَيْنَ الْمُتَنَاقِضَاتِ!
فإِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ هُوَ أَعْظَمُ مدافع عن حُرِّيَةِ الاختيارِ في تاريخِ البشريَّةِ من بعدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْذُ خَلَقَ اللهُ آدَمَ. وَلَكِنَّهُ فِي عَيْنِ الوَقْتِ لَا يَرَى أَنَّهَا أَوْلَوِيَّةٌ، وَأَنَّ النَّاسَ إِذَا لَمْ يَتَخَبَوْهُ عَمَلُوا صَالِحاً، وَإِذَا انْتَخَبُوا غَيْرَهُ عَمَلُوا صَالِحاً: !
بل يَرَى أَنَّ النَّاسَ لَنْ يَعْمَلُوا صَالِحاً قَطْ إِذَا انْتَخَبُوا غَيْرَهُ، وَأَنَّهُمْ يَذْهَبُونَ إِلَى جَهَنَّمَ مَهْمَا كَانَ عَدَدُ أَصْوَاتِهِمْ!!

ولذلك كَانَ يَحْزَنُ فِي نَفْسِهِ وَيُؤْلِمُهُ جِدّاً أَنْ يَرَى الْخَلْقَ ذَاهِبِينَ إِلَى جَهَنَّمَ بِإِرَادَتِهِمْ!
وَلِغَفْلَتِهِمْ وَقَعَ فِي مَصِيبَةٍ أَعْظَمَ، لِأَنَّهُ إِذَا دَافَعَ عَنْ مُسْتَقْبَلِهِمْ ظَنُّوا أَنَّهُ يَرِيدُ خِلَافَتَهُمْ!!

ولذلك فَإِنَّ النَّصَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ (الكاتبُ) مُبْتَوِراً لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عَلِيّاً (ممتعضٌ) مِنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ كَمَا عَبَّرَ الْكَاتِبُ، وَإِنَّمَا هِيَ «دَاهِيَةٌ» وَ«كَارِثَةٌ» هِيَ الْأَعْظَمُ مِنْ كُلِّ الْكَوَارِثِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ لِتَوْقِفِ الْمَدِّ الرِّسَالِيِّ وَسَوْفَ تَضِلُّ بِهَا كُلُّ الْأُمَمِ. قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

«فَسَدَلْتُ دَوْتَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً، وَطَفِقْتُ أُرْتِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَاءً أَوْ أَصْبِرَ عَلَى دَاهِيَةٍ «طَخِيَّةٍ» عَمِيَاءَ، يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا الْمُؤْمِنُ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ. .».

فَلَا حِظَّ هُنَا كَيْفَ أَسَدَلْتُ وَطَوَيْتُ عَنْهَا وَانْتَقَلْتُ إِلَى خِيَارَيْنِ كُلِّ مِنْهُمَا مَقْرَفٌ مَزْعُجٌ: إِمَّا أَنْ يَصُولَ بِيَدٍ جَذَاءٍ وَهِيَ (المقطوعة عن بدنها) وفيه دلالةٌ عَلَى

قُدْرَتِهِ عَلَى الصَّوْلَةِ مُنْفَرِداً، وفيه إشارةٌ إلى أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِبَادَتِهِمْ جَمِيعاً وإِهْلَاكِهِمْ بِالْمَرَّةِ. ولكن لمن سيأخذ الخلافةَ وَهَذِهِ الْيَدُ جَذَاء؟، إِنَّمَا يريدها للناسِ لَا لِنَفْسِهِ. فإذا كَفَرَ بِهَا النَّاسُ فَلَا يَسْتَحَقُّونَهَا.

ثُمَّ انْظُرِ الْإِشَارَةَ إِلَى ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] فَهِيَ فَوْقَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ. وَإِنَّمَا الْحِلْمُ عَلَى الْخَلْقِ وَإِرْجَاعُ الْحَقِّ الْمَسْلُوبِ مِنْ قَبْلِ الطَّغَاةِ، إِرْجَاعُهُ لَهُمْ أَحْبَبُ كَمَا سَوْفَ يَذْكُرُ مُتَابِعاً.

مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى لَا حِظَّ عَظَمِ الدَّاهِيَةِ، فَهِيَ عَمِيَاءُ! وَهِيَ إِشَارَةٌ إِلَى الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي ذَكَرَتِ الْفِتْنَةَ «الْعَمِيَاءُ» فَرَاغَهَا فِي الْمَلَا حِمٍ.

وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ: «يَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ» - إِذْ يَدُلُّ عَلَى كُفْرِ الْمَجْتَمَعِ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ الْعَمِيَاءِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [الزمل: ١٧].

وَهِيَ آيَةٌ تُشِيرُ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ وَمَا يَحْدُثُ فِيهِ.

وَقَوْلُهُ: «يَكْدُخُ فِيهَا الْمُؤْمِنُ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ» دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُحَرِّكَ لِلْأَحْدَاثِ وَالْمَوْجَّةَ لِلسِّيَاسَةِ فِيهَا هُوَ عَدُوٌّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنَّهُ الشَّيْطَانُ نَفْسُهُ مِنْ خِلَالِ أَعْوَانِهِ.

إِذَنْ.. فَهَذَا لَيْسَ شَعُوراً بِالْأَوْلَوِيَّةِ!

فَبَعْدَ عِبَارَةٍ وَاحِدَةٍ سَوْفَ يَنْتَهِي النَّصُّ نَفْسُهُ بِإِلْغَاءِ الْمَقَاسَةِ!

وَهِيَ الْعِبَارَةُ الَّتِي لَمْ يَأْتِ بِهَا «الْكَاتِبُ» الْمَفْتَرِي عَامِداً لِأَنَّهَا تَنْسِفُ كُلَّ كِتَابِهِ الْمَدْفُوعِ الْأَجْرِ مُقَدِّمًا.

وَكَيْفَ يُقَاسُ اخْتِيَارُ اللَّهِ مَعَ اخْتِيَارِ الْخَلْقِ؟، وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الْفَقْرَةِ مُبَاشَرَةً:

«فيا لله وللشورى متى اعترضَ الربُّ في مَعِ الأوَّلِ مِنْهُمْ حتَّى صرْتُ أقرنَ
إلى هذه النظائر»

إنَّه يسمُّهم «نظائر».. إنَّهم نكراَت لا وزنَ لَهُم ولا قيمة!
ولكنَّها القوَّة والبطشُ وحبُّ الدُّنيا الَّذي جعلهم حُكَّاماً وملوكاً باسمِ
الدِّين.

لقد كان المخطَّطُ يستهدفُ قتلهُ، وكانت بيعته لَهُم لو علمت أيُّها الجاهلُ
هِيَ الضربةُ الموجعةُ المدويةُ الباقيةُ آثارها للآن!.. لأنَّ عليّاً لو قُتِلَ فلا قرآنَ
ولا كتابَ ولا سُنَّةَ.

ولذلك فبقاءُ عليٍّ عليه السلام لا زالَ يغيظُك ويغيظُ الحاقدينَ على الدِّينِ من
أمثالِكَ.. وإذا كنتَ لا تفهم فراجعَ تاريخَ كتابَةِ القرآن!

لقد تأخَّرَ ظهورُ القرآنِ إلى عهدِ عثمان.. فأجبنِي لِمَذا؟

أجبنِي يا فيلسوفَ الشُّورى ومنظَرَ النكراَت!

أجب: لِمَذا تأخَّرَ ظهورُ دستورِهِم ربعَ قرنٍ مَعَ أَنَّهُ مكتوبٌ أضلاً كاملاً من
قبلِ أربعينَ من كُتَّابِ الوحي؟!

لقد أجبرَهُم على إظهارِ كتابِ الله رغم أنوفِهِم!

ألا تفهم؟!

إذا كنتَ لا تفهم للآن فادرسُ القرآنَ حتَّى تفهم!

لكني أعتقدُ أَنَّهُ سيلعنُكَ حينَما تقرأ! لأنَّكَ عدوٌّ لدودٌ لقربينِ القرآنِ!!

إذا لم يكنِ عليٌّ عليه السلام يتحدَّثُ عن الخلافةِ الإلهيةِ في هذه الخطبةِ فَهُوَ إذن
يتحدَّثُ عن الحُكمِ الشخصيِّ لا غير!

ومثلهُ إذن مثلُ أيِّ مرشَّحٍ للحكومةِ وله منافسون!

هَذَا الَّذِي تَحَدَّثُ عَنْهُ لَيْسَ أَبِي بِنِ أَبِي طَالِبٍ أَيُّهَا النِّكَرَةُ!
إِنَّهُ شَخْصٌ آخَرٌ لَا نَعْرِفُهُ!

وَهَذَا الَّذِي تَحَدَّثُ عَنْهُ لَيْسَ صَاحِبَ هَذِهِ الْخُطْبَةِ الَّذِي نَعْرِفُهُ جَيِّدًا مُحَاطًا
بِهَالَةِ مَنْ أَحَادِيثِ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ ﷺ أَخْرَجَهَا الْمُبْغُضُونَ!
وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَحْكُمُ لَهُ بِالْخِلَافَةِ الْإِلَهِيَّةِ..

وَلِذَلِكَ فَكَلَامُكَ لَا يَدْخُلُ أُذُنَ أَحَدٍ إِلَّا النِّكَرَاتِ أَمْثَالِكَ!

وَالشَّيْعَةُ يَحْفَظُونَ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ هَذَا الْمَقْطَعِ بِالذَّاتِ مِنَ الْخُطْبَةِ. وَهُمْ
يَلَاظُونَ كُلَّ مَفْرَدَاتِ النَّصِّ وَكُلَّ أَلْفَاظِهِ وَكُلَّ لَفْظٍ فِيهِ يَفْتَحُ لَهُمْ بَابًا مِنَ
الْمَعْرِفَةِ بِحَقِيقَةِ مَا جَرَى وَرَاءَ الْكَوَالِيسِ!.

لَأَنَّ عَلِيًّا ؑ يَخَاطَبُ فِيهِ شِيعَتَهُ الَّذِينَ يَعْرِفُهُمْ جَيِّدًا وَيَعْرِفُونَهُ، تَعَرَّفَ
عَلَيْهِمْ فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ قَبْلَ عَالَمِ الْأَجْسَادِ وَالْأَبْدَانِ، يَخَاطَبُهُمْ بِالْجَفْرَةِ وَهُمْ
يَفْهَمُونَ جَيِّدًا مَا يَقُولُ!

يَخَاطَبُهُمْ كَمَا قَالَ هُوَ عِبْرَ الزَّمَانِ وَهُمْ فِي الْأَصْلَابِ!
يَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَنَعَوَتَهُمْ وَالْقَابَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَكُونُوا..

وَلِذَلِكَ كَانَ يَخْطُبُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَنَا أَحَبُّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ
لَهُ: صَدَقْتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ!.. فَقَالَ أَحَدُ الْمُنَافِقِينَ لَصَاحِبِهِ: انْظُرْ هَذَا الرَّجُلَ مَا
أَكْذَبَهُ يَقُولُ لَهُ رَجُلٌ أَحَبُّكَ فَيَقُولُ لَهُ صَدَقْتَ! وَاللَّهِ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أَبْغَضُهُ
وَسَأْرِيكَ كَذِبُهُ فَإِنِّي سَأَقُولُ لَهُ أَحَبُّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيَقُولُ لِي صَدَقْتَ
يَرْحَمُكَ اللَّهُ! فَإِنَّهُ لَمْ يَرْنِي قَبْلَ الْيَوْمِ. فَدَنَا مِنَ الْمَنْبَرِ وَقَالَ مُنَادِيًا كَمَا فَعَلَ
الْأَوَّلُ: أَنَا أَحَبُّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ!. فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ ؑ: كَذَبْتَ لَعْنَةُ اللَّهِ
عَلَيْكَ!. فَقَالَ: لِمَ إِذَا تَلَعْنِي؟ أَوَلَيْسَ قَدْ قَامَ رَجُلٌ مِثْلَ قَوْلِي فَصَدَّقْتُهُ
وَتَرَحَّمْتَ عَلَيَّ، فَبِأَيِّ حَقٍّ تُخْزِنِي دُونَ صَاحِبِي؟. فَقَالَ عَلِيٌّ ؑ: كَذَبْتَ

أيُّها الخبيث! .. إِنَّ اللهَ خَلَقَ الأرواحَ قَبْلَ الأجسادِ بِألفي عامٍ . . وواللهَ مَا رَأَيْتُ رَوْحَكَ فِي أرواحٍ مِنْ أَحَبَّيَّ!

فأَبَشِّرْ أَيُّها المنافقُ بِفاقرَةِ الظَّهِيرِ بعدَ أن حاربتَ عَلِيًّا وَلِيَّ اللهِ المَبْرَأَ مِنَ الدَّنَسِ وَبَعَثَ نَفْسَكَ لِلشَّيْطَانِ بِشَمَنِ بَخْسٍ .

عذراً أَيُّها القاريءُ فَقَدْ تَرَكْتُكَ وَخاطَبْتُ هَذَا الأَفَّاكَ وَهُوَ لَا يَسْتَحِقُّ الخُطابَ لِأَنِّي أريدُ أن أَخْبِرَكَ بِأَقْوالِ أميرِ المؤمنينَ الَّذِي نَبَذَها هَذَا الكذوبُ عامِداً وَالتي سَتَكُونُ هِيَ مَحْوَراً هَذَا الكُتَابِ حَيْثُ تَراها كُلُّها تَرُدُّ عَلَيَّ أَكاذيبِ الكاتِبِ عَلَيَّ هَذَا الإمامِ العَظيمِ . وَسَنَجْعَلُ مِنْ كُلِّ قَوْلٍ لَهُ ﷺ عَنواناً مُستَقِلاً ثُمَّ نَشرُحُ مَضمونَهُ بِالبيِّنَةِ المَرتَبِطَةِ بِكِتابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسولِهِ وَبِالتَّاريخِ المَحَقِّقِ مِنْهُ وَبِالوَاقِعِ المُعَايِنِ لَكَ الآنَ .

فَمِنْ هَذِهِ الأَقْوالِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ ﷺ :

أ - فَمِنْها قَوْلُهُ ﷺ :

وَقَدْ قالَ قائلٌ إِنَّكَ عَلَيَّ هَذَا الأمرِ يا بْنَ أَبِي طالِبٍ لَحْريصٌ . فَقُلْتُ بَلْ أَنْتُمْ وَاللهَ لأَحْريصُ وَأَبْعَدُ وَأَنَا أَحْصُ وَأَقْرَبُ وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي وَأَنْتُمْ تَحولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي المَلَأِ الحاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ بَهتٌ لَا يَدْرِي مَا يَجِيشُنِي بِهِ .

نهج البلاغة/ الخطبة ١٧٠

فانظر أخي القارئ فَإِنَّهُ لَا يَقُولُ هَذَا حَقًّا عَامًّا، بَلْ حَقًّا خَاصًّا بِهِ وَحدهَ حالوا دُونَهُ وَضَرَبُوا وَجْهَهُ دُونَهُ . وَلَكِنَّهُمْ حَيْثُ مَنَعُوهُ مِنْ هَذَا الحَقِّ احْتَجُّوا بِالقُرْبَى، فَاحتَجَّ عَلَيْهِمْ بِهَا لِأَنَّهُ بِالقُرْبَى أَقْرَبُ لِإِسقاطِ حُجَّتِهِمُ الَّتِي ادَّعَوْها حَتَّى لَا تَبْقَى لَهُمْ حُجَّةٌ واحِدةٌ، وَأَلَّا فَكَيْفَ يَحاجُّ المَرْءُ قوماً أَنْكَروا مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَأَنْكَروا البيعةَ والعهدَ والوصيةَ . فَإِنَّهُمْ قالوا: لَا تَجْتَمِعُ العَرَبُ إِلَّا عَلَيَّ رَجُلٍ مِنْ أَوْسَطِهِمْ أَقْرَبُهُمْ إِلَى رَسولِ اللهِ مِنْ كُلِّ الوجوهِ .

ب - وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ :

اللَّهُمَّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا التَّمَاسَّ شَيْءٍ مِنْ فَضُولِ الْحَطَامِ وَلَكِنْ لِنَرُدَّ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمُنُ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ الْمُعْظَلَةُ مِنْ حُدُودِكَ..

نهج البلاغة/ الخطبة ١٢٩

فَمَاذَا يَقُولُ صَنَائِعُ الطَّغَاةِ فِي هَذَا الْكَلَامِ؟ أَهَوَ مُنَافَسَةُ رَجُلٍ يَرَى فِي نَفْسِهِ الْأُولَوِيَّةَ أَسْوَأَ بِغَيْرِهِ أَمْ أَنَّهُ تَضَمَّنَ الْإِشَارَةَ الْوَاضِحَةَ إِلَى كُفْرٍ مِنْ سَبَقُهُ حَيْثُ:

١ - تَنَافَسُوا فِي السُّلْطَانِ.

٢ - التَّمَسُّوا فَضُولَ الْحَطَامِ.

٣ - غَيَّرُوا مَعَالِمَ الدِّينِ وَهُوَ يَرِيدُ رَدَّ تِلْكَ الْمَعَالِمِ.

٤ - أَظْهَرُوا الْفَسَادَ وَهُوَ يَرِيدُ الْإِصْلَاحَ.

٥ - عَطَّلُوا الْحُدُودَ وَهُوَ يَرِيدُ إِقَامَةَ مَا عَطَّلُوا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ.

٦ - ظَلَمُوا الْخَلْقَ وَأَرْهَبُوهُمْ وَهُوَ يَرِيدُ إِعَادَةَ الْأَمَنِ إِلَى الْمَظْلُومِينَ.

٧ - إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنَافُسُ فِي التَّرْشِيحِ لِلْحُكُومَةِ! وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَأَعْرَضَ عَنِ التَّرْشِيحِ لِأَنَّ الدُّنْيَا لَا تَسَاوِي عِنْدَهُ بِمَا فِي ذَلِكَ هَذَا الْكَاتِبِ الدَّعِي.. لَا تَسَاوِي عَفْطَةً عَنِزًا! كَمَا قَالَ هُوَ ﷺ. وَلَا يَحْتَاجُ عَلِيٌّ الَّذِي اكْتَفَى بِ«طَمْرِيهِ وَقُرْصِيهِ» حَسَبَ تَعْبِيرِهِ إِلَى دَسْتِ الْحُكْمِ لِهَذِهِ الْغَايَةِ الدِّينِيَّةِ الْوَضِيعَةِ الَّتِي يَحْتَاجُهَا دَوْمًا مَنْ يَشْعُرُ بِالنَّقْصِ وَيَرْغِبُ بِالتَّسْلُطِ عَلَى الْعِبَادِ.

أَلَيْسَتْ هَذِهِ الْفَقَرَاتُ كُلُّهَا مَزْبُورَةٌ فِي هَذَا الْخَطَابِ عَلَى قَصْرِهِ أَمْ أَنْتَ لَا تَرَى وَلَا تَبْصُرُ. بَلَى أَنْتَ لَا تَرَى قَطَّ حَتَّى تَدْخُلَ قَعَرَ جَهَنَّمَ، لِأَنَّكَ مِثْلُ أَسْلَافِكَ وَأَشْيَاعِكَ الَّذِينَ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ حَيْثُ يَحْسِبُونَ وَهُمْ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ أَنَّ أَبْصَارَهُمْ سُحِرَتْ فَيَقُولُ الْمَنَادِي:

﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتَ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥].

ج - وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِيدُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحْمِي وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي وَاجْتَمَعُوا عَلَى مَنَازَعَتِي أَمْرًا هُوَ لِي .

نهج البلاغة/ الخطبة ٢١٥

فَكَيْفَ تَقُولُ أَيُّهَا الْأَقَاكُ الْكَذُوبُ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ يُؤْمِنُ بِالشُّورَى وَيَرَى صِحَّةَ خِلَافَةِ الْكُفْرَةِ الْمَارِقِينَ قَبْلَهُ وَلِذَلِكَ بَايَعَهُمْ^(١) وَأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِالْوَصِيَّةِ؟ .

أَلَا تَرَاهُ ضَمَّنَ هَذَا النَّصَّ : يَقُولُ

١ - إِنَّهُمْ عَدُوٌّ لَهُ وَهُوَ عَدُوٌّ لَهُمْ وَهُوَ يَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ عَدُوًّا لَهُمْ فَيَقُولُ : «إِنِّي أَسْتَعِيدُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ؟» !

٢ - أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ : «إِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحْمِي» ، وَرَحْمَةُ هِيَ رَحْمَةُ رَسُولِ اللَّهِ ، فَهُمْ قَطَعُوا رَحْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ !

٣ - أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ : «وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي» ، لِأَنَّ الشُّورَى سَاوَتْ بَيْنَ الرَّجْسِ وَالطَّاهِرِ ، وَجَعَلَتْ الْكَافِرَ وَالْمُؤْمِنَ عَلَى قَدَمِ الْمَسَاوَةِ فِي التَّرْشِيحِ؟ !

٤ - أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ : «اجْتَمَعُوا عَلَى مَنَازَعَتِي أَمْرًا هُوَ لِي» . فَالْخِلَافَةُ لَهُ خَاصَّةً ، وَمَا كَانَ لِيَقُولَ ذَلِكَ وَيَكْذِبَ عَلَى الْمَلَأِ لَوْلَا عِلْمُ الْجَمِيعِ أَنَّهَا لَهُ خَاصَّةً ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَجِبْهُ أَحَدٌ وَلَا اعْتَرَضَ عَلَيْهِ مَخْلُوقٌ كُلَّمَا كَرَّرَ هَذَا الْكَلَامَ .

وَلَكِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ : «لِمَاذَا إِذْنُ لَمْ يَقَاتِلَهُمْ؟» !

فَتَبًّا لَكُمْ!! ..

لَقَدْ كَانَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَقُولُوا : «لِمَاذَا إِذْنُ لَمْ يُولَّوْهُ عَلَيْهِمْ وَخَالَفُوا أَمْرَ مَوْلَاهُمْ» .

(١) سِيَّاتِي إِضَاحٌ لِلْفَرْقِ بَيْنَ الْبَيْعَةِ بِالْإِكْرَاهِ وَالْبَيْعَةِ طَوْعًا .

فإنكم تحسبون الإمامة الإلهية مثل المناصب الدنيوية، وفاتكم أن الإمامة هي مثل أي حكم شرعي في الدين، ولا إكراه في الدين كما قال تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فالإمام الإلهي المنصوص عليه من الرب والمُعَيَّن من الرسول ﷺ لا يجبر الخلق، ولا يقتلهم من أجل الإمامة، لأنها أمر إلهي. وأنتم تريدون أن يحتل دار الإمارة بالقوة..

فيا لكم من أغبياء وحمقى!

بل إذا شاء الخلق أن يطيعوا مولاهم فهذا خير لهم في الدنيا والآخرة، وإن شاؤوا العصيان عاقبوا أنفسهم وذرائعهم بأن يكونوا تحت مطرقة الفتن والظلم والقهر.

فما أضحكني بعدما أبكاني شيء مثل عقول هؤلاء المعترضين، لأن الإمامة ليست منصباً دنيوياً، والإمام لا يذهب باحثاً عن الإمامة وعن المطيعين، بل الخلق عليهم أن يأتوه مدعين، فإذا لم يأتوه تألم لهم وعليهم لا على المنصب والرئاسة، وهو منفذ لمشيئة الله تعالى، وليس هو شخصاً من مثل أئمتكم حتى تقيسوا عليه. وألاً فلماذا نقول هو إمام بتنصيب من الله إذا كان مثل أبي بكر وعمر.. واحد يضع يده في يد الآخر يقول له: لا أنت أكبر مني سناً. فإذا مات الأول دفعها إلى الثاني بلا شورى مزعومة أو غير مزعومة.

وليس هذا الإمام الإلهي مثل أبي بكر إمامكم الذي قتل مالك بن نويرة بعدما أعطاه وقومه الأمان، ثم يغدر بهم لأنهم منعوا الزكاة، وأجبر الخلق على البيعة حتى حملوا عليه مكتوفاً بسلاسل الحديد وجاؤوا بالمشاعل

لإحراق داره. فَقَالَ بعضُ الناس: «فِيهَا فَاطِمَةُ!» فَقَالَ عمرُ: «وإن!»، فَقَالَ قائلٌ: «إنَّ فِيهَا الحسنَ والحسينَ!»، فَقَالَ عمرُ: «وإن!».

أَمْ أَنْتَ سَتَكْذِبُ هَذِهِ الْقِصَّةَ الَّتِي ذَكَرَهَا كُلُّ الْمُؤَرِّخِينَ وَهُمْ مِنْ أُمَّتِكُمْ وَدَافَعُوا عَنْ أَبِي بَكْرٍ بِزَعْمِهِمْ أَنَّ الْإِمَامَ لَهُ الْحَقُّ فِي حَمْلِ الْخَلْقِ عَلَى الْبَيْعَةِ وَالطَّاعَةِ لَكَي تَجْتَمَعَ الْكَلِمَةُ!.

فَالْإِمَامُ الْإِلَهِيُّ لَا يُجْبَرُ أَحَدًا عَلَى الْبَيْعَةِ وَالطَّاعَةِ، لِأَنَّ حُكْمَهُ هُوَ ذَاتُهُ حُكْمُ اللَّهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُجْبَرُ، وَإِنَّمَا يَحَاسِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَفِي الدُّنْيَا يَعَاقِبُ بِالْفِتَنِ وَالْبَلَاءِ. وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُجْبَرَ الْخَلْقُ لَمَا احتَاجَ أَمْرُهُ إِلَى الْإِمَامِ، بَلْ وَلَا إِلَى الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَلَكَانَ أَجْبَرَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ الَّتِي خَضَعَتْ لَهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَانْدَكَّتْ لَهَا الْجِبَالُ وَتَضَعُضَتْ لَهَا قَوَائِمُ الْكَرْسِيِّ.

فَمَا أَغْبَى عَقُولَكُمْ حَيْثُ تَقَارِنُونَ الْإِمَامَ الْمَعْيَنَ مِنْ اللَّهِ بِأُتَمَّةِ الشَّيْطَانِ! فَمَنْ الطَّبِيعِيُّ أَنْتُمْ لَا تَفْهَمُونَ مَا يَفْعَلُهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَتَرُونَ أَمْرَهُ عَجَبِيًّا، إِذْ كَيْفَ يَكْتَفُونَهُ بِالْحَدِيدِ وَهُوَ الَّذِي فَرَّ مِنْهُ جَيْشُ حُنَيْنٍ، وَجَنْدَلُ عَسْكَرِ الْأَحْزَابِ فِي «الْخَنْدَقِ»، وَوَصَلَ صَدَى ضَرْبَتِهِ فِي «خَيْرٍ» إِلَى الْمَلَأِ الْعُلُوي؟. فَهَذَا عِنْدَكُمْ عَجِيبٌ جَدًّا لِأَنَّكُمْ عِبِيدُ الشَّيْطَانِ فَلَا تَفْهَمُونَ سِوَى عَمَلِ الشَّيَاطِينِ.

فَاتْرَكُوا هَذَا وَالتَّهَوَّأُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ بِأَمْوَالِكُمْ وَدَنَانِيرِكُمْ وَأَنْتَمِتْكُمْ، فَإِنَّكُمْ أَبْعَدُ الْخَلْقِ عَنْ فَهْمِ الْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْكَرَامَاتِ الرَّسَالِيَّةِ وَغَرَائِبِ الْأَنْوَارِ الْمُحَمَّدِيَّةِ..

دَعُوا هَذَا لِأَهْلِهِ.. فَإِنَّكُمْ فِي وَادٍ وَهْوَ لَاءٌ فِي وَادٍ آخَرَ..

إِنَّكُمْ لَا تَفْهَمُونَ هَذِهِ الْأَسْرَارَ وَلَا تَفَرِّقُونَ بَيْنَ حَالٍ لَادٍ فِيهِ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالْفِرَارِ وَالْهَجْرَةِ، وَحَالٍ آخَرَ ارْتَقَى فِيهِ أَطْبَاقُ السَّمَاءِ فَاهْتَزَّتِ السُّدْرَةُ، وَلَا بَيْنَ

حَالٍ حُمِّ فِيهِ النَّبِيُّ حَتَّى كَادَ يَمُوتُ وَحَالٍ آخِرٍ أَحْيَا بِهِ بِتَفْلِيتهِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ كَادَ يَمُوتُ ، وَلَا يَبَيِّنُ حَالٍ وَلَّى فِيهِ مُوسَى ﷺ لَا تُذَابًا بِالْفِرَارِ فَقَالَ : «فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا» ، وَبَيَّنَ حَالٍ أَحْدَثَ فِيهِ فِرْعَوْنُ عَلَى نَفْسِهِ غِرْقًا مِنْ عَصَاهُ .

د - وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ :

أَيُّهَا النَّاسُ أُنْشِدُكُمْ اللَّهَ أَنْتَ لَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ قَامَ خَطِيئًا فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي أَهْلَ بَيْتِي فَمَسَّكُوا بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا فَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي وَعَهْدَ إِلَيَّ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ شَبَّ الْمَغْضَبِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكُلُّ أَهْلِ بَيْتِكَ؟ فَقَالَ : لَا وَلَكِنْ أَوْصِيائِي مِنْهُمْ أَوَّلُهُمْ أَخِي وَوَزِيرِي وَوَارِثِي وَخَلِيفَتِي فِي أُمَّتِي وَوَلِيِّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي هُوَ أَوَّلُهُمْ ثُمَّ إِبْنِي الْحَسَنَ ثُمَّ إِبْنِي الْحُسَيْنَ ثُمَّ تَسَعَةً مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى يَرِدُوا عَلَيَّ الْحَوْضَ شُهَدَاءَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَحِجَّتِهِ عَلَى خَلْقِهِ وَخُزَّانِ عِلْمِهِ وَمَعَادِنِ حِكْمَتِهِ مِنْ أَطَاعَهُمْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَاهُمْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ؟؟

فَقَالُوا كُلُّهُمْ «وَاللَّفْظُ لِابْنِ حَجَرٍ فِي الصَّوَائِقِ» : نَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ . قَالَ : ثُمَّ تَمَادَى عَلَيَّ فِي السُّؤَالِ فَمَا تَرَكَ شَيْئًا إِلَّا نَاشَدَهُمْ فِيهِ حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهِ وَهُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ يَصَدِّقُونَهُ وَيَشْهَدُونَ أَنَّهُ حَقٌّ .

الصَّوَائِقُ الْمَحْرَقَةُ (١)

فَكَيْفَ تَقُولُ أَيُّهَا الْأَفَّاكُ الْكَذُوبُ إِنَّ عَلِيًّا لَا يُؤْمِنُ بِالْوَصِيَّةِ ، وَإِنَّ الْوَصِيَّةَ كَانَتْ شَخْصِيَّةً مُحَضَّةً تَخْصُ الْعَائِلَةَ النَّبَوِيَّةَ؟ ، وَكَيْفَ تَزْعُمُ أَنَّ الْإِمَامَةَ الْإِلَهِيَّةَ

(١) الصَّوَائِقُ الْمَحْرَقَةُ / مُحَاجَّةٌ عَلَيَّ لِلصَّحَابَةِ - فَابْحَثْ عَنْهُ فِي الْعُنْوَانِ لِاخْتِلَافِ الطَّبَعَاتِ .

هِيَ مِنْ صُنْعِ الْمُتَكَلِّمِينَ؟، وَأَيْنَ هُمْ الْمُتَكَلِّمُونَ يَوْمَئِذٍ وَهَذَا الْخَطَابُ
وَالْمَنَاشِدَةُ حَصَلَتْ فِي أَوَاخِرِ عَهْدِ عُمَرَ أَوْ أَوَائِلِ عَهْدِ عِثْمَانَ؟.

هَذِهِ قَائِمَةٌ بِمَصَادِرِ هَذَا النَّصِّ الَّذِي رَوَاهُ أَثَمَةُ وَحِفَاطُ السَّنَةِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـ
«الشُّورَى» . . . وَالَّذِينَ لَمْ يَجْرُوا أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ قَبْلِ عَلَى إِنْكَارِ الْوَصِيَّةِ وَالْإِمَامَةِ،
بَلْ أَشَارُوا إِلَيْهِ بِاسْمِهِ الشَّرِيفِ «الإمام علي» فِي كُلِّ كِتَابِهِمْ، وَكُتِبُوا
بَعْدَهُ «عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ» خِلَافاً لِلْبَقِيَّةِ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ بَعْدَ أَسْمَائِهِمْ «عَلِيٌّ» ! إِذْ هُوَ دَعَاءُ
فَكَأَنَّهُمْ يَشِيرُونَ إِلَى عَدَمِ الْعِلْمِ بِرِضَا اللَّهِ عَنْهُمْ، وَكُلُّ مَنْ هُوَ غَيْرُ مَعْصُومٍ تَدْعُو
لَهُ بِهَذَا الدَّعَاءِ. أَمَّا الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَخُلَفَاءُ اللَّهِ فَيَقَالُ لَهُمْ «عَلَيْهِمُ السَّلَامُ» . . . وَكُلُّ مَا
فَعَلَهُ أَهْلُ السَّنَةِ هُوَ تَبْرِيرُ فِعْلِ الثَّلَاثَةِ وَاسْتِلَابِهِمُ الْخِلَافَةَ، وَغَايَةُ مَا أَرَادُوا إِثْبَاتَهُ
هُوَ أَنَّهُمْ اجْتَهَدُوا بِحَسَنِ نِيَّةٍ لاعتقادِهِمْ أَنَّ الْعَرَبَ تَعْصِي الْإِمَامَ. وَهُوَ تَبْرِيرٌ
مَكْشُوفُ الزَيْفِ، وَلِذَلِكَ كَانُوا يَكْتُمُونَ تَشْيِعَهُمْ. وَلَوْ بَحِثَ عَنْهُمْ جَيِّداً
لَوَجَدْتَ أَكْثَرَهُمْ مِنَ الشَّيْعَةِ الْحَقِيقِينَ بِشَرْطِ أَنْ تُخَضِّعَ عِبَارَاتِهِمْ لِلتَّحْلِيلِ
الدَّقِيقِ لِلْجُمْلَةِ، وَلَا تَخْدِيعَ بِالْأَلْفَاظِ الْمَجَاوِرَةِ الَّتِي كَانَتْ بِمِثَابَةِ «جَوَازِ»
لَا نَتَشَارِ مُؤَلَّفَاتِهِمْ، بَلْ تَهْتَمُّ بِالْمَوْضُوعِ وَالْمُضْمُونِ. فَإِنَّهُمْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَشَارُوا
إِلَى كُفْرِ الثَّلَاثَةِ بِالتَّلْمِيحِ دُونَ التَّصْرِيحِ وَوَضَعُوا عَلَى أَسْمَائِهِمْ عِبَارَةً «عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»
لِمَخَادَعَةِ السُّلْطَانِ لَا غَيْرِ.

وَلَكِنْ رَأَى عَلَى الْعُقُولِ غِبَاءٌ مُسْتَحْكِمٌ مَنَعَ النَّاسَ مِنْ فَهْمِ هَذِهِ الْإِشَارَاتِ
أَمَّا هَذَا الْكَاتِبُ الْمُنَافِقُ فَقَدْ جَاءَ بِمَا هُوَ مِنْ إِشْرَاطِ السَّاعَةِ حَقًّا، فَإِنَّهُ نَسَبَ
الشُّورَى وَالْقَوْلَ بِهَا لِصَاحِبِ الْوَصِيَّةِ نَفْسِهِ . . . فَمَا أَكْذِبُهُ!!.

هَذِهِ الْقَائِمَةُ بِأَصُولِ حَدِيثِ الْمَنَاشِدَةِ وَالَّذِي ذَكَرُوا مِنْهُ مَقْتَطَفَاتٍ كَثِيرَةً
وَمُخْتَلِفَةً. وَلَكِنَّ مَا أَثْبَتَاهُ كَانَ مُشْتَرَكاً وَهِيَ الْمَنَاشِدَةُ بِالْوَصِيَّةِ وَالْإِمَامَةِ وَالنَّصِّ
عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ إِمَاماً أَوَّلَهُمْ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِذَلِكَ اخْتَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ
السَّنَةِ جِزْءاً مِنْ حَدِيثِ الْمَنَاشِدَةِ. فَمِنْ هَذِهِ الْمَصَادِرِ:

١ - كتاب المناقب للخوارزمي/ ص ٢١٧.

٢ - كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر/ ص ٧٧.

٣ - كتاب فرائد السمطين للحمويني الشافعي/ ج ١/ ب ٥٨.

٤ - كتاب ينابيع المودة لسليمان القندوزي الحنفي/ ص ١١٤.

هؤلاء أخرجوا حديث المناشدة كاملاً وفيه ثمان وعشرون مناشدة. وأما الذين أخرجوا فقرات منه بحسب عناوينهم فهم:

٥ - كتاب المناقب للخوارزمي/ الفصل ١٩/ ص ٢٤٦.

وفيه المناشدات الخاصة: إنه أول الموحدين، إنهم ليس فيهم صهرٌ كصهره ولا أخٌ كأخيه ولا عمٌ كعمه ولا زوجةٌ كزوجته ولا سبطان كسبطيه، وإنه صاحبُ الولاية وصاحبُ الراية ومن سلّمت عليه الملائكة... إلى آخر ما ذكره.

أقول: الاحتجاج بالأرحام والقربى إنما هو للردّ على قواعدهم الجاهلية، فإنهم يتفاخرون بذلك، فإذا كانوا صادقين بهذه المفاخرة مع الإيمان بالرسول تنتقل صلة الأرحام إلى النبي، ويكون هو الفائز أيضاً وفق قواعدهم، وغايته من ذلك إجبارهم على أحد أمرين: إما أن يشهدوا له بالإمامة، أو أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر. وقد فهموا المراد، ولذلك كانوا يشهدون له بالإمامة دوماً ولا يردّون عليه قط ولا نعلم شيئاً وردّ في التاريخ أنَّهُم ردّوا احتجاجه.

ثم نلاحظ أنه عليه السلام يحاججهم بكل العناصر المرتبطة بالإمامة مرة واحدة كما في هذا الحديث الذي ناشدهم فيه ثمان وعشرين قضية كل منها تدل على إمامته المنصوصة، وكلها منسوبة لصاحب الرسالة أو للقرآن بتفسير من النبي ﷺ.

ولكن الكاتب الكاذب كان يتقل من فكرة إلى فكرة لضغف الأولى وعدم صلاحيتها للاحتجاج!

طَبْعًا . . فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَنْقُلُ الْاِحْتِجَاجَ مِنْ فِكْرَةٍ إِلَى فِكْرَةٍ لَضَعْفِ الْأُولَى ، بَلْ لِإِجْبَارِ ضَعْفِ إِيْمَانِ الْخَصْمِ الَّذِي اسْتَهْوَاهُ الشَّيْطَانُ . وَلَوْ أَخَذْنَا بِقَوْلِكَ لَكَانَ احْتِجَاجُ الْقُرْآنِ الْمُكَرَّرُ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي سُورَةِ الرُّومِ وَالْمَبْدُوءُ كُلُّ مِنْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى «وَمِنْ آيَاتِهِ» كَذَا وَكَذَا . . أَنَّهُ يَنْتَقِلُ إِلَيْهِ لَضَعْفِ الْحُجَّةِ الْأُولَى فَيَأْتِي بِالْأُخْرَى ! .

٦ - مدارك التنزيل للنسفي/ج ٤ من تفسير الخازن/ص ٢٤٢ ، وفيه المناشدة الخاصةُ بآيةِ المناجاة .

٧ - جامع الترمذي/ج ٢/ص ٤٦٠ ، وفيه المناشدة بحديث الطير .

٨ - الرياض النضرة/للمحبِّ الطبري والذخائر على الترتيب ص ١٨٤ من ج ٢/وص ٧٢ ، وفيه المناشدة بحديث الراية .

٩ - البخاري في صحيحه في أربعة مواضع هي : ج ٢/ص ٣١٠ باب اللواء ، وج ١٤/ص ٣٨٥ ، وج ١٦/ص ٤٥٠ باب الغزو ، وج ١٢/ص ٣٤٠ باب المناقب وفيه المناشدة بحديث الراية .

١٠ - صحيح مسلم ج ٢/ص ٣٢٤ ، وفيه المناشدة بحديث الراية وهو جزء من هذه المناشدة المبدوءة بالنصِّ الآنف .

هَذَا وَقَدْ تَرَكْتُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَصَادِرِ . وَلِلْمَزِيدِ تَجِدُ بَعْضَهَا الْآخِرَ فِي كِتَابِ «عَلِيٍّ وَالْوَصِيَّةِ» تَأْلِيفِ نَجْمِ الدِّينِ الشَّرِيفِ الْعَسْكَرِيِّ حَيْثُ فَصَّلَ فِيهِ الْقَوْلَ مِنْ صَفْحَةِ ٧٢ إِلَى صَفْحَةِ ١٣٠ وَذَكَرَ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِحَدِيثِ الْمُنَاشِدَةِ وَهُوَ فِي كِتَابِهِ الْحَدِيثِ الْمَرْقُومِ «٣٣» .

هـ - وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ :

... فَقُلْتُ أَنْخَلِّفْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ؟ ، وَبَكَيْتُ ، فَقَالَ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَّا وَأَنْتَ خَلِيفَتِي .

وَهُوَ ﷺ يَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِهَذَا الْقَوْلِ لِلخَلَافَةِ الإِلَهِيَّةِ.

أقول: نَقَلَ هَذَا الْحَدِيثَ حُفَاطُ السَّنَةِ وَأَهْلُ الشُّرَى قَبْلَ وَجُودِ شَيْءٍ اسْمُهُ عِلْمُ الْكَلَامِ عَنِ التَّابِعِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ عَنِ الصَّحَابَةِ. وَلِذَلِكَ أَثْبَتُوهُ، وَمِنْهُ يَظْهَرُ كَذِبُ هَذَا الْأَفَّاكِ حَيْثُ يَزْعُمُ أَنَّ الْوَصِيَّةَ عَائِلِيَّةَ شَخْصِيَّةً. فَيَفْنَدُ هَذَا النَّصُّ هَذِهِ الدَّعْوَى خُصُوصاً، لِأَنَّهُ لَا يَقُولُ لَهُ: «خَلَّفْتُكَ فِي النَّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ»، بَلْ يَقُولُ لَهُ: «أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»، وَقَرَنَ ذَهَابَهُ بِبَقَائِهِ عَلَيَّ وَخِلَافَتِهِ لَهُ. وَكَأَنَّ غِيَابَهُمَا مَعاً، هُوَ غِيَابٌ لِلدِّينِ، وَلَمْ يَسْتَشِنْ ﷺ سِوَى النَّبِئَةِ.

فَمَنْ يُصَدِّقُ بِقَوْلِ الْمُنَافِقِينَ بَعْدَ ذَلِكَ؟.

وَهَذَا الْحَدِيثُ أَجْمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا ظَاهِرِيّاً فِي عَلَيٍّ ﷺ حَيْثُ رَوَاهُ السَّنَةُ وَالشَّيْعَةُ.

فَاخْتِلَافُهُمْ هُوَ الْعَجِيبُ بَعْدَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَى وَجُودِ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْمَعْنَى!.

مصادر الحديث:

- ١ - الصحيح لمسلم ج ٢ / ص ٣٢٣ - ج ٢ / ص ٣٢٤.
- ٢ - صحيح الترمذي ج ٢ / ص ٤٦٠ - ٤٦١.
- ٣ - المستدرک علی الصحيحین للحاکم ج ٣ / ص ١٠٨.
- ٤ - صحيح البخاري ج ١٤ / ص ٣٨٦ و ج ١٧ / ص ٤٧٥.
- ٥ - الخصائص للنسائي ص ١٨ و ص ٢٨.
- ٦ - السنن لابن ماجه ج ١ / ص ٢٨.
- ٧ - سنن ابن داود ج ١ / ص ٢٩.

٨ - مسند أحمد بن حنبل ج ١ / ١٧٠ / ١٨٥ / ٣٣١ وج ٣ / ص ٣٢ وج ٦ / ص ٣٩٦.

٩ - البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ / ص ٢٣٩ ، وص ٣٤٠.

هذا .. وله ذكرٌ في كلِّ كتب الفضائل والمناقب ، وَهِيَ تربو على ثلاثمائة كتاب في عليّ ابن أبي طالب عليه السلام عدا كتب الشيعة.

تنبية:

ألا ترى أيها القاريء الكريم أنّ معاجز عليّ عليه السلام مستمرة ولم تتوقف لحظة واحدة؟.

فإنّ الذي ألهمه الله هذا السؤال عن الخلافة على النساء والصبيان ليعلم أنّ الزمان سيجود على الأمة بمثل هذا الدعيّ الذي يزعم أنّ الخلافة عائلية في النساء والصبيان والوصية شخصية! .. لذلك سأل عليه السلام : «أتخلفني يا رسول الله في النساء والصبيان؟».

نعم .. إنّ رجلاً يدور معه الحقّ حيثما دار لهو أكبر من أن يُقرن إلى هذه النظائر . ويبقى قول الله ورسوله مُبطلاً للبدع في كلِّ زمانٍ .

ولذلك كله .. فحينما حكّم الأشباه والنظائر من غير مشورة المؤمنين قامت المعارضة على السلطة القرشية المُسنّدة من قبيل اليهود والروم بأحلاف سرية ومعاهدات خفية تسترّ عليها المجرمون وظهرت رائحتها العفنة فيما بعد من خلال فلتات ألسنة المؤرّخين وعبر الأحداث ..

ولكنّ هذه الأمة لا زالت تزور وتكذب وتماري في الحقّ ..

فلَمَّا ذَا اتَّفقت كلمة العرب على محمد عليه السلام واختلّفت بشأن أبي بكرٍ؟.

هل ارتدت العرب فعلاً يا أبناء المكذّبين أم كانوا معارضة سياسية على حكومة لا شرعية؟

وَلَمَّاذَا لَمْ يَخْرُجْ عَلَيَّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ وَجَمَلَةُ بَنِي هَاشِمٍ وَشِيعَةُ عَلِيٍّ لِمَقَاتِلَةِ هَؤُلَاءِ الْمُرْتَدِّينَ إِنْ كَانُوا فَعَلَاءَ مُرْتَدِّينَ عَنِ دِينِ الْإِسْلَامِ؟

وَهَلْ يُعْقَلُ أَنَّ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ يَخْشَوْنَ سَطْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى إِذَا غَابَ اسْتَغْلَوْا «دِيمَقْرَاطِيَّةَ أَبِي بَكْرٍ» وَ «رَقَّةَ قَلْبِهِ» الَّتِي بَلَّغَتْ حَدًّا أَنْ يُحْرِقَ الْمَعَارِضِينَ بِالنَّارِ أَسْوَةً بِالْكَفَرَةِ الَّذِينَ فَعَلُوا فَعَلَتَهُمْ بِأَصْحَابِ الْأَخْدُودِ؟!

أَمْ أَنْتُمْ لَا تَرَوْنَ مَا فِي التَّارِيخِ وَلَا تُبْصِرُونَ الْأَحْدَاثَ؟!

لَقَدْ بَلَغَ طَغْيَانُ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهُ أَجْبَرَ أُسْرَى الْمَعَارِضَةِ عَلَى الْإِقْرَارِ بِأَنَّ «قَتْلَهُمْ فِي النَّارِ وَقَتْلَى جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ» فَتَصَوَّرَ!!

وَكَانَ هَذَا الطَّاعِيَةَ لَهُ صِلَاحِيَّةً بَلَّغَتْ حَدًّا أَنْ يَحِلَّ مُحَلٌّ «رِضْوَانِ» وَ «مَالِكِ» خَازِنِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ نَفْسُهُ لَمْ يَقُلْ هَذَا، لِأَنَّ مِنْ «قَاتِلٍ لَامْرَأَةٍ يَصِيبُهَا أَوْ مَالٍ أَوْ لِأَجْلِ حَلْفٍ فَهُوَ لِمَنْ قَاتَلَ لِأَجْلِهِ»، وَإِنَّمَا وَضَعَ قَانُونًا عَامًّا مَفَادُهُ أَنَّ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ، وَسِوَاهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَبُهُ وَإِنْ شَاءَ عَفَرَ لَهُ، وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ.

لَقَدْ ارْتَدَّتْ حَسَبَ زَعْمِهِمُ الْعَرَبُ كُلُّهَا إِلَّا قَرِيشُ!

وَلَوْ لَاحْظْنَا أَحْدَاثَ الرَّدَّةِ لَوَجَدْنَاهَا أَكْذُوبَةً، بَلِ الرَّدَّةُ هِيَ فِي قَرِيشَ . وَأَمَّا الْعَرَبُ فَقَدْ بَقِيَتْ عَلَى الْأَمْرِ الْأَوَّلِ . . وَلَكِنَّ بَعْضَ الْكَفَرَةِ اسْتَغْلَى الْأَحْدَاثَ وَالْانْقِسَامَ فَادَّعَى النُّبُوَّةَ، وَتَوَجَّدَ مَعْلُومَاتٌ أُخْرَى تَقُولُ أَنَّ الْمَدَّعِينَ لِلنُّبُوَّةِ أُرْسِلُوا مِنْ قَبْلِ الْقِيَادَةِ الْجَدِيدَةِ أَضْلَاءً بِاتِّفَاقٍ مَعَ الْيَهُودِ، وَذَلِكَ لِإِسْنَادِ مُحَارِبَتِهِمْ لَهُمْ بِسَنَدٍ شَرْعِيٍّ، وَأَنَّ الْمُتَابِعِينَ لِمُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ وَسَجَّاحٍ قَدْ وَقَعُوا بَيْنَ فَكَّيْنٍ، وَأَنَّ الْقِيَادَةَ الْجَدِيدَةَ ضَحَكَتْ عَلَيْهِمْ حَيْثُ حَرَّضَتْهُمْ عَلَى الرَّدَّةِ وَدَفَعَتْ لَهُمُ الْأَمْوَالَ وَغَدَرَتْ بِهِمْ فَأَبَادَتْهُمْ!!

وَهَكَذَا هُوَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ تَعَالَى :

﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِبَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩] .

فأجبنى يا كاتبَ الترهاتِ . . كيف تفسّر ارتدادَ العربِ كلها ما عدا قريش؟
أهذا ناتجُ شوركِ التي تُدافعُ عنها؟ أم الأصحُّ أنَّ قريشاً كفرتْ وبدلتْ نعمةَ
الله، وهو الظاهرُ في كلامِ أميرِ المؤمنين المبدوء بِقَوْلِهِ: «إِنَّ قريشاً قطعوا
رحمي . .» إلى آخرِ الفقرةِ التي ذكرناها!

أم تحسبُ أننا نتفقُ معك في ما تدرّسونه للطلابِ منذ أربعة عشر قرناً من
وجودِ ردةٍ عادت إلى الدينِ بفضلِ أبي بكرٍ؟
إنَّ الله تعالى يقولُ:

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبا: ٤٩] .

نعم . . إنَّكم تتعبدون أنفسكم فقط، فإنَّ الباطلَ لا يختلطُ بالحقِّ ولو استمرَّ
الخلطُ مليون سنةٍ لا أربعة عشر قرناً!
قال ابن الأثير في كاملِهِ:

« . . فإنه لما مات النبي ﷺ ارتدَّت العربُ وتضرَّمت الأرضُ ناراً
وارتدَّت كلُّ قبيلةٍ عامَّةٍ وكلُّ قبيلةٍ خاصَّةٍ إلا قريشاً وثقيفاً»^(١) .

ألا تفهَمونَ هذه المعاني التي يشير إليها المؤرِّخون؟
ألا تشتغلُ عقولُكم بحسبِ التصميمِ الذي أرادَهُ الله لها؟
إذن . . فقولُ عمر: «لا تجتمعُ العربُ على أن تكونَ النبوةُ والخلافةُ في بيتٍ
واحدٍ» هو قولُ الشيطان المضادِّ لقولِ الرحمن، لأنَّ الرحمن يعلمُ اجتماعها
على هذا البيتِ كما اجتمعت لمحمدٍ ﷺ ، ذلك أنَّ الله هو الذي أَلَفَ بينهم:

(١) الكامل ج ٢/ ٢٣١ - باب أخبار الردة .

﴿وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُمْ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: «أَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»، فَكَفَرْتُمْ هُنَا أَيْضًا حَيْثُ تَرُدُّونَ أَمْرَ اللَّهِ بِأَمْرِ طَوَاغِيتِكُمْ وَأُتْمَتِكُمْ قَادَةَ الضَّلَالَةِ.

هذه عناوينُ المناطقِ «المرتدة» حَسَبَ زَعْمِهِمْ مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ «وَهَذِهِ الْقَائِمَةُ مِنَ الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ» وَهِيَ تُعَادُ نَفْسُهَا تَقْرِيبًا عِنْدَ الطَّبْرِيِّ وَسِوَاهُ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ:

- ١ - خبر ردة طيء وأسد. الكامل/ج ٢/ص ٢٣١.
- ٢ - خبر ردة طليحة الأسدي وغطفان. الكامل/ج ٢/ص ٢٣٢.
- ٣ - خبر ردة عامر وذبيان. الكامل/ج ٢/ص ١٣٤.
- ٤ - خبر ردة عامر. الكامل/ج ٢/ص ١٣٦.
- ٥ - خبر ردة هوزان وسليم. الكامل/ج ٢/ص ٢٣٧.
- ٦ - خبر ردة تميم مع سجاح. الكامل/ج ٢/ص ٢٤٠.
- ٧ - خبر ردة مالك بن نويرة وأهل البطاح. الكامل/ج ٢/ص ٢٤٢.
- ٨ - خبر ردة أهل اليمامة مع مسيلمة. الكامل/ج ٢/ص ٢٤٤.
- ٩ - خبر ردة أهل البحرين. الكامل/ج ٢/ص ٢٤٩.
- ١٠ - خبر ردة أهل عمان ومهرة وناجية وراسب وعبد القيس وسعد العشيرة. الكامل/ج ٢/ص ٢٥٢.
- ١١ - خبر ردة اليمن: صنعاء وتهامة وأهل الساحل. الكامل/ج ٢/ص ٢٥٤.
- ١٢ - خبر ردة نجران وبجيلة. الكامل/ج ٢/ص ٢٥٥.
- ١٣ - خبر ردة اليمن الثانية. الكامل/ج ٢/ص ٢٥٥.
- ١٤ - خبر ردة حضرموت وكندة. الكامل/ج ٢/ص ٢٥٦.

أقول: قتلوا في هذه المواقع الألوف وأهلكوا الحرث والنسل ووقعت فيها فضائع مخزيّة خاصّة في اليمن والبحرين والنصارى من نجران وأصحاب مالك بن نويرة، وتفنّوا في القتل والتعذيب، ولذلك ورّد قول أمير المؤمنين الذي يشير إلى الظلم وغياب الأمن وتعطيل الحدود..

فافهموا التاريخ أولاً والقرآن ثانياً وكلام الأولياء ثالثاً قبل أن تؤلّفوا الكتب يا أولاد الخنا والعار وشذاذ الآفاق وزبالة تاريخ الأمم.

فبكم وحدكم أصبحت هذه الأمة أضحوكة وألعوبة بيد اليهود والمارقين إلى هذا اليوم.

تنبيه:

انتبه أخي القاريء إلى قوله تعالى:

﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ أَلَفَ يَتَنَّهُمْ إِنَّهُ غَزِيرٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]

مراده تعالى أنّ الإنفاق لا يؤلّف قلوبهم لو أعطيتهم حرية الاختيار الذي منحه الله لهم. ومعلوم أنّ التأليف بحدّ السيف وبالبطش والإرهاب ممكن وليس محالاً، ويقدر عليه كلّ الطغاة الذين لا زالوا يؤلّفون الناس بالحديد والنار. ولكنّ هذا ليس مراد الله، إذ لو شاء أن يجمع الناس على أمرٍ بالقهر لفعل بلا رسل ولا أنبياء له.

فافهم هذه الإشارات الإلهية واربطها مع سيرة النبي ﷺ وعليّ عليه السلام فإنهما مع الأئمة العصماء وحدهما يمثلان الإسلام، وغيرهما طواغيت وجابرة لا يُمثل عملهم شيئاً من الدين ولا علاقة له بما أنزل الله، بل هو حرب على الله ورسوله وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

و - وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ :

وَذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَضَى فِيهِ مَخَاطِباً الْحَسَنَ ﷺ :

.. أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَوْصِيَ إِلَيْكَ وَأَنْ أَدْفَعَ كُتُبِي وَسِلَاحِي كَمَا أَوْصَى إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ وَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابَهُ وَسِلَاحَهُ وَأَمَرَنِي أَنْ أَمُرَكَ إِذَا حَضَرَكَ الْمَوْتُ أَنْ تَدْفَعَ ذَلِكَ إِلَيَّ أَخِيكَ الْحُسَيْنَ - قَالَ وَأَقْبَلَ عَلَى الْحُسَيْنِ - فَقَالَ : وَأَمُرَكَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ تَدْفَعَهُ إِلَى ابْنِكَ هَذَا ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ ابْنِهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ يَا بَنِي وَأَمُرَكَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ تَدْفَعَهُ إِلَى ابْنِكَ مُحَمَّدًا فَاقْرَأْ مُحَمَّدًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَمَنِّي السَّلَامُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْحَسَنِ فَقَالَ يَا بَنِي أَنْتَ وَلِيُّ هَذَا الْأَمْرِ وَلِيُّ الدَّمِ فَإِنْ عَفَوْتَ فَلَكَ وَإِنْ قَتَلْتَ فَضَرْبَةٌ مَكَانَ ضَرْبَةٍ .

مستدرک نهج البلاغة ج ۲/ ص ۳۰۸

ذَكَرَ ذَلِكَ بِرَوَايَةِ الْقَاضِي النُّعْمَانِ عَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَعَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ ﷺ .

أقول : حِينَمَا سَأَلُوهُ ﷺ عَنِ الْحَسَنِ ﷺ فَقَالَ : « لَا أَمُرُكُمْ وَلَا أَنْهَاكُمْ وَأَنْتُمْ بِأَمْرِكُمْ أَبْصِرْ » - ظَنَّ السُّفَهَاءُ أَنَّهُ بِهَذَا الْقَوْلِ قَدْ أُلْغِيَ الْإِمَامَةُ وَالْخِلَافَةُ . . .
إِذَنْ فَكَيْفَ أَثَبَّتَ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ كِتَابَةً وَأَشْهَدَ عَلَيْهَا رُؤُوسَ الصَّحَابَةِ وَبَنِي هَاشِمٍ وَجَمِيعَ أَوْلَادِهِ؟

نعم . . أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ مِرَاراً أَنْ بَنِي أُمِّيَّةً سَيَسْلُبُونَ الْمُلْكَ وَأَنَّهُ مَا قُبِضَ حَتَّى دَعَا اللَّهَ أَنْ يَبْدُلَهُ بِخَيْرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّاسِ وَيَبْدُلَهُمْ بِمَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُمْ؟
فَبِأَيِّ شَيْءٍ يَأْمُرُهُمْ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَنْهَاهُمْ؟ .

لَقَدْ قَضَى نَحْبَهُ بِنَاءً عَلَى طَلْبِهِ وَدَعَائِهِ فَكَيْفَ يَأْمُرُهُمْ بِمَا يَعْلَمُ مُسَبِّقاً أَنَّهُمْ مُخَالِفُونَ فِيهِ؟

فإن قلت: «فأين هو هذا الطلب؟ ولماذا قبل الحسن عليه السلام بالخلافة بعد ذلك؟» .

فأما الحسن عليه السلام فإنه رَفَضَ الخلافة، إذ لم تعد فيها فائدة قط بعد فساد الناس وضلالهم. فهم يريدون قيادةً دنيويةً لا قيادةً إلهيةً. ولكن لما أفهمهم هذا الأمر فإن القلة من المؤمنين لم تكن تحتل هذا ويصعب عليها فهم الأمور كما يفهمها أولياء الله، ولا بُدَّ من ابتلائهم بالحرب والقتال حتى يظهر مكنون ما انطوت عليه أنفسهم. فإذا بقيت أقلية ضئيلة يكون قد أعذر، والأمر موكول إليه. فالشاهد يرى ما لا يرى الغائب. فلما ابتلاهم بذلك انقلبوا ضده وهجموا على خيمته وعصوه!

والإمام عتبه الله ليطاع لا ليعصى فإذا عصي وقعت الحجة على الناس دون الإمام، وهي سنة الله في الرسل كلهم.

لو كان حاكماً طاغوتياً يبعث بالرشاوى سراً لرؤوس القبائل، ويقتل المعارضين غيلةً، ويأخذ على التهمة والظنة كما يفعل بنو أمية على نهج الشيخين لأطاعوه.

لكن الناس لا يفهمون من هو الإمام المنصوب من قبل الله. فإن رحمته بالعباد وحنوه على الخلق وتحرجه من الظلم وإيمانه بحرية الاختيار يجعل الناس تظمّع فيه، وتجذ فيه مسرحاً لآرائها - فحزمه من طاعة الخلق، لأن عزمه وحزمه واحد، وهو من الخلق وإليهم، وليس هو طاغوتاً. وديدن الخلق منذ عهد آدم أنهم يطيعون الطاغوت ويعصون الولي وألا فكيف يشك المرء المؤمن بقرار يتخذه الحسن عليه السلام والنبى يقول هو «سيد شباب أهل الجنة»؟ .

وهذا النص تحفظه الأمة كلها، لأنه عليه السلام كرره مئات المرات حتى حفظه كلُّ الصحابة!

فَإِذَا كَانَ الْخَلْقُ لَا يَرِيدُونَ الْإِمَامَةَ فَهَذَا شَأْنُهُمْ ، لِأَنَّ الْإِمَامَ مَنْقُذٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ لَا غَيْرَ . . وَهُوَ ﷺ مَعْدُومُ الرِّغْبَةِ فِي الْحُكْمِ أَضْلًا ، وَإِنَّمَا هُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ تَنْفِيزًا لِأَمْرِ اللَّهِ . فَهِيَ عِنْدَهُ بَلَاءٌ وَمِحْنَةٌ لَا كَرْسِيٌّ يَسِيلُ اللَّعَابُ لِرُؤْيَيْهِ كَمَا هُوَ عِنْدَ عَمْرِو أَبِي بَكْرٍ وَعُثْمَانَ صَاحِبِ الْقَمِيصِ الَّذِي ثَارَ عَلَيْهِ الْخَلْقُ وَأَوْشَكَ عَلَى الْهَلَاكِ وَهُوَ يَصِيحُ بِهِمْ مِنَ السُّطْحِ وَهُوَ مُحَاصَرٌ : «وَاللَّهِ لَا أَخْلَعُ قَمِيصًا أَلْبَسْنِيهِ اللَّهُ»!!

هَذِهِ هِيَ الْخِلَافَةُ الْإِلَهِيَّةُ عِنْدَهُمْ . . إِنَّهَا قَمِيصٌ يَلْبَسُهُ ابْنُ حَرْبٍ . وَقَدْ كَانَ جَدُّهُ الْمَعَاهِرُ الْمَحْكُومُ عَلَيْهِ بِالنَّفْيِ إِلَى الشَّامِ أَقْرَّ رَغْمَ عَهْرِهِ بِضَرُورَةِ تَنْفِيزِ أَمْرِ النَّفْيِ الَّذِي حَكَمَتْ بِهِ الْعَرَبُ . فَكَمْ وَرَثَ إِذْنٍ مِنَ الْعُھْرِ حَتَّى بَلَغَ هَذَا الْحَدَّ (١)؟ .

وَهَلْ هُنَاكَ مِنْ عَاهِرٍ يَمُوتُ وَلَدُهُ وَزَوْجَتُهُ جُوعًا وَعَطْشًا وَيَرْفُضُ تَسْلِيمَ السُّلْطَةِ إِلَّا ذَلِكَ النُّوعُ مِنَ الْمَعَاهِرِينَ الَّذِي يَعْبُدُونَ الْكَرْسِيَّ؟! فَأَيْنَ هَذَا أَيُّهَا النَّاسُ مِمَّنْ يَدْعُو فِي اللَّيْلِ بِالْمَوْتِ لِيَأْتِيَهُ وَيُخْلَصَهُ مِمَّا يَرَاهُ مِنْ فِتْنٍ وَظُلْمٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِزَالَتِهَا لِقَلَّةِ النَّاصِرِ وَسُرْيَانِ الضَّلَالِ فِي النَّفُوسِ وَالَّذِي فَتَحَ أَبْوَابَهُ الثَّلَاثَةَ آخِرُهُمْ سَلِيلُ الْعَاهِرِ؟ .

فَاسْمَعْ لَشَكْوَى عَلِيِّ ﷺ ، وَهِيَ جَوَابٌ لِسُؤَالِكَ الْآخِرِ ، وَقَوْلِكَ مَتَى كَانَ ذَلِكَ؟ وَمَتَى طَلَبَ الْمَوْتَ؟ .

بَلَى لَقَدْ طَلَبَ الْمَوْتَ وَالشَّهَادَةَ :

«عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ : قَالَ لِي ﷺ : يَا بَنِي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فِي نَوْمَةٍ نَمَتَهَا فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا لَقِيتَ مِنْ أَمْتِكَ مِنَ الْأَوْدِ وَاللَّدِيدِ

(١) إشارة إلى الحكم الصادر على حرب عند منافرة هاشم حيث برز الحاكم حكمه عليه بالنفي لكونه «معاهر» - انظر الطبري / هاشم / ج ٢ / ٢٥٣ .

فَقَالَ: يَا عَلِيُّ ادْعُ عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ أَبْدَلْنِي بِهِمْ خَيْرًا لِي مِنْهُمْ وَأَبْدَلْهُمْ بِي مِنْ هُوَ شَرٌّ مِنِّي. قَالَ فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَضْرِبَهُ الرَّجُلُ».

مصادر النص: الاستيعاب ٢ / ٤٧٠، أسد الغابة ٤ / ٣٦، طبقات ابن سعد ج ٣ / ١ ق / ٢٤، وله مثل في الكنز ج ٦ / ٤١١.

فَقَارَنَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا رَعِيَّتُهُ تَرِيدُهُ لِلدُّنْيَا وَلَا يُرِيدُهَا وَيُرِيدُ الْمَوْتَ وَيَتَمَنَّاهُ!

أَهَذَا رَجُلٌ يَحْلُمُ بِحُكْمٍ دُنْيَوِيٍّ أَمْ هُوَ حَاكِمٌ إِلَهِيٌّ؟

وَأَخْرُ رَعِيَّتُهُ تَحَاصِرُهُ وَتَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ أَنْ اتْرُكْ هَذَا الْأَمْرَ فَإِنَّكَ لَا تَلِيْقُ بِهِ وَلَا يَلِيْقُ بِكَ وَلَا نَرِيدُ قَتْلَكَ. . . فَيَصْرُ عَلَى الْبَقَاءِ فِي الْحُكْمِ حَتَّى يَهْلِكَ. . . أَهْوَايُ اللَّهِ أَمْ هُوَ عَابِدٌ لِلْكَرْسِيِّ؟ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟!

وَأَمَّا أَيْنَ تَنْبَأُ بِمَعَاوِيَةَ وَبَنِي أُمَيَّةٍ وَمُلْكِهِمْ؟ فَهُوَ كَثِيرٌ مِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ:

«أَمَّا أَنَّهُ سَيُظْهِرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مَنْدَحِقُ الْبَطْنِ يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ! أَلَا وَأَنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبْيِ الْبَرَاءَةِ مِنِّي».

الخطبة/ ٥٧ من نهج البلاغة

أَقُولُ: قَوْلُهُ «اقْتُلُوهُ» مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَقْتُلُوهُ يَتَضَمَّنُ حِجَّةً عَلَى الْخَلْقِ وَدَلِيلًا عَلَى فِسَادِ عَقَائِدِهِمْ بِحَيْثُ إِنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ حَاكِمًا كَهَذَا، لِأَنَّهُمْ لَا يَنْقُذُونَ الْأَمْرَ بِقَتْلِهِ لِأَنَّهُ ﷺ قَدْ خَبَّرَهُمْ وَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَلِذَلِكَ فَعَلِمَهُ الْقُرْآنِيُّ يَحَدِّدُ لَهُ مَسَارَ الْأَحْدَاثِ مُسْتَقْبَلًا لَا مِنْ حَيْثُ هِيَ حَتْمٌ لَا تَغْيِيرَ فِيهِ، بَلْ مِنْ حَيْثُ مَعْرِفَتُهُ بِالْوُجْهِينِ مَعًا: السَّنُ الْعَامِلَةُ مِنْ جِهَةٍ وَحَالُ النَّاسِ مِنْ جِهَةٍ. كَمَا لَوْ عَلِمْتَ مِنْ شِدَّةِ عَيْبٍ وَكَسَلِ الطَّلَابِ مِنْ جِهَةٍ وَتَشَدُّدِ الْأَسَاتِذَةِ وَصِرَامَةِ الدِّرَاسَةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى أَنَّ هَؤُلَاءِ فَاشِلُونَ حَتْمًا! فَافْهَمِ ذَلِكَ.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ :

«أما أنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً وسيافاً قاطعاً وأثرةً يتخذها الظالمون فيكم سنةً».

الخطبة/ ٥٨

وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ :

«فاسألوني قبل أن تفقدوني فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا أنبأتكم بسائقها وناعقها وقائدها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من أهلها قتلاً ومن يموت منهم موتاً ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأمور وحوازب الخطوب لأطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين وذلك إذا قلصت حربكم وشمرت عن ساق وضاحت عليكم الدنيا ضيقاً تستطيلون معه أيام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم».

نهج البلاغة/ الخطبة ٩١

فماذا يأمرهم؟ إننا يأمر ابنه الحسن ﷺ ويوصي إليه بكتب الأنبياء كلها، لأن الحجة عندهم، والسلاح عندهم، وهو هو المقصود من الرسالة أن تكون الحجة لله دون الخلق.

أما الكاتب الكاذب فيزعم أن الحجة للخلق من حيث إن الشورى هي نظام الحكم وبالتالي فالاختلاف لا بُد منه.

وإذن.. فالخلق على حق حينما اختلفوا وأنى اختلفوا. فإن كان الأمر كذلك فلنا سؤال: ما الغاية وما المقصود من الخلق أضلاً أيها المتغافل؟ أليس إدخال فريق إلى الجنة وفريق إلى النار؟ أم تحسب أن الغاية من الدنيا هي الدنيا؟

وَمَا بَيْنَ السَّوَالَيْنِ فَرْقٌ هُوَ الْفَرْقُ الْجَوْهَرِيُّ الْعَظِيمُ بَيْنَ الْأَطْرُوحَتَيْنِ! :
أطروحة الإسلام الَّذِي يُؤْمَنُ بِالشُّرَى، وأطروحة الإسلام المحمدي
العلوي.

وَالْإِسْلَامُ الْأَوَّلُ هُوَ نَقِيضُ الْإِسْلَامِ الثَّانِي تَمَامًا!
وَهَذَا الْفَرْقُ هُوَ الَّذِي غَابَ عَنِ أَكْثَرِ الْعُقُولِ، بِمَا فِي ذَلِكَ طَيِّبُ النُّوَايَا.
وَهَذَا هُوَ مَرْكَزُ الْخِلَافِ وَأَصْلُ الْمَشْكِلَةِ وَنَوَاطِئِ التَّفَرُّقِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ!

وَلِذَلِكَ اعْتَبَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كُلَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي شِقَاقِ
وَوَصَمَهُم بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ. إِذْ إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ وَاضِحٌ يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَطِيعُ فِيهِ
حُجَجَ اللَّهِ فَقَطْ، وَلَا يَحْتَاجُ مِنْهُمْ إِلَى أَنْ يَوْضِّحُوا مَرَامِيهِ مُجَدِّدًا أَوْ يَتَجَادَلُوا
فِيهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَهُمُ الْبَلَاءُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل
عمران: ١٩].

وَقَالَ تَعَالَى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ
بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦].

ذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ الْكِتَابَ لِإِزَالَةِ الْاِخْتِلَافِ:

﴿... فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

إِذَنْ . . . فَالْغَايَةُ مِنْ أَنْزَالِ الْكِتَابِ هِيَ لِإِزَالَةِ الْاِخْتِلَافِ، وَهَذَا تَكْمُنُ حُجَّةُ اللَّهِ
عَلَى الْخَلْقِ، لِأَنَّهُمْ حَيْثُ يَخْتَلِفُونَ فَإِنَّ السَّبَبَ لَيْسَ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي
الْخَلْقِ قِطْعًا وَالْعِلَّةُ فِيهِمْ لَا فِي النَّصِّ!

وَإِذَا كَانَتْ الْإِمَامَةُ بِالشُّورَى فَالْاِخْتِلَافُ وَاقِعٌ حَتْمًا. . . وَالطَّرِيقُ الْوَحِيدُ
لِعَدَمِ الْاِخْتِلَافِ هُوَ اسْتِمْرَارُ وَجُودِ حَامِلِ لِلْكِتَابِ.

وَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّهُمْ إِذَا عَيَّنَ اللَّهُ لَهُمْ لَنْ يَخْتَلِفُوا!، بَلْ سَيَخْتَلِفُونَ فِي كُلِّ
الْأَحْوَالِ، إِذْ كَيْفَ وَعَدَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِبْلِيسَ الْمَلْعُونُ أَنْ يَمْلَأَ جَهَنَّمَ مِنْهُ وَمَنْ
أَتْبَاعِهِ؟.

لَكِنَّ الْفَرْقَ هُوَ فِي بَقَاءِ الْحُجَّةِ لِلَّهِ بِحَيْثُ إِنَّ الدَّخَلَ إِلَى النَّارِ يَدْخُلُ بِحَقِّ
وَالدَّخَلَ إِلَى الْجَنَّةِ يَدْخُلُ بِحَقِّ لَوْضُوحِ أَمْرِ الدِّينِ. . . بَيْنَمَا غِيَابُ الْحَامِلِ لِعَلَمِ
الْكِتَابِ يُلْغِي هَذَا الْاِخْتِلَافَ وَيَصْبِحُ الْاِخْتِلَافُ مَبْرَرًا. وَبِمَعْنَى آخَرٍ إِنَّ وَجُودَ
الْإِمَامِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ هُوَ الْحُجَّةُ الْكُبْرَى عَلَى وَجُودِ اللَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ شَكَّ فِي
وَجُودِهِ فَقَدْ كَفَرَ، لِأَنَّهُ بِهَذَا الشَّكِّ يُلْغِي عَدْلَ اللَّهِ وَالْمَعَادَ وَصَحَّةَ الْحِسَابِ.

فَالْغَايَةُ مِنَ الْإِمَامِ لَيْسَتْ إِزَالَةُ الْاِخْتِلَافِ عَمَلِيًّا، بَلْ إِسْقَاطُ مَبْرَرَاتِ
الْاِخْتِلَافِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ حُرٌّ الْاِخْتِيَارِ، وَالْحُرِّيَّةُ بَاقِيَةٌ وَبِهَا يَتَمُّ الْحِسَابُ.

إِنَّ الْفَارِقَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ هُوَ هَذَا الْخَطُّ الدَّقِيقُ جِدًّا. . . إِنَّهُ الصَّرَاطُ
الْمُسْتَقِيمُ الْعَابِرُ عَلَى جَهَنَّمَ. فَهُوَ كَمَا وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ
وَأَحَدٌ مِنَ السِّيفِ»، فَلَا يَثْبُتُ عَلَيْهِ إِلَّا مُؤْمِنٌ حَقِيقِي، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ
أَخِيرًا!.

إِذْ لَيْسَ الْمَطْلُوبُ بِنَاءَ دَوْلَةٍ وَتَشْيِيدَ عِمَارَاتٍ وَقُصُورٍ!.

لَيْسَ الْمَطْلُوبُ هُوَ الْكَيَانُ السِّيَاسِيُّ لِلدِّينِ، بَلْ الْكَيَانُ الْعَقَائِدِيُّ.

فَإِذَا افْتَرَضْنَا أَنَّ الْخَلْقَ أَطَاعُوا اللَّهَ فِي هَذَا. . . فَالْكَيَانُ السِّيَاسِيُّ يَتَحَقَّقُ
تَلَقُّائًا كَأَفْضَلِ مَا يَكُونُ. . . ، وَهَذَا هُوَ جَوْهَرُ مَا انطوى عَلَيْهِ الْوَعْدُ الْإِلَهِيُّ.

وَالْكَاتِبُ الْكَاذِبُ لَمْ يَأْتِ بِآيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كِتَابِهِ بِأَجْزَائِهِ الثَّلَاثَةِ!

فَهُوَ يَخَافُ الْقُرْآنَ خَوْفَهُ مِنَ الْإِمَامِ نَفْسِهِ لِأَنَّهُمَا قَرِينَانِ لَا يَفْتَرِقَانِ . وَكُلُّ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ أَقْوَالُ الرِّجَالِ الشَّيْعَةِ وَتَفْسِيرُهُمْ وَمُبَرَّرَاتُهُمْ لِلْإِمَامَةِ .

الْإِمَامَةُ لَا تَثْبِتُ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ لَوْجُودَ جَمَاعَاتٍ آمَنُوا بِهَا وَاسْمُهُمُ الْفُقَهَاءُ أَوْ الْمُتَكَلِّمُونَ الشَّيْعَةُ ! بَلْ هِيَ ثَابِتَةٌ ، لِأَنَّهَا حَقٌّ . وَالْحَقُّ لَا يُعْرَفُ بِالرِّجَالِ ، بَلْ يُعْرَفُ بِنَفْسِهِ .

فَهَذَا الْكَاتِبُ الْكَاذِبُ يَأْتِي بِأَقْوَالِ الرِّجَالِ وَاخْتِلَافَاتِهِمْ وَكَأَنَّهُ يَطْلُبُ مَذْهَبًا لَا اخْتِلَافَ فِيهِ !

فَلِمَاذَا لَا تَدْخُلُ إِذْنُ مَذْهَبِ عَبْدِ الْبَقَرِ !

فَإِنَّ الْخِلَافَاتِ بَيْنَهُمْ أَقَلُّ بِكَثِيرٍ مِمَّا هِيَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ مَذَاهِبِ الشَّيْعَةِ ! .
أَنْتَ تَتَّبِعُ الرِّجَالَ وَلَا عَقْلَ لَكَ أَمْ أَنَّكَ تَبْحَثُ عَنِ الْحَقِّ مُجَرَّدًا عَنِ الْأَسْمَاءِ ؟

فَمَا عِلَاقَةُ أَقْوَالِ الرِّجَالِ بِأَصْلِ الْمُبْحَثِ مَهْمَا كَثُرُوا وَمَهْمَا اخْتَلَفُوا ؟ أَمْ أَنَّكَ تَحْسِبُ أَنَّ مَعْنَى الدِّينِ وَالْإِمَامَةِ عِنْدَ الشَّيْعَةِ هُوَ « آرَاءُ رِجَالِ الشَّيْعَةِ » ؟

أَنْتَ وَاهِمٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِمَا فِي ذَلِكَ الْأَسْمَاءِ وَاسْمِ الشَّيْعَةِ !

فَالشَّيْعَةُ عِنْدَ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ لَيْسَتْ الطَّائِفَةُ الشَّيْعِيَّةُ وَلَا طَوَائِفُ الشَّيْعَةِ أَيُّهَا الْأَفَاكُ الَّذِي يَحَرِّفُ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ !

كَيْفَ ؟ ! وَفِيهِمْ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ كَافِرٍ وَمُشْرِكٍ يُخْرَجُونَ مِنَ الْكُوفَةِ وَحَدَهَا لِيَقَاتِلُوا الْمَهْدِيَّ الْمُتَنْظَرُ حَسَبَ مَا ذَكَرَ الصَّادِقُ ﷺ !

كَيْفَ ؟ ! وَهُوَ يَقُولُ لَا بُدَّ « أَنْ يَتَمَيَّزَ الشَّيْعَةُ وَيُقَرَّبَلُوا وَيُخْرَجُ مِنَ الْغُرَبَالِ خَلْقٌ كَثِيرٌ » ^(١) !

(١) النصوص من بشارة الإسلام / باب ما ذكر عن الصادق ﷺ .

كيف؟! وَهُوَ يَقُولُ «لَا بُدَّ مِنْ اخْتِلَافِ الشَّيْعَةِ حَتَّى يَكْفُرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
وَيَتَنَفَّلَ بَعْضُهُمْ فِي وَجْهِ بَعْضٍ»^(١)!

كيف؟! وَهُوَ يُؤَكِّدُ عَلَى خُرُوجِ عَصَائِبِ مِنْهُمْ عِنْدَ اللِّقَاءِ بِالسَّفِيَانِي فَيَكُونُونَ
فِي جَيْشِ السَّفِيَانِي!

كيف؟! وَالْإِمَامُ الرِّضَا عليه السلام يَقُولُ:

«لَيْسَ كُلُّ مَنْ قَالَ بَوْلَايِنَا مُؤْمِنًا وَلَكِنَّهُمْ جَعَلُوا أُنْسًا لِلْمُؤْمِنِينَ»^(٢).
إِسْمُ الشَّيْعَةِ هُوَ الْإِسْمُ الَّذِي أَطْلَقَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَيْعَةِ عَلِيٍّ وَسَمَّاهُمْ
«الْفَائِزُونَ» حَتَّى زَعَمَ ابْنُ حَجَرٍ بَعْدَ اعْتِرَافِهِ بِالْحَدِيثِ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهِمْ أَهْلُ
السَّنَةِ!!؟

وَعَدَدُهُمْ «سَبْعُونَ أَلْفًا» فَقَطْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

فَإِنَّ الْإِمَامَ الْمُعْصُومَ عليه السلام مَنُوطٌ بِقَاوُهِ بِرَجُلٍ وَاحِدٍ فَقَطْ أَوْ إِمْرَأَةً وَاحِدَةً
فَقَطْ!

وَأِنَّ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ مَنُوطٌ بِقَاوِهِ بِبِقَاءِ الْإِمَامِ الْمُعْصُومِ!

فَهَلْ تَفْهَمُ هَذَا الْكَلَامَ؟ لَا وَاللَّهِ لَا أَرَاكَ تَفْهَمُ!

وَمَنْ يَدْرِي لَعَلَّكَ إِذَا فَهِمْتَ وَقَدَحْتَ فِي عَقْلِكَ قَذْحَةً أَرَادَهَا اللَّهُ هَذَاكَ بِهَا
وَانْقَلَبْتَ وَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُكَ فَإِنَّ لِلَّهِ فِي خَلْقِهِ شُؤْنًا عَجِيبَةً.

يَا هَذَا إِنَّ أَمْرَكَ الْعَجِيبَ يَذْكُرُنِي بِالَّذِينَ قَاتَلُوا عَلِيًّا عليه السلام فِي الْجَمَلِ
وَصَفَيْنَ. فَإِذَا كُنْتَ تَبْحَثُ عَنِ الْحَقِّ فَإِنَّكَ لَنْ تَجِدَ الْحَقَّ عِنْدَ الرِّجَالِ، وَلَا

(١) النصوص من بشارة الإسلام/ باب ما ذكر عن الصادق عليه السلام.

(٢) النصوص من بشارة الإسلام/ باب ما ذكر عن الصادق عليه السلام.

تَنْفَعُكَ الْأَسْمَاءُ شَيْئاً قَطُّ . . . وَلَا يَفِيدُكَ الشَّيْخُ الْمَفِيدُ وَلَا غَيْرُهُ، بَلْ لَا يَنْفَعُكَ
حَتَّى النَّبِيِّ ﷺ نَفْسَهُ! .

أَتَدْرِي لِمَاذَا؟

لَأَنَّ الْحَقَّ يُعْرَفُ قَبْلَ الْأَسْمَاءِ وَيُحَدَّدُ بِغَيْرِ عُنْوَانٍ، ثُمَّ يَحْكُمُ الْمَرْءُ بِمَا عَرَفَ
مِنَ الْحَقِّ! لَأَنَّ الْحَقَّ بَيِّنٌ بِذَاتِهِ .

وَالْجَمِيعُ قَلَبُوا هَذِهِ الْمَعَادِلَةَ، وَالْجَمِيعُ ضَلُّوا بِهَا إِلَّا مَنْ عَصِمَ اللَّهُ وَقَلِيلٌ مَّا
هُم .

أَنْتَ تُوْحِي لِلشَّيْعَةِ أَنَّ رِجَالَكُمْ اخْتَلَفُوا وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَتْرَكُوا الْقَوْلَ بِالْإِمَامَةِ
وَالْوَصِيَّةِ وَتَنْتَقِلُوا إِلَى الْقَوْلِ بِالشُّورَى!
فَهَلْ أَنْتَ نَاصِحٌ لَهُمْ وَبِهِمْ شَفِيقٌ؟

فَإِذَا كُنْتَ نَاصِحاً شَفِيقاً فَعَلَيْكَ أَنْ تَوَلَّفَ لَهُمْ كِتَاباً آخَرَ تُبَيِّنُ فِيهِ اخْتِلَافَ أَهْلِ
الشُّورَى إِلَى مَعْتَزَلَةٍ وَقَدْرِيَّةٍ وَمَرْجُئَةٍ وَأَشْعَرِيَّةٍ وَلَيْثِيَّةٍ وَعُثْمَانِيَّةٍ وَبَكْرِيَّةٍ وَعُمَرِيَّةٍ
وَحَنْبَلِيَّةٍ وَشَافِعِيَّةٍ وَظَاهِرِيَّةٍ وَعَبَّاسِيَّةٍ وَأُمَوِيَّةٍ وَمَالِكِيَّةٍ وَصُوفِيَّةٍ وَكُرْمَانِيَّةٍ وَمَاوَرِدِيَّةٍ
وَطَبْرِيَّةٍ . . . ، إِلَى آخِرِ الْقَائِمَةِ الْبَالِغَةِ أَرْبَعِينَ إِسْمَاءً .

فَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ إِذَا كَانَ الْمَرْءُ عَبْدًا لَا حُرًّا، وَمَغْشِيًّا عَلَيْهِ لَا وَاعِيًّا، وَغَيْبًا
لَا زَكِيًّا، وَمَتَعَالِمًا كَسُولًا لَا عَالِمًا نَشِيطًا، وَمَتَوَاكِلًا لَا مَتَوَكِّلًا، وَلَيْسَتْ لَهُ
طَرِيقَةٌ فَذَّةٌ لِلْاخْتِيَارِ بَيْنَ أَهْلِ الشُّورَى وَأَهْلِ الْوَصِيَّةِ، فَإِنَّهُ يَخْتَارُ وَهُوَ بِكُلِّ هَذِهِ
الْصِّفَاتِ وَاللَّامِبَالَةِ طَرِيقَتَكَ الَّتِي تَقُومُ عَلَى مِلَاحِظَةِ عَدَدِ الْإِتْجَاهَاتِ
وَالْإِنْقِسَامَاتِ، وَسَوْفَ يَجِدُ أَنَّ اخْتِيَارَ الْوَصِيَّةِ أَفْضَلُ، لِأَنَّهُمْ انْقَسَمُوا إِلَى عَدَدٍ
أَقَلِّ مِنْ عَدَدِ مَذَاهِبِ أَهْلِ الشُّورَى، وَمَجْمُوعُهُمْ أَقَلُّ عِدداً مِنْ أَوْلِيَّكَ، لِأَنَّ
الْكَثْرَةَ فِي الْقُرْآنِ مِرَافَقَةٌ لِلْخَبِيثِ دَوْمًا، وَالْقِلَّةُ صِفَةٌ لِلطَّيِّبِ . وَكَذَلِكَ هِيَ فِي
الطَّبِيعَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ وَالْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَعَادِنِ الشَّرِيفَةِ النَّادِرَةِ عِلَاقَةٍ

عَلَى الْإِحْتِيَاظِ . . . فَالْقَوْلُ بِإِتِّبَاعِ إِمَامٍ «قِيلَ» إِنَّهُ مُنْصَّبٌ مِنْ اللَّهِ وَلَوْ عَلَى الظَّنِّ
أَحْوَظُ مِنْ إِتِّبَاعِ إِمَامٍ هَرَوَلَ إِلَى السَّقِيفَةِ، وَتَرَكَ جَسَدَ النَّبِيِّ ﷺ بَلَا دَفْنٍ!، وَلَمْ
يَقُلْ فِيهِ أَحَدٌ إِنَّهُ وَصِيٌّ أَوْ مُنْصَّبٌ. وَإِتِّبَاعُ اثْنَيْ عَشَرَ مُتَّفَقِينَ فِي الْقَوْلِ خَيْرٌ مِنْ
إِتِّبَاعِ ثَلَاثَةٍ مُخْتَلِفِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَأَرْبَعَةٌ فَقَهَاءُ وَثَلَاثَةٌ عَشْرُ فِرْقَةٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ
وَسِتَّةٌ عَشْرٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ . . . ، وَإِتِّبَاعُ مَنْ يَسْرِي فِي أَجْسَادِهِمْ شَيْءٌ مِنْ رَائِحَةٍ
صَاحِبِ الرِّسَالَةِ خَيْرٌ مِنْ إِتِّبَاعِ عَدِيٍّ وَتِيمٍ وَهِيَ مَبْذُودَةٌ عِنْدَ قَرِيشٍ، وَإِتِّبَاعُ إِمَامٍ
بَطَلٍ خَيْرٌ مِنْ إِتِّبَاعِ إِمَامٍ جَبَانٍ وَرَعْدِيدٍ قَالَ عَنْهُ الْمُؤَرِّخُونَ بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ فِي
خَيْرٍ «فَرَجَعَ يَجِبُنْ أَصْحَابُهُ وَيَجِبُنُونَهُ»، وَإِتِّبَاعُ إِمَامٍ عَلِيمٍ خَيْرٌ مِنْ إِتِّبَاعِ إِمَامٍ
جَاهِلٍ أَقْرَأَنَّ رِيَائِ الْحِجَالِ وَالْعَجَائِزِ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَإِتِّبَاعُ إِمَامٍ أَبِي أُمَّةٍ خَيْرٌ مِنْ
إِتِّبَاعِ إِمَامٍ أَبْتَرٍ وَإِمَامٍ ابْتَرٍ وَإِمَامٍ ثَالِثٍ ابْتَرٍ، وَإِتِّبَاعُ إِمَامٍ مَنْطِقِيٍّ خَيْرٌ مِنْ إِتِّبَاعِ إِمَامٍ
عَمِيٍّ، وَإِتِّبَاعُ إِمَامٍ ذِي حَيَاءٍ خَيْرٌ مِنْ إِتِّبَاعِ إِمَامٍ جَاسُوسٍ كَانَ جَاسُوساً لِقَرِيشٍ
عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَبَقِيَتْ الْوُظَيْفَةُ وَحُبُّهَا فِي نَفْسِهِ حَتَّى كَانَ يَتَسَوَّرُ عَلَى الدُّوْرِ
وَيَهْتِكُ السُّتُورَ، وَقَدْ أَفْحَمَهُ شَارِبُ الْخَمْرِ حَيْثُ قَالَ لَهُ: «يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَشْرَبُ
الْخَمْرَ؟»، فَقَالَ السُّكْرَانُ: «أَنْتَ يَا عَمْرُو اللَّهِ، أَنَا فَعَلْتُ وَاحِدَةً وَأَنْتَ
فَعَلْتَ ثَلَاثَةً: فَقَدْ تَسَوَّرْتَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا!، وَتَجَسَّسْتَ
وَقَدْ قَالَ اللَّهُ وَلَا تَجَسَّسُوا، وَدَخَلْتَ وَتَكَلَّمْتَ بِغَيْرِ سَلَامٍ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فَسَلِّمُوا
عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَقَالَ عَمْرُو: «اكْتُمْ عَلَيَّ أَكْتُمْ عَلَيْكَ»!!

يَا لِلزَّمَانِ الَّذِي جَعَلَنَا نَقَارَنَ بَيْنَ اخْتِيَارِ عَلِيِّ الْوَصِيِّ وَعَمْرِ الشُّوْرَى!

فَإِنَّ عَمْرَ الشُّوْرَى لَا يُقَارَنُ أَضْلاً بِهَذَا «السُّكْرَانِ الْفَقِيهِ»!!

لَا وَاللَّهِ وَلَا يَسَاوِي نَعْلِيهِ، فَإِنَّهُ أَضَرَّ نَفْسَهُ وَحَفِظَ أَخْلَاقاً مِنْ كِتَابِ رَبِّهِ . . .
فَكَيْفَ يُقَارَنُ بِمَنْ أَفْسَدَ الْعَالَمَ وَمَنَعَ رَحْمَةَ اللَّهِ مِنَ الدَّوَامِ^(١)؟.

(١) مع الاعتذار للشيخ رضا الهندي الذي رفض مساواته بنعلي قبر.

أَيُّ نَصِيحَةٍ هَامَّةٍ قَدَّمَتْهَا أَيُّهَا «الكَاتِبُ» للمسلمين؟

بِاللهِ عَلَيْكَ لَوْ كَانَتْ لَدَيْكَ وَدِيعَةٌ مِنْ مَالٍ وَأَرَدْتَ أَنْ تودِعَهَا عِنْدَ أَحَدِ رَجُلَيْنِ: أَمَّا عُمرُ وَأَمَّا هَذَا السَّكَرَانُ فَمَنْ الَّذِي تَخْتَارُ؟

لَا وَاللهِ مَا أَرَاكَ تَخْتَارُ إِلَّا السَّكَرَانَ، لِأَنَّهُ كَمَا يَبْدُو يَسْكُرُ وَلَا يَفْجُرُ، وَيَشْرَبُ وَلَا يَغْدُرُ!

فَلِمَاذَا تَخْدَعُ الْمُسْلِمِينَ وَتَقُولُ لَهُمْ اخْتَارُوا سُورَى عُمرَ عَلَى وَصِيَّةِ عَلِيٍّ أَمْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَكَ أَرْخَضَ مِنْ مَالِكَ الْخَاصَّ؟! ..

ثُمَّ تَكْذِبُ عَلَيْهِمْ كَذِبَتَكَ الْكُبْرَى فَتَقُولُ إِنَّ عَلِيًّا كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِالْوَصِيَّةِ وَيُؤْمِنُ بِالسُّورَى!!

ز - وَمِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنِّي لَمْ أَرِدْ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطْ.

نهج البلاغة الخطبة/ ١٩٥

أَقُولُ: هَذِهِ الْعِبَارَةُ تَفِيدُ غِيَابَ الْحُكْمِ الْعَقْلِيِّ الذَّاتِيِّ مُقَابِلَ الْحُكْمِ الْإِلَهِيِّ. وَكُلُّ الْخَلْقِ يَرُدُّونَ عَلَى اللَّهِ، إِمَّا جَهْلًا وَهُمْ بِهِذَا يَكُونُونَ عَصَاةً أَوْ عَمْدًا فَيَكُونُونَ كُفْرًا وَمَشْرِكِينَ. وَعَدَمُ الرَّدِّ هُوَ أَمْرٌ خَاصٌّ وَصِفَةٌ خَاصَّةٌ لَا يُؤْتَاهَا كُلُّ أَحَدٍ. فَمَنْ أُوتِيَ ذَلِكَ كَانَ فِي مَقَامِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَلَا يَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا الْخَوَاصُّ، وَلِهَذَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ» إِشَارَةً إِلَى آيَةِ «بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ» وَهُمْ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ بِأَسْمَاءٍ، وَبِلَا رَجَالٍ ثُمَّ يَعْلَمُونَ مَنْ مِنَ الرِّجَالِ عَلَى الْحَقِّ بِمَا فِي ذَلِكَ يَعْرِفُونَ أَنْفُسَهُمْ. . . فَإِذَا جَهِلَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ جَهِلَ رَبَّهُ. وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ». وَالْعِبَارَةُ تُشِيرُ إِلَى الْعِصْمَةِ. وَلِذَلِكَ احْتَجَّ بِهَا فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «عَلَيَّ مِنْ كُنْفَسِي بَلْ هُوَ نَفْسِي» ..

فَالكَاتِبُ الْكَاذِبُ سَيَقُولُ: هَذَا الْحَدِيثُ ضَعِيفٌ!

نعم .. صحيحُ فَإِنَّهُ ضَعِيفٌ جِدًّا، وَكُلُّ الْأَحَادِيثِ ضَعِيفَةٌ جِدًّا ..!!

فيا له من أحمقٍ إذن! كُلَّمَا تَصَفَّعُهُ يَعِيدُ الْخَطَأَ نَفْسَهُ .. أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَكَلِّمَنِي بِالرِّجَالِ فَإِنِّي لَا أَحْتِجُّ بِالرِّجَالِ! .. وَالَّذِي يَحْتِجُّ بِالرِّجَالِ ضَالٌّ مُضِلٌّ .. أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ الشَّيْعَةَ هُمُ الْأَصُولِيُّونَ؟ ..

أَلَا تَدْرِي أَنَّ سَهْمَكَ قَدْ عَادَ إِلَى نَحْرِكَ؟ .. ذَلِكَ لِأَنَّ عِلْمَ الرِّجَالِ وَالْحُكْمَ عَلَى النُّصُوصِ مِنْ خِلَالِهِ لَيْسَ مِنْ أَعْمَالِ شَيْعَةِ عَلِيٍّ! .. بَلْ هُوَ مِنْ أَفْكَارِ وَأَعْمَالِ أَهْلِ الشُّورَى! وَانْتِقَالُهُ إِلَى الطَّائِفَةِ الَّتِي تَسْمَى اصْطِلَاحًا بِـ «الشَّيْعَةِ» لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِالْمَوْضُوعِ الَّذِي بَيْنَنَا الْآنَ، وَالْأَفْلَمَازَا أَنَا مُسْرُورٌ بِشَتْمِكَ فِي كُلِّ صَفْحَةٍ؟ .. لِأَنِّي أَفْرَأُكَ مِنَ الدَّاخِلِ وَأَعْرِفُ جِدًّا كَيْفَ تُفَكِّرُ وَلِمَازَا وَمَازَا تُرِيدُ!! فَدَعْ عَنْكَ هَذَا كُلَّهُ .. إِذْ لَوْ بَقِيَ وَاحِدٌ فَقَطْ مِنْ شَيْعَةِ عَلِيٍّ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ حُجَّةً عَلَيْكَ وَعَلَى كُلِّ أَهْلِ الْأَرْضِ.

أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ قَدْ أَهْلَكَ الْقُرَى حَيْثُ آمَنَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فَقَطْ حَيْثُ أَهْلَكَ الْقَرْيَةَ الَّتِي جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ فَلَمْ يَوْمِنْ سِوَى «رَجُلٍ جَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى»؟، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوِرُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠].

فَلِلْمَرْءِ أَنْ يَقُولَ لَكَ: «إِنَّ مَا تَسْتَشْهَدُ بِهِ مِنْ أَحَادِيثٍ هِيَ كَاذِبَةٌ أَوْ مُتَحَلَّةٌ أَيْضًا»! ..

إِنَّ الْعُقَايِدَ لَا تَتَّبُتُ بِأَقْوَالٍ وَأَحَادِيثَ تَبْعًا لَوثَاقَةِ الرِّجَالِ أَوْ عَدَمِ وَثَاقَتِهِمْ، لِأَنَّ الرِّجَالَ يَخْتَلِفُونَ أَيْضًا فِي هَذِهِ الْوُثَاقَةِ! ..

إِنَّ الْعَمَلَ لَهُوَ بِالْمَعكُوسِ أَيُّهَا الْخَلْقُ الْمُنكُوسُ حَتَّى لَوْ تَبَنَّى طَرِيقَتَكَ كُلُّ مَنْ تَسْمِيهِمْ شِيعَةً فَلَا حُجَّةَ فِي ذَلِكَ .

فَمَا أَذْرَاكَ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُ طَائِفَةِ الشَّيْعَةِ عَلَى ضَلَالٍ فِي هَذَا وَمَعَ ذَلِكَ تَبْقَى الْإِمَامَةُ هِيَ الدِّينُ؟! .

وَهَلْ تَفْهَمُ هَذَا الْكَلَامَ؟

أَشُكُّ أَنَّكَ سَتَفْهَمُ!

فَلَوْ فَهِمْتَ الْأُمَّةَ جُمْلَةً وَاحِدَةً قَالَهَا عَلِيٌّ عليه السلام يَوْمَ الْجَمَلِ لَمَا اخْتَلَفُوا لَوْ أَرَادُوا مَعْرِفَةَ الْحَقِّ بِإِخْلَاصٍ . فَقَدْ قَالَ كَلِمَةً هِيَ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ مَا قَالَهُ الْخَلْقُ مُجْتَمِعِينَ مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مَا عَدَا أَقْوَالِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَأَوْلِيائِهِ . . قَالَ مُخَاطَبًا أَحَدَهُمْ:

«وَيْحَكَ إِنَّ الْحَقَّ لَا يُعْرَفُ بِالرُّجَالِ . . إِعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفِ أَهْلَهُ، وَاعْرِفِ الْبَاطِلَ تَعْرِفِ أَهْلَهُ»

وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مَشْهُورَةٌ وَلَكِنَّ الْعَمَلَ الْجَارِيَّ ضِدُّهَا تَمَامًا، وَالْقَانُونُ الْأَصُولِيُّ وَالْكَلامِيُّ عَكْسُهَا وَلَا غَرَابَةَ!! فَكَمْ مِنْ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ مَشْهُورَةٍ وَالْعَمَلُ عَكْسُهَا تَمَامًا؟! .

إِنَّ مَنْ يُثَبِّتِ الْإِمَامَةَ بَعْلِيٍّ وَالْأُئِمَّةَ لَهُوَ كَافِرٌ! وَأَنْتَ تَفْهَمُ وَكُلُّ النَّاسِ يَفْهَمُونَ أَنَّ الْإِمَامَةَ وَالْعِصْمَةَ أُثْبِتَتْ عَنْ طَرِيقِ الْأُئِمَّةِ!! .

لَقَدْ فَهِمَ أَحَدُ الْيَهُودِ هَذَا السِّرَّ الْإِلَهِيَّ، وَأَرَادَ أَنْ يَخْتَبِرَ دِينَ الْإِسْلَامِ فِي هَذَا، وَكَانَتْ تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ أَنَّ مُحَمَّدًا لَوْ صَدَّقَ وَكَذَّبَ بِهِ فَإِنَّهُ سَيَكْفُرُ فَلَمْ يَطْلُبْ مُعْجِزَةً وَلَا أَرَادَ آيَةً سَمَاقِيَّةً وَلَا قَالَ أَيْنَ قُرْآنُكُمْ؟ . فَجَاءَ مِنَ الرُّومِ وَلَيْسَ عَنْدَهُ غَيْرُ هَذَا السُّؤَالِ حَيْثُ سَأَلَهُمْ قَائِلًا:

«هَلْ عَرَفْتُمْ رَبِّكُمْ بِمُحَمَّدٍ أَمْ عَرَفْتُمْ مُحَمَّدًا بِرَبِّكُمْ؟» .
لَكِنْ لِسوءِ حَظِّهِ فَقَدْ تَوَجَّهَ بِالسُّؤَالِ أَوَّلًا إِلَى عُمَرَ! . . وَأَنْتَ بِالطَّبَعِ تَعْلَمُ
أَعْلَمِيَّةَ عُمَرَ بِهَذِهِ الْمَسَائِلِ! . . فَرَجَعَ الرَّجُلُ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ لَوْلَا عَلِيٌّ ابْنُ أَبِي
طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي أَجَابَهُ قَائِلًا: «بَلْ عَرَفْنَا مُحَمَّدًا بِرَبِّنَا» .
ذَلِكَ أَنَّ مَنْ يَقُولُ عَرَفْتُ رَبِّي بِمُحَمَّدٍ فَهُوَ كَافِرٌ دَرَى أَمْ لَمْ يَذَرِ بِكُفْرٍ نَفْسِهِ،
وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ عَرَفَ مُحَمَّدًا بِرَبِّهِ .
أَنْتَ الْآنَ تَنَاقِشُ الشَّيْعَةَ بِهَذَا الْمَنْطِقِ الْمَقْلُوبِ وَكَأَنَّ الْإِمَامَةَ ثَبَّتَ بِقَوْلِ
الرُّجَالِ فِي الْأُثْمَةِ! . .

فهذه مصادرة!!

فَمَنْ أَيْنَ يَعْلَمُ الْمَرْءَ وَجَهَ الْحُجَّةِ فِي الرُّجَالِ وَأَقْوَالِهِمْ؟ .
وعليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يُثْبِتُ الْإِمَامَةَ لِنَفْسِهِ بِقَوْلِ نَفْسِهِ! كَيْفَ؟ وَكُلُّ رَجُلٍ بِإِمَكَانِهِ
أَنْ يَقُومَ وَيَقُولَ فِي نَفْسِهِ مَا شَاءَ وَيُسَمِّي نَفْسَهُ إِمَامًا! . وَعَلَى هَذَا يَتَسَاوَى
الْمُدَّعِيَانِ الْحَقِيقِيَّ وَالْمُزَيَّفَ .

فَكَيْفَ تَعْرِفُ الْحَقِيقِيَّ مِنَ الْمُزَيَّفِ إِذَا كُنْتَ تَرْجِعُ لِأَقْوَالِ الرُّجَالِ مَرَّةً
أُخْرَى؟

إِذَا كُنْتَ لَا تَعْلَمُ أَنَّ عِلْمَ الرُّجَالِ وَضِعَ أَضْلًا لَجَعَلَ الْمُزَيَّفَ عَلَى قَدَمِ
الْمَسَاوَةِ مَعَ الْحَقِيقِيَّ فَاعْلَمْ هَذَا الْآنَ! .

وَإِذَا كُنْتَ تَبْحَثُ عَنِ الْحَقِّ بِمَا هُوَ حَقٌّ فَمَا شَأْنُكَ بِمَا يَقُولُهُ النَّاسُ قُلُوبًا أَوْ
كَثْرًا؟ بَلْ أَعْرِفُ الْحَقَّ أَوَّلًا، وَعِنْدُنَا سَتَعْلَمُ مَوْقِعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ مِنَ
الْحَقِّ .

أَلَا تَرَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَيْفَ يُثْبِتُ إِمَامَةَ نَفْسِهِ بِعِلْمٍ غَيْرِهِ؟ فَيَقُولُ: «عَلِمَ
الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ أَنِّي لَمْ أَرُدْ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ سَاعَةً؟»

والاحتجاجُ المُكتمِلُ من جهةٍ أنَّ غيرَ المُستحفظِ يَعْلَمُ يَقِيناً مَنْ هُوَ المستحفظُ.. فإذا شكَّ في وجودِ مستحفظٍ رَجَعَ الشكُّ إلى «مُحَمَّدٍ» نَفْسِهِ فَيَكْفُرُ الشاكُّ ويسقطُ الكلامُ عَنِ الإمامَةِ بِرَمْيِهِ، وينتقلُ الشكُّ إلى الله. وَلَمَّا كَانَ اللهُ لَا شَكَّ فِيهِ: «أَفِي اللهُ شَكٌّ؟».. والجوابُ: «لَا شَكَّ فِيهِ مُطْلَقاً»، رَجَعَ الحديثُ إلى «مُحَمَّدٍ». فَهُوَ يَدُورُ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ مَنْ بَلَغَ رِسَالَتِهِ، وَلَا يَخْرُجُ عَنْ هَذَا الْحِيزِ قَط. قَالَ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. وَأَنْتِ الْآنَ تَرُدُّ الْمَنَازَعَةَ إِلَى الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْبَاحِثِينَ فِي الْإِمَامَةِ وَتَعْصِي أَمْرَ اللهِ تَعَالَى، وَلَا تَسْتَشْهِدُ بِالْقُرْآنِ وَلَا بِقَوْلِ الرَّسُولِ!

ثُمَّ تَكْذِبُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَتَقُولُ هُوَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِالشُّورَى!
ح - وَمِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قَوَّ اللهُ مَا أَذْرِي إِلَى مَنْ أَشْكُو فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ الْأَنْصَارُ ظَلِمَتْ حَقَّهَا وَأَمَّا أَنْ يَكُونُوا ظَلَمُونِي حَقِّي بَلْ حَقِّي الْمَأْخُودُ وَأَنَا الْمَظْلُومُ فَقَالَ قَائِلٌ: الْأَيْمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ فَدَفَعُوا الْأَنْصَارَ عَنْ دَعْوَتِهَا وَمَنَعُونِي حَقِّي مِنْهَا.

مستدرک النهج / ج ٥ / ٢٠١

وَاضِحٌ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُوَكِّدُ عَلَى مَفْرَدَةِ «حَقِّي» فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعٍ، وَيَشِيرُ إِلَى الظُّلْمِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعٍ أُخْرَى.

وَلَوْ كَانَ هَذَا الْحَقُّ مُشْتَرَكاً كَمَا يَزْعُمُ هَذَا الْأَفَّاكُ لَمَا جَازَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُسَمِّيَهُ حَقَّهُ وَحَدَّهُ، وَلَا جَازَ لَهُ أَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ مَظْلُومٌ، وَلَا جَازَ لَهُ الشُّكْوَى. وَلَوْ قَالَ هَذَا الْقَوْلُ أَيُّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَوَجَدْنَا أَنَّهُمْ لَا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ وَلَا يُبْطِلُونَ حُجَّتَهُ عَلَيْنَا أَنَّهُ هُوَ الْإِمَامُ الْمَعْصُومُ الْمَنْصُوصُ عَلَيْهِ، سِوَاهُ أَكَانَ الْقَائِلُ اسْمُهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَوْ زَيْدٌ بْنُ مَالِكٍ أَوْ أَيُّ إِسْمٍ آخِرٍ!

إِنَّمَا علا عَلِيٍّ فِي أَنْفُسِنَا بِالْإِسْلَامِ، وَفَاقَ الْخَلْقَ بِمُحَمَّدٍ وَكَانَ عَلِيًّا بِالْوَصِيَّةِ
وَالنَّصْرِ، وَلَيْسَ كَمَا يَفْهَمُ هَذَا الْكَاتِبُ أَنَّنَا أَكْرَمْنَا عَلِيًّا بِالْوَصِيَّةِ. فَتَحْنُ لَا نَعْبُدُ
الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ كَمَا يَفْعَلُ سِوَانَا مِنَ الْمَذَاهِبِ، إِذْ عَبْدُوهُمْ بَعْدَمَا رَأَوْا
الْآيَاتِ وَتَبَيَّنَتِ الْبَيِّنَاتِ وَظَهَرَ مِنْهُمْ الْجَوْرُ وَالظُّلْمُ بِمَا مَلَأَ الْخَافِقِينَ وَسَارَتْ بِهِ
الرُّكْبَانُ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى طَوَالِ الزَّمَانِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ.

ط - وَمِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ :

فَمَضَى ﷺ لِسَبِيلِهِ وَتَرَكَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ إِمَامِينَ لَا يَخْتَلِفَانِ، وَأَخَوَيْنِ
لَا يَتَخَاذِلَانِ، وَمُجْتَمِعَيْنِ لَا يَفْتَرِقَانِ.

المختار من الكتب - المستدرک ج ٥ / ٢٠٠

النَّصْرُ وَاضِحٌ وَلَمْ يَأْتِ بِهِ الْكَاتِبُ النَّاصِبُ وَلَا بَغْيُهُ مِنَ النُّصُوصِ. وَهِيَ
نُصُوصٌ مَعْدُودَةٌ بِالْمَنَاتِ حَيْثُ ادَّعَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ لَمْ يَذْكُرْ شَيْئًا عَنِ
الْإِمَامَةِ الْخَاصَّةِ بِهِ وَبِذَرِّيَّتِهِ، وَإِنَّهَا مِنْ تَرْتِيبِ مُتَكَلِّمِي الشَّيْعَةِ فِيمَا بَعْدَ.

فَمَاذَا تَقُولُ بِحَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَبِالْكِتَابِ الَّذِي أَرَادَ كِتَابَتَهُ يَوْمَ
رَحِيلِهِ فَمَنَعَهُ الْمُنَافِقُونَ بِقِيَادَةِ عُمَرَ، وَطَرَدَهُمُ ﷺ مِنَ الدَّارِ بَعْدَ أَنْ صَبَّ
عَلَيْهِمْ لَعْنَاتٍ مُتَوَاصِلَةً حَيْثُ لَمْ يَخْرُجُوا فِي جَيْشِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ؟!.

أَلَيْسَ هَذَا الْكَلَامُ فِي مَجْرَى ذَلِكَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ الَّذِي أُثْبِتَهُ أَصْحَابُ
الْحَدِيثِ الْمُؤَيَّدِينَ لِلشُّورَى قَبْلَ وَجُودِ شَيْءٍ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ؟.

أَلَا تَرَاهُ يَشِيرُ ﷺ إِلَى اجْتِمَاعِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالْقُرْآنِ وَعَدَمِ افْتِرَاقِهِمَا؟!.
وَهُوَ أَمْرٌ حَجَّتْ قَائِمُهُ الْآنَ!!

وَلَكِنَّكُمْ قَوْمٌ لَا تَفْقَهُونَ.

فَتَعَالَوْا أَفْهَمْكُمْ كَيْفَ أَنَّ حَجَّتْ قَائِمَةُ الْآنَ بِصُورَةٍ عِلْمِيَّةٍ تَجْرِبِيَّةٍ مُحَضَّةٍ
مُعْطِيَاتُهَا هِيَ ذَاتُ مُعْطِيَّاتِ الْعُلُومِ التَّجْرِبِيَّةِ:

أَلَسْتُمْ تُقْرُونَ أَنَّ الرِّسُولَ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ؟

ستقولون: نعم!

أَلَسْتُمْ تُقْرُونَ أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ؟

ستقولون: نعم!

أَلَسْتُمْ تُقْرُونَ أَنَّ تَطْيِيقَ مَا فِيهِ يُؤَدِّي إِلَى هِدَايَةِ الْخَلْقِ وَنَزُولِ الْبَرَكَاتِ وَزَوَالِ
الْأَمْرَاضِ وَطَوِيلِ الْأَعْمَارِ وَانْعِدَامِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ؟

ستقولون: نعم.

أَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّ هَذَا كُلُّهُ لَمْ يَخْصُلْ أَمْ أَنَّهُ حَصَلَ؟

ستقولون: لا لَمْ يَخْصُلْ!

أَلَسْتُمْ تُقْرُونَ أَنَّ عَدَمَ حَصُولِهِ هُوَ بِمَنْعٍ مِنْ اللَّهِ أَوْ هُوَ بِسَبَبِ قِيَادَةِ
الْمُسْلِمِينَ؟

ستقولون: بِسَبَبِ قِيَادَةِ الْمُسْلِمِينَ وَحَاشَا لِلَّهِ أَنْ يَأْمَرَ بِالشَّيْءِ وَيَمْنَعَ مِنْهُ!

أَلَسْتُمْ تُقْرُونَ أَنَّ أُنْتَكُمْ هُمْ قِيَادَةُ الْمُسْلِمِينَ الْأُولَى وَأَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكُمْ فُرْصَةً
أَنْ يَخْكُمَ ثَلَاثَةٌ مِنْكُمْ أَحَدُهُمْ مُؤَسَّسُ الشُّورَى؟

ستقولون: نعم كَانَ ذَلِكَ!

لا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ!!

أَلَسْتُمْ تُقْرُونَ أَنَّكُمْ جِئْتُمْ إِلَى إِمَامِنَا مِثْلَمَا تَلَوْدُ الْعَنْمِ وَتَوَسَّلْتُمْ إِلَيْهِ أَنْ يَتَوَلَّى
الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِمْ؟

ستقولون: نعم كَانَ ذَلِكَ!

أَلَسْتُمْ تُقْرُونَ أَنَّكُمْ خَدَعْتُمُوهُ وَعَصَيْتُمُوهُ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدَ
وَالْمَوَاقِيقَ، وَوَجَّهْتُمْ إِلَيْهِ الْجِيُوشَ مِنْ مِصْرَ وَالشَّامَ وَالْبَصْرَةَ وَالْأَنْبَارَ وَالنَّهْرَوَانَ

وخراسان . . فَكَأَنَّ حَالَهُ بَيْنَكُمْ غَرِيباً مِنْ دُونِ الثَّلَاثَةِ حَتَّى احْتَاجَ إِلَى الْاِحْتِجَاجِ
عَلَيْكُمْ بِطَاعَتِكُمْ لَهُمْ وَعَصِيَانِكُمْ لَهُ؟! سَتَقُولُونَ: نَعَمْ كَانَ ذَلِكَ!

إِذَنْ . . فَالْحُكْمُ لَكُمْ مُنْذُ ذَلِكَ الْعَهْدِ . وَلَا يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ فَسَادُ الْعَالَمِ كُلِّهِ
وَتَفَرُّقُ الْأُمَّةِ وَهَوَانُهَا وَعَدَمُ وَصُولِ هَذِهِ الرَّحْمَةِ إِلَى هَدَفِهَا بِسَبَبِ ثَلَاثِ سِنِينَ
مِنْ تَأْمِيرِ إِمَامِنَا مُقَابِلَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ مِنْ تَأْمِيرِ أُمَمَتِكُمْ؟ . . ثَلَاثِ سِنِينَ
عَصَيْتُمْ وَحَارَبْتُمْ فِيهَا إِمَامَنَا .

فَالْفَسَادُ فِينَا أَمْ فَيْكُمْ؟ وَهَلْ تَرَوْنَ الْآنَ أَنَّ حُصُولَكُمْ عَلَى الْاجْتِمَاعِ
وَالانْتِفَاعِ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ مَعَ غِيَابِ إِمَامِنَا مُحَالٌ أَمْ لَا تَرَوْنَ ذَلِكَ؟

وَإِذَنْ . . فَالْكِتَابُ وَالْعَتَرَةُ لَا يَفْتَرِقَانِ حَقِيقَةً بَرَهَانُهَا الْوَاقِعُ التَّارِيخِيُّ نَفْسُهُ،
إِذْ لَا مَانِعَ مِنْ رَحْمَةِ الْكِتَابِ سِوَى غِيَابِ قَرِينِهِ وَهُوَ الْعَتَرَةُ .

لَا وَاللَّهِ لَا تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَلَا تَشْمُوا رِيحَ الْجَنَّةِ مَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِالْعَتَرَةِ وَلَوْ اِنْحَنَتْ
ظُهُورُكُمْ مِنَ الصَّلَاةِ، وَتَقَطَّعَتْ لِهَوَانِكُمْ مِنَ التَّسْبِيحِ، وَأَرْجُلُكُمْ مِنَ الْمَشْيِ إِلَى
الْحَجِّ، وَأَنْفَقْتُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَمَلَأَ الْأَرْضَ ذَهَباً . . . لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْبَرُ مِنْ
أَنْ يَصِفَهُ الْوَاصِفُونَ، وَهُوَ تَعَالَى يُغْرِبُ الْخَلْقَ وَيَكْشِفُ عَنْ نَوَايَاهُمْ بِأَمْرٍ
عَجِيبَةٍ، لِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَعْبُدَهُ الْخَلْقُ مِنْ حَيْثُ هُوَ يُرِيدُ لَا مِنْ حَيْثُ هُمْ يَرِيدُونَ! .

إِذَنْ سَتَنْقَلِبُ الْمَعَادِلُ، وَتَسْقُطُ الْعِبَادَةُ، وَلِذَلِكَ قَرَنَ عِلْمَ الْكِتَابِ وَظُهُورَ
الرَّحْمَةِ بِهِؤَلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِي تَشْمِزُ نَفُوسُكُمْ مِنْ ذِكْرِهِمْ اسْتِكْبَاراً .

كَذَلِكَ فَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى حِينَمَا أَرَادَ إِخْرَاجَ وَكَشْفَ الْعَنْصَرِ الْخَبِيثِ مِنْ بَيْنِ
الْمَلَائِكَةِ!

فَقَدْ تَدْرُونَ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسُدُّ حُجْمَهُ الْمَجْمُوعَةَ الشَّمْسِيَّةَ أَوْ هُوَ أَكْبَرُ
مِنْهَا، وَكَذَلِكَ لَا نَعْلَمُ قُوَّةَ بَاقِي الْمَلَائِكَةِ فَاِبْتِلَاهُمُ اللَّهُ بِالسُّجُودِ
لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . . . آدَمَ الَّذِي لَا جَنَاحَ لَهُ وَلَا يَطِيرُ، وَهُوَ كَائِنٌ ضَيْلُ الْحَجَمِ

صَغِيرُ الْجِسْمِ قِيَاساً لِلْمَلَأْنَكَةِ عليه السلام ، فَهُوَ مِثْلُ النَّمْلَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَدِينَةِ الْكَبِيرَةِ !
ابْتَلَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِالسُّجُودِ لِهَذَا الْكَائِنِ فَأَعْلَنَ الْعَنْصُرُ الْخَبِيثُ بَيْنَهُمْ عَنْ رَفْضِهِ
لِلسُّجُودِ وَكَشَفَ اللَّهُ نِفَاقَهُ ! .

فَمِنْ رَحْمَتِهِ إِذَنْ أَنْ مَنْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْكُمْ بِلَاءٌ حَسَنٍ فَجَعَلَ الَّذِينَ ابْتَلَاكُمْ
بِهِمْ بَشَرًا مِنْ جَنْسِكُمْ وَأَعْطَاهُمْ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْمَعَاجِزِ مَا يُغْري الْمَرْءَ بِاتِّبَاعِهِمْ
وَعَدَمِ التَّكَبُّرِ عَلَيْهِمْ ! وَمَعَ ذَلِكَ اسْتَكْبَرْتُمْ وَعَتَوْتُمْ عَتَوْاً كَبِيراً .
وَبِالْمُقَابِلِ فَإِنَّ مَنْ اسْتَكْبَرَ عَلَيْهِمْ سَيُعَذَّبُ عَذَاباً لَا يَعْذَبُ بِهِ إِبْلِيسُ نَفْسُهُ !
وَلِذَلِكَ قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام فِي حَدِيثِ الْجُبِّ :

«إِنَّ فِي جَهَنَّمَ وادياً يَشْتَكِي أَهْلُ النَّارِ وَسُكَّانُ جَهَنَّمَ مِنْ حَرِّهِ وَنَتْنِهِ ، وَفِي
الْوَادِي قَلْبٌ يَشْتَكِي أَهْلُ الْوَادِي مِنْ حَرِّهِ وَنَتْنِهِ ، وَفِي الْقَلْبِ جُبٌّ يَشْتَكِي أَهْلُ
الْقَلْبِ مِنْ حَرِّهِ وَنَتْنِهِ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَفِي الْجُبِّ تَابُوتٌ يَضِجُ أَهْلُ
الْجُبِّ مِنْ عَذَابِهِ وَفِي التَّابُوتِ خَمْسَةٌ نَفَرٌ» .

أَفْتَدْرِي مَنْ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ يَا بَنَ الْمَاكِرِينَ الْمُفْتَرِينَ ؟ إِنَّهُمْ الَّذِينَ أَحْرَقُوا
الْأَوْلِيَاءَ ، وَالَّذِينَ ادَّعَوْا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ :

نَمْرُودُ صَاحِبُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وَقَابِيلُ صَاحِبُ هَابِيلَ ، وَفِرْعَوْنُ صَاحِبُ
مُوسَى وَأَعْرَابِيَانِ غُلِيطَا الْقَلْبِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ صَاحِبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام .

أَعَرَفْتُهُمَا يَا هَذَا ؟

قَالَ تَعَالَى :

﴿إِلَّا تَصْغُرُوهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا
فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَيْهِ وَآيَاتُهُ يَجْزُو لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى
وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠] .

فَهَذَا أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ وَقَدْ أَثْبَتَ عَلَيْهِ الْكُفْرَ فِي كُلِّ الْفَاطِ الْآيَةِ، وَذَلِكَ
بِمِلَاحَظَةِ الْأُمُورِ الْآتِيَةِ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: إِنَّهُ خَرَجَ أَوَّلًا مِنْ قَبْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا. وَلَا يُغْفَلُ أَنْ يُخْرَجُوا
صَاحِبُهُ وَيَتْرَكُوهُ. وَالْإِخْرَاجُ إِنَّمَا هُوَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَمَا قَالَ «أَخْرِجُوهُمَا» بَلْ
أَخْرَجُوا الرِّسُولَ. وَأَمَّا هُوَ فَتَطَوَّعَ بِالْخُرُوجِ لِأَجْلِهِمْ فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ بَعْدَهُ زَمَنِيًّا.
وَلِذَلِكَ أَصْبَحَ ثَانِيًّا فِي الْخُرُوجِ مَعَ أَنَّهُ أَوَّلٌ فِي الْإِخْرَاجِ. فافهم يا معتوه!

الْأَمْرُ الثَّانِي: إِنَّهُ فُوجِيَ بِالانتِقَالِ إِلَى الْغَارِ فَمَا أَدْرَكَ الْمَوْضِعَ وَلَا الْمَسَافَةَ
وَحِطَّ التَّخْطِيطَ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا خَرَجَ لِلْإِعْلَامِ بِمَوْضِعِ النَّبِيِّ حَتَّى يَقْتُلُوهُ فَفُوجِيَ وَهُوَ
فِي الْغَارِ: «إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ».

الْأَمْرُ الثَّالِثُ: سَمَّاهُ صَاحِبَهُ وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ خِلَافَ التَّابِعِ فِي سِتَّةِ عَشَرَ مِنْ
الْمَوَاضِعِ فَتَدَبَّرْ وَافْهَمْ!

الْأَمْرُ الرَّابِعُ: إِنَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَخَدَهُ دُونَ صَاحِبِهِ،
لِأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ. عَلِمْنَا أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْزِلُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَوَاقِفِ كُلِّهَا. قَالَ
تَعَالَى:

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

وَقَالَ تَعَالَى:

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى
رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ
يَكُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الفتح: ٢٦].

فَأَثْبَتَ تَعَالَى بِهَذَا كَوْنَهُ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ.

الأمر الخامس: إِنَّهُ تَعَالَى أَيْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَحَدَهُ عِلْمًا أَنَّ التَّائِيدَ يَنْزِلُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فراجع موارد التأييد في القرآن يَنْكَشِفُ لَكَ السِّرُّ فِي الْحَالِ^(١).

الأمر السادس: إِنَّهُ تَعَالَى أَيْدَ رَسُولِهِ بِجُنُودٍ لَمْ يَرَوْهَا. وَأَبُو بَكْرٍ مِنَ الْمُخَاطَبِينَ قَطْعًا فَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْجُنُودِ، فَلَمْ يَكُنْ مُؤَيِّدًا بِهِمْ وَلَا مُؤَيِّدًا مِنْهُمْ! فَهُوَ عِنَصْرٌ غَرِيبٌ.

الأمر السابع: إِنَّهُ تَعَالَى أَثْبَتَ عَلَيْهِ الْحُزْنَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ! . وَالْمَوْضِعُ مَوْضِعُ خَوْفٍ لَا حُزْنٍ. وَالْحُزْنُ هُوَ دَوْمًا عَلَى مَا فَاتَ، وَالْخَوْفُ هُوَ دَوْمًا مِمَّا يُحْتَمَلُ أَنْ يَأْتِيَ مُسْتَقْبَلًا! .

وَلَمَّا كَانَ أَبُو بَكْرٍ حَزِينًا لَا خَائِفًا دَلَّ ذَلِكَ عَلَى وَجُودِ شَيْءٍ فَاتَهُ. . وَلَمْ يَفْتَهُ شَيْءٌ سِوَى نَجَاةِ الرَّسُولِ. . فَافْهَمُوا وَرَاجِعُوا مَوَارِدَ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ فِي الْقُرْآنِ تَظْهَرُ لَكَ جَلِيلَةُ الْحَالِ.

الأمر الثامن: إِنَّهُ تَعَالَى أَثْبَتَ وَجُودَ كَلِمَتَيْنِ فِي الْغَارِ أَحَدُهُمَا كَلِمَةُ اللَّهِ الْعُلْيَا وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ، وَالْأُخْرَى كَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ.

وَلِذَلِكَ فَلَا حِظَّ الْإِتِّفَاقِ الْعَجِيبِ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَبَيْنَ آخِرِ آيَةِ نَزَلَتْ فِي حُجَّةِ الْوُدَاعِ لَمْ تَنْزِلْ بَعْدَهَا إِلَّا آيَةُ النِّعْمَةِ وَسُورَةُ النَّصْرِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿يَخْلِفُوكَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَوُوا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤].

نَزَلَتْ فِي الثَّلَاثَةِ الْمُتَامِرِينَ الَّذِينَ كَشَفَهُمْ حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَّانِ حَيْثُ قَالُوا حِينَمَا

(١) سِيَاتِي ذَكَرَ الْمَوَارِدَ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي مِنَ الْكِتَابِ وَكَذَلِكَ الْمَزِيدُ مِنَ التَّفْصِيلِ.

عَقَدَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيِّ الْبَيْعَةِ: «هَذَا لَا يَكُونُ قَطً»، وَاتَّفَقُوا أَنْ يَجْعَلُوا أَبَا بَكْرٍ مِنْ بَعْدِهِ وَيَقْتُلُوا عَلِيًّا. فَأَشَارَتْ الْآيَةُ إِلَى إِمْكَانِيَّةِ حُصُولِ خِلَافَتِهِ بَعْدَ كُفْرِهِمْ وَعَدَمِ قُدْرَتِهِمْ عَلَى قَتْلِ عَلِيِّ ﷺ. . . وَقَدْ وَرَدَ تَفْسِيرُ الْآيَةِ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ فِي سَبْعَةِ أَحَادِيثٍ، وَأَنَّ الْمَقْصُودَ بِـ «كَلِمَةِ الْكُفْرِ» هُوَ أَبُو بَكْرٍ (١).

فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأَخْبِرْنَا مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَلَفُوا؟ وَعَلَامَ حَلَفُوا؟ وَكَيْفَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ؟ وَبِمَاذَا هُمُومًا؟. فَإِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الشُّوَرَى، وَتَقُولُ «كُلُّ الْأَصْحَابِ عَدُولٌ»، وَالْقُرْآنُ يَقُولُ: إِنَّ هُنَاكَ مَنْ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَقَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ!.

حَدَّثَ ذَلِكَ قَبْلَ رَحِيلِ النَّبِيِّ ﷺ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَذْكُرُ قَوْمًا لَا أَهَمِّيَّةَ لَهُمْ!، إِنَّهُ يَذْكُرُ قَوْمًا هَمُّوا بِقَضِيَّةٍ مُرْتَبِطَةٍ بِالرِّسَالَةِ وَالرُّسُولِ وَالْكَفْرِ وَالْإِيمَانِ!.

أَخْبَرَ حَذِيفَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمُؤَامَرَةِ حَيْثُ كَانَ نَائِمًا فِي الْخِيَمَةِ الْمَجَاوِرَةِ لِلصِّيقَةِ بِخِيَمَتِهِمْ وَلَمْ يَعْلَمُوا بِهِ. وَحِينَمَا انْتَهَرَهُمْ وَهَدَّدَهُمْ بِإِخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: «وَاللَّهِ لَنَحْلِفَنَّ مَا قُلْنَا وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَأَنْتَ وَاحِدٌ، فَهَلْ تَرَى أَنَّهُ يَكْذِبُنَا وَيُصَدِّقُكَ؟».

لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَامِلُ الْمُنَافِقِينَ عَلَى الظَّاهِرِ لَا عَلَى الْبَاطِنِ مَعَ عِلْمِهِ بِالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ. وَجَرَتْ أَوْامِرُ الْوَحْيِ عَلَى هَذَا الْقَانُونِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى أَمَهُلُهُمْ إِلَى يَوْمٍ تَشْخُصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿مُتَّطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عِيسَى﴾ [الْقَمَر: ٨].

وَيَحْ هَذِهِ الْأُمَّةُ. . . فَانْظُرْ إِلَيْهَا كَمْ أَلْفَتْ مِنَ الْكُتُبِ فِي تَرَاهَاتِهَا الْخَاصَّةِ؟: فَهَلْ تَقْدِرُ عَلَى إِحْصَاءِ كُتُبِ اللَّغَةِ وَالْفَقْهِ وَالْأَدَبِ؟

(١) عَنْ كِتَابِ حُجَّةِ الْخِصَامِ/ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ. وَانْظُرْ لِذَلِكَ الْبَرَهَانَ.

إنَّهَا لَا تُخْصَى .

وَلَكِنْ انْظُرْ هَلْ أَلْفَتْ كِتَاباً وَاحِداً فِي مَوْضِعِ النِّفَاقِ؟ .

كلاً . . مَعَ أَنَّ آيَاتِ الْمُنَافِقِينَ هِيَ مِنَ الْكَثْرَةِ وَالتَّنَوُّعِ، وَتَتَضَمَّنُ عُلُوماً فِي الْعُقَائِدِ وَعِلْمِ النَّفْسِ الْجَمَاعِيِّ وَالْفَرْدِيِّ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ مَخْلُوقٍ! .

لِمَاذَا؟ لِأَنَّ السِّرَّ يَنْكَشِفُ فِي آيَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَيُظْهَرُ الْمُسْتَوْرُ . فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْكَاذِبُ حَيْثُ تَجْعَلُ الْأَمْرَ سُورَى، فَإِنَّهُ لَا يَغْلِبُ فِي السُّورَى غَيْرُ الْمُنَافِقِ .

بَلْ الْأَكِيدُ لَا يَغْلِبُ إِلَّا هُوَ . لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ عَنِ الْمُنَافِقِينَ :

١ - تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ :

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَعْجَبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنُلَهِمُ اللَّهُ أَنْ يَقُولُوا﴾ [المنافقون: ٤] .

٢ - إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ :

كَمَا فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ!!

٣ - يَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤] .

٤ - كَاذِبُونَ :

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السُّعْيَةُ وَسَيَاخِلُونَ بِاللهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢] .

وَفِي الْقُرْآنِ آيَاتٌ أُخْرَى تُشِيرُ إِلَى كَذِبِهِمْ!!

٥ - مُسْتَعِجِلُونَ :

﴿قُلْ لَوْ أَنِّي عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٨].

٦ - يَتَقَدَّمُونَ فِي السَّلَامِ أَمَامَ الصُّفُوفِ :

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢].

٧ - يَتَرَاَجَعُونَ فِي الْحَرْبِ إِلَى الْوَرَاءِ :

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

٨ - يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا :

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

٩ - الْمُسْلِمُونَ «سَمَاعُونَ لَهُمْ» :

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ أَلْفَنَةً وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧].

١٠ - يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا يُرِيدُونَ غَيْرَ الْحُسْنَى :

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ أَرَدْنَا إِلَّا حَسَنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢].

١١ - يَنْشُرُونَ إِشَاعَاتِ الْاِسْتِضْعَافِ لِلْمُؤْمِنِينَ :

كَمَا فِي آيَةِ التَّوْبَةِ السَّابِقَةِ .

١٢ - يُغْلَوْنَ أَصْوَاتَهُمْ بِالذَّغْوَى إِلَى الْإِضْلَاحِ وَحَقِيقَتُهُمْ أَنَّهُمْ مُفْسِدُونَ:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

وإلى صفاتٍ لَهُمْ أُخْرَى كَثِيرَةٌ..

فَمِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَتَّبَعَهُم النَّاسُ وَيَتْرَكُونَ الْأَوْلِيَاءَ، لِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ فَاسِقُونَ.

عَوْدَةٌ إِلَى ذِكْرِ أَقْوَالِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْإِمَامَةِ:

ي - وَمِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا: هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ. إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْعَالِي. وَبِهِمْ يَلْحَقُ التَّالِي وَلَهُمْ خَصَائِصُ الْوِلَايَةِ. وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ. الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَنُقِلَ إِلَى مُتَقَلِّبِهِ.

الخطبة/ رقم ٢/ الفقرة الرابعة

مَعَ هَذَا كُلِّهِ يَقُولُ الْمُنَافِقُ إِنَّهُ بَحَثَ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ كُلِّهِ فَمَا وَجَدَ فِيهِ إِشَارَةً إِلَى إِمَامَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحَضَرَ الْإِمَامَةَ فِيهِمْ. وَاسْتَشْهَدَ بِفَقْرَةٍ وَاحِدَةٍ سَتَاتِكَ قَرِيبًا مِثْلَمَا فَعَلَ الْأَفَاكُ الْمَصْرِيُّ الْكَذُوبُ عِمَارَةُ^(١) الْهَذْمِ حِينَمَا قَالَ نَفْسَ الْقَوْلِ وَاسْتَشْهَدَ بِنَفْسِ الْفَقْرَةِ!

عَجَبًا لِهَؤُلَاءِ فَإِنِّي لَا أَعْجُبُ مِنْ جُرْأَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنِّي أَعْجَبُ لِمَهَانَتِهِمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا!.

أَفَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى قُرَاءٍ وَمَشْتَرِينَ لِمَا أَنْفَقُوا؟ أَمْ أَنَّ النَّاسَ أَصْبَحُوا يَفْضُلُونَ الْأَكَاذِبَ، وَأَنَّ الصِّدْقَ سَلْعَتُهُ ثَقِيلَةٌ الْحَرَكَةِ فِي سَوْقِ الْأَفْكَارِ؟.

(١) يقصد به الكاتب المصري المعروف د. محمد عماره.

هَذَا مُحْتَمَلٌ جِدًّا . . فَإِنَّ أَكْثَرَ الْخَلْقِ يَتَحَوَّلُونَ بِالتَّدْرِيجِ إِلَى بُهَائِمٍ لَا تَمَيِّزُ،
وَلَا كَيْفَ تَبْقَى قِلَّةٌ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بَيْنَمَا الْأَكْثَرِيَّةُ إِلَى النَّارِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى؟
أَلَا تَرَى فِي هَذَا النَّصِّ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

١ - رَفَضَ قِيَاسَهُمْ بِأَيِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأُمَّةِ؟

فَأَيْنَ مَا زَعَمْتُهُ مِنْ مَفْهُومِ الْأُولَوِيَّةِ؟

٢ - يَقُولُ: إِنَّهُمْ أَسَاسُ الدِّينِ . . فَإِذَا لَمْ يُؤْلَوْا لَمْ يَبْقَ دِينٌ؟ .

وَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ الْمُعَايَنُ أَمْ تَسْمِي هَذَا الْوَاقِعَ الَّذِي فِيهِ الْمُسْلِمُونَ - مَعَ
امْتِلَاكِهِمْ كُلِّ الثَّرَوَاتِ - أَذُلٌّ لِلْأَجْنَبِيِّ مِنَ الْأُمَّةِ لِمَالِكِهَا وَاقِعًا دِينِيًّا؟

٣ - يَقُولُ: إِنَّهُمْ الْحَالُ الْأَوْسَطُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يَجْمَعُ وَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الْغَالِي
وَالْقَالِي؟ .

٤ - يَقُولُ: إِنَّ لَهُمْ خِصَائِصَ الْوِلَايَةِ وَالْوَصِيَّةِ وَالْوَرَاثَةِ؟ .

٥ - جَعَلَ لِلْحَقِّ أَهْلًا. وَقَالَ هَذَا الْكَلَامَ عِنْدَ خِلَافَتِهِ وَلَا يَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ لَوْلَا
الْمَعَانِي الْمَتَقَدِّمَةُ فِي الْخِطَابِ.

فَقُلْ لِلْأَفَّاكِ الْكَذُوبِ: عَنْ أَيِّ صَحَابَةٍ تَتَحَدَّثُ؟

وَعَنْ أَيِّ مِقَارِنَةٍ وَقِيَاسٍ تَتَكَلَّمُ؟

وَعَنْ أَيِّ شُورَى تَتَكَلَّمُ؟

صَاحِبُوهُ وَنَافِقُوهُ فِي هَوَاهُ فَهَوُوا فِي جَحِيمِهَا وَلَظَاهَا
نَقَضُوا عَهْدَ أَحْمَدٍ فِي أَخِيهِ وَأَذَاقُوا الْبُثُولَ مَا أَشْجَاهَا
لَمْ يَذُوقُوا الْهُدَى وَلَوْ طَعِمُوهُ عَرَفُوا لِلنَّبِيِّ قَدْرًا وَجَاهَا
مَا لَكُمْ قَدْ مَنَعْتُمُوهُمْ حُقُوقًا أَوْجَبَ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ أَذَاهَا
تَدْعُونَ الْإِسْلَامَ إِنْكَارًا وَزُورًا كَذَبْتَ أُمَّهَاتُكُمْ بِأَدْعَاهَا
لَمْ نَسْلُكْكُمْ لِحَاجَةٍ وَاضْطِرَارًا بَلْ نُدِّلُ الْوَرَى عَلَى تَفْوَاهَا

هَذِهِ الْبُرْدَةُ الَّتِي غَضِبَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ مَنْ سِوَانَا ارْتَدَاهَا
فَخُذُوهَا مَقْرُونَةً بِشَنَارٍ غَيْرَ مَخْمُودَةٍ لَكُمْ عُقْبَاهَا
وَالْبِسُوهَا لِبَاسَ عَارٍ وَنَارٍ قَدْ حَشَوْنُم بِالْمُخْزِيَّاتِ وَعَاَهَا^(١)
ك - وَمِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

فِي كِتَابٍ لِمَعَاوِيَةَ حَيْثُ احْتَجَّ بِشُورَى عُمَرَ لِفَضْلِ الشَّامِ عَنِ الدَّوْلَةِ
الإِسْلَامِيَّةِ حَيْثُ اتَّفَقَ مَعَ الرُّومِ عَلَى ذَلِكَ مُنْذُ عَهْدِ عُمَرَ الَّذِي وَلَّاهُ عَلَيْهَا عَشْرِينَ
سَنَةً هُوَ وَعِثْمَانُ. قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

وَلَئِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا
كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًى فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ يَطْعُنُ أَوْ يَدْعُو رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ
مِنْهُ فَإِنَّ أَبِي قَاتَلُوهُ عَلَى إِتْبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ

النهج باب الكتب رقم / ٢٤٥

اسْتَشْهَدَ الْأَفَّاكُ بِهَذَا النَّصِّ لِلزَّعْمِ بِأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُؤْمِنُ بِالشُّورَى وَلَا
يُؤْمِنُ بِالْوَصِيَّةِ. وَلَمْ يُشِرْ إِلَى أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ هُوَ فِي كِتَابِ مُوجِّهِ لِمَعَاوِيَةَ، وَلَمْ
يَذْكُرْ أَنَّ مَعَاوِيَةَ أَنْكَرَ الْوَصِيَّةَ وَالْإِمَامَةَ وَاحْتَجَّ بِالشُّورَى!

وَذَلِكَ لَكِي لَا يَنْتَبِهَ الْقَارِئُ إِلَى أَنَّ كَلَامَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ لِلْمُحَاجَجَةِ مَعَ الْمُنْكَرِينَ
لِلْوَصِيَّةِ، فَأَسْقَطَ حُجَّتَهُمْ بِالشُّورَى أَيْضًا!

أَيُّ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ لِمَعَاوِيَةَ: «إِذَا كُنْتَ تَوُمِّنُ بِالشُّورَى - وَالْكَلَامُ نَفْسُهُ
مُوجَّهٌ لِلْأَفَّاكِ شَقِيقِ مَعَاوِيَةَ الْبَغِيِّ وَالْعُدَوَانِ وَإِلَى كُلِّ مَنْ هُوَ عَلَى شَاكِلَتِهِمَا - فَإِنَّ
الشُّورَى خَاصَّةٌ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَأَنْتَ إِذَنْ خَارِجٌ عَنْهَا!»

فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «فَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًى»
هُوَ كَلَامٌ حَقٌّ يَحْمِلُ تَكْفِيرَ عُمَرَ وَاضِعِ الشُّورَى لَا تَبْرِيرَ الشُّورَى!

(١) الأبيات من القصيدة الأزرية الشهيرة على ناظمها رضوان الله تعالى.

ذَلِكَ لِأَنَّ عُمَرَ اسْتَعْمَلَ الْمَعْنَى الْقُرْآنِيَّ لآيَةِ الشُّورَى وَطَبَّقَ مِنَ الْوَاقِعِ خِلَافَهُ
وَعُكْسَهُ.

أولاً: إِنَّ عُمَرَ أَخَذَ الْخِلَافَةَ مِنَ الْأَوَّلِ بِلا شُورَى . فإذا كَانَتْ الشُّورَى هِيَ
نِظَامُ الْحُكْمِ فِي الْقُرْآنِ فَوَلَايَتُهُ إِذَنْ بَاطِلَةٌ!

وثانياً: انْظُرْ إِلَى شُورَى عُمَرَ . فَإِنَّ شُورَى عُمَرَ فِيهَا سِتَّةُ أَشْخَاصٍ فَقَطْ ،
بَيْنَمَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ هُمْ بِالْمِائَاتِ إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَلُوفاً .

فَمَنْ هُوَ الَّذِي اسْتَبَدَّ بِرَأْيِ الْأُمَّةِ أَوْلاً أَيُّهَا الْأَحْمَقُ؟

إِذْ لَمْ يَجْتَمِعِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ كُلُّهُمْ عَلَى رَجُلٍ وَيُسَمُّونَهُ إِمَاماً . . فَلَوْ
فَعَلُوا لَكَانَ هَذَا الْإِمَامُ هُوَ رِضَا اللَّهِ بِالطَّبِيعِ سِوَاكَ أَمَا كَانَ اسْمُهُ عَلِيّاً أَوْ زَيْداً أَوْ غَيْرَ
ذَلِكَ!

لَكِنَّ هَذَا مُحَالٌ!!

لِأَنَّ اجْتِمَاعَهُمْ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ هُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْمُحَالِ قَطْعاً .

فإذا افْتَرَضْنَا أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى رَجُلٍ هُوَ غَيْرِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ ،
فَلَنْ يَتَحَقَّقَ لَهُمْ هَذَا الْاجْتِمَاعُ ، وَذَلِكَ لِبَقَاءِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ خَارِجَ هَذَا
الْاجْتِمَاعِ! ، إِذْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَضِلَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ وَلَكِنَّ الْمَعْصُومَ لَا يَضِلُّ قَطْ .

وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

« لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالٍ » .

وَذَلِكَ لَوْجُودِ الْحُجَّةِ وَمَنْ تَابَعَهُ . . وَمَعْنَى ذَلِكَ لَوْ فَهِمْتَ: إِنَّ الانْحِرَافَ
وَالضَّلَالَاتَيْنِ لَا مُحَالَهَ . وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُشِيرُ إِلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ لِيَبْحَثَ عَنِ
الْحَقِّ فِي هَذَا الضَّلَالِ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ بَقَاءِ نُورِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَلَا بُدَّ مِنْ وَجُودِ
مَنْ لَا يَضِلُّ مِنْ أُمَّتِهِ .

وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الْجَامِعَةُ لَهُ ﷺ هِيَ لِلْمَنْعِ مِنَ الرَّدَّةِ .

ألا تراه في النص يقول «إذا اجتمعوا» - وهذا الشرط مُحالٌ . . فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجْتَمِعُوا قط عَلَى غَيْرِ المعصومِ .

فإذا قُلْتَ: «فإِنَّهُمْ أَيْضاً لا يَجْتَمِعُونَ عَلَى المعصومِ «صَاحِبِ الوَصِيَّةِ» وَمُحَالُهُ مِثْلُ مُحَالِ الأوَّلِ!

أقول: «إِذَنْ فَأَنْتَ لَمْ تَفْهَمْ إِلَى الآنَ لُغَةَ المعصومِ! . فالمعصومُ لا يَنْطِقُ عَنِ الهوى وَلَفْظُهُ هُوَ لَفْظٌ مُتَنَزِّعٌ مِنَ الْقُرْآنِ . إِذْ «المهاجرون والأنصار» هُمْ عَلَى الْمَعْنَى الْقُرْآنِيَّةِ فِي النَّصِّ لا عَلَى الْمَعْنَى الذَّهْنِيَّةِ الَّذِي عِنْدَكَ! ، لَأَنَّ الَّذِي عِنْدَكَ هُوَ أَسْمَاءٌ فِيهَا مِنْ بَيْنِ مَا فِيهَا الْمَنَافِقُونَ . وهؤلاءِ لَيْسُوا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَإِنْ هَاجَرُوا ، وَلَيْسُوا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْأَنْصَارِ وَإِنْ كَانُوا مَعَهُمْ» .
فإن قلت: «وَكَيْفَ يُعْرَفُ هَذَا؟» .

فالجوابُ: «هُنَا تَكْمُنُ الْمُحَاجَجَةُ . فالإمامُ ﷺ يريدُ أَنْ يَبَيِّنَ أَنَّ الشُّورَى هِيَ بِهَذَا الْمَعْنَى الْمَحْصُورِ بَيْنَ «المؤمنين» لا بَيْنَ «الَّذِينَ آمَنُوا» . إِنَّهَا اخْتِيَارُ اللَّهِ لا اخْتِيَارُ الْخَلْقِ . فالخَلْقُ لا يَتَّفِقُونَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ . والاجتماعُ مُمْكِنٌ وَلَهُ مَعْنَى بِهَذَا الْحَدِّ . فإذا خَرَجَ عَنِ هَذَا الْحَدِّ أَصْبَحَ مُحَالاً» .

فَهُوَ ﷺ يَحْتَجُّ بِالْمُحَالِ لِإثباتِ الوَصِيَّةِ لا لتبريرِ الشُّورَى .

وَلَكِنْ مَعَاوِيَةَ حَيْثُ لا يَزْعُمُ بِاسْتِغْرَاقِ الشُّورَى لِلأفرادِ فَرْداً فَرْداً ، وَإِنَّمَا هِيَ بِنَظَرِهِ مَقْصُورَةٌ عَلَى الزَّعَامَاتِ الْقَبْلِيَّةِ لِعَقْلِيَّتِهِ الرَّجْعِيَّةِ وَجَاهِلِيَّتِهِ الْمُسْتَحْكِمَةِ فِيهِ فَإِنَّ إِسْقَاطَ حُجَّتِهِ قَدْ تَمَّ بِهَذَا ، لَأَنَّ بَيْعَةَ عَلِيٍّ ﷺ لَمْ تَكُنْ مِنْ جَانِبِ الزَّعَامَاتِ فَقَطْ ، وَإِنَّمَا مِنْ مَجْمُوعِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَعَامَّةِ النَّاسِ بِمَنْ فِيهِمُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ . وَهِيَ الْبَيْعَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي تَمَّتْ بِهَذِهِ الصُّورَةِ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ . وَهُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي انْفَرَدَ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ دُونَ سَائِرِ الْخَلْقِ الَّذِينَ حَكَّمُوا الْمُسْلِمِينَ .

وَحَتَّى الَّذِينَ لَا يَرِغُونَ فِيهِ وَيَبْغُضُونَهُ، بَايَعُوهُ طَوْعاً ثُمَّ نَكَثُوا وَادَّعَوْا أَنَّهُمْ
بَايَعُوا بِاللِّسَانِ دُونَ الْقَلْبِ! فَتأمل!

وهؤلاءِ وأمثالهم قَدْ شَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِم بِالنِّفَاقِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَّبِعُوا، ذَلِكَ
لأنَّ منادي عليٍّ عليه السلام قَدْ نادى أَنْ لَا إِكْرَاهَ فِي الْبَيْعَةِ فَمَنْ شَاءَ أَنْ لَا يُبَايَعَ فَلَا
تَثْرِبَ عَلَيْهِ. وَقَدْ فَعَلَ هَذَا أَمَلاً بِأَنْ يُحَاجَّجَهُمْ فِيمَا بَعْدُ بِالْحُسْنَى.

فانظر أخي القارئ كيف هُوَ صِدْقُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الْأَمِينِ عليه السلام حِينَما
يقولُ:

«عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ يَدُورُ مَعَهُ حَيْثُمَا دَارَ».

ل - وَمِنْهَا قَوْلُهُ عليه السلام:

وَأَعْجَبَاهُ أَنْتَ كَوْنُ الْخِلَافَةِ بِالصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ؟

تصنيف النهج / ٨٤ / ص ٢٦٠

هَكَذَا يَسْتَهْجِنُ الْإِمَامُ عَلِيٌّ عليه السلام كَافَّةَ الْقِيَمِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالرَّجَعِيَّةِ.
فَلَا الصَّحْبَةُ وَلَا الْقُرْبَى تَشْكُلُ عِنْدَهُ مُسْتَنَدًا لِلْخِلَافَةِ.. فَمَا أَكْثَرَ
الْأَصْحَابِ؟، وَمَا أَكْثَرَ الْأَقَارِبِ؟.. إِنَّهُ لَيْسَ بِمُلْكٍ كَسْرُوِيٍّ وَرَائِي حَتَّى يَكُونَ
الْأُولَى بِهِ هُوَ الْأَقْرَبُ بِالرَّحِمِ أَوْ الْأَقْرَبُ لِحِمَّةٍ مِنْ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ!. فَالْمَنَافِقُ
يَسْرِعُ هُوَ الْآخِرُ «حَيْثُ يَأْمَنُ الْمَكَارَةُ» فِي الطَّاعَةِ وَيَمْتَلُ دَوْرَ الْمَطِيعِ الْمُتَّقَانِي.
وَلَيْسَتْ الشُّورَى إِلَّا تَكْرِيساً لِهَذَا الْمَعْنَى.. لِأَنَّ مَعْنَى الشُّورَى هُوَ أَنْ
يَتَشَاوَرَ هَذَا الْجَمْعُ غَيْرُ الْمُتَجَانِسِ بِشَأْنِ الْحُكُومَةِ وَيَخْتَارَ الْحَاكِمَ.

فالاختلاف هُوَ فِي هَذَا...

الشُّورَى هِيَ الْاِخْتِلَافُ نَفْسُهُ وَلَيْسَتْ حَلًّا لِالاختلافِ.

إِنَّ الْاِخْتِلَافَ وَالرَّغْبَةَ فِي السُّلْطَانِ قَدْ قَوِيَتْ بَعْدَ الشُّورَى حَتَّى صَارَ يَظْمَعُ
فِيهَا مَنْ كَانَ لَا يُفَكِّرُ أَضْلاً بِالْخِلَافَةِ!!

وَكَفَى بِالشُّورَى سُبَّةً وَفَضِيحَةً أَنْ يُدَافِعَ عَنْهَا رَأْسُ الْبَغْيِ وَالْجَوْرِ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ!!

م - وَمِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ وَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ؟ وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ. فَأَيْنَ يَتَاهُ بِكُمْ وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ؟ وَبَيْنَكُمْ عَثْرَةٌ نَبِيَّكُمْ وَهُمْ أَرْمَةٌ الْحَقِّ وَأَعْلَامُ الدِّينِ وَاللِّسَنَةُ الصِّدْقِ! فَانْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ وَرُدُّوهُمْ وَرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ..

أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ وَلَيْسَ بِبَالٍ فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تَتَكْرَهُونَ. أَلَمْ أَعْمَلْ فِيمَكُم بِالْثِفْلِ الْأَكْبَرِ وَأَتْرُكُ فِيمَكُم الثِّفْلَ الْأَصْغَرَ؟
نهج البلاغة/ الخطبة ٥٨

هَذَا هُوَ حُجَّةُ اللَّهِ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى حُجَّةِ اللَّهِ..

لَأَنَّ بِهِ تَكُونُ الْحُجَّةُ لِلَّهِ عَلَى الْخَلْقِ. فَلَا مُسَوِّغَ لِلِاخْتِلَافِ. فَمَنْ ضَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِلَى النَّارِ بِحَقٍّ وَمَنْ اهْتَدَى فَإِلَى الْجَنَّةِ بِحَقٍّ.
وَإِذَا غَابَ الْقَرِينَانِ أَوْ أَحَدُهُمَا اخْتَلَفَ النَّاسُ، وَعِنْدَهَا فَلَهُمُ الْحُجَّةُ فِي الْإِخْتِلَافِ.

سَتَقُولُونَ: رَبَّنَا أَنْزَلْتَ كِتَابًا لَمْ نَقْدِرْ عَلَى تَأْوِيلِهِ، وَلَمْ تَضَعْ لَنَا مَنْ يَقُومُ بِهِ، وَفِينَا مَنْ يَطْمَعُ بِالسُّلْطَانِ فَاخْتَلَفْنَا، وَكُلُّ حَسَبٍ اجْتِهَادِهِ وَفَهْمِهِ وَسُفِكَتْ دِمَاءُنَا وَعِشْنَا فِي الضَّنَكِ فَكَيْفَ تُعَذِّبُنَا بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ؟!

أَجَلٌ.. سَتَكُونُ الْحُجَّةُ لَهُمْ عَلَى اللَّهِ.

وَلَكِنْ إِذَا كَانَ «الْمَنَارُ مَنْصُوبًا»، وَإِذَا كَانَتْ «الْأَعْلَامُ قَائِمَةً» وَ«الْآيَاتُ وَاضِحَةً» وَالْعَثْرَةُ مَوْجُودَةً حَتَّى الْمَيِّتُ مِنْهَا لَا يَمُوتُ وَالْبَالِي لَا يَبْلَى لَوْجُودِ كَلَامِهِ وَسِيرَتِهِ وَوَرَثَتِهِ دَوْمًا بِلَا انْقِطَاعٍ..

إذا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَا حُجَّةَ لِلخَلْقِ عِنْدُنَا فِي الاختلاف. .
 بَلْ لَوْ لَمْ يُنْصَبِ اللهُ إِمَامًا فَلَا مَعْنَى أَضْلًا لِكُلِّ مَا فَعَلَ مِنْ إِرْسَالِ رَسُولٍ
 وَإِنزَالِ كِتَابٍ .
 وَلِذَلِكَ أَكَّدَ أَهْلُ الْبَيْتِ فِي أَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفَ نِصٍّ وَاضِحٍ وَجَلِيٍّ كُفْرَ مَنْ
 زَعَمَ أَنَّ الْإِمَامَةَ بِاخْتِيَارِ النَّاسِ .
 أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّذِينَ يُحَاوِلُ الْكَاتِبُ مُخَادَعَتَهُمْ وَالتَّقُولَ
 عَلَيْهِمْ . .

فَلِمَاذَا تَرَكَ الْكَاتِبُ هَذِهِ الْخُطَبَ وَالنُّصُوصَ وَلَمْ يَذْكُرْهَا لِلْقَارِئِ؟
 لِأَنَّهُ يُرِيدُ مُخَادَعَتَهُمْ .

وَبَعْدَ مَا أَوْضَحْتُ هَذَا لِبَعْضِ الْقُرَّاءِ مَقْتُوهُ وَكُرِّهُوا سِمَاعَ اسْمِهِ وَالتَّقْوَةَ
 بِذِكْرِهِ، وَتِلْكَ هِيَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاوُوا السَّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا
 يَسْتَهْزِئُونَ .

ن - وَمِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَيُّنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاكِسُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا
 اللهُ وَوَضَعَهُمْ وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ . بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى
 وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى .

نهج البلاغة/ الخطبة/ ١٤٢

أَقُولُ: الْأَدَاءُ «أَنْ» فِي الْعِبَارَةِ سَبِيئَةٌ أَيْ أَنَّهُمْ ادَّعَوْا هَذَا لِلْأَسْبَابِ الثَّلَاثَةِ
 حَيْثُ وَضَعَهُمُ اللهُ وَرَفَعَ آلَ الْبَيْتِ وَحَرَمَهُمْ وَأَعْطَى آلَ الْبَيْتِ وَأَخْرَجَهُمْ وَأَدْخَلَ
 آلَ الْبَيْتِ .

وَالْمَفَاعِيلُ وَالتَّعْلِقَاتُ مَتْرُوكَةٌ لِتَعْدِيدِهَا وَعَدَمُ إِمْكَانِيَّةِ إِحْصَائِهَا فِي هَذَا
 الْمُخْتَصَرِ . فَلَوْ جَاءَ بِأَحَدِ التَّعْلِقَاتِ وَاقْتَصَرَ عَلَيْهِ فَسَيَغْمُطُهُمْ حَقُّهُمْ .

يُقَالُ: مَاذَا أَعْطَاهُمْ؟. فَيُقَالُ: أَعْطَاهُمْ عِلْمَ الْكِتَابِ وَأَعْطَاهُمْ الْجُودَ وَالْحِلْمَ وَالشَّجَاعَةَ وَعِلْمَ الْمَنَآيَا وَالْبَلَايَا وَفُضِّلَ الْخِطَابُ . . . وَمَا لَا يُخَصِّي. وَلِلذَلِكَ تَرَكَ ذِكْرَ الْمُتَعَلِّقَاتِ.

وَلَمَّا كَانُوا قَدْ حَسَدُواهُمْ عَلَى هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فَقَدْ ابْتَكَرُوا دَعْوَى الرِّسْوَةِ فِي الْعِلْمِ مَعَهُمْ أَوْ دُونَهُمْ.

وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرٍ وَتَوْضِيحٍ لِأَنَّ بَقِيَّةَ الصِّفَاتِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ادِّعَائِهَا. . . فَلَوْ ادَّعَوْا الْجُودَ وَالْإِنْفَاقَ كَذَبُوا وَانْكَشَفُوا لِأَنَّ عُمَرَ دَفَنَ أَصُوعَةَ التَّمْرِ عِنْدَمَا أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْإِنْفَاقِ. . . وَلَمْ يُنْفِقْ لَا هُوَ وَلَا أَحَدٌ سِوَاهُ دَرَهَمًا وَاحِدًا لِمَنَاجَاةِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَمَا نَزَلَ قَانُونُ التَّصَدُّقِ قَبْلَ التَّقَدُّمِ بِمَنَاجَاتِهِ، فَتَرَكَوهُ عَشْرَةَ أَيَّامٍ لَا يَرَاهُ سِوَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ^(١)!!

وإِنْ ادَّعَوْا الشَّجَاعَةَ فَضَحُوا أَنْفُسَهُمْ. فَهُمْ جَبْنَاءُ يَفِرُّونَ مِنْ أَوْعَاقِ الْمُقَاتِلِينَ. . . وَيُظْهِرُونَ شَجَاعَتَهُمْ عَلَى الْأَسْرَى وَالنِّسْوَانِ فَقَطْ!

فَتَبَّعَ شَجَاعَةَ عُمَرَ فِي التَّارِيخِ تَجْدُهُ كَمَا أَخْبَرْتُكَ وَلَنْ تَجِدَ قِتِيلًا وَاحِدًا مِنَ الْكُفَّارِ بِسَيْفِهِ وَلَا بِسَيْفِ عِثْمَانَ وَلَا أَبِي بَكْرٍ^(٢).

وإِنْ ادَّعَوْا الْحِلْمَ: فَمَا أَفْضَحَهُمْ وَمَا أَكْذَبَهُمْ! فَإِنَّهُمْ أَعْتَى وَأَطْعَى خَلْقِ اللَّهِ، وَأَكْثَرُهُمْ إِضْمَارًا لِلانْتِقَامِ وَلَوْ بَعْدَ عَشْرَةِ السِّنِينَ.

وإِنْ ادَّعَوْا الْقُوَّةَ الْبَدَنِيَّةَ. . . فَكَذَبُوهُمْ ظَاهِرٌ عَيَانًا، إِذْ وَلَّى عِثْمَانُ هَارِبًا حَتَّى قِيلَ «ذَهَبَ بِهَا عَرِيضَةً». . . وَغَابَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ عَنْ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ. . . وَفِيهِمْ نَزَلَتْ آيَةُ:

(١) انظر الكشف للزمخشري في تفسير آية النجوى.

(٢) تأتي بعض التفاصيل في القسم الثاني من الكتاب.

﴿لَوْ يَحْدُوثُ مَلَجًا أَوْ مَغَرَبًا أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: ٥٧].

وفرّ الثلاثة في حنين وفرّوا في خيبر وفرّوا في أكثر المواقع الحربية.
والتأويل اللغوي هو الطريق الوحيد لهؤلاء لأنهم يحسنون تدبيج الكلام
وتخريج العبارات. قَالَ تَعَالَى في المنافقين:

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَبََّعُوكَ أَجْسَامَهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهمُ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ
يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا يَفْكَرُونَ﴾ [المنافقون: ٤].
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَأَمَرْنَاكُمُ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠].

وهو غير اللحن في الاصطلاح اللغوي، بل عكسه تماماً، لأن اللحن عند
النحويين خلاف الفصاحة. والمقصود القرآني هو تنعيم الأصوات وتحزين
التبرات بما يخدع السامع ويظن أن المتكلم صادق. وهذه الصفة موجودة في
المنافقين في كل زمان.

ولذلك حذر القرآن من المنافقين ما لن تجد مثله من تحذير بشأن المشركين
حتى لو كانوا دولاً وإمبراطوريات وممالك عظيمة.
ولكن هذه الأمة لا زالت تتافق وتوغل في النفاق ولا تتدبر كتاب الله الذي
سوف يكشفها لكل الأمم.

بل لم يخش النبي ﷺ على أمته الشرك فقد قال:

«إني لا أخاف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه
وأما المشرك فيمنعه الله بشركه ولكني أخاف عليكم كل منافق الجنان عالم
اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون

ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في النهج أيضاً - تحت رقم/ ٢٢٦ من الطبعة
الكاملة البيروتية لدار الأندلس.

هَؤُلَاءِ إِذَنْ هُمْ الَّذِينَ يُخْشَى عَلَى الَّذِينَ مِنْهُمْ . وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْقُرْآنِ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى :

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [١٧].
عمران :

ومعلوم أنَّهم «أي الراسخون في العلم» لا يقولون ذَلِكَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ، إِذْ لَا مَعْنَى لِلْعِبَارَةِ، وَلَا مَعْنَى لامتداحهم . فتأويله الكلبي عند الله ويأتيهم منه حَسَبَ الْحَاجَةِ، وَلِذَلِكَ ذَكَرَ قَوْلَهُمْ دُونَ عَطْفٍ عَلَى الْعِلْمِ بِالتَّأْوِيلِ لِتَجَنُّبِ تَسَاوِي عِلْمِهِمْ مَعَ عِلْمِ الْمُتَكَلِّمِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَنَّهُ مُحَالٌ . فاختلفوا فِي الْآيَةِ وَالْوَقْفِ، وَهُوَ اخْتِلَافٌ يُعَدُّ جُزْءًا مِنْ ابْتِغَاءِ الْفِتْنَةِ وَالتَّأْوِيلِ .

إِنَّ مَعْرَكَةَ التَّأْوِيلِ هِيَ بَيْنَ عَلِيِّ عليه السلام وَعَدُوِّهِ . وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :
«فِيكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ» .

وَهَذَا النَّصُّ وَخُذَهُ كَافٍ لِإثْبَاتِ الْإِمَامَةِ بِكُلِّ أَعْيَادِهَا . . وَلِذَلِكَ انْتَبَرَى أَبُو بَكْرٍ مُسْرِعًا وَهُوَ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَنَا هُوَ . . أَنَا هُوَ . . ؟!!
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَا ! .

وَاخْتَلَطَ مَعَهُ صَوْتُ عُمَرَ وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا هُوَ ؟!

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَا ! .

وعلي عليه السلام فِي الْبَابِ يَحْمِلُ نَعْلَ رَسُولِ اللَّهِ لِإِصْلَاحِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ : هُوَ خَاصِصُ النَّعْلِ !

وَقِيلَ إِنَّ النَّبِيَّ قَالَ ذَلِكَ ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَبِيَدِهِ النَّعْلُ فَأَخْبَرُوهُ «فَلَمْ يَرْفَعْ بِهَا رَأْسَهُ» حَسَبَ تَعْبِيرِ الرِّوَاةِ .

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «كَأَنَّهُ قَدْ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ قَبْلَ ذَلِكَ»!
 يَا لَهُ مِنْ نَغْلٍ! فدى شراكه كُلُّ الْعَالَمِ. . نَغْلٌ مَشَى عَلَى بِسَاطِ الرَّحْمَةِ وَدَخَلَ
 دَهْلِيزَ سَرَادِقِ الْمَلَكُوتِ حَيْثُ لَمْ يَقْدِرْ جَبْرِيلُ عَلَى الْمُرُورِ!!
 شَرَفٌ عَظِيمٌ لِمَنْ يُضْلِحُهُ!! وَلَا يُضْلِحُهُ سِوَى عَلِيِّ عليه السلام.
 ذَكَرَ هَذَا النَّصَّ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ مِنَ السُّنَّةِ وَالْمَعْتَزَلَةِ وَالشَّيْعَةِ جَمِيعاً مُقَرِّينَ
 بِصَحَّتِهِ وَوُرُودِهِ فِي عَلِيِّ عليه السلام وَهُوَ مِنْ أَشْهَرِ الْأَحَادِيثِ.
 فِيمَا يَلِي النَّصَّ الْكَامِلُ لِلْحَدِيثِ وَأَمْثَالِهِ مِنْ طُرُقِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، وَهُوَ
 مَشْهُورٌ عِنْدَهُمْ بِحَدِيثِ «خَاصِفِ النُّعْلِ»:
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

فَاسْتَشْرَفَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا هُوَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ عُمَرُ: أَنَا
 هُوَ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنْ خَاصِفِ النُّعْلِ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ فَأَتَيْنَاهُ فَبَشَّرْنَاهُ فَلَمْ
 يَرْفَعْ بِهَا رَأْسَهُ كَأَنَّهُ قَدْ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. . . انتهى.

مصادر النص:

مستدرک الحاكم/ ج ٣ / ١٢٢ قَالَ: هَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ
 الشَّيْخَيْنِ «يَعْنِي الْبُخَارِيَّ وَمُسْلِمًا» وَلَمْ يَخْرُجَاهُ.
 مسند أحمد بن حنبل/ ج ٣ / ٨٢ و ٣٣.
 حلية الأولياء في ترجمة أبي سعيد.
 كنز العمال/ الحديث رقم ٢٥٨٥.
 فَتَعَالَ أَيُّهَا الْأَفَّاكُ وَأَخْبِرْ:

أَهَذَا الْكَلَامُ مِنْ وَضْعٍ مُتَكَلِّمِي الشَّيْعَةِ أَمْ هُوَ كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ أَخْرَجَهُ مَنْ هُمْ
 فِي عِدَادِ خُصُومِ الشَّيْعَةِ بِالْمَعْنَى الطَّائِفِي؟. وَهُوَ الْمَعْنَى الَّذِي لَا قِيَمَةَ لَهُ عِنْدَ

الله. فَكَمْ فِي طَائِفَةِ الشَّيْعَةِ مِنْ مُنَافِقٍ؟ وَكَمْ فِي طَائِفَةِ السُّنَّةِ مِنْ مُؤْمِنٍ يَكْتُمُ
إِيمَانَهُ؟. فَأَخْرَجَ الْمُؤْمِنُونَ بَوْلَايَةَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ لِهَذِهِ الْغَايَةِ لَا
لِسَوَاهَا.

وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَكُونُ قِتَالُهُ عَلَى التَّأْوِيلِ مُشَابِهًا لِقِتَالِ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ عَلَى
التَّنْزِيلِ سِوَى الْخَلِيفَةِ بِالْحَقِّ وَالْإِمَامِ بِالنَّصِّ؟

فَالْفُقَهَاءُ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الدِّفَاعَ هُوَ مِنْ حَقِّ الْخُلَفَاءِ. وَلَكِنَّ صَفْحَةَ الْهَجُومِ
لَيْسَتْ إِلَّا لِلنَّبِيِّ ﷺ، إِذْ أَنَّهُ هُوَ الْمَعْصُومُ..

وَهَذَا النَّصُّ يَثْبُتُ أَنَّ عِصْمَتَهُ مِثْلُ عِصْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِأَنَّ قِتَالَ كَقِتَالِ
النَّبِيِّ ﷺ.

وَكَيْفَ تَقُولُ أَيُّهَا الْمُتَّخِمُ مِنْ مَوَائِدِ الطُّغَاةِ: إِنَّ عِصْمَةَ عَلِيٍّ وَإِمَامَتَهُ لَا تَثْبُتُ
بِالْأَحَادِيثِ وَإِنْ صَحَّتْ لِأَنَّهَا أَحَادِيثُ فُضَائِلٍ!.

فَهَلَّا جِئْنَا بِفَضِيلَةٍ مُشَابِهَةٍ لِهَذِهِ أَقَرَّ بِهَا أَصْحَابُ الْحَدِيثِ سُنَّةً كَانُوا أَمْ
خَوَارِجَ أَمْ مَرَجَّةً لِأَحَدِ أَصْنَامِكَ أَصْنَامِ الشُّرُورِ؟.

وَمَا الَّذِي يَدْعُوهُ لِلْقِتَالِ عَلَى التَّأْوِيلِ لَوْلَا الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ؟. كَمَا فِي اللَّفْظِ
الآتِي:

«عَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِقِتَالِ النَّاكِثِينَ
وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ».

مصادر الحديث: أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ وَهُوَ الْحَدِيثُ ٢٥٨٨ / ج ٦ / من كنز
العمال. وَنَقَلْتُهُ عَجَلًا مِنَ الْمُرَاجَعَاتِ وَلَمْ أَتَّبِعْ بَقِيَّةَ مَصَادِرِهِ.

أَلَا تَرَى أَنَّهُ أَمَرَ إِلَهِيًّا عَلَى لِسَانِ الرَّسُولِ ﷺ بِأَنْ يُقَاتَلَ هَذِهِ الْفِتَنَاتُ؟ وَهَلْ
يُؤْمَرُ شَخْصٌ عَادِيٌّ بِمِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ؟

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

«إِنَّ الْأُمَّةَ سَتَعْدُرُ بِكَ بَعْدِي وَأَنْتَ تَعِيشُ عَلَى مِلَّتِي وَتُقْتَلُ عَلَى سُنَّتِي مَنْ أَحَبَّكَ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَكَ أَبْغَضَنِي».

مصادر الحديث: مستدرک الحاکم علی الصحیحین/ج ۳/ ۱۴۷ - وأورده الذهبي في التلخيص معترفاً بصحته على ما نقله السيد شرف الدين الموسوي أعلى الله مقامه.

ونحن نذكر ذلك على عاديهم وألاً فعلم الرجال لا قيمة له بالمرّة، لأن الأمر النبوي هو في عرض الحديث على القرآن. وإنما خالفوه لأنهم لو فعلوا لاضطروا إلى تحديد معاني القرآن، إذ لا يُعقل أن يُحكّم به على الحديث مع الاختلاف في التفسير. وهم لا يريدون الحصول على التفسير الصحيح، بل يريدون المنع من ظهور التفسير الحق للقرآن، لأنه سيكشف المؤامرة كلها على قرينه «العترة»!

فإنهم ذلك فهذا هو السبب الوحيد والأوّل والأخير لظهور علم الرجال والتضعيف للأحاديث.. وخاصّة أخبار أهل البيت ﷺ لأنها جميعاً أخبار آحاد بسبب الاضطهاد!

وهذا الكاتب الأفاك يستخدم هذه الطرائق عينها لتضعيف الأحاديث التي لا تعجبه وتقوية التي يريدّها!

وعمله هذا وإن فعله أقوام من طائفة الشيعة فإنه لا يمت إلى الدين بصلة، وهو خلاف أوامر النبويّة والمنطق والعقل! فلا حجة فيه، إذ أكثر السنة والشيعة خلافة^(۱).

(۱) وهم أصحاب الحديث من السنة والشيعة والخباريين من الشيعة وهم خصوم للأصوليين منها.

ذَلِكَ لِأَنَّ الرِّجَالَ هُمْ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ عَلَى وَثَاقَةِ الرِّجَالِ فَيَقْبِي الاختلافَ قائماً بَيْنَ الرِّجَالِ!

والطريقَ الوحيدَ لتصحيح الأحاديثِ هُوَ قانونٌ لا يأتيه الباطلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ.

وَلَيْسَ هُنَاكَ سِوَى القرآنِ أو الإمامِ المنصوصِ عَلَيْهِ مِنَ الرسولِ .
أَمَّا الإمامُ فَقَتَلُوهُ بالسيفِ ، وَأَمَّا القرآنُ فَقَتَلُوهُ بِتَعَدُّدِ التَّأْوِيلِ وابتداعِ
المرادفاتِ والمجازِ لتوجيهِ النصوصِ بِحَسَبِ الشَّهِيَّةِ ! .

وَجَعَلُوا مَكَانَهُمَا أَنْفُسَهُمْ مِنْ خِلَالِ عِلْمِ الرِّجَالِ فَحَلُّوا مَحَلَّ الثَّقَلَيْنِ
كِلَيْهِمَا . فَلَعَنَهُ اللهُ عَلَى الظَّالِمِينَ . ثُمَّ وَضَعُوا شُرُوطاً قَاسِيَةً جِدًّا لِلرِّجَالِ ،
قَاسِيَةً ضِدَّ الْخُصُومِ لَا ضِدَّ الْإِنْتِحَالِ وَالْوَضْعِ ، فَمَرَّتْ مِنْهَا الْمَوْضُوعَاتُ وَلَمْ
تَمُرْ مِنْهَا الصِّحَاحُ ، لِأَنَّهَا تَتَحَدَّثُ عَنْ كُلِّ مَا يُدْمِرُ الْمُؤَامِرَةَ وَأَصْحَابَهَا
مُشْمُولِينَ كَأَسَانِيدِ بَشَرٍ بِشُرُوطِ الْإِسْتِبْعَادِ .

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ تَحَامَلُوا أَكْثَرَ مِمَّا هُوَ مَذْكُورٌ فِي الشُّرُوطِ وَمَنَعُوا مِنْ تَسْجِيلِ
الْأَحَادِيثِ بِأَقْسَى مِمَّا هُوَ مُشْرُوطٌ ، فَانْبَرَى بَعْضُ مَنْ بَقِيَ عَنْدهُمْ ضَمِيرٌ حَيٌّ
وَاسْتَذَرَكُوا عَلَى الْأَحَادِيثِ الْمَارَّةِ بِنَفْسِ الشُّرُوطِ . وَكَأَنَّ لِسَانَ حَالِهِمْ يَقُولُ :
اظْلَمُوا وَلَكِنْ بِالْقَانُونِ الْمَوْضُوعِ عِنْدَكُمْ لِلظُّلْمِ ! . . فَيَا لِبُؤْسِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِذَا
انْكَشَفَ الْمُسْتَوْرُ ! .

وَعَلَى هَذَا فَالْكَاتِبُ يَسْتَخْدِمُ الْأَسْلُوبَ الْإِنْتِقَائِيَّ لِلْحَدِيثِ . فَلِلْمِزْءِ أَنْ يَقُولَ
لَهُ : إِنَّ كُلَّ مَا تَسْتَشْهِدُ بِهِ مَوْضُوعٌ وَمُزَيَّفٌ ! . فَيَقْبِي كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى مَا أَرَادَ .
أَهَذَا هُوَ الدِّينُ الَّذِي تَدْعُو لَهُ أَيُّهَا الْكَذُوبُ ؟ .

أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ الْحَدِيثَ النَّبَوِيَّ مُحَارَبٌ بُعِيدَ رَحِيلِ النَّبِيِّ وَأَنَّ الشَّيْخِينَ جَمَعَا
الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ وَأَخْرَقَاهُ مَرَّتَيْنِ وَلَمْ يَقْدِرْ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَنَامَ اللَّيْلَ بَعْدَ جَمْعِهِ
الْحَدِيثَ فَأَمَرَ بِأَخْرَاقِهِ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ؟

فَلِمَاذَا يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ لِعَلِيِّ ﷺ سَتَغْدُرُ بِكَ الْأُمَّةُ مِنْ بَعْدِي؟ .
 فَإِذَا كَانَ مُرَشَّحًا لِلْخِلَافَةِ أَسْوَةً بِكُلِّ الْمُرَشَّحِينَ فَلَا مَغْدُورَ فِيهِمْ فَازَ مَنْ فَازَ
 بِهَا، بَلْ هُمْ أَخَوَةٌ فِي الْإِيمَانِ يَحْكُمُهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَرُونَهُ بِحَسَبِ عَقُولِهِمْ هُوَ
 الْأَكْفَأُ بَيْنَ الْجَمِيعِ .

أَلَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ أَحْسَنُ صُورَةٍ لِلشُّورَى؟
 يَا لِلْعَجَبِ وَكَأَنَّ هَؤُلَاءِ مَلَائِكَةٌ!
 وَكَأَنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ تَنْزِلْ فِي أَكْثَرِهِمْ آيَاتُ النِّفَاقِ الْمَبْثُوثَةِ فِي سُورِ التَّوْبَةِ وَالنِّسَاءِ
 وَالتَّحْرِيمِ وَالْأَحْزَابِ وَالْحَدِيدِ وَغَيْرِهَا!
 وَإِذَا صَحَّ مَا تَقُولُ فَلَا مَغْدُورَ . . فَلِمَاذَا تَغْدِرُ بِهِ الْأُمَّةُ؟ .
 إِنَّمَا بَلَى . . فَلَا شَأْنَ لَكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، بَلْ هُوَ عَدُوُّكُمْ اللَّدُودُ شَأْنُهُ شَأْنُ
 قَرِينِهِ . . وَهَذَا مَا أَخْبَرَ بِهِ عَلِيُّ ﷺ أَيْضًا حَيْثُ قَالَ:

«إِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلَا أَظْهَرَ
 مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ
 سَلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِّيَ حَقٌّ تَلَاوَتِهِ «لَا حِطَّ: : ! . . مُتَتَّهِى صَفْحَةَ التَّأْوِيلِ
 اللَّغْوِيِّ!» وَلَا شَيْءٌ فِي الْبِلَادِ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ، فَقَدْ
 نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ، فَالْكِتَابُ يَوْمِيذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَانِ،
 وَصَاحِبَانِ مُصْطَحَبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُوَوِّيهُمَا مَوْيِدٌ، فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ
 الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ، لَأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ
 الْهُدَى وَإِنْ اجْتَمَعَا، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ كَانَتْهُمْ
 أَيْمَةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ» .

نهج البلاغة - الخطبة/ ١٤٥

وَاللَّهُ لَوْ وُزِنَتْ هَذِهِ السُّطُورُ بِكُلِّ مَا أُنتَجَتْهُ الْأُمَّةُ مِنْ أُبْحَاطٍ لِأَصْبَحَتْ

أَبْحَاثُهُمْ هَبَاءٌ وَلَرَجَحَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ عَلَيْهَا رُجْحَانِ الْجِبَالِ عَلَى الدُّخَانِ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.

نَعَمْ . . إِنَّ الْقُرْآنَ مَعَهُمْ وَلَيْسَ مَعَهُمْ .

فهذه نتيجة التأويل : أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ تَابِعاً لِلْأَهْوَاءِ وَلَيْسَ مَتَبوعاً . وَهُوَ مَعَهُمْ
يَسْمَعُونَهُ مِنَ الْإِذَاعَاتِ وَمُحَطَّاتِ التَّلْفِزِيُونِ وَمَجَالِسِ الْفَاتَحَةِ وَيَضْعُونَهُ فِي
الْمَكَاتِبِ وَالسَّيَارَاتِ لِيَدْرَ عَلَيْهِمُ الْمَالُ وَيَحْفَظَهُمُ مِنَ الشَّيَاطِينِ !
يَا لِبُؤْسِ أَهْلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ! .

فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَهُ وَإِذَا سَمِعُوهُ لَا يَقُولُونَ : «مَاذَا يَعْنِي؟» . وَإِذَا قَالُوا : «مَاذَا
يَعْنِي؟» . قَالُوا قَبْلَهُ وَمِنْ عِنْدِهِمْ لَا مِنْ عِنْدِهِ : «يَعْنِي كَذَا وَكَذَا» .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : تَدَبَّرُوا لَا يَتَدَبَّرُونَ ، وَإِذَا حَاولُوا لَا يَعْلَمُونَ . . وَإِذَا أُخْبِرَتْهُمْ
أَنْ يَعْلَمُوا لَا يُصَدِّقُونَ ، وَإِذَا صَدَّقُوا لَا يُؤْمِنُونَ ، وَإِذَا آمَنُوا لَا يَعْمَلُونَ . .

فَمِنْ أَيْنَ تَأْتِيهِمْ بَرَكَةُ الْكِتَابِ؟ أَوْ كَمَا قَالَ صَدِيقِي نَثْرًا :

«عَلَى الْمَكْتَبِ قرآنٌ وَالْجَالِسُ شَيْطَانٌ» !

س - وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ :

نَحْنُ الشُّعَارُ وَالْأَصْحَابُ وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ . وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ
أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا عُدَّ سَارِقًا . .

نهج البلاغة/ الخطبة/ ١٥٢

كَيْفَ تَقُولُ أَيُّهَا الْكَذَّابُ إِنَّ عَلِيًّا لَمْ يَكُنْ يَرَى لِنَفْسِهِ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ حَقًّا فِي
الْإِمَامَةِ وَلَا أَشَارَ إِلَى الْوَصِيَّةِ؟ .

فَمَا مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ؟

وَكَيْفَ تَقُولُ لَا شَيْءَ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ يُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ؟! .!

أَوْ لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّكَ تُرِيدُ الْوَصُولَ إِلَى الدِّينِ مِنْ غَيْرِ الْبَابِ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ
«وَلَنْ تَصِلَ..؟».

فَأَنْتَ إِذَنْ بِحَسَبِ هَذَا النَّصِّ سَارِقٌ!

فيا لبؤسِكَ: كَذَابٌ وَسَارِقٌ أَيْضًا؟!

لأنَّ قولَكَ هُوَ بِخِلَافِ مَا قَالَ.

أقولُ: الألفاظُ الْوَاردَةُ فِي النَّصِّ مَنبُعُهَا قرآنيٌّ:

فالشُّعَارُ النَّبَوِيُّ «يا مَنْصُورُ أَمِثْ» وَهُوَ عَلَى الرَّايَةِ وَمَوَارِدُ النَّصْرِ كُلُّهَا
فِيهِمْ ﷺ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣].

وَالآيَةُ هِيَ فِي الْمَهْدِيِّ ﷺ.

وقوله تَعَالَى:

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

فَالرُّسُلُ لَمْ يَنْصُرُوا بَلْ كُذِّبُوا كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، وَيَكُونُ نَصْرُهُمْ يَوْمَ
الْمَهْدِيِّ ﷺ.

وَكَذَلِكَ بَقِيَّةُ الْمَوَارِدِ الْقُرْآنِيَّةِ الْكَثِيرَةِ وَفِيهَا نصوصٌ نبويَّةٌ كَثِيرَةٌ جَدًّا «من
الفريقين» حَسَبَ تَعْيِيرِهِمْ.

وقوله: «الأَصْحَابُ» هُمُ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ. وَحَالُهُمْ مَزْبُورٌ فِي سُورَةِ
الْأَعْرَافِ يَلْعَنُونَ الْحُكَّامَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَأَتْبَاعَهُمْ وَأَشْيَاعَهُمْ وَيَدْخُلُونَهُمُ النَّارَ
وَيَشْفَعُونَ لَشِيعَةِ عَلِيٍّ ﷺ وَلِمَنْ وَالَاهُمْ وَآمَنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَلَمْ يُشْرِكْ فِي
حُكْمِهِ أَحَدًا سِوَاهُ.

وقوله: «الْحَزَنَةُ» حَزَنَةُ جَهَنَّمَ وَحَزَنَةُ الْجَنَّةِ. ذَلِكَ أَنَّ أَمِيرَ هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ عَلِيُّ عليه السلام. كَذَلِكَ فِي الرَّجْعَةِ بَعْدَ ظَهْوَرِ الْمَهْدِيِّ عليه السلام، وَفِيهِ اتِّفَاقٌ دَلَالِيٌّ نَصِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ كَمَا قَالَ عليه السلام:

عَلَى قَسِيمِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ (١)

قَالَ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِ احْتِجَاجِ الْأَتْبَاعِ عَلَى قَادَتِهِمْ فِي النَّارِ:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُم رُّسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٤٩-٥٠].

هَذِهِ آيَةٌ مِّنَ الْآيَاتِ الْعَجَبِيَّةِ جِدًّا وَهِيَ تُثَبِّتُ أَنَّ الْعَذَابَ كَانَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْدِيهِمْ بَحِثُ أَنَّ الْعَارِفَ بِالْحَقَائِقِ قَادِرٌ عَلَى تَغْيِيرِ الْحَالِ بِالْدُّعَاءِ. وَلِذَلِكَ قَالُوا لَهُمْ: «ادْعُوا أَنْتُمْ فَنَحْنُ وَلِيَّاكُمْ سِوَاءٍ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقَائِقِ مَا دَامَتْ رُسُلُكُمْ قَدْ جَاءَتْكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَتَقْرُؤُونَ أَنَّكُمْ تَعْرِفُونَهَا جَيِّدًا...».

وَبِالطَّبْعِ يَدْعُونَ... وَلَكِنَّ دُعَاءَهُمْ فِي ضَلَالٍ وَأُؤْمِرُهُمْ إِلَى النَّارِ وَمَصَادِرِ الْعَذَابِ لَا تَنْفُذُ لِأَنَّ نَوَايَاهُمْ خَبِيثَةٌ لَا لِأَنَّ عِلْمَهُمْ قَاصِرٌ... وَهُمْ مِثْلُ هَذَا الْكَاتِبِ يَعْرِفُ الْحَقَّ وَيُعْرِضُ عَنْهُ.

هَذَا الْأَمْرُ يَتَحَقَّقُ بَعْدَ انْكِشَافِ الْحُجُبِ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْوَاقِعِ عِنْدَ حُصُولِ التَّغْيِيرِ الطَّبِيعِيِّ إِبَّانَ ظَهْوَرِ الْمَهْدِيِّ عليه السلام.

وَالْحَدِيثُ هُوَ عَنْ مَرَحَلَةِ «النَّارِ»، وَلَكِنَّ الْخِطَابَ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ. وَالنَّارُ هِيَ إِحْدَى مَرَاكِهَا الْأُولَى.

وَقَدْ سَمَّى الرَّسُولُ عليه السلام عَلِيًّا قَسِيمَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَحَامِلَ رَايَةِ النَّبِيِّ عليه السلام يَوْمَ

(١) ستأتي مصادر الحديث قريباً.

القيامة وحامل اللواء «وفيه دلالة على الشُّعَارِ» وسمَّاه صاحب الحوض وصاحب الجواز. وفي كُلِّ مِنْهَا نصوصٌ أَخْرَجَهَا أصحابُ الحديثِ قَبْلَ عَضْرِ الكلامِ والفِقْهِ، فمنها مثلاً:

الحديث الأول: حديث حمل اللواء:

عَنِ ابْنِ سَمُرَةَ قَالَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ يَحْمِلُ رَايَتَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟». قَالَ: «مَنْ عَسَى أَنْ يَحْمِلَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ كَانَ يَحْمِلُهَا فِي الدُّنْيَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ».

هَذَا الْحَدِيثُ هُوَ الْمَرْقُومُ ٣٩٨/ج ٦ مِنْ أَحَادِيثِ الْكَتَرِ.

قَالَ: وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ أَيْضًا. وَهُوَ فِي الْحَلِيَّةِ ج ١/٦٦.

أَقُولُ: وَبَحَثْتُ عَنْهُ فِي مَا أُسْنِدَ إِلَى جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ فَوَجَدْتُهُ فِعْلًا عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي ج ٢/ص ٢٤٧/ طبعة بغداد - وزارة الأوقاف وَهُوَ الْمَرْقُومُ «٢٠٣٦» مِنَ الْجُزْءِ الثَّانِي. وَلَكِنَّ لَفْظَهُ مُخْتَلَفٌ، وَالْاِخْتِلَافُ هَامٌ. فَفِيهِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

وَمَنْ يُحْسِنُ أَنْ يَحْمِلَهَا إِلَّا مَنْ حَمَلَهَا فِي الدُّنْيَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.
وَالظَّاهِرُ أَنَّ بَعْضَ عَبَدَةِ الطَّاغُوتِ أَبْدَلَ مُفْرَدَةَ «يُحْسِنُ» بِلَفْظَةِ «عَسَى»
لِلتَّخْفِيفِ مِنْ وَطْائِهَا عَلَى الْقَوْمِ. وَرَوَاهُ الْخَطِيبُ أَيْضًا فِي ج ١٤/ص ٩٨.

الحديث الثاني: حديث حمل اللواء «لواء الحملى»:

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَذَكَرَ خُمْسَ خِصَالِ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «وَأَمَّا الرَّابِعَةُ فَإِنَّ لَوَاءَهَا مَعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَحْتَهُ آدَمُ وَمَا وَلَدَ».

ذَكَرَهُ فِي الْكَتَرِ ج ٦/٤٠٣ عَنْ الْحَارِثِ.

وَوَرَدَ حَدِيثُ حَمْلِ اللَّوَاءِ فِي نصوصٍ أُخْرَى مُتَفَرِّقَةٍ فِي ذَخَائِرِ الْعَقَبِيِّ/ ٧٥
وَالرِّيَاضِ النَّصْرَةِ ج ٢/٢٠١ وَالْكَتَرِ ج ٦/٣٩٣ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

الحديث الثالث: حديث سِقَايَةِ حَوْضِ الْكَوْثَرِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عَلِيُّ مَعَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَصَا مِنْ عِصِي الْجَنَّةِ تَذُودُ بِهَا الْمُنَافِقِينَ عَنْ حَوْضِي

تهذيب التهذيب/ج ٣/ ٢٨٤ والمجمع ج ٩/ ١٣٥.

ومن الفاظه الأخرى:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَوْضِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيهِ أَكْوَابٌ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَسِعَةُ حَوْضِي مَا بَيْنَ الْحَايَةِ إِلَى صَنْعَاءَ.

المجمع ج ١٠/٣٦٧. قَالَ: «وَقَدْ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ».

والأحاديث في هذا كثيرة. فانظر: تاريخ بغداد ج ١٤/ ٩٨، والحلية/ ج ١٠/ ٢١١، والكنز ج ٦/ ٤٠٢، والمستدرک للحاکم ج ٣/ ١٣٨، وأحاديث أخرى متفرقة في الكنز بهذا المضمون في ج ٦/ ٤٠٠، ٤٠٣، ٣٩٣.

الحديثُ الرابعُ: حديثُ صاحبِ الجَوازِ:

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ عَلَى الصَّرَاطِ لَعَقَبَةً لَا يَجُوزُهَا أَحَدٌ إِلَّا بِجَوَازٍ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ...».

وفيه ألفاظٌ مختلفةٌ ومضامينٌ متعدّدة. ومن مصادره تاريخُ بغدادَ للخطيب ج ١٠/٣٥٦، والرياضُ النضرةُ ج ٢/١٧٢ و ١٧٧.

الحديث الخامس: حَدِيثُ قَسِيمِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ:

وَرَدَ هَذَا الْحَدِيثُ فِي الْمُنَاشِدَةِ الْمَذْكُورَةِ سَابِقاً حَيْثُ احْتِجَّ بِهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْإِمَامَةِ. وَذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ أَنَّهُ قَالَ لِلْسَّيِّدَةِ أَصْحَابِ شُورَى عُمَرَ فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ مِنْهُ :
أُنْشِدُكُمْ اللَّهَ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا عَلِيُّ أَنْتَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ
وَالنَّارِ غَيْرِي؟. قَالُوا: اللَّهُمَّ لَا.

مِنْ مَصَادِرِهِ: الصواعق/ ٧٥ - وَهُوَ مِنْ أَحَادِيثِ الْكَتَر ج٦/ ٤٠٢ - وَذَكَرَهُ
الْمَنَاوِي فِي كُنُوزِ الْحَقَائِقِ/ ٩٢.

فَإِذَا كَانَ أَصْحَابُ الشُّورَى يَكْذِبُونَ فِي رَوَايَةِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فِي مَنْ هُوَ
خَصْمُهُم بِالْإِمَامَةِ، فَهُمْ فِي الشُّورَى أَكْذَبُ.

فَهَلْ هَذَا مِنْ كَلَامِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَيْهَا الْأَفَّاكُ أَمْ هُوَ مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟
عَوْدَةٌ لِشَرْحِ فُقْرَةٍ أُخْرَى مِنْ قَوْلِهِ فِي «س»:
قَوْلُهُ ﷺ فِي النَّصِّ:

«وَالْأَبْوَابُ»: الْمُرَادُ أَبْوَابُ رَحْمَتِهِ تَعَالَى وَأَبْوَابُ الْعِلْمِ وَأَبْوَابُ الْخَيْرِ...
وَهِيَ إِشَارَةٌ مُخْتَصِرَةٌ لِمَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي كَوْنِهِ بَابَ مَدِينَةِ الْعِلْمِ وَبَابَ
بَيْتِ الْحِكْمَةِ وَسِوَاهَا مِنْ أَلْفَاظٍ. وَمَا يَلِي الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةَ:

الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَلَيَّ بَابُ عَمَلِي وَمُبَيِّنٌ لَأَمَّتِي مَا أُرْسِلْتُ بِهِ مِنْ
بُعْدِي.

مَصَادِرُهُ: كَتَرُ الْعَمَالِ/ ٦/ ١٥٦، فَضَائِلُ عَلِيٍّ لِلْسَيُوطِيِّ/ ح٣٨.

الْحَدِيثُ الثَّانِي:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَا دَارُ الْحِكْمَةِ وَعَلَيَّ بَابُهَا.

مَصَادِرُهُ: صَحِيحُ التِّرْمِذِيِّ ٢/ ٢١٤/ الحلية/ ١/ ٦٤، مَصَابِيحُ السَّنَةِ/ ٢/
٢٧٥.

الْحَدِيثُ الثَّالِثُ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَا دَارُ الْعِلْمِ وَعَلَيَّ بَابُهَا.

مَصَادِرُهُ: ذَخَائِرُ الطَّبْرِيِّ/ ٧٧ - الْبَغْوِيُّ فِي الْمَصَابِيحِ.

الحديث الرابع:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَيَّ بَابُهَا وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا.

مصادره: مستدرک النيسابوري / ۳/ ۱۲۶-۱۲۸، مناقب ابن شهر آشوب ۱/ ۲۶۱ الطبراني في الأوسط والكبير - بالرواية الحرث، عاصم، حذيفة، ابن عباس، سعيد بن جبیر. فابحث عنه في هذه الأسماء لأن ترتيب معجمه على الأسماء لا على مضمون الحديث، المناقب لابن حنبل/ ۲۴۱، مسند البزار الكبير، مستدرک الحاكم على الصحيحين ۳/ ۱۲۷، جامع الترمذي/ ۲۷۹/ الاستيعاب لابن عبد البر / ۲/ ۴۶۱، أسد الغابة/ ۴/ ۲۲، تذكرة الحفاظ للذهبي ۴/ ۲۸، العسقلاني في التهذيب ۷/ ۳۳۷.

هَذَا وَهَنَّاكَ ثَبَّتْ بِمَصَادِرِ الْحَدِيثِ وَرَوَاتِهِ وَهِيَ تَبْلُغُ «۱۴۳» مَصَدْرًا مِنْ كُتُبِ الْعَامَّةِ عِدَا مِثَالِ الْمَوَارِدِ الْأُخْرَى لَهُ فِي كُتُبِ الْأَدَبِ وَاللُّغَةِ وَالدراسات. وَقَدْ جَلَّى أَكْثَرَهَا الْحَبْرُ الْعَلَمُ الْمُجَاهِدُ عَبْدُ الْحُسَيْنِ الْأَمِينِي النَجْفِي فِي كِتَابِهِ «الغدير» الَّذِي هُوَ شَوْكَةٌ فِي عِيُونِ الْحَاقِدِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، يَخَافُونَ الْاقْتِرَابَ مِنْهُ لِأَنَّهُ فِيهِ فُضَائِحُهُمْ وَمَخَازِيَهُمْ، وَلَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى تَزْوِيرِ وَإِعَادَةِ طَبْعِ مِثَالِ الْمَصَادِرِ كَمَا فَعَلُوا فِي بَعْضِهَا فغَيَّرُوهَا وَحَرَّفُوهَا. . . وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى صَرْفِ الْأَمْوَالِ الطَّائِلَةِ عَلَى هَذِهِ الْغَايَةِ وَبَطُونُهُمْ نَهْمَةً لَا تَشْبَعُ إِلَّا أَنْ تُحْشَى نَارًا فِي جَهَنَّمَ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ.

لَمْ يَكْتَفُوا بِالْمَحَنَةِ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَى عُلَمَاءِ السَّنَةِ الْقَدَامَى حَيْثُ أُخْرِجُوا هَذِهِ الْأَحَادِيثَ لِإِفْهَامِ الْأَجْيَالِ مُحْتَتِّهِمْ مَعَ السُّلْطَاتِ. فَإِذَا الزَّمَانُ يَأْتِي بِقَوْمٍ يَكْذِبُونَ أَهْلَ السَّنَةِ وَالشَّيْعَةَ فِيمَا حَدَّثُوا بِهِ وَنَقَلُوهُ تَمْهِيدًا لِلْإِجْهَازِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ!!

وَهَذِهِ هِيَ حَقِيقَةُ أَهْدَافِهِمْ. . . وَلَا تَحْسَبَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَخَصْمَهُ هُمْ الْمَوْضُوعُ!

لا . . لا يا أخي القارئ لا تتوهم في هذا . فالكلام كله والصراع كله لا زال
يدور على . . «محمّد»!! .

ومَا هَذِهِ الْأَسْمَاءُ إِلَّا وَاجِهَاتُ أُخْرَى لِهَذَا الصِّرَاعِ لَا غَيْرَ! .

فَإِذَا شَكَّكَتْ فَانْظُرْ جَمِيعَ مُؤَلَّفَاتِ هَذِهِ الْمَوْجَةِ الْجَدِيدَةِ!

فَإِنَّهَا مُنَظَّمَةٌ بِدَقَّةٍ مُتَنَاهِيَةٍ وَمَرْسُومَةٌ الْخَطُوطِ، وَهَذِهِ بَعْضُ أَسْمَائِهَا:

صادق جلال العظم، مُحمَّد شحرور، نصر أبو زيد، سلمان رشدي، أحمد
الكاظم - تيار واحدٌ وهَدَفٌ مُشْتَرَكٌ يُدِيرُهُ مُحمَّد الجابري. رأسُ مالِهِ الْكَذِبُ
وسلَاحُهُ اللُّغَةُ وجيوبُهُ عِوَنُ الْبَرْوَلِ الْعَرَبِيِّ وَمَكْتَبَتُهُ طَاوِلَةُ الْمَفَاوِضَاتِ مَعَ
إِسْرَائِيلَ. . .

وآخَرُونَ هَرَعُوا خَلَفَهُمْ بِلَا وَعْيٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مَنِيرٍ بِحُجَّةِ التَّجْدِيدِ.
وَمَا جَاؤُوا بِجَدِيدٍ سِوَى جَدِيدِ الْمَلَأِ مِنْ قُرَيْشٍ!

أَلَا تُلَاحِظُ هَذَا الْأَفَّاكَ يُدَافِعُ عَنْ دَعَاوَى قُرَيْشٍ ضِدَّ الْأَنْصَارِ وَالِ
الرَّسُولِ؟ .

وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ أَبُو زَيْدٍ وَرَشْدِي وَشَحْرُورُ فَإِنَّهُمْ يُفَسِّرُونَ الدِّينَ تَفْسِيرًا مَادِيًّا
مُتَهَلِّهًا. . وَمُشْكِلَةً النَّصِّ وَالْوَصِيَّةَ هُمَا عَقَبَةُ كُبْرَى أَمَامَهُمْ. فَهِيَ أَكْبَرُ مِنْ عَقَبَةِ
الْقُرْآنِ نَفْسِهِ.

فَهَلْ فَهَمَّتْ مَا أَقُولُ؟ .

إِفْهَمْ يَا أَخِي وَشَغُلْ عَقْلَكَ. . فَالْقُرْآنُ عِنْدَهُمْ أَمْرُهُ هَيِّنٌ. وَهَذَا هُمْ يَدْعُونَ
لِفَهْمِ آخَرٍ لِلنَّصِّ بِنَاءً عَلَى طُرُقِ التَّحْلِيلِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي لَا أَسْوَأَ مِنْهَا. وَلِذَلِكَ
عَلَيْكَ أَنْ تَقْرَأَ أَبْحَاثَ اللُّغَةِ كُلِّهَا الْحَدِيثَةَ وَالْقَدِيمَةَ لِتَفْهَمَ الْمُؤَامَرَةَ! .

أَمَّا الْوَصِيَّةُ فَهِيَ الْعَقَبَةُ الْأَعْظَمُ عِنْدَهُمْ. ذَلِكَ لِأَنَّ مُحمَّدًا عِنْدَهُمْ لَيْسَ إِلَّا
مُجَرَّدَ رَجُلٍ «عَبْقَرِيٌّ» فِي أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ، وَهُوَ صَاحِبُ دَوْلَةٍ وَمُؤَسَّسُ

لِمُجْتَمَعٍ، وَقُرْآنَ السَّمَاءِ هُوَ مُجَرَّدُ ادِّعَاءٍ لِإِقْنَاعِ النَّاسِ. وَلَكِنْ ظَهَرَ مِنْ سِيرَتِهِ وَأَعْمَالِهِ أَنَّهُ مُجِبٌّ لِلْخَيْرِ وَرَجُلٌ سِيَاسَةٌ مُوَحِّدٌ لِقَوْمِهِ، فَهُوَ مُعَادٍ شَدِيدُ الْعَدَاءِ لِلْقَبِيلِيَّةِ وَالْعَشَائِرِيَّةِ. وَلِذَا كَانَ يُفْتَرَضُ أَنْ يَضَعَ لَهُمْ نِظَامًا اخْتِيَابِيًّا.

وَعَلَى تَفْسِيرِهِمْ هَذَا.. يَجِبُ أَلَّا يَكُونَ فِي عَقِيدَتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَفَاهِيمِ الْوَرَاثَةِ وَالْوَصِيَّةِ وَالْخِلَافَةِ الْعَائِلِيَّةِ، لِأَنَّهُ حَارَبَهَا أَضْلًا بِكُلِّ قُوَّةٍ.

وَلَا يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ مُحَارَبَتِهِ لِلْعَشَائِرِيَّةِ وَالْقَبِيلِيَّةِ وَبَيْنَ تَثْبِيتهِ لَوْصِيٍّ لَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَجَعْلِهِ وَلِيًّا لِعَهْدِهِ إِلَّا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ أَنَّهُ لَا دَخَلَ لَهُ بِهَذَا الْأَمْرِ، وَأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِهِ بِالْفِعْلِ مِنَ السَّمَاءِ. وَهَذَا يُثْبِتُ عَكْسَ الْمَطْلُوبِ.. إِنَّهُ يُثْبِتُ أَنَّهُ نَبِيٌّ بِالْفِعْلِ!. وَإِذَنْ فَالْوَصِيَّةُ تُثْبِتُ النُّبُوَّةَ!!.

الصَّرَاحُ كُلُّهُ هُوَ عَنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ!.

وَالْإِمَامُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ أَيْضًا. فَقَدْ أَعَادَ كُلَّ أَسْبَابِ الْبُغْضِ وَالْحَرْبِ عَلَيْهِ إِلَى النَّبِيِّ!

وَذَكَرَ أَنَّ كُلَّ الَّذِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى التَّصْرِيحِ بِتَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ أَوْ مُحَارَبَتِهِ سَيَسْلُكُونَ سَبِيلًا آخَرَ هُوَ مُحَارَبَةُ عَلِيٍّ!.

وَبِشَأْنِ الْوَصِيَّةِ فَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ مَا يُشَبِّهُ الْإِعْتِدَارَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ بِشَأْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ!.

فَقَدْ ذَكَرَ لِقُرَيْشٍ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ أَنَّهُ عَبْدٌ مَأْمُورٌ يَنْفِذُ مَا يُوحَى إِلَيْهِ، بَلْ اسْتَكْبَى وَبَكَى لِحُذِيفَةَ حَتَّى ابْتَلَتْ لَحِيَّةَ حُذِيفَةَ لِبَكَاءِ النَّبِيِّ، إِذْ بَكَى مَعَهُ طَوِيلًا وَهُوَ لَا يَذَرِي مِمَّ يَبْكِي!

وَكَانَ الَّذِي أَبْكَاهُ هُوَ آيَةُ التَّبْلِيغِ وَالْوِلَايَةِ.. فَالْإِشَارَاتُ وَالنُّصُوصُ الَّتِي قَالَهَا فِي كُلِّ حَيَاتِهِ لَمْ تَجْعَلِ الْقَوْمَ يُحِبُّونَ عَلِيًّا، بَلْ كَانُوا يَحْتَرِمُونَهُ فَقَطْ لِأَجْلِ إِجْلَالِ النَّبِيِّ لَهُ، وَلِمَوَاقِفِهِ الَّتِي لَا مَغْمَزَ فِيهَا لِأَحَدٍ.

إِنَّهُ إِقْرَارٌ إجباريٌّ بالفضل!

وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَسْعَى لِلْحُبِّ!

وَأَكَّدَ قَضِيَّةَ الْحُبِّ فِي عَشْرَاتِ النُّصُوصِ فَرَاغِهَا فِي الْكُتُبِ الْمَخْصُصَةِ
فَإِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَذْكَرَ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ.

وَلَأَجَلَ هَذَا نَزَلَتْ آيَةُ «الْمُودَّةِ» فِي الْقُرْآنِ.

لَكِنَّ الْقَوْمَ مَا أَحْبُّوا عَلِيًّا قَطُّ.. وَالَّذِينَ أَحْبُّوه ظَاهِرًا وَبَاطِنًا كَانُوا نَفَرًا
مَعْدُودِينَ!!.

سَأَكْشِفُ لَكَ الْآنَ عَنْ هَذَا السِّرِّ:

لَقَدْ دَرَسْتُ حَيَاةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً مُتَوَاصِلَةً فِي عِلَاقَتِهِ مَعَ
عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَقِيَّةِ الْأَصْحَابِ وَعُمُومِ النَّاسِ وَالْمَلَلِ.

لَقَدْ اكْتَشَفْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي مِحْنَةٍ كَبِيرَةٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اسْتَمَرَ فِي
إِبْتِلَائِهِ بِهَا.

وَهَذِهِ الْمِحْنَةُ هِيَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

صَحِيحٌ أَنَّ عَلِيًّا رَبِيئُهُ وَحَبِيبُهُ، فَقَدْ كَانَ يُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ النَّاسِ. وَلَكِنِّي
اِكْتَشَفْتُ أَنَّهُ كَانَ يَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي اسْمُهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَيْسَ
ابْنَ عَمِّهِ وَلَا يَمُتُ لَهُ بِصِلَةٍ قُرْبَى تُذَكِّرُ!

كَانَ يَتَمَنَّى ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُصَدِّقَ النَّاسُ أَنَّهُ مَا أَحَبَّهُ لِأَنَّهُ ابْنُ عَمٍّ لَهُ.. فَمَا
أَكْثَرَ أَوْلَادَ الْعَمِّ!، بَيِّدَ أَنْ عُقُولَ النَّاسِ هِيَ عُقُولُ عَشَائِرِيَّةٍ وَقَبَلِيَّةٍ، وَلَا زَالَتْ
إِلَى الْيَوْمِ كَذَلِكَ. وَقَدْ سَمِعْتُ إِذَاعَةَ عَرَبِيَّةٍ تَتَحَدَّثُ فِيهَا رَجُلٌ عَنِ الْإِنتِخَابَاتِ
الْمَحَلِّيَّةِ وَيَنْقُذُهَا بِالْقَوْلِ:

«لَا زَالَ مُجْتَمَعُنَا غَارِقًا فِي الْعَشَائِرِيَّةِ فَإِنَّهُمْ لَا يَتَخَبَّرُونَ لِأَيِّ سَبَبٍ وَجِيهٍ
سِوَى أَنَّ هَذَا ابْنُ عَمِّي وَهَذَا مِنْ عَشِيرَتِي!!» - سَمِعْتُ هَذَا بِتَارِيخِ ٣/٤/
١٩٩٩ - فَكَيْفَ كَانَتِ الْعَشَائِرِيَّةُ قَبْلَ أَلْفِ وَأَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ؟.

إِنَّ هُنَاكَ آيَاتٍ قُرْآنِيَّةً تُشِيرُ إِلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ . وَهِيَ تَوْكَدُ لَهُ ﷺ أَنَّ مَا جَاءَهُ بِشَأْنِ عَلِيٍّ ﷺ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنَّ الْحَقَّ لَا يَتَجَرَّأُ !! .

إِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يَبْتَلِيَ الْخَلْقَ بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ . فَمَنْ أَحَبَّ مُحَمَّدًا بِحَقِّ لَا بُدَّ أَنْ يُحِبَّ كُلَّ مَا يَأْتِي بِهِ مُحَمَّدٌ حَتَّى لَوْ كَانَ يَخْصُ أَرْحَامَهُ ! .

ذَلِكَ لِأَنِّي لَوْ قُلْتُ : «يُحَابِي أَرْحَامَهُ وَيَتَحَيَّرُ لَهُمْ» ، فَهُنَاكَ عِنْدِي إِذَنْ شَكٌّ أَسْبَقُ بِنَبْوَتِهِ ! .

هَذَا هُوَ مَكْرُ اللَّهِ !

إِنَّهُ يَسْتَخْرِجُ مَكْنُونََ النُّفُوسِ بِأَوَامِرَ غَرِيبَةٍ ، وَيَبْتَلِي بِهَا الْخَلْقَ .

الَّذِينَ هُوَ التَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ لَا الْبَحْثُ فِي أَمْرِ اللَّهِ ! .

يَصِحُّ الْبَحْثُ حِينَمَا لَا أَعْلَمُ بِالْأَمْرِ وَالْمُرَادِ الْإِلَهِيِّ ، فَأُبْحَثُ عَنِ الْمُرَادِ !

وَبَعْدَ أَنْ أَعْرِفَ الْمُرَادَ لَا يَحِقُّ لِي الْبَحْثُ ، بَلْ أُسَلِّمُ وَأَطِيعُ . ! .

إِنَّ هَذَا الْخَلْقَ أَكْثَرُهُ لَا يَطِيعُ . . إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُشَرِّعَ مَعَ اللَّهِ !

هَذِهِ هِيَ كُلُّ الْقَضِيَّةِ !

وَفِي النِّهَايَةِ فَلَنِيَسْتَ جَهَنَّمُ مَخْلُوقَةٌ إِلَّا لِلَّذِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يُشَرِّعُوا مَعَ اللَّهِ .

فَهَلْ فَهِمْتُ الْآنَ شَيْئاً مِنَ السِّرِّ الْإِلَهِيِّ ؟

هَلْ فَهِمْتُ لِمَاذَا يَقُولُ عَلِيٌّ ﷺ :

«أَنَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَأَنَا السَّبِيلُ الْمُقِيمُ . أَنَا عَيْنُ الْمِيزَانِ . . . الخ» .

لَأَنَّ الْإِيمَانَ بِضَدِّ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنَّمَا يُكْشَفُ وَيُثَبِّتُ بِالْإِيمَانِ بِالْأَمْرِ الْأَضْعَبِ

عَلَى النَّفُوسِ . إِنَّ مَرَضَ النَّفُوسِ هُوَ حُبُّ الذَّاتِ . . إِنَّهُ الشُّعُورُ بِالْأَنَا .

كُلُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ يَبْدَأُونَ بِلَفْظِ «أَنَا» وَأَوَّلُهُمْ إِبْلِيسُ الْمَلْعُونُ حَيْثُ قَالَ :

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧٦] .

وَفِرْعَوْنُ الْحَبِيثُ :

﴿قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات : ٢٤] .

وَنَمْرُودُ الْكَافِرُ :

﴿... قَالَ أَنَا أُخِي وَأُمِّيْتُ...﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

كُلُّ الَّذِينَ يَبْدَأُونَ بِالْأَنَا يُلْقَوْنَ فِي أَتُونِ جَهَنَّمَ !

وَكُلُّ الَّذِينَ يَبْدَأُونَ بـ «هُوَ» - هُوَ الَّذِي وَلَا هُوَ سِوَاهُ هُمُ الْفَائِزُونَ . .

فَجَاءَكَ فِي هَذَا أَمْرٌ وَمَوْعِظَةٌ وَكُشْفٌ لِلْسِرِّ .

فَاقْرَأِ الْإِخْلَاصَ فَلَا خَلَاصَ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ :

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ١] .

يَا هَذَا لَا تَقُلْ أَنَا . . إِذْ مَنْ أَنْتَ ؟ !

أَنْتَ جِيفَةٌ نَتْنَةٌ لَوْ مِتَّ فَلَا يُثْقِلُكَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ أَكْثَرَ مِنْ سَاعَاتِ قِلَاطِلِ !

لَأَنَّ جِيفَتَكَ سَتُرَكِّمُ أَنْفَهُ !

مَنْ أَنْتَ ؟

أَنْتَ لَا شَيْءَ !!

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ شَيْئاً فَلَا سَبِيلَ لَكَ إِلَّا الْإِقْرَارُ بِأَنَّكَ لَا شَيْءَ !

الْلاشَيْءُ هُوَ الَّذِي يَبْقَى . .

الْفَنَاءُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ فَقَطْ مَعَ الْمَطْلُوقِ !

لَأَنَّ اللَّهَ اسْتَحْوَذَ عَلَى الْوُجُودِ كُلِّهِ، وَكُلُّ مَا عَدَاهُ بَاطِلٌ .

أَتُرِيدُ أَنْ تَفْهَمَ التَّوْحِيدَ ؟

إِذَنْ فَاقْرَأْ أُذْعِيَةَ عَلِيِّ عليه السلام فِي مُسْتَدْرَكِ النَّهْجِ، وَفِي الصَّحْفَةِ الْعُلَوِيَّةِ

الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ، إِذْ هُنَاكَ التَّوْحِيدُ !

أَمْ أَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُسَجِّلَ مِنْ جُمْلَةِ الْبَاحِثِينَ فِي الْفِكْرِ وَالِدِّينِ؟!

إِنَّ سِجْلَ الْمُوَحِّدِينَ مُخْتَلِفٌ يَا صَاحِبَ سِجْلِ الْبَاحِثِينَ!

الْبَاحِثُونَ هُمْ أَهْلُ الْأَنَا . . وَأَكْثَرُهُمْ مُصِيرُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ ، لِأَنَّهُمْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ . .

وَالْمُوَحِّدُونَ هُمْ «أَهْلُ اللَّيْلِ وَرُعَاةُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْمَوَاقِيتِ . .» ، قُدُّوهُمْ سُلَيْمَانُ وَمُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَكُلُّ بَكَاءٍ فِي اللَّيْلِ مِنْ ذَنْبِهِ!

فَهَلْ بَكَيْتَ مِنْ ذَنْبِكَ حَتَّى تَكْتُبَ أَبْحَاثًا فِي دِينِ اللَّهِ!

عَلَيَّ يُعَلِّمُكَ الْبَكَاءُ فِي اللَّيْلِ ، عَلَيَّ يُعَلِّمُكَ التَّوْحِيدَ .

وَأَمَّا الْأَرْجَاسُ فَيُعَلِّمُونَكَ الْعَسَسَ فِي اللَّيْلِ ، وَالتَّسَوُّرَ عَلَى الْجُدْرَانِ ، وَالتَّلْصُصَ عَلَى الْخَلْقِ ، وَتَجْرِبَ «طَلَاءِ» الشَّامِ ، وَرُكُوبَ الْفَرَسِ بَدَلَ الْبَغْلِ خُطَوَاتٍ ، وَخَلْطَ الْمَاءِ بِالْحَمْرِ حَتَّى يَحِلَّ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ!!

الْأَرْجَاسُ يُعَلِّمُونَكَ : «إِذَا قِيلَ ثَلَاثَةٌ وَأَبَى إِثْنَانِ فَاضْرِبْ عُقْبَيْهِمَا بِالسَّيْفِ! ، وَإِذَا أَبَى ثَلَاثَةٌ وَقِيلَ ثَلَاثَةٌ فَكُنْ مَعَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ فِيهِمُ الْوَلَدُ الَّذِي يُقَالُ إِنَّهُ ابْنُ فُلَانٍ!!»!

وَالْأَوْلِيَاءُ يُعَلِّمُونَكَ : «كُنْ مَظْلُومًا وَلَا تَكُنْ ظَالِمًا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بُدٌّ مِنْ أَحَدِهِمَا فَوَرَاءُكَ حِسَابٌ شَدِيدٌ!!»

الْأَرْجَاسُ يُرِيدُونَ أَنْ يَلْفُوكَ فِي جَهَنَّمَ ،

وَالْأَوْلِيَاءُ يُرِيدُونَ لَكَ الْخَيْرَ . . يُرِيدُونَ إِنْقَاذَكَ . .

وَكَأَنْتَ تِلْكَ شَكْوَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ قَالَ مُخَاطَبًا النَّاسَ :

«أَنَا أُرِيدُكُمْ اللَّهُ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونََنِي لِذُنُوبِكُمْ . . !! أَوْ «أَنْفُسِكُمْ» خُطْبَةٌ/ ١٣٤ .

النَّاسُ هُمْ النَّاسُ فِي كُلِّ زَمَانٍ:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

فَهَلْ يَظُنُّ هَذَا الْأَفَّاكُ الْكَذُوبُ أَنَّ أَهْلَ الشُّورَى هُمُ النَّاجُونَ مِنَ النَّارِ دُونَ أَهْلِ الْوَصِيَّةِ؟.

إِنَّ هَذَا الْكَاتِبَ يَتَّهِمُ اللَّهَ بِالْجَوْرِ وَقَوْلٍ مَا لَا يَفْعَلُ!

فَإِنَّهُ تَعَالَى قَالَ بِنَجَاةِ الْأَقَلِّيَّةِ وَهَلَاكِ الْأَكْثَرِيَّةِ. ففِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ قَسَمَ الْخَلْقَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ: أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَالسَّابِقُونَ وَالسَّابِقُونَ.

وَحِينَمَا فَصَّلَ الْقَوْلَ فِيهِمْ قَالَ فِي أَصْحَابِ الْمَيْمَنَةِ: ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ. وَقَالَ فِي السَّابِقِينَ: ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ. وَسَكَتَ عَنْ أَصْحَابِ الْمَشْأَمَةِ، إِذِ الْبَاقِي مِنَ الْقَلِيلِ لَيْسَ سِوَى الْكَثِيرِ. إِنَّهَا أُمَّمٌ كَامِلَةٌ:

﴿... كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا...﴾ [الأعراف: ٣٨].

أَمْ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ لَيْسَتْ مِنَ النَّاسِ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى:

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

بَلَى... هَذِهِ الْأُمَّةُ مِنَ النَّاسِ وَيَصْدُقُ عَلَيْهَا الْمَذْكُورُ.

ع - وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ:

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فُشِلُوا، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا، وَنَطَقْتُ حِينَ تَغْتَعُوا، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا، وَكُنْتُ أَخْفِضُهُمْ صَوْتًا وَأَعْلَاهُمْ فَوْتًا، فَطَرْتُ بَعَائِنَهَا، وَاسْتَبَدَّدْتُ بِرِهَانِهَا كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مِنْ مَهْمَزٍ وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ...

صَدَقْتَ يَا عَلِيُّ الْعَلِيِّ وَكَذَبَ عَلَيْكَ الْكَاتِبُ الْمَفْتَرِي.

أخي القارئ: ألا تَرى في هذا النصُّ أَنَّهُ يَحْصُرُ حَقَّ الْخِلَافَةِ وَالْإِمَامَةِ فِيهِ وَيُسِيرُ إِلَى كُفْرٍ وَنِفَاقٍ مِنْ سَبْقِهِ؟ .

وَهَذَا هُوَ كَلَامُهُ فِي الْخُطْبَةِ «٣٧» مِنَ النِّهَجِ . وَالْأَفَّاكُ يَقُولُ: «لَمْ يَرِذْ شَيْءٌ عَنْ عَلِيِّ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِالْإِمَامَةِ، بَلْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالشُّورَى» عَلَى زَعْمِهِ .
وَالْفَاطُ النَّصُّ كُلُّهَا قُرْآنِيَّةٌ، وَلَكِنْ عَلَى الْقُلُوبِ أَقْفَالُهَا .

فَتَعَالَ مَعِي وَانْظُرْ عِلَاقَةَ هَذِهِ الْمَقَاطِعِ بِالْقُرْآنِ :

◀ ١ - فَقَوْلُهُ ﷺ : «فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا . .» فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] .

وَمُحَالٌ عَدَمُ التَّنَازُعِ إِذَا كَانَتِ الْخِلَافَةُ بِاخْتِيَارِ الْخَلْقِ، وَإِنَّمَا أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ . .

وَمُحَالٌ أَنْ يُنْظَمَ الدِّينُ كُلُّ شُؤْنِ الْحَيَاةِ حَتَّى كَيْفِيَّةِ الْغُسْلِ وَالطَّهَارَةِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ وَالنُّومِ . . وَسِوَاهَا مِنَ الْأُمُورِ، وَيَتْرَكَ الْإِمَامَةَ وَالرَّئِاسَةَ الْعَامَّةَ الْمَنْوُطَ بِهَا تَطْبِيقَ الشَّرْعِ لِاخْتِيَارِ الْخَلْقِ . وَقَدْ وَقَعَ النَّزَاعُ فِعْلًا حِينَمَا أَنْكَرُوا الْإِمَامَةَ فَفَشِلُوا فَكَانَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ خُسْرًا . ثُمَّ اضْطَرُّوا لِلرَّجُوعِ إِلَيْهِ، وَنَسَبَ الْفَشْلَ إِلَيْهِمْ .

فَهَلْ هُنَاكَ وَضُوحٌ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا؟

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ لَمْ يُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَفَشِلُوا . . فَالَّذِينَ سَبَقُوهُ فِيهَا عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

◀ ٢ - قَوْلُهُ ﷺ : «وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا . .» ، الْقَابِعُ مِنْ أَسْمَاءِ الْقُنْفِذِ إِذْ يَخْتَفِي، فَهُوَ يَخْمِي نَفْسَهُ بِالشُّوكِ وَيُخْفِي رَأْسَهُ . وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى نِفَاقِهِمْ .

وَالْمُتَطَّلِعُ مِنْ أَسمَاءِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يُوَاجِهُ الْمَصَائِبَ، وَيَقُومُ بِوَاجِبَاتِهِ مُعَرِّضًا
نَفْسَهُ لِلْمَخَاطِرِ.

وَهُوَ ﷺ يَتَّبِعُهُ الْمَجْمُوعُ حَيْثُ حَرَّفُوا الرِّسَالَةَ، وَقَلَّبُوا الدِّينَ كَمَا هُوَ
وَاضِحٌ مِنْ بَقِيَّةِ كَلَامِهِ فِي خُطْبِهِ الْأُخْرَى.

وَالْمُؤْمِنُ يَتَطَّلِعُ حَتَّى فِي الْجَنَّةِ:

﴿قَالَ هَلْ أَسْتَمِعُ مُطْلِعُونَ﴾ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ [الصافات: ٥٤-٥٥].
فَهَذَا مُؤْمِنٌ كَادَ أَنْ يَهْلِكَ لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ، وَلَمْ يَغْتَدِ عَلَى التَّطَّلُعِ. فَقَالَ لَهُ
الْقَائِلُ أَوِ الْوَلِيُّ أَوِ الْمَلَأِيكَةُ: «اطَّلِعْ لِتَرَى مَوْضِعَ صَاحِبِكَ!»، فَاطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي
سَوَاءِ الْجَحِيمِ، فَقَالَ:

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتُ لِتُزِدِنِي﴾ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ [الصافات: ٥٦-٥٧].

◀ ٣ - قَوْلُهُ ﷺ: «وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَمُوا...» إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُمْ ظَلَمُوا هُمْ
وَأَضْنَانَهُمْ الْمَعْبُودَةَ الَّتِي لَا تَنْطِقُ حِينَ يَتَوَجَّبُ النُّطْقُ. فَإِنَّهُمْ بَعْدَ حَصُولِ الْفِتْنَةِ
حَرَسُوا فَلَا يَنْطِقُونَ إِلَّا تِلْكَ التَّعْتَمَةُ الْمَعْبُودَةُ وَتَوَقَّفَتْ صِفَتُهُمْ الْأُولَى وَهِيَ رَفْعُ
الْأَصْوَاتِ وَاللَّحْنِ فِي الْقَوْلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [النمل: ٨٥].

◀ ٤ - قَوْلُهُ ﷺ: «وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا...» دَلِيلٌ مُتَكَامِلٌ عَلَى
كَوْنِهِ ﷺ يَعْلَمُ نِفَاقَهُمْ وَيُشِيرُ إِلَيْهِ بِكُلِّ وَضُوحٍ لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ هُنَا قِرَآئِيَّةٌ كُلُّهَا.
فَهَؤُلَاءِ لَا نُورَ لَهُمْ وَلِذَلِكَ يَتَوَقَّفُونَ عَنِ الْحَرَكَةِ. وَهِيَ إِشَارَاتٌ مُتَلَحِّقَةٌ لِمَا وَرَدَ
فِي الْقُرْآنِ. قَالَ تَعَالَى:

﴿يَتَأَمَّلَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ
تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ
وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

فَالكِتَابُ هُوَ الْقُرْآنُ، وَالنُّورُ هُوَ حَامِلُ الْكِتَابِ «مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَالْإِئِمَّةُ» كَمَا قَالَ فِي آيَةِ الْمِشْكَاةِ: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]. قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِمَامٌ عَلَى رَأْسِ إِمَامٍ» أَوْ «إِمَامٌ عَلَى إِثْرِ إِمَامٍ».

وَقَدْ تَوَقَّفَ الثَّلَاثَةُ وَاتَّبَاعُهُمْ مِنْ قَبْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّهُمْ بِلا نُورٍ، وَلَأَنَّهُمْ بِلا عِلْمٍ بِالْكِتَابِ، وَبِلا طَاعَةٍ لِمُنْزَلِ الْكِتَابِ. . . فَمِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِمُ النُّورُ؟.

فَالنُّورُ هَذَا مَجْعُولٌ مِنَ اللَّهِ لَا مِنْ قَبْلِ الْخَلْقِ. فَلَيْسَ لِهَذَا الْمَفْتَرِي أَنْ يَقُولَ: «النُّورُ عِنْدَ فُلَانٍ» فَتُصَدِّقُهُ، بَلْ هُوَ مِنْ شُؤْنِ الْمُشْرِعِ نَفْسِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وَمِنْ صِفَاتِ الْمُتَنَافِقِينَ أَنَّهُمْ يَدُورُونَ فِي مَوَاضِعِهِمْ لَانْعِدَامِ النُّورِ، فَإِذَا بَرَقَ شَيْءٌ مِنَ الْإِمَامِ مَشَوْا، وَإِذَا أَعْرَضَ الْإِمَامُ عَنْهُمْ تَوَقَّفُوا:

﴿يَكَادُ الْبَرَقُ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

وَلِذَلِكَ نَصَحَهُمُ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَحَضَ لَهُمُ النَّصِيحَةَ. وَلَكِنْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَجْعَلَهُمْ يَحِلُّونَ مَحَلَّهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ لِأَنَّ مَسِيرَةَ الدِّينِ هِيَ مَسِيرَتُهُ، وَهُوَ مَعْدُومُ الْأَنَانِيَّةِ، وَلَيْسَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الْحَسَدِ. فَإِذَا قَدَّرَ عَلَى الْإِضَاءَةِ أَضَاءَ.

وَلَكِنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْإِضَاءَةَ حَيْثُمَا احْتَاجُوا وَيَتْرَكُونَهَا حَيْثُ لَا يُرِيدُونَ. وَهُوَ عَمَلٌ مُتَنَاقِضٌ. فَلَا يَجْتَمِعُ النُّورُ وَالظُّلُمَاتُ، وَإِنَّمَا هِيَ خَطَفَاتُ بَرَقٍ.

وَمِنْ هُنَا نُلَاحِظُ أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ وَاسْتَعَانُوا بِهِ حَيْثُ احْتَاجُوا إِلَيْهِ، فَبَالَغَ فِي الْمَعُونَةِ وَالنُّصْحِ وَأَعْطَى غَايَةَ الْمَجْهُودِ. وَهَذَا مِنْ طَبِيعَةِ عَمَلِ الْوَلِيِّ.

وَلَكِنَّ الْأَغْيَاءَ وَالْحَمَقَى يَتَّقُونَ أَغْيَاءَ وَحَمَقَى، حَيْثُ مَا فَتَاوَا يَعْقِدُونَ النَّدَوَاتِ وَيُؤَلِّفُونَ الْكَرَارِيسَ الصَّفْرَاءَ وَيُوحُونَ إِلَى أَقْرَانِهِمْ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ يُحِبُّ

هَؤُلَاءِ، وَكَانَ يَرَى رَأْيَهُمْ وَإِلَّا فَكَيْفَ أَعَانَهُمْ وَنَصَحَهُمْ وَلَمْ يَخْرُجْ عَلَيْهِمْ
بِالسِّيفِ؟.

يَا لِحُمُقِ الْعُقُولِ وَرَيْنِ الْقُلُوبِ وَغِلْظَةِ الْكُلَى وَعَمَى الْأَبْصَارِ!!
تَبًّا لِحَيَاةٍ أَعِيشُ فِيهَا بَيْنَ قَوْمٍ بَهَائِمٍ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ!
وَاللَّهِ لَوْلَا حُرْمَةُ التَّعَرُّبِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ . . لَعِشْتُ فِي الْبَيْدَاءِ . فَإِنَّ رَغْيَ بَعِيرَيْنِ
أَجْرَيْنِ مَعَ كُلِّ صَيْدٍ لَهُوَ خَيْرٌ مِنْ مُرَاعَاةِ هَذِهِ الْعُقُولِ فِيمَا تَقُولُ!!
يَا قَوْمُ أَنْكُمْ لَمْ تَفْهَمُوا الْإِمَامَ بَعْدُ!

إِنَّكُمْ تَتَحَدَّثُونَ عَنْ غَيْرِهِ وَتَجْعَلُونَ كَلَامَكُمْ فِيهِ!
وَهَذَا افْتِرَاءٌ عَلَى اللَّهِ الْحَقِّ الْمُبِينِ!
يَا قَوْمُ لَا تُقَارِنُوا الْإِمَامَ بِالْحُكَّامِ، إِذْ مِنْ هُنَا جَاءَكُمْ الْاِلْتِبَاسُ فِي الْأُمْرِ!
كَأَنَّكُمْ تَقُولُونَ لَوْ كَانَ الْإِمَامُ هُوَ الْوَصِيُّ بِحَقِّ مَنْصُوصٍ مِنْ اللَّهِ لَحَرَّكَ الدَّرُوعُ
وَالْمُشَاةُ وَسَيَظَرَ عَلَى قَضْرِ الْخِلَافَةِ!!
وَهَذَا هُوَ الْوَهْمُ الْمَخْضُ.

فَإِنَّكُمْ تَتَحَدَّثُونَ عَنْ شَخْصٍ آخَرَ غَيْرِ الْإِمَامِ، لِأَنَّ الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ لَيْسَ إِمَامًا
مَنْصُوصًا عَلَيْهِ قَطْعًا!
الْإِمَامُ الْمَنْصُوصُ عَلَيْهِ لَا يَفْعَلُ هَذَا مُظْلَقًا وَإِذَا فَعَلَهُ وَقَهَرَ الْعِبَادَ عَلَى
حُكُومَتِهِ فَقَدْ كَفَرَ!

الْإِمَامُ مُنْفَذٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى . . الْإِمَامُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَحْكُمَ النَّاسَ، فَهَذَا لَيْسَ
هُوَ الْإِمَامُ الْمَنْصُوصُ . . الْإِمَامُ يُرِيدُ لِلنَّاسِ أَنْ يَطْلُبُوا حُكْمَ اللَّهِ . فَإِذَا طَلَبُوا حُكْمَ
اللَّهِ لَمْ يَعُدُّوهُ فِي اخْتِيَارِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَنْ يَخْتَارُوا سِوَاهُ! . وَإِذَا وَجَدَهُمْ لَا يَرِيدُونَ

حُكْمُ اللَّهِ فَهُوَ لَا يُرِيدُ حُكْمَهُمْ لِأَنَّهُ سَيَفْشَلُ حَتْمًا فَهُوَ يَتَطَلَّعُ وَيَنْصَحُ وَيَنْتَظِرُ وَيُعَاوَنُ!

إِنَّهُ لَا يَغْدِرُ وَلَا يَفْجُرُ وَلَا يَتَأَمَّرُ وَلَا يَتَّفِقُ مَعَ جَمَاعَةٍ عَلَى الثَّوَرَةِ وَلَا يُؤَسِّسُ حِزْبًا وَلَا يُشْكَلُ جَمْعِيَّاتٍ سِرِّيَّةً!.

يَا قَوْمُ افْهَمُوا مَنْ هُوَ الْإِمَامُ الْمَعْصُومُ أَوَّلًا!

فَإِنَّ اللَّهَ لَوْ شَاءَ أَنْ يَقَهَرَ الْعِبَادَ لَقَهَرَهُمْ بِلَا إِمَامٍ!

يَا قَوْمُ إِنَّ الْإِمَامَ هُوَ حُرِّيَّةُ الْإِنْسَانِ، إِنَّهُ نَفْحَةُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ. . إِنَّهُ النُّورُ الْإِلَهِيُّ. . إِنَّ الطُّغَاةَ يَطْفِئُونَ نَوْرَ اللَّهِ بِاسْتِلَابِ الْحُرِّيَّةِ، وَالْإِمَامُ حَارِسٌ لِحُرِّيَّةِ الْإِخْتِيَارِ. . إِنَّهُ لَا يَقِفُ ضِدَّهَا أَبَدًا. .

إِفْهَمُوا خَلَقَ الْإِنْسَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْإِمَامِ!

فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ لِيَخْتَارَ. . وَمَا الْقَوْلُ بِالْجَبْرِ وَالْإِخْتِيَارِ إِلَّا مَظْهَرُ آخَرٍ مِنْ مَظَاهِيرِ مُحَارَبَةِ الطُّغَاةِ لِلْإِمَامِ!

فَفِي الْجَبَرِيَّةِ تَسْقُطُ الْإِمَامَةُ، وَالْبَحْثُ فِي الْأَقْدَارِ تَزِلُّ بِهِ الْأَقْدَامُ، وَالْقَدَرِيَّةُ أَلْعَنَ الْفِرْقَ لِأَنَّهَا تُرِيدُ اسْتِلَابَ حُرِّيَّةِ الْإِنْسَانِ فِي الْإِخْتِيَارِ، وَتُوجِي لِلْخَلْقِ أَنَّ مَا يَجْرِي مِنَ الْوَقَائِعِ مُثَبَّتٌ فِي لَوْحِ الْأَزْلِ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ لِيَسْتَعْبِدُوا الْخَلْقَ وَيَجْعَلُوهُمْ مِثْلَ الْأَنْعَامِ.

أَمَّاكُمْ الْكَثِيرُ لَتَعْلَمُوا الْفَرْقَ بَيْنَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ. وَالطَّاغُوثُ عَدُوٌّ لِلنُّورِ يُخْرِجُ النَّاسَ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ. فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تُدْرِكُونَ الْفَرْقَ لِلَّانِ فَمَهَلُوا وَافْهَمُوا مَنْ هُوَ الْإِمَامُ.

فَوَاللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنَ النَّاصِحِينَ وَإِنِّي لَمُشْفِقٌ عَلَيْكُمْ.

تَحَرَّرُوا مِنْ كُلِّ عِبَادِيَّةٍ أَوَّلًا ثُمَّ اخْتَارُوا مُجَدِّدًا. . إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ اكْتَشَفْتُمْ

الْحَقَائِقَ، وَلَا تُعَرِّتْكُمْ الظَّوَاهِرُ. فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَهُ سَيَحَقِّقُ لَكُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُمْ تَحْلُمُونَ..

إِنَّ الْعِلَاقَةَ مَعَ اللَّهِ تَجْرِبَةٌ فَظَهَّرُوا أَنْفُسَكُمْ وَجَرَّبُوا!

كَذَبَ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الْعِلَاقَةَ مَعَ اللَّهِ هِيَ مِنَ الْغَيْبِ!

جَرَّبُوا طَهَارَةَ النُّفُوسِ وَالتَّحَرُّرَ مِنَ الطَّاغُوتِ فَهَذِهِ التَّجْرِبَةُ أَوَّلُ دَرَجَةٍ فِي سُلَّمِ مَحَبَّةِ اللَّهِ الَّذِي يُعْطِي أَكْثَرَ مِمَّا يُعْطِي الطَّاغُوتُ بِمَا لَا يُقَاسُ وَلَا يَسْلُبُ مِنْكُمْ شَيْئاً.

إِنَّ مَنْ لَا يَتَحَرَّرُ مِنَ الطَّاغُوتِ يَتَوَقَّفُ وَلَا يَمْضِي لِأَنَّهُ بِلا نُورٍ.

◀ ٥ - قَوْلُهُ ﷺ: «وَكُنْتُ أَخْفِضُهُمْ صَوْتاً وَأَعْلَاهُمْ قَوْتاً».

فَارَقَ آخِرُ بَيْنِهِ وَبَيْنَهُمْ وَفِيهِ التَّعْرِضُ بِنَفَائِهِمْ. لِأَنَّ الْمُنَافِقَ عَالِي الصَّوْتِ خَفِيفُ الْقَوْتِ عَلَى عَكْسِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ صِفَتِهِ ﷺ. وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ بِهِ صَوْتُ الْكَلَامِ الْعَادِيِّ. فَالْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ يَجْهَرُونَ بِالْقَوْلِ، وَبَعْضُهُمْ هَذَا هُوَ طَبْعُهُ، وَهُوَ قَدْ يُحْسِنُ فِي قَوْلِ الْحَقِّ خُصُوصاً. وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ أَصْوَاتُ الْإِعْتِرَاضِ وَالْمُطَالَبَةِ وَالِدَّعَايَةِ. فَالْمُنَافِقُ يُغْلِي صَوْتَهُ عِنْدَ الْإِعْتِرَاضِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَفِيهِ حَوَادِثُ كَثِيرَةٌ فِي التَّارِيخِ، مِنْهَا مَا حَدَّثَ فِي صَلَاحِ الْحَدِيثِ. وَكَذَلِكَ فِي حَادِثِ الْبَشَارَةِ بِقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَأَيْضاً عِنْدَ سُكُوتِ قُرَيْشٍ حَيْثُ قَالُوا «جِيرَانُكَ وَحُلَفَاءُكَ»، وَفِي حَوَادِثِ النُّصُوصِ الْخَاصَّةِ بِفَضَائِلِ الْعِتْرَةِ حَيْثُ كَانَ عُمَرُ يُعْتَرِضُ رَافِعاً صَوْتَهُ: «أَكُلْ آلَ بَيْتِكَ عَلَى هَذَا؟». وَعِنْدَ أُسْرَى بَدْرٍ، وَغَيْرَهَا بِالْعَشْرَاتِ يَغْلُمُهَا كُلُّ قَارِئٍ لِلتَّارِيخِ.

وَمَعَ ذَلِكَ كَانَتْ تَقَوُّتُهُمْ كُلُّ الْفَضَائِلِ وَلَا تَقَوُّتُهُمُ الْمَوْبِقَاتُ وَالْمَخَازِي. فَالْقَوْتُ مِنَ الْمُضَادَّاتِ فِي الْمَعْنَى.

قَالَ بَعْضُ الشُّرَاحِ: «الْفَوْتُ: السَّبْقُ» لَأَنَّهُ وَجَدَ مَعَهُ الْعَلَوُ فِي كَلَامِهِ وَهُوَ صَحِيحٌ عَلَى الْعُمومِ، إِذْ لَا يَسْبِقُهُ أَحَدٌ فِي مُكْرَمَةٍ. وَلَكِنَّ الْفَوْتَ عَلَى الْأَصْلِ عَكْسُ السَّبْقِ. أَيِ كَانَ يَفُوتُهُ مِنْ حَقِّهِ عَلَى الْخَلْقِ أَكْثَرُهُ وَلَا يَفُوتُهُمْ ذَلِكَ. وَإِنَّمَا وَصَفَهُ بِالْعَلَوِ لَأَنَّهُ كَالْبَلَاءِ فَيُقَالُ هَذَا بَلَاءٌ حَسَنٌ وَهَذَا بَلَاءٌ غَيْرُ حَسَنٍ، فَهُوَ فَوْتُ عَالٍ لَيْسَ بِخَفِيفٍ. وَمَا كَانَ كَذَلِكَ جَمَعَ كُلَّ الْمَعَانِي.

بَيْنَمَا فَوْتُهُمْ خَفِيفٌ. فَإِذَا فَاتَتْهُمْ الْفَضَائِلُ فَلَعَدِمَ اسْتِحْقَاقُ، فَهُوَ خَفِيفٌ. وَإِذَا فَاتَتْهُمْ الْخَلَاصُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ فَلِدَنَاءَةِ نُفُوسِهِمْ، فَهُوَ فَوْتُ خَفِيفٌ أَيْضًا. وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ تُعَدُّ مِنْ عَجَائِبِ كَلِمَاتِهِ الْبَلِغَةِ. وَبِالطَّبَعِ لَا يَأْسَى الْمُؤْمِنُ عَلَى هَذَا الْفَوْتِ تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣].

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿إِذَا نُفِذُوكَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ فَأَتْبِكُمْ غَمًّا لِّغَيْرٍ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

◀ ٦ - قَوْلُهُ ﷺ: «فَطَرْتُ بِعِنَانِهَا وَاسْتَبَدَّدْتُ بِرَهَانِهَا».

طَارَ بِعِنَانِ الْفَرَسِ: انْطَلَقَ بِهَا بِأَقْصَى سُرْعَةٍ حَتَّى كَأَنَّهُ يَطِيرُ فَلَا يُرَى مِنْهَا حَرَكَةُ الْقَوَائِمِ. وَالتَّعْلِيقُ عَلَى الْعِنَانِ لِإِظْهَارِ الْقُدْرَةِ عَلَى السَّيْطَرَةِ وَالتَّوْجِيهِ، وَالضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى الْإِمَامَةِ. أَيِ أَنَّهُ صَاحِبُهَا الْوَحِيدُ الْمُتَفَرِّدُ لِأَنَّ الْفَرَسَ لَا يَطِيرُ هَكَذَا إِلَّا تَحْتَ صَاحِبِهِ. وَفِيهِ دَلِيلٌ آخَرٌ عَلَى أَنَّهُمْ رَكَبُوا غَيْرَ مَرْكَبِهِمْ فَسَقَطُوا فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ. ثُمَّ بَدَأَ ظَهْرُهَا عَارِيًّا بَعْدَ الْفِتْنَةِ فَطَارَ بِهَا، لِأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ وَمَجْعُولَةٌ لَهُ دُونَ سَائِرِ الْخَلْقِ.

ويقول: «واستبددت برهانها»!، أي أخذ الرهان - رهان هذا الفرس الطائر
لنفسه مستبدًا به.

وهذا معنى بلاغي عجيب، وفيه تكفير لمن سبقه في الحكم كما في الأول.
ذلك أن الراكب لا يراهن عليه الآخرون. ولكنه جعل الرهان بين طرفين: هو
طرف، والخلق طرف آخر. فكأنهم تراهنوا: من من الخلق يقدر على ركوب
هذا الأمر؟.. هذا الجواد الإلهي المقدس كناق صالح.. الفرس الذي يطير
بحيث يبقى في يده العنان ويكسب الرهان؟

فلم يكن أحد من الخلق يقدر على ذلك سواه. وكسب الرهان مستبدًا به
دون سائر الخلق.

وغايته ^{عليه السلام} من هذا الكلام نقل الاحتجاج من النظرية إلى الواقع.. أي
إذا كنتم تكذبون أنني صاحب هذا الأمر وراكبه الوحيد فقد أثبت الواقع سقوط
الذين ركبه قبلي. إذ عم الجور والظلم وظهر الفساد واعتيل الصحابة وبُذلت
السُنن ومُنِع من تلاوة الكتاب وأُحرقت السنة. والراكب يلقب بأمير المؤمنين
زوراً، وهو يريد السيطرة على الأمر ولكنه لا يقدر فيضطر للسقوط في
المهلكات.

كل ذلك وأنا معهم أنصح لهم وأعاونهم.

فانظروا إذن من واقع التجربة إذا كنتم تكذبون الوحي: من طار بعنانها
واستبد برهانها؟

فكيف يقول الكاتب المنافق: إن علينا لم يُشر إلى انفراجه بحق الإمامة
والخلافة؟

فما معنى استبداده بالرهان إذن؟

◀ ٧ - قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ..» إشارَةً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى :

«وَقَدْ مَكْرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لِنُزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ» [إبراهيم: ٤٦].

وفيه تغريض وتوضيح لمكر من كان قبله وقد ركب غير مركبه، واستعمل المكر لإزالة الأئمة عن مواضعهم، إذ هم الجبال في الآية جبلهم الله من الطينة التي ذكرها النبي ﷺ عندما قال :

«أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ».

وجعلها في شجرة مباركة عندما قال :

«أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ وَالنَّاسُ مِنْ شَجَرٍ شَتَّى».

زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور .
فهم «أوتاد الأرض» كما قال الإمام الصادق عليه السلام .

والمقصود بالجبال هم، لأن الصراع التاريخي هو صراع سياسي بين الملك الذي من الله وبين الملوك الذين يملكهم الناس .

فالمكر لا علاقة له بالجبال الحجرية، وليس هو من المجازات اللغوية يا عبدة الطاغوت ..

فأنتم تعترفون أن المجاز هو عكس الحقيقة في علم اللغة، وتعترفون أن الله لا يقول غير الحقيقة ثم تقولون بالمجاز!

فلو مسحكم الله قردة وخنازير لم يكن قد وفاكم ما تستحقون من عقاب .
فهذا تفسير أهل البيت عليهم السلام للآيات لأن مركز الصراع هو الحكم والسلطان . فالجبل هو كناية حقيقية عن الإمام المنصوص عليه من الله .
والجبال لا تحركها قواصف الرياح لأنها موجهة لإغراق أهل المكر بفيتهم :

﴿أَمَرْنَا أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَرُسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا يُجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [الإسراء: ٦٩].

فَلَمَّا انْتَفَقَتِ الْفِتْنَةُ مِنْ عُمَرٍ وَهُوَ «عَلِقُ الْفِتْنَةِ» حَسَبَ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الَّذِي سَيَأْتِي وَمَاجُوا فِيهَا، جَاؤُوا عَلِيًّا عليه السلام لِيُنْقِذَهُمْ مِنْهَا فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ دَعَا اللَّهَ لَثْنٍ قَبْلَهَا ابْنُ أَبِي طَالِبٍ لِنَقَاتِلَنَّ مَعَهُ وَلِنَطِيعَتُهُ فِي اللَّهِ، فَأَخَذَ مَوْتَهُمْ، ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ الْبَغَاءُ وَمَا عَلِمُوا أَنْ بَغَيْهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَأَنَّ الْجَبَلَ لَا تُحَرِّكُهُ الْعَوَاصِفُ. قَالَ تَعَالَى:

﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَبَئَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَيْنَ أَمِجَّتْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ فَلَمَّا أَجْلَسَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس: ٢٢-٢٣].

◀ ٨ - وَأَمَّا قَوْلُهُ عليه السلام: «لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَعْمَزٌ» فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَصْحَابِ سُورَةِ الْهُمَزَةِ. فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الثَّلَاثَةِ وَأَصْحَابِهِمْ حَيْثُ كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَدْ انْتَشَرَ ذَلِكَ فِي كُتُبِ الْمُؤَرِّخِينَ وَأَهْلِ الْأَخْبَارِ. فَعُمَرُ هُوَ الَّذِي كَانَ يَلْمِزُ فِي الصَّدَقَاتِ، وَكَانَ يَلْمِزُ سَلْمَانَ فِي ذِكْرِ الْأَجْدَادِ حَتَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَلْمَانٌ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ».

وَعُمَرُ هُوَ الْقَائِلُ عَنْ عَلِيٍّ: «لَوْلَا دَعَابَةٌ فِيهِ». وَهُوَ لَا يَفْتَأُ يَفْتَرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ شِبَعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَى عَلِيٍّ عليه السلام أَنْوَاعَ الْمُفْتَرَيَاتِ وَالْأَلْقَابِ. وَأَسْوَأُ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ الَّذِي هُوَ أَحَقُّدُ قُرَيْشٍ. وَعَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام إِنَّهُ أَحْسَدُ الْخَلْقِ مُنْذُ آدَمَ عليه السلام. وَأَصَابَتْ عَيْنُهُ عَسْكَرَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حُنَيْنٍ. وَهُوَ الْقَائِلُ: «مَا أَكْثَرْنَا الْيَوْمَ»، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذِرِيكُمْ﴾
[التوبة: ٢٥].

وَالْخِطَابُ مُوجَّهٌ لَهُمْ لِأَنَّ عَلِيًّا عليه السلام هُوَ الثَّابِتُ فِي حُنَيْنٍ بِاجْمَاعِ الْمُؤَرِّحِينَ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَنْمُقُ الْكَلَامَ، وَيَمْتَدِّحُ الْأَصْحَابَ فِي وَجْهِهِمْ، وَيَذْكُرُ مَآثِرَهُمْ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: إِنَّ مَا تَفْعَلُهُ مَعَ هَؤُلَاءِ هُوَ غَيْرُ مَا اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ، فَعَنَّفَهُمْ وَرَدَّهُمْ وَقَالَ: «إِنَّمَا أَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَكْتُم بِهِ أَمْرَكُمْ وَيَكُونَ مَدْعَاةً لِلسُّخْرِيَةِ مِنْهُمْ فَإِنِّي إِذَا لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ شَكُّوا فِي أَمْرِنَا وَانْكَشَفَ حَالُنَا عَنْهُمْ». وَقَدْ أُرِدَّ هَذِهِ الْمَضَامِينُ بِأَسَانِيدِ الثَّقَاتِ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام جَمْعٌ مِنَ الْمُؤَلِّفِينَ كَالْبُخْرَانِيِّ وَعَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فِي تَفْسِيرِهِ وَغَيْرِهِمْ.

فَفِيهِمْ نَزَلَتْ الْآيَاتُ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ:

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدِّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رِحْتِ بِخَيْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْفَدْنَا نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُمْ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَزُكَّرَهُمْ فِي طُلُوعِ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمْ بِكُمْ عُتًى فَهَمَّ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: ١٤-١٨].

وَفِيهِمْ نَزَلَتْ آيَاتُ الْمُنَافِقِينَ كُلُّهَا، لِأَنَّهُمْ قَادَةُ الْمُنَافِقِينَ وَزَعِمَاؤُهُمْ. وَمِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ سُورَةُ الْهُمَزَةِ لَا رِتْبَاطَهَا بِالْبُخْلِ وَحُبِّ الْمَالِ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ خَرَجَ إِلَى الدُّكَانِ الْخَاصِّ بِهِ وَتَرَكَ مَوْضِعَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ فَمَا أَعَادُوهُ إِلَيْهِ حَتَّى اشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ رَاتِبًا مُضَاعَفًا وَذَلِكَ لِلْمُسَاوَمَةِ عَلَى هَذَا الرَّائِبِ لَا جَهْلًا مِنْهُ أَنَّ الْجُلُوسَ فِي الدُّكَانِ لَا يَلِيقُ بِالْخَلِيفَةِ الَّذِي يَكُونُ مَشْغُولًا عَادَةً بِأُمُورِ الدَّوْلَةِ.

لَكِنَّ أَكْثَرَ الشَّيْعَةِ فَسَّرُوا تَصَرُّفَاتِ هَؤُلَاءِ بِتَفْسِيرَاتٍ سَاجِجَةٍ جِدًّا، وَنَسَبُوا لَهُمْ

الْغَبَاءِ وَالْحُمَقِ. وَهَذَا خِلَافُ الْوَاقِعِ، فَهُمْ أَذْهَى الْعَرَبِ قَاطِبَةً وَأَكْثَرُ خَلْقِ اللَّهِ مَكْرًا. وَيَكْفِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ فُضَائِلَ عُمَرَ الْمَذْكُورَةِ فِي التَّارِيخِ صَحِيحَةٌ كُلُّهَا وَلَكِنْ عَلَى مَعْنَاهَا الصَّحِيحِ فِي اللُّغَةِ لَا بِالْمَعْنَى السَّادِجِ لَدَى الْمُفَسِّرِينَ. وَهَذِهِ أَمِثْلَةٌ مِنْهَا:

* أَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ الشَّيْطَانَ يَفْرُقُ مِنْ عُمَرَ».

وَأُورِدَهُ السِّيُوطِيُّ فِي تَارِيخِ الْخُلَفَاءِ / ١١٨.

وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْرُقُ مِنَ الْمُؤْمِنِ، بَلْ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ، إِذْ مَا تَجِدُ الشَّيَاطِينَ مُؤْمِنًا حَتَّى تُسَارِعَ إِلَيْهِ لِإِذَائِهِ أَوْ إِغْرَائِهِ أَوْ إِيقَاعِهِ فِي الْمَعَاصِي... الخ. وَلَا نَعْلَمُ شَيْطَانًا يَخَافُ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنْهُ فِي الشَّيْطَنَةِ وَهُوَ مَا يُفَسِّرُهُ الْحَدِيثُ الْآتِي.

* أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ قَدْ فَرُّوا مِنْ عُمَرَ».

وَهَذَا غَيْرُ مَعْقُولٍ إِلَّا إِذَا كَانَ هُوَ زَعِيمُهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَفْرُوا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، وَلَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ. فَقَدْ قَالَ تَعَالَى مُخَاطَبًا رَسُولَهُ ﷺ:

﴿وَلَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت:

. [٣٦]

وَقَالَ الْوَلِيُّ الَّذِي مَعَ مُوسَى ﷺ:

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَسْلَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ

أَذْكُرُهُ وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣].

وَفَعَلَ مُوسَى فِعْلًا نَسَبَهُ إِلَى الشَّيْطَانِ حِينَمَا حَاوَلَ قَتْلَ الْفِرْعَوْنِيِّ، فَقَالَ:

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ

وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَفَنَّهُ الَّذِي مِنْ شَيْعِنِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ
هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ [القصص: ١٥].

وَتَكَالَبَ الشَّيْطَانُ وَالْأَبَالَسَةُ عَلَى سَيِّدِنَا أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ شَاكِيًا:
﴿وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّثَابٍ ﴿٤١﴾﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدًا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ
بِنُصَبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص: ٤٠-٤١].

وَلَا يَقِرُّ الشَّيْطَانُ إِلَّا مِنْ سَيِّدِهِ وَرَبِّيسِهِ كَمَا يَقِرُّ النَّاسُ مِنْ جَبَّارٍ مِنْ جَنْسِهِمْ
وَيَقْسِرُهُ الْحَدِيثُ الْآتِي.

* أَخْرَجَ السِّيُوطِيُّ فِي الْخُلَفَاءِ، وَالشَّيْخَانِ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنِ
النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«يَا بَنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطْ إِلَّا سَلَكَ
فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ» (١).

أَقُولُ: مَضْمُونُهُ وَاضِحٌ. فَالشَّيَاطِينُ تَجْتَمِعُ وَتَتَعَاوَنُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَوْ الْقَوْمِ
لِإِضْلَالِهِمْ. فَإِذَا سَلَكَ عُمَرُ وَادِيًا أَوْ فَجًّا أَكْتَفَتِ الشَّيَاطِينُ بِهِ وَخَدَهُ فِي هَذَا
الْفَجِّ فَيَسْلُكُونَ فَجًّا آخَرَ. وَمُحَالٌ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى غَيْرَ هَذَا، إِذْ سَيَكُونُ عُمَرُ
أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ مُحَالٌ.

فَلَا دَاعِيَ لِرَفْضِ هَذِهِ النُّصُوصِ الشَّرِيفَةِ الْمُقَدَّسَةِ مِنْ قِبَلِ الشَّيْعَةِ وَالزَّعْمِ
بِأَنَّهَا ضَعِيفَةٌ. فَهَذِهِ دَعَاوَى لَيْسَتْ مِنَ الْعِلْمِ فِي شَيْءٍ، بَلْ هِيَ نُصُوصٌ صَحِيحَةٌ
وَصَرِيحَةٌ فِي الْمَضْمُونِ.

وَلِذَلِكَ يُمْكِنُكَ تَفْسِيرُ أَحَادِيثِهِ ﷺ الْأُخْرَى فِي عُمَرَ بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ مِثْلَ:
«مَا رَأَى الشَّيْطَانُ عُمَرَ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا».
«مَا رَأَى الشَّيْطَانُ يَا عُمَرُ إِلَّا خَرَّ لَوَجْهِهِ».

(١) تاريخ الخلفاء / ١١٧.

«مَا رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ لَاقَى عُمَرَ إِلَّا وَخَرَّ لَأْسَتِهِ».

أَخْرَجَهَا جَمْعٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ فِي فُضَائِلِ عُمَرَ، وَهِيَ صَحِيحَةٌ كُلُّهَا، لِأَنَّهُ زَعِيمُ الشَّيَاطِينِ.

وَهَذِهِ هِيَ الْجَفْرَةُ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ كَشَفْنَاهَا لَكَ فَافْهَمْ فَقَدْ أَرَفْتَ الْأَرْفَةَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ.

* وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ :

«إِنَّ الشَّيْطَانَ لَمْ يَلْقَ عُمَرَ مُنْذُ أَسْلَمَ إِلَّا خَرَّ لَوَجْهِهِ».

أَقُولُ: فِيهِ مَعْنَى عَمِيقٌ وَهُوَ أَنَّهُ زَعِيمُ الشَّيَاطِينِ. وَدُخُولُهُ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ الْغَايَةُ وَالْمَامُولُ الَّذِي رَسَمَ عَلَيْهِ إِبْلِيسُ زَعِيمُ شَيَاطِينِ الْجَانِّ، وَحَقَّقَ جُزْءًا مِنْ غَايَتِهِ فِي إِنْطَاءٍ تَحَقُّقِ الْوَعْدِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي هُوَ مُتْتَهَى أَجَلِهِ حَيْثُ يُعَذَّبُ بِمُجَرَّدِ حُصُولِ الْوَعْدِ. وَدُخُولُ عُمَرَ لِلْإِسْلَامِ أَعْطَاهُ فُرْصَةً أَطْوَلَ لِلخَّلَاصِ مِنَ الْعَذَابِ.

وَهَذَا يُفَسِّرُ الْحَادِثَ الْغَرِيبَ الَّذِي رَوَاهُ كُلُّ الْحُقَاطِ وَأَشْكَلَ تَفْسِيرُهُ عَلَى «الْعُلَمَاءِ»، وَهُوَ قَتْلُ الشَّيْطَانِ أَوْ إِبْلِيسَ الَّذِي تَمَثَّلَ فِي صُورَةِ عَابِدٍ أُعْجِبَ الصَّحَابَةُ بِعِبَادَتِهِ، وَأَخْبَرُوا النَّبِيَّ ﷺ بِهِ، فَأَمَرَ أَنْ يُتَدَبَّ لَهُ رَجُلٌ فَيَقْتُلَهُ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «أَنَا لَهُ». فَذَهَبَ وَرَجَعَ وَقَالَ: «كَرِهْتُ أَنْ أَقْتُلَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ». ثُمَّ ذَهَبَ عُمَرُ وَرَجَعَ وَلَمْ يَقْتُلِ الرَّجُلَ فَجَاءَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا لَهُ إِنْ وَجَدَهُ»، فَلَمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِ مُخْتَرِطًا سَيْفَهُ مُسْرِعًا نَحْوَهُ لَمْ يَجِدْهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ قَتَلْتُمُوهُ مَا اخْتَلَفَ مِنْ أُمَّتِي رَجُلَانِ».

ظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ ذُو النَّدْيَةِ الْمَقْتُولِ فِي النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ فِيمَا بَعْدَ حَيْثُ أَخْرَجَ الْحَدِيثُ أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ مِنْ تَرْجَمَةِ ذِي النَّدْيَةِ مِنَ الْإِصَابَةِ. وَذَكَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي ج ٣/ص ١٥ مِنَ الْمُسْنَدِ.

وبالطبع لا يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ رَجُلٌ وَاحِدٌ بِإِضْلَالِ كُلِّ الْأُمَّةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَائِداً
لِلشَّيَاطِينِ كُلِّهِمْ. لَكِنَّ عَدَمَ الْإِخْتِلَافِ بَعْدَ قَتْلِهِ لَيْسَ بِسَبَبٍ غِيَابِهِ بَعْدَ الْقَتْلِ كَمَا
قَدْ يُفْهَمُ، وَإِنَّمَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالرَّجُلَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ. فَلَوْ قَتَلَا مِثْلَ هَذَا الشَّيْطَانِ
لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ وَمِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَإِذَا كُنَّا كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِذَنْ مُشْرِكٌ أَوْ
كَافِرٌ فِي كُلِّ الدُّنْيَا، لِأَنَّهُمَا الْأَعْلَى دَرَجَةً فِي الْكُفْرِ فَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى مَعْرِفَةِ قُضِيَّةِ
الْحُدُودِ فِي الْمَنْطِقِ كَمَا تَقُولُ عَنْ رَجُلٍ مُلْحِدٍ شَدِيدِ الْعِنَادِ: «لَوْ آمَنَ هَذَا لَأَمَنَ
كُلُّ النَّاسِ كَأَنَّكَ تُشِيرُ إِلَى أَنَّهُمْ دُونَهُ فِي الْعِنَادِ.

أَمَّا أَنْتَ فْتَبَالِغْ لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ كُلَّ الْخَلْقِ، وَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ فَهُوَ لَا يَنْطِقُ عَنْ
الْهَوَى وَكَلَامِهِ حَقٌّ. وَلَيْسَ الْمَفْهُومُ مِنْ كَلَامِهِ إِلَّا هَذَا الْمَعْنَى. وَهُوَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ
ثَمَّةَ احْتِمَالٍ فِي إِيمَانِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ لَأَمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْ أُمَّتِهِ
رَجُلَانِ لِأَنَّهُمَا أَكْفَرُ الْخَلْقِ.

وَأَعْلَمُ أَنِّي كَشَفْتُ لَكَ عَنْ سِرِّ دَفِينٍ وَعَظِيمٍ كَتَمَهُ أَهْلُهُ عَنْ غَيْرِ أَهْلِهِ قُرَابَةً
أَرْبَعَةَ عَشَرَ قُرْآنًا. فَلَا يَفُوتُكَ تَطْبِيقُ الْمَعْنَى وَالْبَحْثُ فِي الْمَرْوِيَّاتِ عَلَى كُلِّ مَوْرِدٍ
قُرْآنِي وَرَدَّ فِيهِ ذِكْرُ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ مُرْتَبِطٌ بِالرَّجُلَيْنِ لَا بِسِوَاهُمَا وَسَتَنْكَشِفُ لَكَ
الْأَسْرَارُ.

وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ يُفَسِّرُ لَكَ مُعْضَلَاتِ الْمَسَائِلِ وَمُشْكِلَاتِ الْحَدِيثِ. وَلَكُمْ هَذَا
الْمِثَالُ:

* أَوْرَدَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَاماً اسْتَشْهَدُوا بِهِ عَلَى حُسْنِ عِلَاقَتِهِ
وَنَظَرَتِهِ لِعُمَرَ عِنْدَمَا مَاتَ عُمَرُ. فَقَدْ رَوَوْا عَنْ جَابِرٍ: قَالَ: دَخَلَ عَلِيٌّ عَلَى عُمَرَ
وَهُوَ مُسَجًى فَقَالَ:

«رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمَا فِي صَحِيفَتِهِ بَعْدَ
صُحْبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هَذَا الْمُسَجًى».

ذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي التَّارِيخِ وَقَالَ: «أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ»^(١) - وَالْمَعْنَى وَاضِحٌ
بَعْدَ تِلْكَ الْإِشَارَاتِ: فَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ لَا لَكَ لَأَنَّ الْإِمَامَةَ وَالنَّبُوَّةَ هِيَ رَحْمَةُ
اللَّهِ، وَالكِتَابُ هُوَ رَحْمَةُ اللَّهِ. قَالَ تَعَالَى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وَهَذِهِ «عَلَيْكَ» أَي تَبِعْتُهَا عَلَيْكَ.

إِي وَاللَّهِ.. رَحْمَةُ اللَّهِ لَهِيَ عَلَيْهِ^(٢)!

ثُمَّ هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُرِيدُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ بِصَحِيفَتِهِ وَيُقَدِّمَهَا لِلشُّكُوى عَلَيْهِ. وَهَذَا مِنْ
شُؤْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّهُ هُوَ الْإِمَامُ وَالشَّهِيدُ عَلَى الْأُمَّةِ بَعْدَ رَسُولِهَا ﷺ. وَكَمَا
رَأَيْنَا فَهَوَ الْقَسِيمُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

فَالصَّحِيفَةُ تَتَضَمَّنُ ظُلَامَاتِهِ الْخَاصَّةَ وَظُلَامَاتِ الْخَلْقِ عَامَّةً، لِأَنَّهَا سَوْفَ
تَتَابَعُ عَنْ طَرِيقِ الْحِسَابِ، فَلِذَلِكَ لَا شَيْءَ أَحَبُّ عِنْدَهُ مِنْ هَذَا اللَّقَاءِ.

وَهَذَا يُؤَيِّدُهُ أَيْضًا بِنَفْسِ التَّفْسِيرِ مِنْ «فَضَائِلِ عُمَرَ» قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ:

«مَا فِي السَّمَاءِ مَلِكٌ إِلَّا وَهُوَ يَوْقُرُ عُمَرَ وَلَا فِي الْأَرْضِ شَيْطَانٌ إِلَّا وَهُوَ
يَفْرُقُ مِنْ عُمَرَ».

أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَنَقَلْتُهُ عَنِ السَّيُوطِيِّ فِي تَارِيخِهِ/ ١١٨.
وَالْوَقْرُ هُوَ الْجَمْلُ وَيَوْقُرُ: يُحْمَلُ، وَالْمَفْعُولُ مَثْرُوكٌ وَهُوَ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي
تَأْتِي لِازِمَةٍ أَوْ مُتَعَدِّيَةٍ. فَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ تُحْمَلُهُ تَبِعَةً مَا يَحْصُلُ مِنْ فَسَادٍ فِي
الْأَرْضِ.. وَيَوْقُرُ: يُعْظَمُ أَمْرُهُ. وَلَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ تَوْقِيرِ الْمَلَائِكَةِ وَفَرَقِ الشَّيَاطِينِ
إِلَّا بِهَذَا الْمَعْنَى.

(١) تَارِيخُ الْخُلَفَاءِ/ ١٢٠.

(٢) وَلَا يَفُوتُكَ الْمَعْنَى وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِكَ: فَلَانِ عَلَيْنَا - يَقُولُ: أَنَا رَحْمَةُ اللَّهِ وَأَنَا عَلَيْكَ
وَلِذَلِكَ يَحِبُّ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ بِصَحِيفَتِهِ.. فَافْهَمْ.

وَأَخْرَجَ الْحُقَاطُ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ:

«كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ الشَّيَاطِينَ كَانَتْ مُصَفَّدَةً فِي إِمَارَةِ عُمَرَ».

أَخْرَجَهُ السُّيُوطِيُّ فِي التَّارِيخِ عَنِ ابْنِ عَسَاكِرٍ / ١٢١.

وَلَا مَعْنَى لِهَذَا إِلَّا أَنْ يَكُونُوا قَدْ اكْتَفَوْا بِعَمَلِهِ فَبَقُوا لَا شُغْلَ لَهُمْ.

وَأَخْرَجَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

أَبْطَأَ خَبَرُ عُمَرَ عَلَى ابْنِ مُوسَى فَأَتَى امْرَأَةً فِي بَطْنِهَا شَيْطَانٌ فَسَأَلَهَا عَنْهُ فَقَالَتْ: «حَتَّى يَجِئَنِي شَيْطَانِي»، فَجَاءَ، فَسَأَلَتْهُ عَنْهُ فَقَالَ الشَّيْطَانُ: «تَرَكْتُهُ مُؤْتَزِرًا بِكِسَاءٍ يَهْنَأُ إِبِلَ الصَّدَقَةِ وَذَاكَ رَجُلٌ لَا يَرَاهُ الشَّيْطَانُ إِلَّا خَرًّا لِمَنْخَرِيهِ»^(١).

وَبِالْجُمْلَةِ فَإِنَّ الْمَكْرَ وَالْكَيْدَ هُمَا عَمَلُهُ حَيْثُمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ. وَيَبْدُو أَنَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ كَانُوا يَدْرِكُونَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فَنَقَلُوهَا لَنَا بِصُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ.

وَهُنَاكَ عَشْرَاتُ الْاِتِّفَاقَاتِ الْأُخْرَى فِي مَنَامَاتِهِ وَأَحْلَامِهِ وَمُحَاوَرَاتِهِ مَعَ أَضْحَايِهِ وَمَعَ الْمُؤْمِنِينَ تُثَبِّتُ أَنَّ رَئِيسَ الشَّيَاطِينِ. وَمِنْ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ إِبْلِيسُ نَفْسُهُ قَدْ يَحِلُّ بِهِ وَيَتَلَبَّسُ فِيهِ فَيَحْصُلُ سُجُودُ الشَّيَاطِينِ لَهُ. وَإِذَا غَضِبَ فِي هَذَا الْحَالِ فَتَقَعُ ذَاهِيَةٌ لَا مَحَالَهَ وَقَدْ عَلِمَ الْأَضْحَابُ ذَلِكَ وَحَاسِلُوا اسْتِعْمَالَ الْقُرْآنِ لِلْخَلَّاصِ مِنْهُ. فَقَدْ رَوَى السُّيُوطِيُّ عَنْ بِلَالٍ أَنَّهُ قَالَ لِأَسْلَمَ:

«كَيْفَ تَجِدُونَ عُمَرَ؟»، قَالَ: «خَيْرٌ إِلَّا أَنَّهُ إِذَا غَضِبَ فَهُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ»، فَقَالَ بِلَالٌ: «لَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ إِذَا غَضِبَ قَرَأْتُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ»!!^(٢).

أَقُولُ: وَالْقُرْآنُ يُسْتَحْدَمُ لَطَرْدِ الشَّيْطَانِ أَوْ إِسْكَاتِ حَرَكَاتِهِ، وَلَمْ يُؤْثَرْ شَيْءٌ كَهَذَا إِلَّا عَنْ عُمَرَ!.

(١) تاريخ الخلفاء / ١١٨.

(٢) تاريخ الخلفاء / ١١٩.

وَيُظْهِرُ مِنْ هَذِهِ النُّصُوصِ وَغَيْرِهَا الْكَثِيرُ أَنَّ جَمْعًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمِمَّنْ هُمْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ كَانُوا يُذَكِّرُونَ جِدًّا أَنَّ عُمَرَ شَيْطَانٌ إِنْسِيٌّ، وَأَنَّهُ زَعِيمُ الشَّيَاطِينِ فِي الْعَالَمِ وَفَقَ هَذِهِ التَّضْرِيحَاتِ النَّبَوِيَّةِ. وَلِذَلِكَ وَرَدَ عَنِ الصَّادِقِينَ عليه السلام فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ:

«إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَأَيُّمَا مَوْضِعٍ يَرُدُّ فِيهِ الشَّيْطَانُ فَالْمُرَادُ بِهِ الثَّانِي».

وَفِي كِتَابِ «عَبْقَرِيَّةِ عُمَرَ» لِلْعُقَادِ لَمْ يَجِدْ الْعُقَادُ مِنَ النُّصُوصِ الدَّالَّةِ عَلَى فَضِيلَةِ مَنْ فَضَّلَهُ سِوَى حَدِيثِ رُؤْيَاهُ عليه السلام فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. فَذَارَ حَوْلَ هَذَا الْحَدِيثِ لَا سِتِّخْرَاجَ فَضْلِهِ كَمَا تَدُورُ الرَّحَى الْفَارِغَةُ، بَيْنَمَا الْحَدِيثُ يُشِيرُ إِلَى وَادِي الشَّيَاطِينِ «عَبْقَرَى» الَّذِي هُوَ مَشْهُورٌ عِنْدَ الْعَرَبِ:

فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ:

«بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قُلُوبٍ عَلَيْهَا دَلُوفٌ فَتَزَعْتُ مِنْهَا إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَخَذَهَا أَبُو بَكْرٍ فَتَزَعَنِي ذَنْبًا أَوْ ذَنْبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَاسْتَقَى فَاسْتَحَالَتْ فِي يَدِهِ غَرْبًا فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي قُرْبَهُ حَتَّى رَوَى النَّاسَ وَضَرَبُوا بِعَظْمَيْنِ».

قَالَ: قَالَ النَّوَوِي: هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى خِلَافَتِهِمَا.

الْقُلُوبُ: الْبُيُوتُ الْعَمِيقَةُ. وَالذُّنُوبُ: لَفْظٌ قُرْآنِيٌّ وَرَدَ لِلتَّهْكُمِ عَلَى أَهْلِ النَّارِ. قَالَ تَعَالَى فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا:

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَمْعِلُون﴾ [الذَّارِيَاتُ: ٥٩].

وَلَمْ يَنْزَعِ النَّبِيُّ ذَنْبًا، وَلَمْ يَقُلْ ذَلِكَ، بَلْ نَزَعَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. وَلَمَّا جَاءَ عُمَرُ اسْتَحَالَتْ فِي يَدِهِ غَرْبًا، أَيِ اسْتَحَالَ الدَّلُ إِلَى وَعَاءٍ عَظِيمِ السَّعَةِ، وَهُوَ ذَاتُهُ الذُّنُوبُ.

وَالْغَرْبُ: الْمَاءُ الْآسِنُ. وَهَذَا تَغْيِيرُ رُؤْيَاهُ عليه السلام، لِأَنَّهُمْ بَعْدَ إِنْ ذَاقُوا مِنْ يَدِ أَبِي بَكْرٍ لَمْ يُمَيِّزُوا الْحَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، فَأَخْرَجَ لَهُمُ الْمَاءَ الْآسِنَ فَشَرَبُوا.

وقوله: لَمْ أَرِ عَبْقَرِيًّا.. أَي لَمْ أَرِ شَيْطَانًا، لِأَنَّ عَبْقَرَ هُوَ وادي الشَّيَاطِينِ،
ومنه العبْقَرِيُّ الحِسَانِ: حَمِيلَةُ سَجَادٍ يَصْنَعُهُ الشَّيَاطِينُ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَقَرَّنُ
الصُّنْعِ.

وقوله ﷺ: يَفْرِي: الْفَرِيُّ: التَّغْيِيرُ وَالتَّبْدِيلُ عَلَى نَحْوِ الْكَذِبِ وَالتَّمْوِيهِ.
أَي لَمْ أَرِ شَيْطَانًا يَكْذِبُ مِثْلَ كَذِبِهِ، وَيُغَيِّرُ مِثْلَ تَغْيِيرِهِ فِي الدِّينِ.
وَضَرَبُوا بِعُظُنِّ: امْتَلَأَتْ بِطُونُهُمْ حَتَّى تُوشِكُ أَنْ تَنْفَتِقَ. وَكُلُّ ذَلِكَ مُتَّفِقٌ مَعَ
مَا حَصَلَ فِي الْوَاقِعِ وَمَعَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي خُطْبِهِ فِي مَنْ سَبَقَهُ كَمَا
مَرَّ عَلَيْكَ.

وَهَكَذَا بِإِمْكَانِكَ أَنْ تُفَسِّرَ كُلَّ مَا وَرَدَ عَنْ هَذِهِ الْعِصَابَةِ فِي التَّارِيخِ بِنَحْوِ هَذَا
وَالْكَشْفِ عَنْ مَرْمُوزَاتِ النُّصُوصِ وَدَلَالَتِهَا الْحَقِيقِيَّةِ. عَلَى أَنَّكَ لَوْ تَبَعْتَ
أَعْمَالَهُ كَافَّةً لَوَجَدْتَهَا أَعْمَالِ الشَّيَاطِينِ بِالْفِعْلِ وَلَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ تَعْرِفَ عَمَلِ
الشَّيْطَانِ وَعَكْسَهُ. فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُغْيِرُكَ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَيُبَرِّرُ لَكَ الْكَثِيرَ
مِنَ الْأَعْمَالِ فِي نَفْسِكَ فَكَيْفَ بَغْيِرُكَ؟ وَتُغْتَبَرُ مِنْ أَكْبَرِ أَعْمَالِهِ الشَّيْطَانِيَّةِ - الَّتِي
ظَاهِرُهَا عِنْدَ الْأَغْيَاءِ وَالْحَقْمَى أَعْمَالًا صَالِحَةً وَهِيَ عِنْدَ اللَّهِ لِفُسَادِ الْخَلْقِ -
هَذِهِ الْقَائِمَةُ الْمُخْتَصِرَةُ جِدًّا وَالتِّي تَحْتَاجُ إِلَى دَرَسَاتٍ وَاسِعَةٍ لَسْتُ فِيهَا الْآنَ:
الْأَوَّلُ: الْإِسْرَاعُ إِلَى السَّقِيفَةِ وَمُبَايَعَةُ أَبِي بَكْرٍ بِالْإِتِّفَاقِ مَعَ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ
وَزُعَمَاءِ الْيَهُودِ، وَحَلَقَةُ الْوَضَلِ هِيَ أَبُو سَفْيَانَ.

الثَّانِي: تَسْيِيرُ الْيَهُودِ لِلشَّيْطَانِ فِي فِلَسْطِينَ لِتَكُونَ أَرْضَ الْمِعَادِ الْخَاصَّةِ
بِهِمْ. ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ وَغَيْرُهُ بِإِشَارَاتٍ فِي مَوَاضِعٍ مِنْ تَارِيخِهِ.

الثَّالِثُ: الْإِتِّفَاقُ مَعَ الرُّومِ عَلَى فَتْحِ الشَّامِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ بِشَرْطِ تَأْمِيرِ آلِ
أَبِي سَفْيَانَ، وَالسَّمَّاحِ لِلْيَهُودِ بِالسَّكَنِ فِي فِلَسْطِينَ كَمَا فِي الْمَغَازِي.

الرَّابِعُ: تَأْجِيجُ الْفُتُوحِ لِإِشْغَالِ الرُّجَالِ بِالْجِهَادِ عَنْ مَعْرِفَةِ الدِّينِ.

الْحَامِسُ: تَأْجِيلُ إِخْرَاجِ الْمُضْحَفِ الشَّرِيفِ وَالْمَنْعُ مِنْهُ، وَانْتِدَابُ سَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حذيفة لِإِكْمَالِ مُضْحَفٍ رَسْمِيٍّ لِلْحُكُومَةِ. وَانْتَقَلَ الْمُضْحَفُ إِلَى حَفْصَةَ وَمِنْهَا إِلَى عُثْمَانَ. وَاعْتُمِدَتِ النُّسخَةُ نَفْسُهَا لِإِخْرَاجِ الْمُضْحَفِ بَانْتِدَابِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ الَّذِي وُلِدَ وَقْتَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ قَدْ حَفِظَ كَامِلَ الْمُضْحَفِ. وَرَفَضَ ابْنُ مَسْعُودٍ تَسْلِيمَ مُضْحَفِهِ فَكَسَرُوا أَضْلَاعَهُ سَحَقًا بِالْأَرْجُلِ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ وَقَتْلُوهُ. وَهَذَا أَبُو بَنِي كَعْبٍ الَّذِي رَفَضَ تَسْلِيمَ مُضْحَفِهِ أَيْضًا بِالْإِعْدَامِ.

السَّادِسُ: تَخْرِيمُ ذِكْرِ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمَنْعُ مِنَ التَّحَدُّثِ بِهَا ثُمَّ جَمْعُهَا وَإِخْرَاقُهَا مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ، وَمَرَّةً عَلَى عَهْدِ عُمرَ.

السَّابِعُ: تَصْفِيَةُ الْمُعَارِضِينَ مِثْلَ مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ، وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ زَعِيمِ الْأَنْصَارِ، وَفَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَغَيْرِهِمُ الْكَثِيرُ.

الثَّامِنُ: فَرَضُ الْإِقَامَةِ الْجَبْرِیَّةِ عَلَى الصَّحَابَةِ وَالْقُرَاءِ وَالْفُقَهَاءِ مِنْهُمْ خُصُوصًا، وَتَعْيِينَ أَقْطَابِ الْإِتِّجَاهِ الْجَاهِلِيِّ الرَّجْعِيِّ فِي الْوِلَايَاتِ كَأَمْرَاءِ.

التَّاسِعُ: تَوْزِيعُ الْمَالِ وَالْعَطَاءِ بِالْأَسْلُوبِ الطَّبَقِيِّ وَزَرْعُ بُذُورِ الصَّرَاحِ الطَّبَقِيِّ الَّذِي قَضَى عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَأُلْفَتْ فِيهِ رَسَائِلُ سَابِقَةٍ.

الْعَاشِرُ: زَرْعُ بُذُورِ الْإِنْشِقَاقِ عِنْدَ الْفِتَنِ الْحَدِيثَةِ الْعَهْدِ بِالْإِسْلَامِ كَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ بِمَنْعِ حُصَّتِهِمُ الْمَفْرُوضَةِ فِي الْقُرْآنِ بِحُجَّةٍ أَنَّ الدَّوْلَةَ لَمْ تَعُدْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِمْ.

الْحَادِي عَشَرَ: وَضْعُ بَذْرَةِ الْفِتْنَةِ عَنْ طَرِيقِ ابْتِدَاعِ الشُّورَى.

هَذَا وَلَهُ أَعْمَالٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ جَدًّا فِي تَخْرِيفِ السُّنَنِ وَتَغْيِيرِ مَعَالِمِ الدِّينِ مِمَّا مَهَّدَ لِلْعَصْرِ الْمُلُوكِيِّ الْأُمَوِيِّ.

وَمِنْ هُنَا نَجِدُ الْأَوَامِرَ الْمُشَدَّدَةَ لِمَعَاوِيَةَ وَمَنْ خَلَفَهُ فِي الْحُكْمِ فِي ضَرُورَةِ ذِكْرِ مَنَاقِبِ الشَّيْخَيْنِ وَمَثَالِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

فَالْحُكْمُ الْبَكْرِيُّ الْعَمَرِيُّ كَانَ بِحَقِّ هُوَ التَّاسِيسَ الْأَهَمَّ لِلْحُكْمِ الطَّاغُوتِيِّ .
وَلِذَلِكَ فَإِنَّ وَلَعَ الْحُكَّامُ كُلَّهُمْ بِعَمْرِ أَبِي بَكْرٍ هُوَ ضَرُورَةٌ وَأَمْرٌ طَبِيعِيٌّ لَأَنَّهُمْ
الْمُؤَسِّسُونَ الْأَوَائِلُ لِفِكْرَةِ التَّشْرِيعِ مَعَ اللَّهِ أَوْ بَدَلِ اللَّهِ تَحْتَ رَايَةٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ !! .

وَكُلُّ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ لَهُ مَصَادِرُ مُسْتَفِيزَةٌ فِي التَّارِيخِ . . . فَالتَّارِيخُ وبالرُّغْمِ مِنَ
التَّحَوُّطِ الشَّدِيدِ فِي كِتَابَتِهِ لِصَالِحِ الطُّعَاةِ إِلَّا أَنَّ الدَّارِسَ يَتِمَكَّنُ مِنَ الْحَصُولِ
عَلَى الْمَعْلُومَاتِ الْأُخْرَى مِنْ خِلَالِ الْمُقَارَنَةِ وَالِاسْتِنَاجِ ، بَلْ وَالتَّضَرُّيحِ أحياناً
مِنْ خِلَالِ فَلَائِتِ أَلْسِنَتِهِمْ وَالْمَعَايِيرِ الثَّابِتَةِ فِي عِلْمِ الْجَمَاعِ وَالْحَرَكََةِ السِّيَاسِيَّةِ
وَالاجْتِمَاعِيَّةِ .

نَرْجِعُ إِلَى قَوْلِ الْإِمَامِ عليه السلام : «لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ
مَغْمَزٌ...» .

مَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مُؤْمِنٍ لَهُ جُمْلَةٌ مِنَ الْمَعَاصِي ظَاهِرَةٌ أَوْ بَاطِنَةٌ ، وَلِذَلِكَ
أَمَرَ تَعَالَى بِالِاسْتِغْفَارِ لِلذَّنْبِ وَطَلَبِ التَّوْبَةِ . وَبِحَدِّ الْمُنَافِقِ دَوَّماً مَا يَغْمِزُ بِهِ
الْمُؤْمِنَ وَيَهْمِزُهُ ، وَلِذَلِكَ أَمَرَ الشَّارِعُ بِسِتْرِ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«مَنْ سَتَرَ مُؤْمِنًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ جَاهَرَ بِالْفِسْقِ وَالْعِصْيَانِ فَيُؤْمَرُ
بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ» .

وَقَوْلُ الْإِمَامِ هَذَا الَّذِي يَنْتَهِي فِيهِ وُجُودَ أَحَدٍ يَغْمِزُهُ أَوْ قَائِلٍ يَجِدُ فِيهِ مَغْمَزاً
إِنَّمَا يُدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً جِدّاً عَلَى أَنَّهُ مَعْصُومٌ عَنِ الْخَطَا . فَلَا يَجِدُ فِيهِ الْمُنَافِقُ
طَرِيقاً لِذَلِكَ . وَبِهَذَا يَكُونُ حُجَّةٌ عَلَيْهِ لِكَيْ لَا يُقَالَ : «لَا وَجُودَ لِمُؤْمِنٍ يُنْفَذُ أَمْرُ
اللَّهِ كُلِّهِ» ، وَكَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَ بِأَشْيَاءَ فَوْقَ طَاقَةِ الْإِنْسَانِ وَتَتَأَقَّصُ فِي أَوَامِرِهِ . لَكِنَّهُ
جَعَلَ الْمَعْصُومَ عليه السلام قُدْوَةً يَرْتَفِعُ بِهِ الْخَلْقُ عَنْ مُسْتَوِيَاتِهِمْ وَيَقْتَدُونَ بِهِ لِتَنْفِيزِ
مَطَالِبِ الشَّرْعِ فِي طَرِيقِ التَّقْوَى وَالتَّعَقُّلِ حَيْثُ قَالَ أَكْثَرُ مِنْ مَرَّةٍ :

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٧٣] ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢] ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] .

وَهِيَ تَعْلِيلَاتُ الشَّرْعِ وَمَجْمُوعُ الْأَحْكَامِ ، وَلَا يَقُومُ بِالْحُكْمِ فِيهَا إِلَّا الرَّسُولُ ﷺ أَوْ مِنْ لَا يَكُونُ فِيهِ مَغَمَزٌ لِأَحَدٍ وَلَا مَهْمَزٌ حَتَّى تَكُونَ إِمَامَتُهُ جُزْءًا مِنْ الشَّرْعِ ظَاهِرًا مِثْلَ طَهَارَتِهِ .

وَهَذَا هُوَ مَفْهُومُ الْعِصْمَةِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَاخْتَارَ اللَّهُ لَهُمْ هَؤُلَاءِ الْقَادَةَ وَالذَّرِيَّةَ الطَّاهِرَةَ بَعْدَ طَبِيعِيَّيْهِ لِتَكُونِ حِصَارَةً وَأُمَّةً مُتَقَدِّمَةً لِأَثْنِي عَشَرَ جَيْلًا .

وَلِذَلِكَ اخْتَارَ أَهْلُ السُّنَّةِ فِي تَخْرِيجِ حَدِيثِ الْأُئِمَّةِ الْأَثْنِي عَشَرَ الثَّابِتِ نِصًّا وَسَدًّا فَلَمْ يَنْطَبِقْ عَلَى الطَّغَاةِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَلَا بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَانْطَبَاقُهُ عَلَى غَيْرِ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ مُحَالٌ .

فَقُلْ لِهَذَا الْأَفَّاكِ الْكَذُوبِ : مَا أَغْبَاكَ وَمَا أَكْثَرَ حُمْقِكَ إِذْ تُكَذِّبُ عَلَى الْقُرَّاءِ وَتَقُولُ فِي ص ٤٩ مِنْ كِتَابِكَ الْآفَنِ :

«وَكَاثَتْ فَلْسَفَةُ الْعِصْمَةِ تَقَوْمُ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي الطَّاعَةِ لِأُولَى الْأَمْرِ وَعَدَمِ جَوَازِ النِّسْبَةِ فِيهَا وَالرَّدَّ عَلَى الْإِمَامِ أَوْ رَفْضِ طَاعَتِهِ فِي الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ الَّتِي يَرْتَكِبُهَا وَظُهُورِ فَسْقِهِ أَوْ انْجِرَافِهِ وَهُوَ الْمَفْهُومُ الَّذِي رَوَّجَ لَهُ بَنُو أُمَيَّةَ حَيْثُ طَالَبُوا الْمُسْلِمِينَ بِطَاعَتِهِمْ طَاعَةً مُطْلَقَةً فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَهُوَ مَا أَوْقَعَ فَلَا سِفَةَ الشَّيْعَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ فِي شُبْهَةِ التَّنَاقُضِ بَيْنَ طَاعَةِ اللَّهِ وَضَرُورَةِ طَاعَةِ الْحُكَّامِ حَتَّى فِي الْمَعَاصِي لِأَنَّهُ أَمَرَ بِطَاعَتِهِمْ فَقَالَ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] . . . » انتهى كلامه .

وَكَلَامُهُ هَذَا لَهُ مِثْلُ عِرَاقِيٍّ وَلَكِنِّي أَكْرِمُ نَفْسِي عَنْ ذِكْرِهِ لِأَنَّ هَذَا الْأَخْمَقَ يُرِيدُ أَنْ يُنْبِتَ لِكُنَاسِ الزُّبَالَةِ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ الزُّبَالَةُ مَوْجُودَةً أَضْلًا حَتَّى يُشْغِلَ نَفْسَهُ

بِالْكَسْرِ ، فَأَرَادَ إِخْفَاءَ الرُّبَالَةِ لِتَحْقِيقِ الْبُرْهَانِ فَلَمْ يَجِدْ مَوْضِعاً لَهَا فَوَضَعَهَا فَوْقَ رَأْسِهِ وَسَالَتِ الرُّبَالَةُ وَمَا فِيهَا عَلَى لَحْيَتِهِ وَبَدَنِهِ ! .

وَاللَّهُ مَا بَالَعْتُ فِي الْمَثَلِ وَلَكِنْ قَصَرْتُ فِيهِ لِأَنَّ أَضْلَ الْكَلَامِ فِي إِنْبَاتِ وُجُودِ الْمَعْصُومِ هُوَ التَّوْحِيدُ . فَحَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُطَاعَ أُولُو الْأَمْرِ وَلَا يُعْصُونَ قَطَّ اسْتَنْتَجَ الشَّيْعَةُ أَنَّ وَلِيَّ الْأَمْرِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعْصُوماً ، وبالتالي فَهُوَ شَخْصٌ مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ مِنْ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ ، وَلَيْسَ هُوَ مُطْلَقُ الْإِمَامِ أَيُّهَا الْأَخْمَقُ حَتَّى تَقُولَ إِنَّهُمْ تَنَاقَضُوا . .

فَمَا لَكَ أَخْرَاكَ اللَّهُ تَقَلُّبُ الْأُمُورِ ؟ !

فَإِنَّ التَّنَاقُضَ بَيْنَ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ الْأَئِمَّةِ عَلَى إِطْلَاقِهِمْ هُوَ تَنَاقُضُ أَهْلِ الشُّورَى لِأَنَّهُمْ قَالُوا : إِنَّ الْإِمَامَ يَكُونُ بِاخْتِيَارِ الْخَلْقِ وَلَا مَعْصُومَ سِوَى النَّبِيِّ ﷺ . فَكَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجَبَ طَاعَةَ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ فِعْلُ الْمُتَكْرَرَاتِ ، فَالْتَبَسَ الْأَمْرُ عَلَيْهِمْ لَا عَلَى الشَّيْعَةِ .

أَمَّا الشَّيْعَةُ فَمَا قَالُوا : إِنَّ الْإِمَامَ هُوَ غَيْرُ الْمَعْصُومِ حَتَّى تَنْسِبَ تَنَاقُضَ السُّنَّةِ لَهُمْ ! .

بَلْ كَلَامُهُمْ فِي هَذَا هُوَ أَحَدُ أَهَمِّ أَرْكَانِ فَلَسَفَةِ الْعِصْمَةِ وَلَمْ يَقْدِرْ كُلُّ أُسَاطِينِ التَّنْظِيرِ السُّنِّيِّ لِلشُّورَى عَلَى إِبْطَالِ هَذَا الدَّلِيلِ إِلَى الْيَوْمِ . وَجَرَتْ عَلَيْهِ مُنَاقَشَاتٌ طَوِيلَةٌ بَيْنَهُمْ كَانَ آخِرُهَا أَنْ سَكَتُوا وَلَمْ يَرُدُّوا عَلَى الدَّلِيلِ بِشَيْءٍ حَتَّى جَاءَ آخِرُ الزَّمَانِ وَظَهَرَ فِيهِ مَنْ هُوَ مِثْلُكَ فَوَجَدَ أَحْسَنَ الْحُلُولِ فِي أَنْ يَنْسِبَ التَّنَاقُضَ لِلشَّيْعَةِ ! .

ثُمَّ إِنَّا نَرَاكَ تَقُولُ :

«وَقَالَ أَوْلَيْكَ الْمُتَكَلِّمُونَ بِضُرُورَةٍ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ مُطْلَقُ الْإِمَامِ مَعْصُوماً مِنْ

اللَّهِ» .

أَيْنَ وَجَدْتَهُمْ يَقُولُونَ بَعْضُهُمْ مُطْلَقِ الْإِمَامِ؟

فَثَمَّةٌ إِمَامٌ جَائِرٌ وَإِمَامٌ حَقٌّ.

إِذَنْ فَهُمْ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ عُمَرَ وَأَبَا بَكْرٍ وَمَعَاوِيَةَ مَعْصُومُونَ!

فَوَقَعُوا فِي تَنَاقُضٍ بَيْنَ طَاعَةِ هَؤُلَاءِ وَطَاعَةِ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِطَاعَتِهِمْ!!

أَخْزَاكَ اللَّهُ!!

فَلِمَاذَا يَلْعَنُونَ هَؤُلَاءِ إِذَنْ إِذَا كَانُوا يَقُولُونَ بَعْضَتِهِمْ؟!

إِنَّمَا لَعَنُوهُمْ وَأَتْبَاعَهُمْ لِلْخَلَاصِ مِنْ هَذَا التَّنَاقُضِ لِأَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يَفْعَلُوا جَمَعُوا بَيْنَ وَجوبِ طَاعَتِهِمْ عَلَى الْمُتَكْرَرِ وَطَاعَةِ اللَّهِ فَكَأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِطَاعَتِهِمْ. وَخَلَاصًا مِنْ هَذَا الْكُفْرِ قَالُوا لَا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِوُجُودِ مَعْصُومٍ طَاعَتُهُ طَاعَةٌ لِلَّهِ فَيَزُولُ التَّنَاقُضُ فَمَا قَدَّرَ أَهْلُ الشُّورَى عَلَى نَقْضِ هَذَا الدَّلِيلِ إِلَى الْيَوْمِ. وَهَذَا لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْفَلَاسِيفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَإِنَّمَا هُوَ النَّاتِجُ الْمَحْتَمُّ لِكَلَامِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ بِالطَّاعَةِ لِأُولَى الْأَمْرِ وَلِكَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالَّذِي كُلُّ سَطَرٍ فِيهِ هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ إِمَّا تَضْرِيحًا أَوْ بِالنَّاتِجِ الْمَحْتَمِّ.

فَلَا جَرَمَ أَيُّهَا الدَّجَالُ أَنْ يَظْهَرَ أَمْثَالُكَ فِي زَمَنِ التَّدْجِيلِ وَإِمَارَةِ الصُّبْيَانِ وَحُكْمِ الْخِضْيَانِ، وَقَدْ خَدَمْتَنَا خِدْمَةً عَظِيمَةً مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُ لِأَنَّكَ كَشَفْتَ الْغَطَاءَ عَنِ الْوُجُوهِ الْقَبِيحَةِ وَمَا تُخْفِيهِ مِنْ قُدْرَةٍ عَلَى الْكَذِبِ وَالتَّزْوِيرِ، وَبَرَهَنْتَ بِالْأَدَلِيلِ الْقَاطِعِ عَلَى وُجُودِ مَنْ يَكُونُ الْبَاطِلُ هَدْفَهُ مِنْ كُلِّ بَحْثٍ. وَبِالنَّاتِجِ حَتْمِيَّةِ ظُهُورِ دَابَّةِ الْأَرْضِ الْمَوْعُودَةِ الَّتِي أَنْيَمَّا فَرَرْتَ مِنْهَا لِاحْقَاتِكَ حَتَّى تَخْتِمَ عَلَى جَبْهَتِكَ «هَذَا كَافِرٌ»! كَمَا وَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَحَدَّثَ الْقُرْآنُ:

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا

يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

نَعَمْ . . . ظَهَرَ الْآنَ وَسَيُظْهِرُ الْمَزِيدُ أَنَّهُمْ لَا يُوقِنُونَ بِالْآيَاتِ وَلَيْسَتْ مُشْكِلَتُهُمْ
غِيَابَ الْمَعْلُومَاتِ !!

ذَلِكَ أَنِّي مَهْمَا شَرَحْتُ وَأَوْضَحْتُ لِلنَّاسِ أَنَّكَ يَا هَذَا كَافِرٌ فَلَا يُصَدِّقُونَ
وسيقولون: «بأيِّ حَقِّ تُسَمِّي رَجُلًا يَتَشَهَّدُ بِالشَّهَادَتَيْنِ كَافِرًا؟». لَكِنْ إِذَا جَاءَتْ
الدَّابَّةُ اخْتَلَفَ الْأَمْرُ!

اللَّهُمَّ فَعَجِّلْ بِظُهُورِ الدَّابَّةِ حَتَّى تَخْتَمَ عَلَى الْجِبَاهِ: هَذَا مُؤْمِنٌ وَهَذَا كَافِرٌ
حَتَّى نَنْتَهِيَ مِنْ هَذِهِ الْمَشْكِلَةِ - آمِينَ .

لِنَرْجِعَ إِلَى ذِكْرِ فَرَاقَاتٍ أُخْرَى مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ عليه السلام والتي يُنْكِرُ فِيهَا الشُّورَى، وَيَعْتَبِرُهَا قَرِينَ الْكُفْرِ، وَيُثَبِّتُ فِيهَا
الْوَصِيَّةَ وَالْعِصْمَةَ خِلَافًا لِمَا زَعَمَهُ هَذَا الْأَقَاكُ الْكَذُوبُ.

ف - وَمِنْهَا قَوْلُهُ عليه السلام:

فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي
لِغَيْرِي...!!

الخطبة/ ٣٧ من النهج

هَذَا الْكَلَامُ وَاضِحٌ جَدًّا فِي كَوْنِهِ وَلِيَّ الْأَمْرِ بِالنِّصِّ الْإِلَهِيِّ وَالْأَمْرِ الرَّسَالِيِّ
وَالْأَيُّ كَيْفَ تَسْبِقُ طَاعَةُ الْخَلْقِ لَهُ بَيْعَتُهُ لَوْ كَانَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى قَدَمِ الْمُسَاوَاةِ
بِالشُّورَى؟.

فَإِنَّ طَاعَتَهُ سَتَكُونُ مِثْلَ غَيْرِهِ لَا تَجِبُ عَلَيْهِمْ إِلَّا بَعْدَ انْتِخَابِهِ لِلْخِلَافَةِ. فَلَمَّا
قَالَ سَبَقَتْ الْبَيْعَةُ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهَا سَابِقَةٌ بِالنِّصِّ!، وَلِذَلِكَ فَهُوَ يَعْجُبُ مِنْ
حَالِهِ حَيْثُ أَضْبَحَ الْمِيثَاقُ الَّذِي فِي أَغْنَاقِهِمْ لَهُ، أَضْبَحَ فِي عُنُقِهِ لِغَيْرِهِ!

وَلَا يَفْعَلُ قَوْمٌ بِرَجُلٍ هَذَا الْفِعْلَ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا قَدْ ارْتَدُّوا وَكَفَرُوا وَقَلَّبُوا
الْأَمْرَ. وَفِيهِ نَصُوصٌ كَثِيرَةٌ دَالَّةٌ عَلَى كُفْرِهِمْ أَخْرَجَهَا حَتَّى الْبُخَارِيُّ نَفْسَهُ رُغْمَ

تَعْتِيهِ! وَهِيَ نُصُوصٌ لِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ سَابِقَةٌ عَلَى أَيِّ تَخْرِيجٍ كَلَامِي
لِلْمَذَاهِبِ مِنْهَا:

حَدِيثُ الْحَوْضِ نَفْسُهُ. فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ عَقِبَةُ:

«آخِرُ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَى الْمِنْبَرِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ:
أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا [و] لِيرِدُنَّ
عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَغْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي فَيَقَالُ: لَا
تَذَرِي مَا أَخَذْتُوا بِغَدِّكَ فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي».

ذَكَرَهُ صَاحِبُ التَّاجِ الْجَامِعِ لِلْأُصُولِ مِنْ جُزْءِ ٣٧٩/٥ ط بَغْدَاد. وَقَالَ
رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. ثُمَّ قَالَ:

وَلِلْبُخَارِيِّ: «بَيْنَمَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زَمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
فَقَالَ [لَهُمْ]: هَلُمَّ فَقُلْتُ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ. قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟
قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بِغَدِّكَ عَلَى أَذْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى. فَلَا أَرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ
هَمَلِ النِّعَمِ».. انتهى.

فَتَعَالَ أَيُّهَذَا الْكَاتِبُ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ
النَّبِيِّ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ وَيَأْخُذُهُمْ إِلَى النَّارِ وَيَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ ارْتَدُّوا بِغَدِّهِ: أَهُوَ
مُرْشَحٌ لِلْخِلَافَةِ أَمْ هُوَ خَلِيفَةُ اللَّهِ بِالْحَقِّ يُدْخِلُ النَّارَ مَنْ شَاءَ وَيُخْرِجُ مِنْهَا مَنْ شَاءَ
بَحَيْثُ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَغْتَرِضُ عَلَيْهِ بَلْ فِعْلُهُ هُوَ عَيْنُ فِعْلِهِ وَيَقُولُ لَهُ: لَا تَذَرِي
مَا أَخَذْتُوا بِغَدِّكَ، فَيَكْتَفِي بِقَوْلِهِ هَذَا لِإِدْخَالِهِمُ النَّارَ بِلَا سِجَلَاتٍ وَلَا
حِسَابَاتٍ: أَهَذَا رَجُلٌ عَادِيٌّ أَمْ مَالِكٌ لِمَقَالِيدِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ؟.

ثُمَّ إِنَّهُمْ فَرَّقُوا الْكَلَامَ فِي النُّصُوصِ فَحَيْثُ ذَكَرُوا اسْمَ الرَّجُلِ وَقَالُوا هُوَ عَلِيُّ
ابْنُ أَبِي طَالِبٍ لَمْ يَذْكُرُوا إِلَّا أَحَادِيثَ الْحَوْضِ فِي الشَّرَابِ وَالرَّيِّ مِنْهُ وَعَدَدُ
الْكُؤُوسِ وَالْأَقْدَاحِ وَلَمْ يَذْكُرُوا الرَّدَّةَ وَحَيْثُ ذَكَرُوا الْإِزْتِدَادَ سَمَّوْهُ «رَجُلٌ».

وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ وَاضِحٌ لَأَنَّ مَنْ سَبَقَتْ طَاعَتُهُ بِيَعْتَهُ هُوَ عَلَيَّ ﷺ . فالذين كَفَرُوا
إِذْنُ هُمْ الَّذِينَ جَعَلُوا الْمِيثَاقَ فِي عُنُقِهِ لَهُمْ خِلَافًا لِلنَّصِّ .

لَا شَكَّ عِنْدَ الشَّيْعَةِ أَنَّ هَؤُلَاءِ كُفَّارٌ لِأَنَّ الْمُدَافِعِينَ عَنْهُمْ أَخْرَجُوا هَذِهِ
الْأَحَادِيثَ عَدَا أَهْلَ الْبَيْتِ ﷺ وَعَدَا الْمُعَايِنِ فِي الْوَاقِعِ وَالتَّارِيخِ . . وَقَدْ
حَاوَلُ السُّنَّةُ وَيُحَاوَلُونَ وَكُلُّ مُحَاوَلَاتِهِمْ هِيَ تَبْرِيرُ فِعْلَتِهِمْ وَإِقْنَاعِ الشَّيْعَةِ بِعَدَمِ
كُفْرِهِمْ !

أَمَّا تَفْضِيلُهُمْ أَوْ جَعْلُهُمْ عَلَى قَدَرِ الْمُسَاوَاةِ مَعَ عَلِيٍّ ﷺ فَهَذَا لَيْسَ مِنْ
مَذَاهِبِ السُّنَّةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ مَذْهَبِ بَنِي أُمَيَّةَ الَّذِينَ وَرَثَهُمُ الْآنَ تَيَّارُ الْوَهَابِيَّةِ ،
وَأُعِيدَ إِحْيَاءُ مَذْهَبِهِمْ عَلَى أَيْدِي نَفْسِ الْقَوْمِ أَغْنَى يَهُودَ أَهْلِ الْكِتَابِ ، إِذْ دَعَمَتْ
بِرِيطَانِيَا آلِ سَعُودٍ وَمَذْهَبُهُمْ لِهَذِهِ الْعَايَةِ لَا غَيْرَ .

فَالآنَ أَنْتَ تَظْمَحُ إِلَى أَشْيَاءَ مُسْتَحِيلَةٍ !

فَالشَّيْعَةُ يَعْلَمُونَ جَيِّدًا أَنَّ هَؤُلَاءِ كُفَّارٌ ، وَأَنْتَ تَتَجَاوَزُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ وَتَنْصَحُهُمْ
أَنْ يَتَخَلَّوْا عَنِ الْوَصِيَّةِ وَكَأَنَّكَ تَقُولُ لِلشَّيْعَةِ : « اكْفُرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ؟ » ! . . فَمَنْ مِنْهُمْ
يَسْمَعُ كَلَامَكَ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُضِلَّهُ وَيُخْرِجَهُ مِنَ الْمِلَّةِ . وَمِثْلُ هَذَا يَخْرُجُ بِكَ
أَوْ بِغَيْرِكَ أَوْ بِمُفْرَدِهِ ، وَحَتَّى لَوْ بَلَغَ الرُّوحُ الْحَلَقُومَ ، إِذْ لَا بُدَّ أَنْ يَمُوتَ عَلَى غَيْرِ
مِلَّةِ الْإِسْلَامِ . أَمَّا النَّقِيُّ السَّرِيرَةُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَرْجِعَ وَلَوْ قَبْلَ الْمَوْتِ .

فَقُلْ : هَذَا الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنَ النَّصِّ النَّبَوِيِّ . . أَهْوَى مِنْ كَلَامِ
الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْفَلَّاسِفَةِ أَمْ هُوَ مِنَ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ ؟

وَأَمَّا أَقْوَالُ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ فِي كُفْرِهِمْ وَارْتِدَادِهِمْ فَهِيَ لَا تُخْصَى كَثْرَةً .
فَمِنْهَا قَوْلُ الصَّادِقِ ﷺ الشَّهِيرُ جِدًّا :

« ارْتَدَّ النَّاسُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا أَرْبَعَةً عَمَّارَ وَسَلْمَانَ وَمِقْدَادَ وَأَبَا ذَرٍّ . قَالَ :
ثُمَّ رَجَعَ النَّاسُ بَعْدُ ! » .

والمقصود بالناس طبعاً كل الناس باستثناء أصحاب العبا . ولذلك ورد في نص البخاري لفظ «أقوام» وهو جمع قوم . فهم أكثرية ولا ينجو منهم أحد لم يتبع الوصي . ولكنه أبى احتمالاً لنجاة من لم يتبع الطاغوت ولكنه لا يفكر بمغصية الوصي ولا اتباعه وهو ما أطلق عليه «همل النعم» - وهي الدابة تُرعى منفردة بلا راع . .

وينطبق مثل هذا الوصف ظاهرياً على «سعد بن عباد» زعيم الأنصار لأنه قال: «إذا بايعهم عليّ أبايهم ولعلي لا أفعل وإن بايع عليّ» - ثم تركهم لا يخضرو صلاتهم ولا مجالسهم حتى اغتاله عمر غدرًا وهو في طريق الشام وألقى بالثهمة على الجان!! .

وهذه واحدة من مخزيات عمر وأتباعه!

فتباً لكم على هذا الإمام!

والله لو لم تكن جنة ولا نار ولا قيامة ولا حساب الخزي والعار أن يدافع المرء عن عمر ويترك علياً . ولكن هذا هو قدر نفوسكم وعقولكم، والطيور على أشكالها تقع! .

فمن ذا الذي يتسبب إلى هذه النظائر التي ملأت مخازيها كتب الأدب والنوادر فضلاً عن كتب التاريخ فضلاً عن شهرتها عند أهل الحقائق غير الذين هم من شاكرتهم؟

فرج الله الذي خاطب أبا بكر بقوله:

رؤيدك إن المجد حلوا لطاعم غريب فإن مارسته دقت مُمقراً
وما كل من رام المعالي تحملت مناكبه منها الركام الكنهورا
تنح عن العلياء يسحب ذيلها همام تردى بالعلی وتأزراً
فتى لم تُعرف فيه نيم بن مرة ولا عبد اللات الحبيثة أغصراً

ولا كَانَ مَعزولاً غَدَاةَ بَرَاءَةٍ ولا عَنْ صَلَاةٍ أَمٍّ فِيهَا مُؤَخَّرَا
ولا كَانَ فِي بَغْتِ ابْنِ زَيْدٍ مُؤَمَّرَا عَلَيْهِ فَأُضْحَى لَابِنِ زَيْدٍ مُؤَمَّرَا
ولا كَانَ يَوْمَ الْغَارِ يَهْفُو جَنَانُهُ حَذَارَا وَلَا يَوْمَ الْعَرِيشِ تَسْتَرَا
إِمَامٌ هُدَى بِالْقُرْصِ آثَرَ فَاقْتَضَى لَهُ الْقُرْصُ رَدَّ الْقُرْصِ أَبْيَضُ أَزْهَرَا
يُزَاحِمُهُ جَبْرِيلُ تَخَتَ عَبَائِهِ لَهَا قِيلَ كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَانِبِ الْفَرَا
حَلَفْتُ بِمَثْوَاهِ الشَّرِيفِ وَتَرْبِهِ أَحَالَ ثَرَاهَا طِيبُ رِيَاءِهِ عُنْبَرَا
لَأَسْتَنْفِذَنَّ الْعُمْرَ فِي مَدْحِي لَهُ وَإِنْ لَامَنِي فِيهِ الْعَدُولُ فَأَكْثَرَا
أَقُولُ: رَحِمَ اللهُ الشَّاعِرُ ابْنَ أَبِي الْحَدِيدِ.

أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَا مَدْحِي وَلَا ذَمٌّ سِوَايَ يُؤَثِّرُ. فَهُوَ نُورٌ عَلَى نُورٍ كَمَا قَالَ الْآخَرُ فِيهِ:

وَتَرَكْتُ مَدْحِي لِلْوَصِيِّ تَعَمُّدًا إِذْ كَانَ نُورًا مُسْتَطِيلًا شَامِلًا
وَإِذَا اسْتَطَالَ الشَّيْءُ قَامَ بِنَفْسِهِ وَصُفَاتُ ضَوْءِ الشَّمْسِ تَذْهَبُ بِإِطْلَا
لَا وَاللَّهِ. . . فَأَنَا لِأَقَلِّ شَأْنًا مِنْ أَنْ أَزِيدَهُ فَخْرًا أَوْ أَصْغُرَ مِنْهُ شَأْنًا. إِنَّمَا يَجُزُّ
فِي نَفْسِي تَسَافُلُ أَقْوَامٌ عَنْ دُرَى هَذَا النُّورِ الْبَازِخِ وَالكَاهِلِ الشَّامِخِ وَانْتِمَاؤُهُمْ
إِلَى الرَّجْسِ. فَأَنَا مِثْلُ الْعَاشِقِ مَا كَرِهَتْهُمْ إِلَّا لِحُبِّي لَهُمْ وَرَغْبَتِي فِي تَسَامِيهِمْ
عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَشْبَاهِ وَالنَّظَائِرِ. وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ.

شرح بغض معاني الأبيات:

١ - يَقُولُ: دَعِ الْمَجْدَ لِأَهْلِهِ فَطَعْمُهُ حَلْوٌ وَلَكِنْ مِمَارَسَتُهُ تُذِيقُكَ الْمُرَّ،
وَالْمُمَقِّرُ: الشَّدِيدُ الْمَرَارَةِ - وَالخِطَابُ لِأَبِي بَكْرٍ.

٢ - يَقُولُ: مَا كُلُّ مَنْ رَامَ الْمَعَالِي تَتَحَمَّلُ مَنَاكِبُهُ ثِقَلَ الْحَجَرِ الْعَظِيمِ:
«الْكَنْهَوْر» عَلَى زِينَةِ «شَمْرَدَل»: الْمَتْرَاكِمِ مِنَ الْحَجَرِ.

٣ - يَقُولُ: تَنَحَّ جَانِبًا عَنِ الْعَلِيَاءِ لِأَهْلِهَا، لِمَنْ لَبَسَ الْعُلَى كَالرِّدَاءِ وَجَعَلَهَا لَهُ إِزَارًا يَأْتَرُ بِهِ - يُرِيدُ عَلِيًّا عليه السلام.

٤ - فَتَى: إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ جَبْرِيلَ عليه السلام: «لَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ».

فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ. وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ:

«أَنَا ابْنُ الْفَتَى أَخُو الْفَتَى!».

يُرِيدُ أَنَا ابْنُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠].

وَيُرِيدُ بِالْأَخِ عَلِيًّا عليه السلام لِقَوْلِ جَبْرِيلَ الْآنِفِ.

وَالْمُرَادُ مِنَ الْفَتَى عَلِيٌّ عليه السلام وَهُوَ جَوَابُ «تَنَحَّ» وَمُتَعَلِّقٌ بِ«هُمَا». كَأَنَّهُ قِيلَ مَنْ هُوَ هَذَا الْهُمَا؟ فَقَالَ: فَتَى. فَتَمَّ التَّعْرِيفُ بِهِ إِذْ لَا فَتَى سِوَاهُ لِقَوْلِ جَبْرِيلَ عليه السلام: «لَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ».

يَقُولُ: لَمْ يَضْرِبْ فِيهِ عِزْقٌ مِنْ لَوْمِ النَّسَبِ كَمَا هُوَ ضَارِبٌ فِي تَيْمِ بْنِ مَرَّةٍ الْمَشْهُورَةِ بِاللَّوْمِ وَالْحَسَدِ وَالْفِتْنَةِ وَالَّتِي مَنْ جَاوَرَهَا أَصَابَهُ الشَّرُّ. وَلَيْسَ هُوَ مِثْلَكَ حَيْثُ عَبَدَتِ اللَّاتُ أَغْضَرًا: «جَمْعُ عَصْرِ» لِأَنَّهُ دَخَلَ الْإِسْلَامَ عَلَى كِبَرِ السِّنِّ وَتَرَبَّى عَلَى عِبَادَةِ الْخَبَائِثِ وَمُمَارَسَةِ الْكُفْرِ دَهْرًا طَوِيلًا.

٥ - يَقُولُ: وَلَمْ يَعِزِلْهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ تَبْلِيغِ سُورَةِ بَرَاءَةٍ كَمَا فَعَلَ مَعَكَ فَارِجَعَكَ وَأَرْسَلَهُ بَدَلًا عَنْكَ وَقَالَ: «لَا يُبْلَغُ عَنِّي إِلَّا أَنَا وَرَجُلٌ مِنِّي». فَأَنْتَ كَافِرٌ لِأَنَّكَ لَوْ كُنْتَ مُؤْمِنًا لَكُنْتَ مِنْهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وَإِنَّمَا أَرَادَ إِظْهَارَ كُفْرِكَ. وَيَقُولُ الشَّاعِرُ أَيْضًا: وَلَا آخِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مَأْمُومًا لِقَوْمٍ قَطَّ كَمَا فَعَلَ بِكَ وَلَمْ يَكُنْ

مَوْخَرًا دَوْمًا. وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِإِعْلَامِهِ ﷺ بِفَسْقِكَ وَعَدَمِ جَوَازِ إِمَامَتِكَ فِي الصَّلَاةِ
فَكَيْفَ بِالْأُمَّةِ كُلِّهَا؟.

٦ - وَلَا جَعَلَهُ أَيُّ الْفَتَى مَا مُورًا فِي بَعْثِ إِسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ وَهُوَ لَمْ يَبْلُغِ الْعَشْرِينَ
مِنْ عُمْرِهِ، وَهُوَ ابْنُ مَوْلَاهُ كَمَا فَعَلَ بِكَ، فَالْعَجَبُ أَنَّكَ تَحْتَ إِمْرَتِهِ وَأُضْحِيتِ
وَأَنْتِ تُؤَمِّرِ ابْنَ زَيْدٍ وَتُنْفِذُ سِرِّيَّتَهُ الَّتِي امْتَنَعْتَ عَنِ الذَّهَابِ بِهَا وَأُظْهِرْتَ
الْعَصِيَانَ.

٧ - يَقُولُ: وَلَا كَانَ هَذَا الْفَتَى خَائِفًا فِي الْغَارِ مِثْلَكَ، بَلْ نَامَ عَلَى فِرَاشِهِ
وَالْقَوْمُ مُحِيطُونَ بِهِ وَقَدَّاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْعَرِيشَ يَوْمَ بَذْرِ، بَلْ تَلَقَّى الْقَوْمَ
وَقَاتَلَ وَقَتْلَ صَنَادِيدِهِمْ وَأَنْتِ مُسْتَتِرٌ فِي الْعَرِيشِ.

أَقُولُ: وَهَذِهِ الْقِصَّةُ ذَكَرَهَا الْمُؤَرِّخُونَ جَمِيعًا. وَكَانَ الْأَنْصَارُ قَدْ بَنَوْا
لِلنَّبِيِّ ﷺ عَرِيشًا «مَخْبَأً» خَلْفَ الْعَسْكَرِ وَوَضَعُوا عَلَيْهِ الْحَرَسَ الشَّدِيدَ، وَقَالُوا
لِلنَّبِيِّ ﷺ: «نَفْعَلُ ذَلِكَ خَشِيَّةً وَقُوعَ مَكْرُوهِ وَهَزِيمَةٍ لَنَا حَتَّى لَا تَقُولَ الْأُمَمُ
وَالْقَبَائِلُ: اسْتَعَانَ بِهِمْ رَسُولُهُمْ فَتَرَكُوهُ يُقْتَلُ! فَإِذَا وَقَعَ مَكْرُوهُ اسْتَنْقَذَكَ الْحَرَسُ
مِنَ الْعَدُوِّ وَانْطَلَقُوا بِكَ»، فَدَعَا لَهُمُ الرَّسُولُ بِالْخَيْرِ. وَلَكِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ
وَعُثْمَانَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ لَبَدُوا فِي عَرِيشِ الْأَنْصَارِ وَانْتَهَتْ الْمَعْرَكَةُ وَلَمْ يَخْرُجُوا
قَطْ وَلَا قَاتَلُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي كَانَ فِي قَلْبِ الْمَعْرَكَةِ. وَهَذِهِ وَاحِدَةٌ مِنْ
مَخَازِيهِمْ فَرَّاجِعُهَا فِي وَقَائِعِ مَعْرَكَةِ بَذْرِ.

نَعَمْ.. خَرَجَ الْجُبْنَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَبْدُوا شَجَاعَةً عَظِيمَةً عَلَى الْأَسْرَى!!
وَهُنَاكَ مَخَازِي أُخْرَى لَهُمْ فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ فَتَأَمَّلْ فِيهَا وَاقْرَأْ قِرَاءَةَ النَّاقِدِ
الْفَاحِصِ وَلَا تَقْتَدِ بِمَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى قَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ
غَشَاوَةً.

٨ - يَقُولُ: هَذَا إِمَامٌ هُدَى مُقَابِلُ أَيْمَةِ الضَّلَالَةِ يَكْفِي مِنْ فَضْلِهِ أَنْ قُرِصَ

الشَّعِيرِ الَّذِي يَعْطِيهِ تَكُونُ مَكَافَأَتُهُ أَنْ يَقْدِرَ عَلَى رَدِّ قُرْصِ الشَّمْسِ مُضِيئاً بَعْدَ أَنْ اسْتَحَالَتْ إِلَى الْمَغِيبِ، إِشَارَةً مِنْهُ إِلَى نَزُولِ سُورَةِ الدَّهْرِ فِي إِطْعَامِهِ قُرْصِ الشَّعِيرِ وَحَادِثَةِ رَدِّ قُرْصِ الشَّمْسِ مَرَّتَيْنِ، وَكِلَاهُمَا مِنَ الْحَوَادِثِ الشَّهِيرَةِ فِي الْأُمَّةِ.

وَفِيهِ تَعْرِيزٌ بِنَفَاقِهِمْ لَا تُنْهَمُ أَنْفَقُوا رِيَاءً وَنِفَاقاً فَلَمْ يَنْزِلْ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ فِيهِمْ، بَلْ نَزَلَ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَبِّفُوْنَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال: ٣٦-٣٧].

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ لَيْسُوا عِبْدَةَ الْأَصْنَامِ، بَلْ الَّذِينَ كَفَرُوا دَاخِلِ الْإِسْلَامِ. فَافْهَمْ كَلَامَ اللَّهِ قَبْلَ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ.

لَقَدْ تَمَيَّزَ الْخَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ فِي الْوَاقِعِ التَّارِيخِيِّ وَفِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الَّذِي نَزَلَتْ مِنْهُ سُورَةٌ كَامِلَةٌ فِي عَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ «سُورَةُ الدَّهْرِ» لِإِطْعَامِهِ ثَلَاثَةَ أَقْرَاصٍ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ.

وَكَانَ لِي صَدِيقٌ يُجَادِلُنِي دَوَّماً وَأَنَا أَتَهَرَّبُ مِنْهُ لِجَهْلِهِ وَفَظَاطَتِهِ لِإِقْتِدَائِهِ بِعَمَرَ الْفَظِ الْغَلِيظِ الْقَلْبِ الْبَخِيلِ، وَكَانَ يَرَى رَأْيَ الْوَهَّابِيَّةِ وَالصُّوفِيَّةِ مَعاً، وَكَانَ فِي حِيرَةٍ، فَكَلَّمَا ذَكَرْتُ لَهُ نَصّاً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُؤَيِّداً بِالْأَسَانِيدِ وَالْمَصَادِرِ قَالَ لِي: «وَسَيِّدُنَا عُثْمَانُ أَلَمْ يُجَهِّزْ جَيْشَ الْعُسْرَةِ؟»: !.

يَقُولُ لِي ذَلِكَ سَوَاءً أَكَانَتْ الْفَضَائِلُ فِي شَأْنِ الْإِنْفَاقِ أَوْ غَيْرِهِ حَتَّى غَضِبْتُ مَرَّةً مِنْ كَثْرَةِ تَكَرَّارِهِ لَجَيْشِ الْعُسْرَةِ، فَقُلْتُ لَهُ: «وَاللَّهِ إِنَّهُ لَا يُسَاوِي عِنْدَ اللَّهِ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمٍ!»، فَانْزَعَجَ جِدّاً مِنْ هَذَا الْقَوْلِ وَجَدَّتِي فِيهِ، وَوَجَدَ أَنَّ هَذَا هُوَ خِلَافُ

طَبْعِي فِي مُدَارَاةِ مَزَاعِمِهِ فَقُلْتُ: «إِنْ كُنْتُ تُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ فِيهِ الْقُرْآنُ إِبْتِغَاءً فَإِنِّي لَمْ أَبَالِغْ وَلَمْ أَتَجَاوِزْ».

فَقَالَ بِسُخْرِيَّةٍ: «وَكَيْفَ ذَلِكَ؟».

فَقُلْتُ: «لَأَنَّ سِعَرَ الْقُرْصِ مِنَ الشَّعِيرِ لَا يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ وَقَدْ أُعْطِيَ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام ثَلَاثَةَ أَقْرَاصٍ فَتَزَلَّ فِي هَذَا سُورَةٌ عَجِيْبَةٌ يَدُورُ فِيهَا الْكَلَامُ كُلُّهُ حَوْلَ الْعَظْفِ عَلَى فُضَائِلِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليه السلام وَأَنْتُمْ تَقْرُونَ بآيَةٍ وَاحِدَةٍ فِيهَا هِيَ ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]. وَلَكِنْ انْظُرْ فِيهَا فَإِنَّهُ تَعَالَى يَصِفُ حَالَهُمْ فِي الْجَنَّةِ وَمَا أُعْطَاهُمْ مِنَ الْمُلْكِ وَيَذْكُرُ عَدُوَّهُمْ فَيَتَوَعَّدُهُ بِالنَّارِ وَالْعَذَابِ... وَقَدْ اعْتَرَفَتْ بِأَنَّ جَيْشَ الْعُسْرَةِ رَوَايَةٌ وَلَمْ تَنْزَلْ فِيهِ آيَةٌ وَاحِدَةٌ. فَإِذَا صَدَّقَتْ الرِّوَايَةُ مُجَامَلَةً لَكَ يَبْقَى عَمَلُهُ هَذَا وَقِيَمَتُهُ دُونَ الثَّلَاثَةِ دِرَاهِمٍ عِنْدَ اللَّهِ، لِأَنَّ الْقِيَمَةَ عِنْدَ اللَّهِ تَخْتَلِفُ. فَمَنْ أَنْفَقَ رِيَاءً وَسُمْعَةً كَانَ هَذَا الْإِنْفَاقُ وَبَالًا عَلَيْهِ بِخِلَافِ مَنْ أَنْفَقَ دِرْهَمًا لِلَّهِ فَهُوَ بَاقٍ عَلَى قِيَمَتِهِ. فَالْقِيَمَةُ تُحَدِّدُهَا النِّيَّةُ وَالتَّوْحِيدُ لَا عَدَدُ الدَّرَاهِمِ! فَالْأَفْضَلُ لَكَ وَلِعُثْمَانَ أَنْ لَا تَذْكُرَ هَذِهِ «الْمَنْقَبَةَ» لِأَنَّكَ سَتَوْكِّدُ لِلْخُصْمِ أَنَّهُ أَنْفَقَ رِيَاءً وَسُمْعَةً أَوْ لِلتَّخْطِيطِ لِأَمْرٍ مَا فَتَكُونُ آثَامًا، كُلَّمَا زَادَ عَدَدُ الدَّرَاهِمِ أَزْدَادَ الْإِثْمِ فِيهَا. فَلَيْسَ مِنْ عَدْلِ اللَّهِ أَنْ يَذْكُرَ أَقْرَاصَ الشَّعِيرِ وَلَا يَذْكُرَ جَيْشًا بِكَامِلِ سِلَاحِهِ يَذْهَبُ لِلْجِهَادِ!»

فَصَاحَ بِي وَالْعَصْبُ بَادٍ فِي عَيْنِهِ وَكُنْتُ عِنْدَ الْبَابِ: «اخْرُجْ وَاغْلِقِ الْبَابَ وَرَاءَكَ!» وَلَمْ يُكَلِّمْنِي بَعْدَ ذَلِكَ قَطْ فَأَخْرَاهُ اللَّهُ!!

فَاعْجَبْتُ إِذْنًا لِهَذَا الْكَاتِبِ الْمُنَافِقِ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّ الْاِحْتِجَاجَ بِالْإِمَامَةِ كَانَ يَسْتَنِدُ إِلَى أَحَادِيثِ الْفُضَائِلِ الْمَرْوِيَّةِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فِي عَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ.

يَا هَذَا إِنَّ الْإِمَامَةَ لَيْسَتْ بِالْفُضَائِلِ، بَلْ الْفُضَائِلُ بِالْإِمَامَةِ!

ثُمَّ يَزْعُمُ الزَّاعِمُونَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ الْفُضَائِلَ مَا دَامَتْ قَدْ وَرَدَتْ عَنِ الْآخَرِينَ أَيْضًا، فَلَا خُصُوصَ فِي إِمَامَةِ عَلِيٍّ دُونَهُمْ!

فَهَذَا حُتْمٌ آخَرُ فَوْقَ الْحُتْمِ الْأَوَّلِ .

سُبْحَانَ اللَّهِ !

أَلَا تُلَاحِظُونَ الْفَوَاقِرَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ بِمَا يُسْقِطُ هَذَا الدَّلِيلَ عَنِ الْإِعْتِبَارِ؟

وَهِيَ فَوَاقِرٌ جَلِيَّةٌ ظَاهِرَةٌ مِثْلُ الشَّمْسِ . هَذِهِ بَعْضُهَا :

الْفَارِقُ الْأَوَّلُ : إِنَّ فَضَائِلَ عَلِيٍّ مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ . أَقَرَّ بِهَا الْقَائِلُونَ
بِالشُّورَى ، بَيْنَمَا فَضَائِلُ غَيْرِهِ هِيَ مَوْضِعُ الْخِلَافِ وَالْجِدَالِ .

فَأَنْتُمْ الْآنَ سَتَقُولُونَ : نَعَمْ . . . لِأَنَّ الشَّيْعَةَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ، وَنَحْنُ عَلَى
الْحَقِّ لِأَنَّنَا نَعْتَرِفُ لَهُمْ جَمِيعًا بِالْفَضَائِلِ وَلَا نُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ .

وَهَذَا مِنْكُمْ وَهُمْ أَوْهَمَكُمْ بِهِ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ ، لِأَنَّ الَّذِي يُحَاسِبُكُمْ لَيْسَ
الصَّحَابَةُ حَتَّى تَتَمَلَّقُوا لَهُمْ ، إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ . فَلَا بُدَّ مِنَ الْبَحْثِ عَنْ طَرِيقَةِ لِبْرَاءَةِ
الذِّمَّةِ مَعَ اللَّهِ فِي الْإِعْتِقَادِ . وَلَا تَبْرَأُ الذِّمَّةُ إِلَّا بِالْإِجْمَاعِ لَا سِتِحَالَةٍ اجْتِمَاعِ
أُمَّتِهِ ﷺ عَلَى الضَّلَالِ وَهِيَ لَمْ تَجْتَمِعْ كَلِمَتُهَا إِلَّا فِي عَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ
وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَوْ قَوِيَ الْخِلَافُ فِي غَيْرِهِمْ .

فَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ اللَّهَ أَمْ تَعْبُدُونَ الصَّحَابَةَ؟

فَلَوْ سَأَلَ اللَّهُ هَذَا السُّؤَالَ رَجُلَيْنِ فَقَالَ الْأَوَّلُ : «إِنِّي آمَنْتُ بِكُلِّ الصَّحَابَةِ
وَأَفَرَزْتُ بِفَضَائِلِهِمْ جَمِيعًا» . .

فَإِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ : «أَوْ لَمْ تَسْمَعْ بِوُجُودِ قَوْمٍ قَالُوا بِكُفْرِ بَعْضِهِمْ
وَوُحَاْلَفُوا فِي ذَلِكَ؟» .

سَيَقُولُ : «نَعَمْ» .

فَيَقُولُ اللَّهُ : «فَهَؤُلَاءِ هُمْ عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتَ عَلَى بَاطِلٍ فَلِمَ إِذَا لَمْ تَكُنْ
مَعَهُمْ؟» .

فماذا يجيب؟

فإذا قَالَ: «وَجَدْتُ هَؤُلَاءِ أَقَلِّيَّةً وَأَهْلُ مَذْهَبِي أَكْثَرُ مِنْهُمْ، خَصَّمَهُ اللهُ لَأَنَّهُ قَدْ دَمَّ الْأَكْثَرِيَّةَ فِي أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ مَوْضِعاً مِنَ الْقُرْآنِ وَلَمْ يَمْدَحْهُمْ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَلَقَالَ لَهُ: «أَوْ لَا تَعْلَمُ أَنِّي قُلْتُ أَرِيدُ أَنْ أَمْلَأَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ؟ وَأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ؟».

وَلِنَفَرِضَ أَنَّ الْآخَرَ قَالَ: «وَجَدْتُهُمْ يَا رَبُّ قَدْ اخْتَلَفُوا فَقُلْتُ: إِنَّ الْأُمَّةَ لَا تَجْتَمِعُ عَلَى خَطَأٍ أَوْ ضَلَالٍ، فَنَظَرْتُ رَجُلًا اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى فَضْلِهِ وَأَقْرَأُوا كُلُّهُمْ لَهُ بِالْإِيمَانِ، فَقُلْتُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ مَعَهُ، ثُمَّ نَظَرْتُ وَإِذَا شِيعَةُ هَذَا الرَّجُلِ هُمْ أَقَلُّ عَدَدًا، وَقَدْ كُنْتُ يَا رَبُّ قَدْ امْتَدَحْتُ الْقِلَّةَ وَذَمَمْتُ الْكَثْرَةَ فَكَانَ ذَلِكَ قَرِينَةً كُتِبَ عَلَى صَحَّةِ مَا رَأَيْتُ، ثُمَّ نَظَرْتُ فِي كَلَامِ نَبِيِّكَ فَوَجَدْتُ اخْتِلَافًا بَيْنَ فَضَائِلِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ فَعَلِمْتُ أَنَّ فَضَائِلَهُ حَقٌّ وَفَضَائِلُهُمْ إِنَّمَا وُضِعَتْ لِنَفَرِيقِ الْأُمَّةِ. ثُمَّ نَظَرْتُ فِي التَّارِيخِ فَوَجَدْتُ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ قَامَ بِأَمْرِكَ وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى نَبْزِهِ أَوْ لَمَزِهِ أَوْ هَمْزِهِ مَعَ كَثْرَةِ عَدُوِّهِ، وَوَجَدْتُ الْآخِرِينَ وَقَدْ مَلَأَتْ مَخَازِيهِمُ الْكُتُبَ وَسَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ رُغْمَ أَنَّ الدَّوْلَةَ دَوْلَتُهُمُ وَالسُّلْطَانُ سُلْطَانُهُمْ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ أَعْطَيْتَ هَؤُلَاءِ الدُّنْيَا، وَأَعْطَيْتَ هَذَا الرَّجُلَ الْآخِرَةَ».

فَمَا تَرَى أَيُّهَا الْقَارِئُ: أَيُّهُمَا يَنْجُو وَأَيُّهُمَا يَهْوِي؟

هَذَا كُلُّهُ عَلَى فَرَضٍ أَنَّكَ لَا تَعْلَمُ أَيَّ قَانُونٍ عَنِ الْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ الْإِلَهِيَّةِ.

الْفَارِقُ الثَّانِي: إِنَّ التَّحْقِيقَ فِي فَضَائِلِ هَؤُلَاءِ يُثْبِتُ أَنَّهَا إِمَامٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَفِيهَا إِشَارَةٌ إِلَى كُفْرِهِمْ، وَإِمَامًا يُثْبِتُ أَنَّهَا لَيْسَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لِأَنَّهَا مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ.

أَمَّا النَّوْعُ الْأَوَّلُ فَقَدْ رَأَيْتَ أُمُثْلَهُ لَهُ فِي عُمَرَا، وَهُوَ طَرِيقٌ جَدِيدٌ لَنَا فِي تَفْسِيرِ النُّصُوصِ نَأْمُلُ أَنْ تُطَبِّقَهُ أَخِي الْقَارِئُ عَلَى بَقِيَّةِ النُّصُوصِ الثَّابِتَةِ. وَأَمَّا النَّوْعُ

الْآخِرُ وَالَّذِي لَمْ يَثْبُتْ فَإِنَّ إِبْطَالَهُ قَدْ تَمَّ عَلَى أَيْدِي «الْعُلَمَاءِ» مِنَ السَّلَفِ السُّنَّةِ
وَالشَّيْعَةِ عَنْ طَرِيقِ رِجَالِهِمْ، وَتَكْفُلُ بِإِبْطَالِ هَذِهِ الْمَآثِرِ وَانْتِحَالِهَا «عُلَمَاءُ» السُّنَّةِ
وَالشَّيْعَةِ سَوَاءً.

فَلَا تَبْقَى بَعْدَ التَّحْقِيقِ إِلَّا فَضَائِلُ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالصَّحَابَةُ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ. وَأَمَّا
عَدُوُّهُ فَلَا فَضِيلَةَ لَهُ مُطْلَقًا لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُلْبِسُ الْأَمْرَ عَلَى أُمَّتِهِ وَلَا يَزْرَعُ
بِذَوْرِ الْفِتْنَةِ.

فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟

نَقُولُ هَذَا عَلَى سَبِيلِ الْاِحْتِجَاجِ وَإِلَّا فَتَحْنُ لَا نُؤْمِنُ أَضْلًا بِأَيَّةِ أَهْمِيَّةٍ لِرِجَالِ
السَّنَدِ: لِأَنَّ الْحَقَّ يُعْرَفُ بِمُفْرَدِهِ مِنْ غَيْرِ رِجَالٍ مِنْ خِلَالِ الْعَرَضِ عَلَى الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ. فَلَا وَثَاقَهُ الرَّاوي تَجْعَلُنَا نُؤْمِنُ بِالْحَدِيثِ وَلَا التَّشْكِيكُ فِي الرَّاوي
يَجْعَلُنَا نَرْفُضُ الْحَدِيثَ.

إِنَّ مَثَلَ النِّصِّ هُوَ الَّذِي يُقَرَّرُ صَحَّتُهُ عَلَى ضَوْءِ الْمَبَادِي وَالْعَقَائِدِ الْمُسْتَقْلَةِ عَنْ
أَيِّ حُكْمٍ عَقْلِيٍّ مُسَبَّقٍ. وَهَذِهِ الْأَحْكَامُ يَجِبُ أَنْ تُؤْخَذَ مِنَ الْقُرْآنِ وَتُعْرَفَ بِهَا
السُّنَّةُ وَلَيْسَ الْعَكْسُ.

إِنَّ مَا حَدَّثَ هُوَ أَنَّ الْمَذَاهِبَ وَالتِّيَّارَاتِ تُقَوِّي نُصُوصًا مُعَيَّنَةً وَرِجَالًا مُعَيَّنِينَ
مُقَابِلَ تَضْعِيفِ آخَرِينَ لِأَجْلِ اسْتِنْعَادِ نُصُوصٍ لَا تَتَّفَقُ مَعَ مَرَامِيهِمْ ثُمَّ يَقُومُونَ
بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ عَلَى ضَوْءِ مَا قَرَّرُوهُ سَلَفًا، فَأُضْبَحُوا كَمَا قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فِي الْفَقْرَةِ الْمَاضِيَةِ: «كَانَهُمْ إِمَامُ الْقُرْآنِ وَلَيْسَ الْقُرْآنُ إِمَامَهُمْ!!».

نَعَمْ... طُرُقُهُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ مِنْ دِينِ اللَّهِ فِي شَيْءٍ وَسَيُجَازِيهِمْ وَضْفُهُمْ إِنَّهُ خَيْرٌ
بِمَا يَعْمَلُونَ.

الْفَارِقُ الثَّلَاثُ: إِنَّ الْمُقَارَنَةَ مَعَ فَضَائِلِ هَؤُلَاءِ عَلَى فَرَضِ صَحَّتِهَا - وَهُوَ
فَرَضٌ جَذَلِيٌّ لَا حَقِيقَةَ لَهُ وَلَكِنَّا نُقَدِّمُهُ بِهَدَفِ اثْبَاتِ الْحُجَّةِ - إِنَّمَا تُبَيِّنُ بِجَلَاءٍ
هَذَا الْفَارِقِ الْكَبِيرِ الَّذِي لَا قِيَاسَ لَهُ بَيْنَ الْإِمَامِ الْحَقِّ وَبَيْنَ غَيْرِهِ.

فَأَيُّ كَلِمَةٍ لِعَلِّي لَا تُنْبِئُ بِكُلِّ وَضُوحٍ أَنَّهُ إِمَامٌ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ؟
فَمَنْ رَدَّ ذَلِكَ فَقَدْ رَدَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَبِئْسَ
الْمَصِيرُ.

فَقُلْ لِهَذَا الْأَفَّاكُ: أَهَيْذِهِ مَنَاقِبُ يُفْهَمُ مِنْهَا أَنَّهُ مُرَشَّحٌ لِلْخِلَافَةِ أَمْ يُفْهَمُ مِنْهَا أَنَّهُ
الْخَلِيفَةُ بِالْحَقِّ؟

وَأَيُّ مِنْهَا لَا تَثْبُتُ بِهِ الْإِمَامَةُ وَالْوَصِيَّةُ نَصًّا لَا اجْتِهَادًا؟
أَهُوَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ:

◀ ١ - «إِنَّ الْجَنَّةَ اسْتَأْثَرْتُ إِلَى أَرْبَعَةٍ مِنْ أَصْحَابِي فَأَمَرَنِي رَبِّي أَنْ أُحِبَّهُمْ.
فَانْتَدَبَ صُهَيْبٌ وَبِلَالٌ وَطَلْحَةُ وَالزَّيْبُرُ وَسَعْدُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هَؤُلَاءِ
الْأَرْبَعَةُ حَتَّى نُحِبَّهُمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِعَمَّارٍ: يَا عَمَّارُ عَرَّفَكَ اللَّهُ
الْمُنَافِقِينَ وَأَمَّا هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ فَأَحَدُهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالثَّانِي الْمُقْدَادُ بْنُ
الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ وَالثَّلَاثُ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ وَالرَّابِعُ أَبُو ذَرٍّ الْغَفَارِيُّ»^(١).
يَا هَذَا أَسْأَلُكَ:

أَيْنَ أَصْحَابُ الشُّورَى وَلِمَاذَا لَمْ تَشْتَقِ الْجَنَّةَ لَهُمْ أَسْوَةً بِهِؤُلَاءِ؟
أَوَلَا تَفْهَمُ أَيُّهَا الْعَبِيُّ أَنَّهُمْ قَدْ ذُكِرُوا فِي هَذَا الْحَدِيثِ؟
وَلَكِنْ ذُكِرُوا فِي الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ يَعْرِفُهُمْ عَمَّارُ؟
عَرَفَهُ اللَّهُ بِهِمْ لِأَنَّ قَلْبَ عَمَّارٍ قَدْ سَلِمَ مِنَ الدَّرَنِ.
فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ الْمُنَافِقِينَ حَقًّا فَلَا تَكُنْ مِنْهُمْ ابْتِدَاءً وَظَهَرِ قَلْبَكَ مِنَ
الدَّرَنِ تَعْرِفُهُمْ كَمَا عَرَفَهُمْ عَمَّارُ.

(١) (الكنز/ ج ٦/ ٤٢٨، ومجمع الهيتمي/ ج ٩/ ١٥٥، الحلية/ ج ١/ ١٩٠، وكنوز
الحقائق/ ٦٠/ والمستدرك للحاكم/ ٣/ ١٣٧ وصحيح الترمذي ج ٢/ ٣١٠.

◀ ٢ - أَمْ هُوَ قَوْلُهُ ﷺ :

«سَتَكُونُ مِنْ بَعْدِي فِتْنَةٌ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَالْزَمُوا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يَرَانِي وَأَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ وَهُوَ فَارُوقُ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَهُوَ يَغْسُوبُ الدِّينَ»^(١).

فَتَعَالَ أَيُّهَا الْمَسْكِينُ وَاجِبٌ: أَهْذِهِ فَضَائِلُ عَادِيَّةٍ وَمَنَاقِبُ مَعْرُوفَةٍ لِغَيْرِهِ أَمْ أَنَّهَا أَوَامِرٌ وَتَعَالِيمٌ بِلَفْظٍ هُوَ بِصِغَةِ الْأَمْرِ: إلْزَمُوا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَى أَثَرِ فِتْنَةٍ لَا بُدَّ أَنْ تَقَعَ؟

وَمَنْ هُمْ أَهْلُ الْفِتْنَةِ يَا تُرَى غَيْرُ أَصْحَابِ الشُّورَى؟

تَبَّأَ لَكَ وَلِمَنْ دَعَاكَ لِتَأْلِيفِ كِتَابٍ رَخِصَ بِعَتْ فِيهِ نَفْسَكَ لِلشَّيْطَانِ بِثَمَنِ بَخْسٍ بَعْدَ أَنْ جَعَلَ اللَّهُ قِيمَةَ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ تُسَاوِي كُلَّ النَّفُوسِ عَلَى الْأَرْضِ.

فَمَا جَزَاءُ مَنْ اسْتَرْخَصَ نَفْسَهُ؟

جَزَاؤُهُ أَنْ يَكُونَ بِالثَّمَنِ الَّذِي أَرَادَهُ. وَقَدْ اشْتَرَيْتَ نَفْسَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَلَمْ تَشْتَرِهَا مِنَ الْحَيِّ الْقَيُّومِ.. فَسُخْقًا لَكَ وَإِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.

◀ ٣ - أَمْ هُوَ قَوْلُهُ ﷺ :

«سَأَلْتُ اللَّهَ فَيْكَ يَا عَلِيُّ خَمْسًا فَمَنْعَنِي وَاحِدَةً وَأَعْطَانِي أَرْبَعًا: سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ عَلَيْكَ أُمَّتِي فَأَبَى عَلَيَّ وَأَعْطَانِي فَيْكَ أَنْ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَأَنْتَ مَعِيَ وَمَعَكَ لَوَاءُ الْحَمْدِ وَأَنْتَ تَحْمِلُهُ بَيْنَ يَدَيَّ تَسْبِقُ بِهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَأَعْطَانِي فَيْكَ أَنَّكَ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدِي»^(٢).

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ج ٧ / ١٦٧ - أسد الغابة ج ٥ / ٢٨٧ - مجمع الزوائد ج

٩ / ١٠٢ قَالَ: وأخرجه الطبراني وابن عبد البر في الاستيعاب.

(٢) الكنز ج ٦ / ١٥٩ والرافعي / ٣٩٦ قَالَ: وأخرجه ابن الجوزي.

وفيه ثلاثة مع غِيَابِ ذِكْرِ الرَّابِعَةِ. وَيُمْكِنُ مَعْرِفَةُ الرَّابِعَةِ مِنْ نصوصٍ أُخْرَى وَهِيَ «وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَجْعَلَكَ قَائِدَ أُمَّتِي إِلَى الْجَنَّةِ فَأَعْطَانِي فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنْ بِهِ عَلَيَّ». وَهَذَا هُوَ آخِرُ حَدِيثٍ شَاذٍ الَّذِي أَخْرَجَهُ فِي الْكَنْزِ مِنْ ج ٦ / ٤٠٢ - وَلَهُ لَفْظٌ آخَرٌ فِيهِ الْخِصَالُ الْأَرْبَعَةُ أَخْرَجَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ ج ٦ / ١٠٢.

وَيُظْهَرُ فِي النَّصِّ عَدَمُ إِمْكَانِيَّةِ اجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَيْهِ. وَمِنْهُ وَمِنْ سِوَاهُ أَنْبَاءُ الرَّسُولِ ﷺ بِوُقُوعِ الْفِتْنَةِ وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ الْأُمَّةَ سَتَغْدُرُ بِكَ بَعْدِي».

وَبِالْمُقَابِلِ أَعْطَاهُ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَائِدَ أُمَّتِهِ إِلَى الْجَنَّةِ.

فَالْيَ أَتَيْنَ أَنْتَ مَاضٍ أَيُّهَا الْكَاتِبُ؟!

أَرَاكَ تُرِيدُ الْمُضِيِّ إِلَى جَهَنَّمَ!

فَأَبَشِّرْ ثُمَّ أَبَشِّرْ فَإِنَّهَا مِنْ وَرَائِكَ.

◀ ٤ - أَمْ هُوَ قَوْلُهُ ﷺ:

«نَحْنُ وَلَدُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ «سَبْعَةَ» سَادَاتُ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَا وَعَلِيٌّ أَخِي وَعَمِّي حَمْرَةُ وَجَعْفَرُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْمَهْدِيُّ»^(١).

فَهَلْ تَرَى أَنَّ السِّيَادَةَ فِي الْجَنَّةِ بِالتَّرْشِيحِ أَمْ أَنَّهَا بِاضْطِفَاءِ اللَّهِ وَخُودِهِ؟

وَأَيْنَ أَصْحَابُ الشُّورَى الَّذِينَ سَادُوا فِي الدُّنْيَا؟

فَمَا هَذِهِ الْمَخَازِيِ الَّتِي تَقُولُونَ؟

(١) المستدرک ج ٣ / ٢١١، الصواعق / ٦٩، صحيح ابن ماجه ٣٠٩، تاريخ بغداد ج ٩ / ٣٤٣.

أَنْتُمْ تَقُولُونَ أَنَّ «الْأَمْرَ» سُورَى لِقَوْلِهِ تَعَالَى «وَأَمْرُهُمْ سُورَى بَيْنَهُمْ» - ثُمَّ تَقُولُونَ: إِنَّ «أُولَى الْأَمْرِ» بِهِذِهِ السُّورَى. . فَكَيْفَ يَكُونُ وَلِيُّ الْأَمْرِ بَيْنَهُمْ بِالسُّورَى؟

يَا لِفَضِيحَةِ الْمَنْطِقِيَّةِ!!

أَفَهَذَا مَا تَعَلَّمْتُمُوهُ مِنْ أَرِسْطُو طَالِيسِ!!؟

وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ «أَمْرَهُمْ» هُوَ غَيْرُ «الْأَمْرِ» قَطْعًا - الْأَمْرُ الْمَعْرُوفُ بِالِالتَّعْرِيفِ.

أَمْ هُنَا فَقَطْ تَنْسَوْنَ أَصُولَكُمْ وَالْفَرْقَ بَيْنَ الْمَعْرِفِ بِالِإِضَافَةِ وَالْمَعْرِفِ بِالِافِّ

لَامِ الْعَهْدِ؟

فَتَعَالَوْا إِلَى الْقُرْآنِ لِنَعْلَمَ لِمَنِ الْأَمْرُ: أَهُوَ لَهُمْ بِالسُّورَى أَمْ هُوَ لِلَّهِ؟.

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ السَّمَاءِ سَاسًا يَنْشِئُ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فَهَا هُوَ يَقُولُ: إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ. فَكَيْفَ أَصْبَحَ الْأَمْرُ سُورَى بَيْنَهُمْ؟.

لَا يَجُوزُ طَبْعًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ «أَمْرُهُمْ» شَيْئًا، و«الْأَمْرُ» شَيْئًا، وبالتالي فَأُولُو الْأَمْرِ خَارِجُ أَمْرِهِمُ الَّذِي هُوَ سُورَى!.

وَهَلْ اسْتِخْرَاجُ هَذَا النَّاتِجِ مِنْ مُعْضَلَاتِ الْمَسَائِلِ لَوْ تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ؟

لا والله... وَلَكِنْ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْرَ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] فَاتَّهَمُوا هَذِهِ الْآيَةَ وَإِلَّا لَوْ عَلِمُوهَا لِأَمْرٍ زَيْدَ بْنِ ثَابِتٍ أَنْ يَجْعَلَهَا «وَالْأَمْرُ سُورَى بَيْنَهُمْ» بَدَلًا مِنْ «أَمْرِهِمْ» وَسَوْفَ يَدُوحُ فِي تَغْيِيرِ آيَةٍ «إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ»، وَسَوْفَ يَضْطَرُّ لِنَقْلِهَا أَوْ إِزَالَتِهَا وَإِحْدَاثِ إِزَاحَةٍ بَيْنَ الْآيَاتِ وَإِحْدَاثِ عَمَلِيَّةٍ جَمَعَ تَزِيدُ عَلَى سَنَةِ أُخْرَى فَوْقَ الْخَمْسِ وَالْعَشْرِينَ سَنَةً الَّتِي قَضَاهَا حَتَّى اسْتَقَرَّ عَلَى مُضْحَفٍ مَقْبُولٍ.

فَهَلْ تَذَرُونَ بِقَضِيَّةِ جَمْعِ الْقُرْآنِ وَإِخْرَاقِ الْمَصَاحِفِ وَحَمْلِ الْجَمِيعِ عَلَى إِخْرَاقِ مَصَاحِفِهِمْ وَتَوْحِيدِهَا بِمُضْحَفِ عُثْمَانَ؟

وَهَلْ تَذَرُونَ أَنَّ أَضْلَاعَ ابْنِ مَسْعُودٍ كُسِرَتْ لِرَفْضِهِ تَسْلِيمَ مُضْحَفِهِ؟

وَهَلْ تَعْلَمُونَ إِنَّهُ نَادَى فِي الطَّرِيقَاتِ قَائِلًا:

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

فَدَاسُوهُ بِالْأَرْجُلِ وَقَتْلُوهُ؟

وَهَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَبِي بَنِي كَعْبٍ رَفَضَ تَسْلِيمَ مُضْحَفِهِ وَنَالَ مِنَ الْعِقَابِ مَا نَالَ؟

وَهَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ أَعْلَنُوا لِلْمَلَأِ أَنْ مُضْحَفَ عُثْمَانَ لَيْسَ فِيهِ تَمَامُ سُورَةِ الْأَخْزَابِ وَأَنَّ مَا بَقِيَ مِنْهَا هُوَ الرَّبْعُ فَقَطْ؟

وَهَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ رَفَضُوا مُضْحَفَ عَلِيٍّ وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ مَتَأَمَّرَ عَلَى الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ انْفَرَدَ عِدَّةَ سَنَاتٍ وَخَدَهُ بِتَرْتِيبِ الْمُضْحَفِ؟

نَعَمْ... فَاتَّهَمُوا آيَاتِ «الْأَمْرِ» مِثْلَمَا فَاتَّهَمُوا مِثْلَ الْآيَاتِ الْأُخْرَى حَيْثُ إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ يُمْكِنُ أَنْ يَخْدِمَهُمْ مِنْ جِهَةٍ دُونَ جِهَةٍ وَمَا عَلِمُوا أَنَّهُ يُفَسِّرُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَيُنْبِئُ بَعْضُهُ عَنْ بَعْضٍ.

فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ فَتَعَالُوا أَقْرَأُوا هَذِهِ الشَّهَادَاتِ :

● عَنْ زُرِّ قَالَ: قَالَ لِي أَبِي بْنُ كَعْبٍ: كَيْفَ تَقْرَأُ سُورَةَ الْأَحْزَابِ أَوْ كَمْ تُعِدُّهَا قَالَ: قُلْتُ: ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ آيَةً، فَقَالَ أَبِي: قَدْ رَأَيْتَهَا وَإِنَّهَا لَتُعَادِلُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ!!.

ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي الْمَصَاحِفِ وَالدَّارِقُطْنِيُّ فِي الْأَفْرَادِ وَانْظُرْهُ فِي الْإِتْقَانِ لِلْسَيُوطِيِّ ج ٢/ ١٤١، وَالدَّرُّ الْمَشْهُورُ ج ٥/ ١٧٩.

● وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ عَنْ حَزِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: مَا عِنْدَكُمْ رُبْعُهَا أَوْ مَا تَقْرَأُونَ رُبْعَهَا!

● فِي تَفْسِيرِ الثَّغَلِيِّ بِسَنَدِهِ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قَرَأْتُ فِي مُضْصَحَفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

أَقُولُ: أَرَأَلُوا آلَ مُحَمَّدٍ وَمَا أَفْلَحُوا فَإِنَّ آلَ إِبْرَاهِيمَ كَافِيَةٌ لِأَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ هُمْ آلُ إِبْرَاهِيمَ. وَالتَّنَسُّسُ الْيَهُودِيُّ وَاضِحٌ فِي الْعَمَلِيَّةِ لِإِظْهَارِ الْأَفْضَلِيَّةِ لِإِسْحَاقَ دُونَ إِسْمَاعِيلَ!.

وَأَمَّا سُورَةُ بَرَاءَةٍ فَلَأَنَّهَا «الْكَاشِفَةُ» لِأَمْرِ الْمُنَافِقِينَ وَمِنْ أَسْمَائِهَا الْفَاضِحَةُ، وَالْكَاشِفَةُ، وَهِيَ آخِرُ سُورَةٍ طَوِيلَةٍ نَزَلَتْ وَفِيهَا خِلَاصَةٌ عَنِ الدِّينِ وَالْفِتَنِاتِ وَنَتَائِجُ لِصِرَاحٍ فَلَا غَرَوْ أَنْ يُزِيلُوا ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ السُّورَةِ مِثْلَمَا فَعَلُوا مَعَ سُورَةِ الْأَحْزَابِ!!

فَإِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ كَاذِبِينَ فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ، فَفِي غَيْرِهَا هُمْ أَكْذَبُ وَأَبْعَدُ.
عَنْ مُضْصَحَفِ أَبِي بْنِ كَعْبٍ قَالُوا كَانَ يَقْرَأُ:

﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى «أَجَلٍ مُّسَمًّى» فَتَأْتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤].

ذَكَرَ ذَلِكَ صَاحِبُ الْكَشَافِ وَالنِّيسَابُورِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ.

● وَأُورِدَ الْحَاكِمُ مِثْلُهُ فِي بَابِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ عَنْ أَبِي نَظْرَةَ قَالَ: أُقْرَأَتْ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ بزيَادَةَ «إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» وَقَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَاللَّهِ لَا نُزِّلَهَا كَذَلِكَ - قَالَ الْحَاكِمُ: هَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

● أَوْرَدَ الثَّعْلَبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ لِلآيَةِ عَنْ حَبِيبِ بْنِ ثَابِتٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ قَالَ: أَعْطَانِي ابْنُ عَبَّاسٍ مُضْخَفًا فَقَالَ: هَذَا عَلَى قِرَاءَةِ أَبِي بَنِ كَعْبٍ فَرَأَيْتُ فِيهِ «إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» فِي آيَةِ النَّكَاحِ. وَأَخْرَجَ مِثْلَهُ السِّيُوطِيُّ فِي «الدَّرِّ الْمَثُورِ».

● وَعَنِ السِّيُوطِيِّ قَالَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ النِّسَاءِ عِنْدَ ذِكْرِ الْآيَةِ: أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي السَّنَنِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْرَأُونَ: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ» «إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى».

أَقُولُ: أَزَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فَقَرَةَ «إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» لِتَتَّفِقَ مَعَ نَهْيِ عُمَرَ عَنِ الْمُتَعَةِ.

وَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام:

«لَوْلَا نَهْيُ عُمَرَ عَنِ الْمُتَعَةِ مَا رَزَى إِلَّا شَقِيًّا».

وَفِي هَذَا النَّصِّ دَلَالَةٌ عَلَى مُشَارَكَةِ عُمَرَ كُلِّ زُنَاةِ الْأَرْضِ بَعْدَ الْبَعْثَةِ، لِأَنَّ النَّصَّ يَقَرِّرُ أَنَّ الزَّوْنِي لَهُ حَلٌّ وَجِيدٌ هُوَ الْمُتَعَةُ فَلَا يَزْنِي بَعْدَهَا إِلَّا الْأَشْقِيَاءُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ مُحَارَبَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

أَقُولُ: وَلِهَذَا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ هُوَ صَالِحٌ فِي الظَّاهِرِ فَيَكُونُ زَانِيًا فِي الْحِسَابِ لَوْلَا نَهْيُ عُمَرَ.

● وَكَانَ عُمَرُ بَيْتُ الدَّعَايَةِ الْمُضَادَّةَ لِلْقُرْآنِ وَيُشِيعُ بَيْنَ الْمَلَأِ عَنْ عَدَمِ إِمْكَانِيَةِ جَمْعِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ فَيَقُولُ وَلَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ:

«لَا يَقُولُنَّ أَحَدُكُمْ قَدْ أَخَذْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ وَمَا يُذَرِّبُهُ مَا كُلُّهُ؟ لَقَدْ ذَهَبَ مِنْهُ قُرْآنٌ كَثِيرٌ».

ذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي الْإِتْقَانِ ج ٢ / ص ٤١ وَالْأَنْبَارِيُّ فِي الْمَصَاحِفِ .

● وَكَانَ عُمَرُ قَدْ انْتَدَبَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ لِهَذِهِ الْمُهَمَّةِ فِي خِلَافَتِهِ قَبْلَ عُثْمَانَ ،
وَقَدْ اخْتَلَفَ مَعَهُ فِي أَمْرِ فَقَالَ عُمَرُ لَزَيْدٍ :

«إِنَّ مَا جِئْتُكَ بِهِ لَيْسَ بِوَحْيِي تُزِيدُ فِيهِ وَتُنْقِصُ ، إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ نَرَاهُ فَإِنْ رَأَيْتَهُ
وَوَافَقْتَنِي تَبِعْتُهُ وَالْأَمْرُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ شَيْءٌ» .

انْظُرْ أَخِي الْقَارِئُ : مَا أَهْوَنَ الْقُرْآنَ عِنْدَهُمْ بِحَيْثُ إِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي جَاءَ بِهِ
أَعْظَمُ مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي يَزِيدُ فِيهِ وَيُنْقِصُ . . يَقُولُ لَهُ هَذَا وَالْجَارِيَةُ تُرْجُلُ لَزَيْدٍ
شَعْرَهُ !

ذَكَرَ ذَلِكَ فِي مُتَخَبِّ الْكَتَرِ الْمَطْبُوعِ عَلَى هَامِشٍ مُسْنَدِ أَحْمَدِ ج ٢ / ١٩٦ ،
وَهَذَا هُوَ نَصُّ الرِّوَايَةِ فَتَأَمَّلْ فِيهِ :

«إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ اسْتَأْذَنَ يَوْمًا عَلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ فَأَذِنَ لَهُ وَرَأْسُهُ فِي يَدِ
جَارِيَةٍ تُرْجِلُهُ فَتَرَاعَ رَأْسُهُ فَقَالَ عُمَرُ : دَعَهَا تُرْجِلُكَ ! ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ
أَرْسَلْتَ إِلَيَّ لِجِئْتُكَ . فَقَالَ عُمَرُ : لَيْسَ هُوَ بِوَحْيِي تُزِيدُ فِيهِ وَتُنْقِصُ ، إِنَّمَا هُوَ
شَيْءٌ نَرَاهُ فَإِنْ رَأَيْتَهُ وَوَافَقْتَنِي تَبِعْتُهُ وَالْأَمْرُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ شَيْءٌ فَأَبَى عَلَيْهِ زَيْدٌ
فَخَرَجَ مُغْضَبًا» .

تَعَالَوْا يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ . . فَهَذَا النِّصُّ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ الْجُلُودُ وَتَذُوبُ الْقُلُوبُ . .

تَعَالَوْا وَتَفَكَّرُوا : مَا هُوَ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي جَاءَ عُمَرُ مِنْ أَجْلِهِ وَالَّذِي يَكُونُ
الْوَحْيُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ لَا شَيْءٌ ؟!! .

وَكَيْفَ يَأْتِي الْأَمِيرُ لِيَسْتَأْذِنَ مِنَ الْمَأْمُورِ ؟

وَلِمَاذَا يَأْبَى عَلَيْهِ زَيْدٌ ؟

وَلِمَاذَا يَتَمَلَّقُ الْأَمِيرُ لَوَاحِدٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ مُشْرِفٍ عَلَى تَرْتِيبِ الْوَحْيِ يَزِيدُ فِيهِ

وَيُنْقِصُ ؟

وَلَمَّاذَا يَقُولُ لَهُ: دَعَهَا تُرْجِلُ شَعْرَكَ فَيَكَلِّمُهُ كَمَا يُكَلِّمُ الطِّفْلَ وَالِدَهُ؟!

أَفَلَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَرْفَعَ لَهُ زَيْنُ رَأْسِهِ؟

مَا أَغْبَاكُمْ يَا أُمَّةَ الْغَفْلَةِ!

فَلَوْ نَظَرْتُمْ الْآنَ لِلْحُكُومَاتِ وَالِدُولِ لَفَهِمْتُمْ الْأَمْرَ.

أَوْ لَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الْحُكَّامَ الْيَوْمَ وَكَمَا فِي السَّابِقِ يَأْتِمِرُونَ بِأَمْرِ «الْمَنْدُوبِ

السَّرِيِّ» الَّذِي هُوَ الْحَاكِمُ الْفِعْلِيُّ؟

أَلَا تَشْعُرُونَ قَطَّ أَنَّ زَيْنًا هَذَا مُتَتَدِّبٌ لِمُهَمَّاتٍ مُخَابِرَاتِيَّةٍ وَإِشْرَافٍ عَامٍّ عَلَى

شُؤْنِ الْوَحْيِ.. تَصْفِيَةُ الْقُرْآنِ وَتَصْفِيَةُ الْمُعَارَضِينَ، وَأَنَّ عُمَرَ بِكُلِّ بَطْشِهِ

وِغَلْظَتِهِ وَحِمَاقَاتِهِ يُرِيدُ رِضَاهُ وَيَأْتِمِرُ بِأَوَامِرِهِ؟

أَعْطُونِي تَفْسِيرًا لِهَذَا النَّصِّ يَا ذُرِّيَّةَ الزُّنَاةِ وَأَوْلَادَ الْبَغَايَا!!

فَإِنَّهُ عَهْدٌ مِنَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ: مَا أَبْغَضَ عَلِيًّا إِلَّا ابْنُ زَيْنَى أَوْ ابْنُ حَرَامٍ، ذَكَرَ

ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نصوصٍ مُسْتَفِيضَةٍ وَقَدْ عَلِمْتَ تَفْسِيرَهَا أَيُّهَا الْقَارِئُ

النبِيَّةُ.

● مِنْ أَجْلِ هَذَا رَفَضَ ابْنُ مَسْعُودٍ الانْصِبَاعَ لَزَيْنِ بْنِ ثَابِتٍ فَكَانَ يَصِيحُ

مُنَادِيًا فِي الطَّرَقَاتِ:

«يَا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ أَعَزَّلُ نَسَخَ الْمَصَاحِفِ وَيَتَوَلَّاهَا رَجُلٌ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ

أَسْلَمْتُ وَإِنَّهُ لَفِي صُلْبِ رَجُلٍ كَافِرٍ» - يُرِيدُ بِهِ زَيْنَ بْنَ ثَابِتٍ.

أَوْزَدَ ذَلِكَ صَاحِبُ «جَامِعِ الْأَصُولِ» ابْنُ الْأَثِيرِ وَحَاولُوا تَخْفِيفَ وَطْأَةِ كَلَامِهِ

فَحَذَفُوا مِنْهُ فَقَرَاتٍ كَمَا فِي الْحَلِيَّةِ ج ١/ ١٢٥ إِذْ ذَكَرَ أَنَّهُ قَالَ:

«أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ سَبْعِينَ سُورَةً وَإِنَّ زَيْنَ بْنَ ثَابِتٍ لَصَبِيٍّ مِنَ الصَّبِيَّانِ

فَهَلْ أَدْعُ مَا أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ؟».

وَفِي فَتْحِ الْبَارِي مِنْ شَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ:

«وَاللَّهِ لَا أَدْفَعُ مُضْحَفِي فَقَدْ أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ».

وفيه أيضاً:

«إِنِّي غَالٍ مُضَحِّفِي فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُغْلِلَ مُضَحِّفَهُ فَلْيَفْعَلْ»
غلَّ الأمر: أخفاه أو قَيَّدهُ عَنِ الْحَرَكَةِ.

وفي صحيح مسلم ١٤٧ / ٧:

«عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ تَأْمُرُونِي أَنْ أَقْرَأَ؟ فَلَقَدْ قَرَأْتُ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ أَنِّي أَعْلَمُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ».
وبعد إضرار عبد الله بن مسعود على الاحتفاظ بمُضَحِّفِهِ كَانَتْ نِهَائِيَّتُهُ أَنْ مَاتَ مِنَ التَّعْذِيبِ فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَيْهِ مَا لاً وَهُوَ يَخْتَضِرُ!!

وَكُلُّ الطُّغَاةِ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ يَقْتُلُونَ الْقَتِيلَ وَيَمْشُونَ فِي جَنَازَتِهِ!
فَرَفَضَ الْمَالَ وَرَدَّهُ إِلَى عُثْمَانَ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ أَنَّهُ لِبَنَاتِكَ لَا لَكَ!
أَفْتَدْرِي مَا أَجَابَهُمْ؟

أَجَابَهُمْ بِمَا يَزْعِمُهُمْ أَيْضًا..

أَجَابَهُمْ بِالْقُرْآنِ فَقَالَ لَهُمْ: «تَرَكْتُ لَهُنَّ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ!!»
تِلْكَ صَفْحَةٌ سَوْدَاءُ تَرَكْتُ الْكَثِيرَ مِنْهَا وَذَكَرْتُ نَمَازِجَ مَتَرَفَّةً وَأَلَا فَالْكَلَامُ
فِيهَا طَوِيلٌ طَوِيلٌ جِدًّا يَكْشِفُ عَنِ الْوُجُوهِ الْقَبِيحَةِ الْقَائِمَةِ بِعَمَلِيَةِ التَّحْرِيفِ
الْأَوَّلِ الْمَدْرُوسِ بِعِنَايَةِ فَائِقَةٍ.

فَقَدْ تَرَكْتُ عِلَاقَةَ سَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ بِالْأَمْرِ وَمُضَحِّفِهِ السَّرِيِّ الْمُحِبَّ عِنْدَ
عُمَرَ، وَتَرَكْتُ الْقَوْلَ فِي الْغَايَاتِ مِنَ الْأَحْرُفِ الرَّائِدَةِ وَالْأَلْفَاظِ الْمَحْذُوفَةِ
وَالسُّورِ الْمَرْفُوعَةِ مِنَ النَّصِّ الْأَصْلِيِّ، وَتَرَكْتُ تِلْكَ الْمَفَارِقَةَ الْغَرِيبَةَ بَيْنَ رَفْضِهِمْ
اسْتِلامَ مُضَحِّفِ عَلِيٍّ عليه السلام وَبَيْنَ إِضْرَارِهِمْ عَلَى اسْتِلامِ مَصَاحِفِ
الصَّحَابَةِ..!

فَإِنَّ الَّذِينَ دَرَسُوا هَذِهِ الْقَضِيَّةَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِدَسْتُورِ الدِّينِ؟

وَلِمَاذَا أَسَدَلَ الْكَاتِبُ الْكَاذِبُ السُّتَارَ عَلَيْهَا؟

أَمْ كُلُّ هَمِّهِمْ وَهَمُّهُ أَنْ يُدَافِعُوا عَنْ أَهْلِ الشُّورَى الْمُحَرِّفِينَ وَالْمُنْحَرِفِينَ
أَخْلَاقِيًّا قَبْلَ انْجِرَافِهِمُ الْعَقَائِدِيَّ وَالْفِكْرِيَّ؟

بَلَى . فَهَلْ تَعْلَمُ أَيُّهَا الْمِسْكِينُ كَيْفَ وُلِدَ عُمَرُ وَمَنِ الَّذِي أَوْلَدَهُ؟

وَمَا دَامَ الشَّيْطَانُ نَفْسُهُ يَسْجُدُ لِعُمَرَ فَلَكَ أَنْ تَعْلَمَ مولدَهُ إِذَا شِئْتَ وَلَكِنَّ الشُّبَّةَ
يَمْنَعُ مِنَ الْعِلْمِ - ﴿تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:
١١٨].

◀ ٥ - أَمْ هُوَ قَوْلُهُ ﷺ :

«يَا عَمَارُ إِذَا رَأَيْتَ عَلِيًّا سَلَكَ وَادِيًّا وَسَلَكَ النَّاسُ وَادِيًّا آخَرَ غَيْرَهُ فَاسْلُكْ مَعَ
عَلِيٍّ وَدَعَ النَّاسَ فَإِنَّهُ لَنْ يَدُلَّكَ عَلَى رَدَى وَلَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ هُدًى»^(١).

نَعَمْ . . . الْآنَ يَقُولُ الْكَاتِبُ الْأَفَّاكُ إِنَّنَا نَسْلُكُ طَرِيقَ عَلِيٍّ، وَانْكَشَفَ الْعَبْقَرِيُّ
أَنَّ طَرِيقَ عَلِيٍّ هُوَ الشُّورَى!

تُرَى : لِمَاذَا اخْتَلَفَتِ الْأُمَّةُ إِذَنْ؟

وَلِمَاذَا حَدَّثَتِ الْفِتْنَةُ؟

الظَّاهِرُ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا بِالشُّورَى بِالطَّرِيقَةِ الصَّحِيحَةِ!!

وَلَكِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ جَاءَ رَابِعَ الْقَوْمِ فَلِمَاذَا لَمْ يُعِذْهُمْ إِلَى الْمَبْدَأِ
الصَّحِيحِ لِلشُّورَى؟

وَلِمَاذَا بَقِيَتِ الْأُمَّةُ مُنْقَسِمَةً وَالْفِتْنَةُ قَائِمَةً إِذَا كَانَ عَلِيٌّ مِنْ دُعَاةِ الشُّورَى؟

أَلَا تَرَى أَخِي الْقَارِئُ كَيْفَ يُعْرِِي هَذَا الْعَبِيَّ نَفْسَهُ بِلا حَيَاءٍ!

(١) أَخْرَجَهُ الدِّيلَمِيُّ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ وَعَمَارٍ / الْكَتَزْ / ج ٦ / ١٥٦ .

وَالْمُصِيبَةُ أَنَّ قِسْمًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يُرَدُّونَ هَذَا الْقَوْلَ الْمُخْزِي وَمَا يَذَرُونَ أَنَّ
هَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَهْدِ بِمُحَمَّدٍ أَحَدًا!

فَيَكْفُرُونَ مِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ حَتْمًا لِأَنَّ الْقَائِلَ بِالْوَصِيَّةِ أَمْرُهُ مُخْتَلِفٌ، فَهُوَ يَقُولُ
إِنَّهَا لَمْ تَنْفُذْ. فَهُوَ يُلْقِي بِاللُّومِ عَلَى الْخَلْقِ، بَيْنَمَا الْقَائِلُ بِالشُّورَى يُكْفِرُ كُلَّ
الْخَلْقِ مِنْ جِهَةٍ لِأَنَّهُمْ عَمِلُوا بِهَا فِي الْوَاقِعِ وَمَعَ ذَلِكَ اخْتَلَفُوا. وَالنَّاتِجُ أَنَّهُ يُلْقِي
بِاللُّومِ عَلَى اللَّهِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى!!

أَدْعُوكُمْ يَا أَهْلَ السُّنَّةِ جَمِيعًا لِلتَّأْمُلِ فِي هَذَا الِالْتِبَاسِ وَالتَّفَكُّرِ فِي الْأَمْرِ. فَإِنَّ
الْأَمْرَ خَطِيرًا!

إِنَّهُ خَطِيرٌ عَلَيْكُمْ جِدًّا!

يَا قَوْمُ: هَذَا كُفْرٌ بِاللَّهِ بَوَاحٍ..

فَأَنَا شَخْصِيًّا لَا يَهْمُنِي قَطُّ مَنْ هُوَ الْوَصِيُّ أَكَانَ اسْمُهُ عَلِيًّا أَوْ زَيْدًا أَوْ
الْحَارِثَ!

فَلَوْ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَصَّى النَّبِيَّ وَوَلَّيَ عَهْدِهِ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وَبِنَصِّ
الْقُرْآنِ وَلَوْ زُورًا وَكَذِبًا فَإِنِّي أَرَاهُ أَبْرَأَ لَكُمْ وَقَدْ تَجِدُونَ النِّجَاةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّ
الْأَسْمَاءَ لَيْسَتْ مُهِمَّةً.

إِنَّ الْمُهِّمَّ هُوَ الْفِكْرَةُ!

يَا قَوْمُ: إِنَّ الْفِكْرَةَ الَّتِي تَذْكُرُونَهَا هِيَ ذَاتُهَا جَوْهَرُ الْكُفْرِ. فَالْكُفْرُ لَا مَعْنَى لَهُ
غَيْرَ هَذَا!

يَا قَوْمُ: لَيْسَ الْكُفْرُ أَنْ تَقُولُوا لَا وَجُودَ لِلَّهِ، أَوْ أَنَّ مَعَهُ شَرِيكَ بِالسِّتِّكُمْ وَلَا
التَّوْحِيدَ أَنْ تَقُولُوا بِالسِّتِّكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ!

اغْتَبِرُوا بِفِعْلِ إِبْلِيسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا شَكَّ فِي وَجُودِهِ قَطُّ،
بَلْ خَاطَبَهُ مُقِرًّا بِأَنَّهُ رَبُّهُ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَا كَفَرَ إِلَّا لِأَنَّهُ جَعَلَ رَأْيَهُ مُقَابِلَ
رَأْيِ اللَّهِ وَحُكْمَهُ بِالضِّدِّ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ!... فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

يَا قَوْمُ: لَيْسَ كُلُّ فَرْدٍ فِي طَائِفَةِ الشُّعْبَةِ مُؤْمِنٌ وَلَا كُلُّ فَرْدٍ فِي غَيْرِهِمْ كَافِرٌ، إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ - فَبِهَذَا الْمِقْيَاسِ يَكْفُرُ قَوْمٌ يَقُولُونَ بِالْوَلَايَةِ بِالْإِسْتِثْمِ وَيُؤْمِنُ قَوْمٌ يُنْكِرُونَهَا بِالْإِسْتِثْمِ.

يَا قَوْمُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَكُمْ لِمَنِ النَّاصِحِينَ فَانظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ أَوْ يَأْتِيَ عَذَابٌ مِنْ عِنْدِهِ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ.

يَا قَوْمُ: لَنْ تَقْدِرُوا عَلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ مِثْلَ عِبَادَةِ إِبْلِيسَ عَبْدَهُ سِتِينَ أَلْفَ سَنَةٍ سَاجِدًا وَمِثْلَهَا زَاجِعًا ثُمَّ ذَهَبَتْ كُلُّهَا هُبَاءً لِأَنَّهُ جَعَلَ حُكْمَهُ مُقَابِلَ حُكْمِ اللَّهِ!

يَا قَوْمُ: لَا تَحْكُمُوا عَلَى الْأَشْيَاءِ مِنْ خِلَالِ النَّاسِ وَأَقْوَالِ النَّاسِ وَلَا تَحْكُمُوا قَبْلَ حُكْمِ اللَّهِ، بَلْ ابْحَثُوا عَنْ حُكْمِ اللَّهِ، وَلَنْ تَجِدُوهُ قَطَّ حَتَّى تُطَهِّرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْكِبَرِ وَتَخْضَعُوا لِلَّهِ، فَإِنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ هِيَ الْخُضُوعُ وَالْإِنَابَةُ لِحُكْمِهِ.

يَا قَوْمُ: افْهَمُوا مَا هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي تَدْعُونَ قَائِلِينَ: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ كَيْ لَا تَكُونَ صَلَاتُكُمْ عَلَيْكُمْ وَبَالًا. فَقَدْ قَالَ صَاحِبُ الرِّسَالَةِ عليه السلام: «الصِّرَاطُ عَلَىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ حَادٌّ أَحَدُهُ مِنَ السَّيْفِ وَدَقِيقٌ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ». وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْإِيمَانَ دَقِيقٌ وَحَادٌّ لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ إِلَّا أَقْدَامٌ رَاسِخَةٌ لَا تُزَلُّ لَهَا الْفِتْنُ وَلَا يُحَرِّكُهَا قَوْلُ الزُّورِ!

يَا قَوْمُ: لَقَدْ نَظَرْتُ فِي كِتَابِ «الكَاتِبِ» وَغَيْرِهِ مِنْ قَبْلُ فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ إِلَّا مَا يُؤَكِّدُ اعْتِقَادِي فِيكُمْ وَفِي غَيْرِكُمْ.

يَا قَوْمُ: إِنَّ الَّذِينَ يَنْتَمُونَ إِلَى نَبِيِّ أَوْ رَسُولٍ بِحُكْمِهِمُ الْخَاصِّ لَا بِحُكْمِ اللَّهِ فِيهِ هُمْ كَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءً بِسَوَاءٍ. وَإِنَّ الَّذِينَ يُجْبُونَ رَجُلًا لِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ ذَلِكَ وَلَا يُجْبُونَهُ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِحُبِّهِ هُمْ كَالَّذِينَ يَنْغَضُونَهُ سَوَاءً بِسَوَاءٍ!

يَا قَوْمُ: هَلْ تَفْهَمُونَ هَذَا الْكَلَامَ؟ إِنَّهُ مُوجَّهٌ لِلْجَمِيعِ لَا لِمَذْهَبٍ مُعَيَّنٍ وَلَا لِفِئَةٍ مُحَدَّدَةٍ! وَإِذَا فَهِمْتُمْ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ فَقَدْ فَهِمْتُمْ الدِّينَ كُلَّهُ مَرَّةً وَاحِدَةً!

يَا قَوْمُ: إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا قَالَ: أَحْبَبْتُ مُحَمَّدًا لِأَنَّهُ دَلَّنِي عَلَى اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ! وَإِنَّ الْمَرْءَ إِذَا قَالَ: أَحْبَبْتُ عَلِيًّا لِأَنَّهُ دَلَّنِي عَلَى اللَّهِ أَوْ مُحَمَّدٍ فَقَدْ كَفَرَ! يَا قَوْمُ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَهُوَ الَّذِي يَأْمُرُ وَيَنْهَى... يَا قَوْمُ: مَنْ سَبَقَ اللَّهُ بِحُكْمٍ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ عَقَّبَ عَلَى حُكْمِهِ بِحُكْمٍ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ ادَّعَى أَنَّهُ عَرَفَ اللَّهَ بِرَجُلٍ فَقَدْ كَفَرَ!

يَا قَوْمُ: إِنَّ الدِّينَ الْآنَ مِثْلُ الْإِنَاءِ الْمُتَكَفَّى عَلَى وَجْهِهِ يَرَاهُ النَّاسُ بِالْمَقْلُوبِ، وَيَحْكُمُونَ عَلَى الْأَشْيَاءِ بِهِ بِالْمَقْلُوبِ فَيَكْفُرُونَ مَرَّتَيْنِ وَيَزْدَادُونَ كُفْرًا وَلَا يَعْلَمُونَ!، وَبَعْضُهُمْ يُرِيدُ الدِّفَاعَ عَنِ الدِّينِ فَيَزْدَادُ بُعْدًا عَنْهُ، وَبَعْضُهُمْ يُدَافِعُ عَنِ التَّوْحِيدِ فَيَغْرُقُ فِي الشِّرْكِ... فانتبهوا قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ!

يَا قَوْمُ: إِنَّ عِنْدَكُمْ تَقْسِيمًا لِلْخَلْقِ إِلَى فِئَاتٍ وَمَذَاهِبٍ وَمَشَارِبٍ بِالْعَشْرَاتِ... وَهُوَ تَقْسِيمٌ غَرِيبٌ عَنْ تَقْسِيمِ اللَّهِ!، فَلَيْسَ عِنْدَ اللَّهِ سِوَى مَذْهَبَيْنِ! مَذْهَبُ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ، وَمَذْهَبُ أَصْحَابِ النَّارِ «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي النَّارِ»، وَلَيْسَ عِنْدَهُ سِوَى فَرِيقَيْنِ فَابْحَثُوا عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ غَيْرِ أَسْمَاءٍ أُخْرَى، وَتَحَرَّرُوا مِنَ الْمَذَاهِبِ وَالْأَسْمَاءِ الَّتِي سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاءُكُمْ وَالَّتِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ!

يَا قَوْمُ: «اعْرِفُوا الْحَقَّ تَعْرِفُوا أَهْلَهُ»... وَهَذَا هُوَ قَوْلُ عَلِيِّ عليه السلام لِأَنَّهُ ذَاقَ الْأَمْرَيْنِ مِنْ عِبَادَةِ الرُّجَالِ، وَمَا قَالَ: اعْرِفُونِي تَعْرِفُوا الْحَقَّ، بَلْ قَالَ: اعْرِفُوا الْحَقَّ مُجَرَّدًا مِنَ الْأَسْمَاءِ فَسَوْفَ تَعْرِفُونَ أَهْلَهُ!

يَا قَوْمُ: إِنَّ هَذَا الْكَاتِبَ لَا يَخْتَلِفُ بِشَيْءٍ عَنْ كُلِّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ، وَعَنْ كُلِّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا. فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنَ أَلْسِنَةِ الرُّجَالِ...! وَاعْلَمُوا أَنَّ أَكْثَرَ الْخَلْقِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ فَلَا تُعَرِّنُكُمْ الْأَسْمَاءُ!

يَا قَوْمُ: إِنَّ الْقُلُوبَ السَّالِمَةَ لَا عِلَاقَةَ لَهَا بِكَثْرَةِ الْمَعْلُومَاتِ!، وَإِنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ، وَإِنَّ الْقُلُوبَ صِنْفَانِ، وَإِنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْعِلْمِ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ الْمَكْرِ وَرُؤُوسِ الضَّلَالَةِ.. وَإِنَّ الْعِلْمَ الْحَقَّ عِنْدَ قَوْمٍ لَا تَعْرِفُونَهُمْ لِأَنَّهُمْ «فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ» كَمَا قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عليه السلام.

يَا قَوْمُ مَا لَكُمْ عِنْدَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ وَلَا تَتَذَبَّرُونَهُ؟ أَلَمْ يُخَبِّرْكُمْ نَبِيُّكُمْ الَّذِي تَدْعُونَ الْإِيمَانَ بِهِ: «أَنَّ فِيهِ خَبَرٌ مَا قَبْلَكُمْ وَنَبَأٌ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ؟» فَمَاذَا تُرِيدُونَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ؟

يَا قَوْمُ: إِذَا حَقَّ عَلَيْكُمُ الْقَوْلُ فَلَا عُذْرَ لَكُمْ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ! لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ:

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

فَلَا عُذْرَ لَكُمْ بَعْدَ الْقُرْآنِ.. لِأَنَّهُ تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.. يُؤْمِنُونَ بِهِ وَلَا يَحْكُمُونَ قَبْلَهُ فَيَقْدُسُونَ رِجَالًا وَيَتَغَضُّونَ رِجَالًا!

يَا قَوْمُ: أَنْتُمْ الْآنَ عبيدُ رِجَالٍ لَا عِبَادَ لِلَّهِ.. فَاعْبُدُوا اللَّهَ وَاحْذَرُوهُ فَتَنَكْشِفُ لَكُمْ حَقِيقَةَ كُلِّ الرَّجَالِ!

يَا قَوْمُ: دِفَاعُكُمْ عَنِ الرِّجَالِ بِحُجَّةِ الدِّينِ أَكْذُوبَةٌ! فَأَنْتُمْ عبيدُ لَهُمْ شَعَرْتُمْ أَمْ لَمْ تَشْعُرُوا وَلَنْ يُغْنُوا لَكُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا.

يَا قَوْمُ: أَمَّا أَنَا فَمَا أَدَافِعُ عَنْ عَلِيٍّ! وَمَعَازَ اللَّهِ أَنْ أَمَرَكُمْ بِمَا أَخَالَفُكُمْ فِيهِ أَوْ أَفْعَلَ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ! وَلَكِنِّي بَعْدَ أَنْ صَدَّقْتُ بِمُحَمَّدٍ عليه السلام لِتَصْدِيقِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ فِي الْقُرْآنِ وَبَعْدَ أَنْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ كَلَامُ اللَّهِ لَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ فِيهِ، فَقَدْ آمَنْتُ بِكُلِّ مَا يَأْتِي بِهِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَوَجَدْتُ نَفْسِي إِنْ أَنَا حَكَمْتُ عَلَى شَيْءٍ أَوْ أَمَرٍ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي كَفَرْتُ. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ حُكْمَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَاحِدٌ وَأَنَّ سُنَّتَهُ لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ وَلَا تَتَحَوَّلُ، وَأَنَّ حُجَّتَهُ قَائِمَةٌ دَوْمًا لَا انْقِطَاعَ لَهَا!.

لَقَدْ عَرَفْتُ حُجَّةَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ اسْمٍ وَلَا يَهْمَنِي مَا يَكُونُ اسْمُهُ وَلَكِنِّي وَجَدْتُ
اسْمَهُ: عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَلَمْ أَجِدْ إِسْمًا آخَرَ يُزَاحِمُهُ لِيَكُونَ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى
خَلْقِهِ!

قَدْ يَخْتَلِفُ إِيْمَانِي بِهِ عَنْ إِيْمَانِ كَثِيرٍ مِنْ طَوَائِفِ وَأَفْرَادِ الشَّيْعَةِ، وَلَكِنْ ذَلِكَ
لَا يَهْمَنِي فِي شَيْءٍ... إِنَّ مَا يَهْمَنِي هُوَ إِنْقَاذُ نَفْسِي أَوَّلًا وَالنُّصْحُ لِعَيْرِي بِمَا
أَوْجَبَهُ اللَّهُ مِنْ نَصِيحَةِ الْمُؤْمِنِ لِلخَلْقِ.

وَلِذَلِكَ فَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدِي يُعْرَضُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَعَلَى إِيْمَانِي بِأَنَّهُ وَاحِدٌ لَا
شَرِيكَ لَهُ وَأَنْ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَلَا سَابِقَ عَلَى حُكْمِهِ! وَهَذَا هُوَ الشَّرْطُ. فَمَا
وَجَدْتُ يَا قَوْمُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْمَلَّةِ مُوَحِّدًا لِلَّهِ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنْ بَعْدِ رَسُولِ اللَّهِ
سِوَى هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ الْإِثْنِي عَشَرَ!

وإِنَّ فَهْمَ كَلَامِهِمْ عَلَى ضَوْءِ كَلَامِ اللَّهِ وإِفْهَامُكُمْ بِهِ هُوَ مُشْكِلَتُكُمْ لَا مُشْكِلَتِي!
لَأَنْكُمْ الْآنَ بَعِيدُونَ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ وَتُخَالِفُونَ الْفِكْرَةَ الَّتِي تَقُولُ: إِنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ لَا
تَسْبِقُوا اللَّهَ بِحُكْمٍ وَلَا تُعَقِّبُوا عَلَى حُكْمِهِ بِحُكْمٍ آخَرَ!

فَأَنْتُمْ لَا تَعْرِفُونَ هَذَا وَلَمْ تَتَعَرَّفُوا عَلَيْهِ بَعْدَ فَكَيْفَ آتَى إِلَيْكُمْ؟

لَا بُدَّ أَنْ تَأْتُوا أَنْتُمْ أَوَّلًا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَتَتَحَرَّرُوا مِنْ كُلِّ حُكْمٍ سَابِقٍ... لَا بُدَّ
أَنْ تَأْتُوا طَاهِرِينَ نَظِيفِينَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَتَطْلُبُوا التَّعَرُّفَ مِنْ خِلَالِهِ عَلَى حُكْمِهِ
فِي كُلِّ أَمْرٍ!

سَتَقُولُونَ: وَكَيْفَ نَعْرِفُ حُكْمَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ مَا لَمْ نَقْرَأْ تَفَاسِيرَ السَّلَفِ وَآرَاءَ
الرَّجَالِ وَأَقْوَالَ النَحْوِيِّينَ؟!

هَآ قَدْ عَذْتُمْ إِذَنْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ!

فَمِنْ هَؤُلَاءِ نَشَأَ الْاِخْتِلَافُ وَعَمَّ الْخِلَافُ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ فَهَمْتُمْ أَنْ كِتَابَ اللَّهِ
لَا يُغْنِي عَنِ الْاِخْتِلَافِ!

إِذَنْ فَأَنْتُمْ لَمْ تُؤْمِنُوا بَعْدُ!

لأنَّه لا خِلَافَ في الآياتِ الَّتِي تُحَذِّرُكُمْ مِنَ الاختِلَافِ ولا خِلَافَ في الآياتِ الَّتِي تُؤَكِّدُ أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ أَنْزَلَهُ لِإِزَالَةِ الاختِلَافِ!

أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ: أَنْتُمْ لَمْ تَتَحَرَّروا مِنْ عِبَادَةِ الرِّجَالِ؟ أَمْ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ كَذَّبَ «وَحَاشَاهُ» عَلَيْكُمْ حِينَمَا قَالَ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ كُتُوبًا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ يَبَيِّنُ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [المجادلة: ٥].

أَوْ حِينَمَا قَالَ:

﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ يَبَيِّنُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩].

ها هُوَ يَقُولُ: إِنَّهَا آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ يُعْرِفُ بِهَا الْحَقُّ مِنْ غَيْرِ رِجَالٍ وَيُعْرِفُ بِهَا أَهْلُ الْحَقِّ.

كَذَّبَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّهَا آيَاتٌ غَيْرُ بَيِّنَاتٍ!

كَذَّبَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا أَهْلُ الاختِصَاصِ!

كَذَّبَ الدَّجَالُونَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ الاختِلَافَ ناشئٌ عَنْ قُصُورِ اللُّغَةِ عَنْ

إِصْصَالِ الْمُرَادِ!

كَذَّبَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: هُنَا حَقِيقَةٌ وَهُنَا مَجَازٌ!

كَذَّبَ الَّذِينَ يُفَسِّرُونَ الْمُفْرَدَةَ بِمُفْرَدَةٍ وَاللَّفْظَ بِلَفْظٍ آخَرَ!

كَذَّبَ الَّذِينَ يُقَدِّرُونَ الْعِبَارَاتِ وَالْأَلْفَاظِ بِنِظَامٍ آخَرَ فِي الْعِبَارَةِ!

كَذَّبَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: هُنَا مُفْرَدَةٌ زَائِدَةٌ وَهُنَا حَرْفٌ مُزِيدٌ!

كَذَّبَ الَّذِينَ يُفَسِّرُونَ الآيَاتِ بِوُجُوهِ مُتَنَاقِضَةٍ.

كَذَبَ كُلُّ قَائِلٍ لَأَيِّ فِكْرَةٍ فِيهَا حُكْمٌ عَقَائِدِيٍّ أَوْ تَارِيخِيٍّ أَوْ مُسْتَقْبَلِيٍّ أَوْ
 شَرْعِيٍّ أَوْ فِقْهِيٍّ أَوْ بِلَاغِيٍّ أَوْ كَلَامِيٍّ أَوْ فِلْسَفِيٍّ لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ بِوُضُوحٍ تَامٍّ
 كَوْضُوحِ الْمُعَادَلَاتِ الرِّيَاضِيَّةِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ خَطَأً مَا . . .
 كَذَّبُوا عَلَى اللَّهِ وَكَفَرُوا وَفَسَقُوا:

﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

فَكَمَ الَّذِينَ حَكَمُوا قَبْلَ حُكْمِ اللَّهِ وَحَكَمُوا بِغَيْرِ حُكْمِ اللَّهِ وَحَكَمُوا مُعَقِّبِينَ
 عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ؟! .

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ (٨٤) ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَتَّبَعُ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٥)

[ص: ٨٤-٨٥].

لَا مُعَقِّبٌ لِحُكْمِ اللَّهِ:

﴿... وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

وَلَا سَبَقَ لِحُكْمِ اللَّهِ:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤].

فَكَيْفَ لِي أَنْ أُنَاقِشَ كَاتِبًا لَا يَذَرِي مَا التَّوْحِيدُ عَنْ كَلَامِ قَوْمٍ اضْطَفَأَهُمُ اللَّهُ
 لِنَفْسِهِ لِإِظْهَارِ كَلِمَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»!

فَحَيْثُ يَسْأَلُونَ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ عليه السلام عَنِ الْإِمَامِ وَالْإِمَامَةِ وَعَنِ
 الْمَهْدِيِّ الْمُتَنَطَّرِ فَيَقُولُ مَرَّةً «يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ»، وَيَقُولُ أُخْرَى «يَفْعَلُ اللَّهُ مَا
 يُرِيدُ»، وَيَقُولُ ثَالِثَةً «إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ»! يَرَى الْكَاتِبُ الْكَافِرُ أَنَّ الْإِمَامَ لَا يَذَرِي

مَنْ هُوَ الْإِمَامُ الَّذِي يَلِيهِ! وَيَخْرُجُ بِنَتِيجَةِ مَفَادُهَا أَنَّ الْإِمَامَةَ قَضِيَّةٌ كَلَامِيَّةٌ وَغَيْرُ
مُسْتَقَرَّةٌ فِي الْأَشْخَاصِ! وَلَا مُحَدَّدَةٌ فِي الْأَسْمَاءِ!

كَيْفَ لِي أَنْ أُجِيبَ عَلَيْهِ وَأَنَا شَخْصِيًّا مَا آمَنْتُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنَ الْبَحْثِ فِي
كِتَابِ اللَّهِ. . مَا آمَنْتُ بِأَنَّهُ إِمَامٌ حَقٌّ إِلَّا لِأَقْوَالِهِ هَذِهِ؟! . إِذْ لَوْ قَالَ: هُوَ فُلَانٌ وَلَا
يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ غَيْرُهُ لَكَانَ بِهَذَا الْقَوْلِ قَدْ كَفَرَ حَسَبَ مَا فَهِمْتُهُ عَنِ التَّوْحِيدِ!
وَحَسَبَ مَا عَرَفْتُهُ مِنْ كُفْرِ مَنْ سَبَقَ اللَّهُ بِحُكْمٍ أَوْ عَقَّبَ عَلَى حُكْمِهِ وَإِنْ عَلِمَ
إِجْمَالًا بِاسْتِمْرَارِ حُكْمِ اللَّهِ كَمَا فَعَلَ الْآخَرُونَ.

لَكِنْ مِنْ أَيْنَ لَهُ أَنْ يَحْكُمَ قَاطِعًا بِهَذَا الْاسْتِمْرَارِ؟ . فَاللَّهُ هُوَ كُلُّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ
فَإِذَا شَاءَ أَنْ يُلْغِيَ الْعَالَمَ كُلَّهُ فَعَلَ، وَقَدْ أَبْقَى هَذَا الْاِحْتِمَالَ مَفْتُوحًا فِي آيَاتِ
الْقُرْآنِ!

نَعَمْ. . إِذَا أَتَاهُ ﷺ الْمَوْتُ أَوْصَى بِأَمْرِ اللَّهِ وَحَدَّدَ الْأِسْمَ.

نَعَمْ. . إِنَّ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةَ لَهُمْ بِحَقِّ أَهْلٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ!

فَقَدْ لَاقُوا مِنَ الْمَصَائِبِ وَمِنْ عَنَتِ النَّاسِ وَمِنْ جَهْلِهِمُ الْكَثِيرِ، وَحَافَظُوا
عَلَى كَلِمَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» بِكُلِّ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ أَبْعَادٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ. فَكَثُرَ
الشُّكُّ فِيهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ أَرَادُوا إِزَالََةَ الشُّكِّ فِي اللَّهِ، وَمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ طَرْفَةً عَيْنٍ
وَلَا نَطَقُوا بِمُفْرَدَةٍ وَاحِدَةٍ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الشُّرْكِ، بَيْنَمَا أَسْئَلُهُ الشُّرْكَ وَالشُّكُّ
تَنْصَبُ عَلَيْهِمْ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنَ الْأَتْبَاعِ وَالْأَعْدَاءِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ.

وَصَدَقُوا حَيْثُ قَالُوا:

«لَا تَعْرِفُونَ فَضْلَنَا حَتَّى يُرِيكُمْ اللَّهُ ذَلِكَ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْخَلْقَ لِلْحِسَابِ
وَتُنْكَشِفُ السَّرَائِرُ».

وَهَلْ تَخْتَلِفُ اعْتِرَاضَاتُ الْكَاتِبِ هَذَا عَنْ غَيْرِهِ بِشَيْءٍ؟

إِنَّهُ يُرِيدُ أَيْمَةً يَمْسِكُهُمْ وَيُفَحِّصُهُمْ عَلَى مَزَاجِهِ وَعَلَى ضَرْوِ أَحْكَامِهِ هُوَ وَلَا شَأْنَ لَهُ بِالْقُرْآنِ وَلَا التَّوْحِيدِ وَلَا الشُّرْكِ وَلَا الْكُفْرِ وَلَا الْإِيمَانِ وَلَا الْحَقِّ وَلَا الْبَاطِلِ! .

وَيَنْسَى هَذَا الْأَبْلَهُ الْجَاهِلُ أَنَّ هَؤُلَاءِ أَيْمَةٌ هُدَى!
إِنَّهُمْ مِثَالٌ لِلْخَلْقِ لِيَفْهَمُوا التَّوْحِيدَ الْخَالِصَ غَيْرَ الْمَشُوبِ بِشَائِبَةٍ . . فإذا شَاءَ الْخَلْقُ أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ اهْتَدَوْا ، وإذا شَاؤُوا أَنْ يُخَالَفُوهُمْ ضَلُّوا!
أَمَا هُمْ فَلَا يُفَكِّرُونَ مِثْلَ «الكَاتِبِ» بِتَحْرِيكِ رَتْلِ الدُّرُوعِ وَالْمُشَاةِ وَالْإِسْتِيلَاءِ عَلَى قَصْرِ الْإِمَارَةِ!

وَلَا يَجْرَوْنَ عَلَى الْحُكْمِ بَعِيرٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . . إِنَّهُ اضْطَفَاهُمْ لِهَذِهِ الْغَايَةِ فَلَا يَحِيدُونَ عَنْهَا أَبَدًا وَلَا يَقُولُونَ غَيْرَ الْحَقِّ! .

نَعَمْ . . عِنْدَهُمْ قَائِمَةٌ بَاطِنِي عَشَرِ إِمَامًا بِأَسْمَائِهِمْ!
وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا يَقُولُونَ هُوَ فَلَانٌ حَتَّى يَحْضَرَ أَحَدُهُم الْمَوْتُ!
لَأَنَّهُمْ لَا يَسْبِقُونَ اللَّهَ بِالْقَوْلِ .
أَمَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَلَمْ يَسْأَلُوهُ مَنْ هُوَ الْإِمَامُ مِنْ بَعْدِكَ حَتَّى يَقُولَ لَهُمْ هُوَ الْحَسَنُ!

بَلْ سَأَلُوهُ: هَلْ تَسْتَخْلِفُ الْحَسَنَ وَنُبَايَعُهُ؟
أَوْ لَا يَذَرُونَ أَنْ وَاجِبُهُمُ الشَّرْعِيُّ أَنْ يَسْتَخْلِفُوا الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟
فَافْهَمُوا السُّؤَالَ وَالْجَوَابَ جَيِّدًا قَبْلَ الْحُكْمِ!
فَالْأَيْمَةُ كُلُّهَا تَعْلَمُ أَنَّ الْحَسَنَ إِمَامًا مَنْصُوبًا مِنَ اللَّهِ بِنِصِّ الرَّسُولِ فِي أَحَادِيثَ حَفَظُوهَا مُسْتَفِيزَةً لَمْ يَقْدِرْ عَلَى التَّشْكِيكِ بِهَا حَتَّى أَصْحَابُ الشُّورَى!

فَكَيْفَ يَسْأَلُ شَيْعَةُ عَلِيٍّ هَذَا السُّؤَالَ؟

وَكَيْفَ يُجِيبُ بَدَلًا عَنْهُمْ؟

وَهَلْ يَحِلُّ هُوَ مَحَلُّهُمْ فِي الْاِخْتِيَارِ؟

فَلِمَاذَا إِذْنُ بُعِثَ الرُّسُلِ وَأُنْزِلَتِ الْكُتُبُ؟

أَوْ لَيْسَ بَعَثَ الرُّسُلِ هُوَ لِتَحْدِيدِ مُرَادِ اللَّهِ؟

وَالْمُرَادُ الْآنَ وَاضِحٌ وَالسُّؤَالَ عَنْهُ إِنَّمَا هُوَ: هَلْ نُنْفِذُ مُرَادَ اللَّهِ أَمْ لَا نُنْفِذُهُ؟.

مَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا هُوَ سُؤَالُ قَوْمٍ حَقَمَى!

وَمَا دَامَ الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِوَلَدِهِ فَإِنْ قَالَ: «نَعَمْ»، قالوا: «يُرِيدُهَا لِابْنِهِ!»، وَإِنْ

قَالَ: «لَا» كَفَرَ!

فَمَاذَا يَقُولُ؟

فَلَوْ جَاءَكَ شَخْصٌ وَقَالَ سَائِلًا: «أَنَا أَصْلِي رِيَاءَ فَهَلْ تَرَى أَنْ أَصْلِيَ عَلَى مَا

أَمَرَ اللَّهُ لِتَكُونَ صَلَاتِي بِإِخْلَاصٍ؟. فَقُلْ لِي بِرَبِّكَ: مَاذَا تَجِيبُهُ؟. فَالرِّيَاءُ

وَالْإِخْلَاصُ هِيَ مِنْ شُؤُونِهِ الْخَاصَّةِ جِدًّا وَلَا يَسْأَلُ الْمَرْءُ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ!.

أَتُرِيدُونَ أَنْ تَغْلِبُوا عَلَيَّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ فِي الْجَوَابِ وَتُحْطِثُونَ قَوْلَهُ وَتَعْتَبِرُونَهُ

مُتَنَاقِضًا؟!

الْوَيْلُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ!!

فَإِنَّكُمْ لَمْ تَتَذَبَّرُوا كِتَابَ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَبَذَلْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا.

فَهَلْ يُعْقَلُ أَنَّكُمْ تَتَذَبَّرُونَ كَلَامَ رَسُولِهِ وَوَلِيِّهِ؟

وَهَلْ يُعْقَلُ أَنَّكُمْ تَفْهَمُونَ الثَّقَلَ الْأَضْعَفَ قَبْلَ فَهْمِ مَا انْطَوَى عَلَيْهِ الثَّقَلُ

الْأَكْبَرُ؟

تَبَّ لَكُمْ وَلِحَمَاقَاتِكُمْ!

أَفْتَدِرُونَ لِمَاذَا يَضْحَكُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟!

إِنَّهُمْ يَضْحَكُونَ مِنْ تَنَاقُضَاتِكُمْ فَيَذْهَبُ اللَّهُ عَنْهُمْ الْحُزْنَ وَيَكْشِفُ لَهُمْ عَنْ فِعَالِكُمْ فَيَتَنَدَّرُونَ بِهَا دَهَوْرًا طَوِيلَةً، وَيُعَادُ عَلَيْهِمْ تَارِيخُكُمْ الْأَسْوَدُ فَيَضْحَكُونَ مِنْ عَقُولِكُمْ، حَيْثُ سَيَنْكَشِفُ لَهُمْ أَنَّ انْحِرَافَكُمْ هُوَ لَانْحِرَافِ قُلُوبِكُمْ، وَالْعَذَابُ الَّذِي تُعَذِّبُونَ فِيهِ هُوَ بِاسْتِحْقَاقٍ. فَلَهُمْ فِيكُمْ ثَلَاثُ لَذَاتٍ غَيْرُ لَذَاتِ الْجَنَّةِ لَأَنَّكُمْ مِنَ الْمُطْغَفِينَ:

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: ٣٤-٣٦].

تَتَغَيَّرُ طَبِيعَتُهُمْ فِي الْجَنَّةِ، فَلَنْ يَحْزَنُوا عَلَيْكُمْ كَمَا هُوَ حَالُهُمُ الْآنَ فِي الدُّنْيَا حَيْثُ يَتَأَلَّمُونَ لِضَلَالِكُمْ، لِأَنَّ الْقُلُوبَ غَيْرُ مَكْشُوفَةٍ فَيَحْسَبُونَ أَنَّكُمْ مَسَاكِينُ مُضِلُّونَ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي إِفْهَامِكُمْ كَمَا نَفَعَلُ الْآنَ!

تَتَغَيَّرُ طَبِيعَةُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ وَيَعْلَمُونَ عِلْمًا آخَرَ يَرُونَ مِنْ خِلَالِهِ حَقِيقَتَكُمْ. وَلِلذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يَلْتَدُونَ بِمُشَاهَدَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَتَعَذَّبُونَ. قَالَ لَهُمْ عَلِيُّ عليه السلام . . . قَالَ لِلْحَمَقَى السَّائِلِينَ:

«لَا أَمْرُكُمْ وَلَا أَنْهَاكُمْ أَنْتُمْ بِشُؤْنِكُمْ أَوْ «بِأُمُورِكُمْ» أَبْصَرُ».

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة: ١٤-١٥].

فَلَا أَبْصَرَ مِنَ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ إِلَّا اللَّهَ!

وَلَا يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ إِلَّا اللَّهُ!

فَمَا لَكُمْ لَا تَفْهَمُونَ؟

فَإِنَّهُمْ مَا سَأَلُوهُ عَنِ الْحُجَّةِ الْإِمَامِ مِنْ بَعْدِهِ حَتَّى يَقُولَ لَهُمْ هُوَ فَلَانُ وَيُعَلِّمُهُمْ مِنْ هُوَ بَعْدَ انْكَارِ!

بَلْ هُمْ عَلَى عِلْمٍ تَأْمُّ بِالْإِمَامِ الْحَقِّ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَبِمَا فَعَلَهُ عَلَيٌّ
طَوْلَ فِتْرَةٍ خِلَافَتِهِ، وَبِمَا أَشْهَدَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ عَلَى وُجُوبِ إِمَامَتِهِ وَإِمَامَةِ الْحَسَنِ
وَالْحُسَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ وَتَسَعُّهُ فِي صُلْبِ الْحُسَيْنِ!

إِنَّمَا يَسْأَلُونَ: «هَلْ نُطِيعُ هَذَا الْإِمَامَ أَمْ نَعْصِيهِ؟»!

سُبْحَانَ اللَّهِ!!

أَوْ لَا تَفْهَمُونَ أَنَّهُ يُعِيدُ الْاِخْتِيَارَ لَهُمْ!!

لَأَنَّ الطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ لَا وَكَيْلَ عَلَيْهَا، وَلَيْسَ فِيهَا أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ بَعْدَ أَمْرِ اللَّهِ
وَنَهْيِهِ!

اللَّهُ وَخَدُّهُ هُوَ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ . . وَلَنْ يَحُولَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ أَيُّ
مَخْلُوقٍ أَوْ كَائِنٍ سِوَاهُ!

لَأَنَّ هَذَا هُوَ أَمْرُهُمْ وَعَلَيْهِمُ الْآنَ أَنْ يَتَشَاوَرُوا فِيهِ وَيَسْأَلُوا إِنْ كَانَ يُمْكِنُهُمْ
النَّضْرُ أَمْ لَا؟

وَلَا يَسْأَلُوا إِنْ كَانَ يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِمُ النَّضْرُ أَمْ لَا .

وَفِي هَذَا وَخَدَهُ نَزَلَ النِّصُّ الْقُرْآنِيُّ:

﴿... وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

فَلَيْسَ مِنْ أَمْرِهِمْ اخْتِيَارُ الْإِمَامِ، لَأَنَّ هَذَا أَضْلًا هُوَ أَمْرُ اللَّهِ. وَهُوَ حُكْمٌ
شَرْعِيٌّ كَسَائِرِ الْأَحْكَامِ لَا اجْتِهَادَ فِيهِ، بَلْ هُوَ خَاضِعٌ لِلنَّصِّ، وَإِنَّمَا يَتَشَاوَرُونَ
فِي كَيْفِيَّةِ تَنْفِيذِهِ، وَفِي أَحْسَنِ السُّبُلِ لِتَحْقِيقِهِ!

الْآنَ قَلْبَتُمُ الْمُعَادِلَةَ فَجَعَلْتُمُ التَّشْرِيعَ مِنْ شُؤْنِكُمْ وَعَلَى اللَّهِ التَّنْفِيزُ. وَهُوَ
الْمَلُومُ لَوْ قَوَّعَ الْفِتْنَ وَعَدَمَ وَفَائِهِ بِوَعْدِهِ!

فَمَنْ مِنَ الْخَلْقِ أَكْفَرُ مِنْكُمْ وَمَنْ مِنْهُمْ أَظْلَمُ مِنْكُمْ؟

لَا تَحْسِبُوا أَنَّ الْمُنْكَرِينَ لَوْجُودِ اللَّهِ وَالْمُنْتَظِرِينَ لِعِقَابِهِ مَادِيَّةٌ أَظْلَمُوا وَأَكْفَرُوا مِنْكُمْ!

بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهُ الْأَظْلَمُ وَالْأَكْفَرُ!!

وَهَذَا لَيْسَ قَوْلِي، بَلْ هُوَ قَوْلُ اللَّهِ. لِأَنَّ ذَاكَ يُنْظَرُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ وَيَعْتَرَفُ أَنَّهُ

لَا يَعْمَلُ بِشَرْعِ اللَّهِ!

أَمَّا أَنْتُمْ فَتُكَذِّبُونَ عَلَى اللَّهِ لِأَنَّكُمْ تَتَعَامَلُونَ مَعَ شَرْعِهِ وَتَجْعَلُونَ مَا يَخْصُهُ مِنْ جُمْلَةِ صَلَاحِيَّاتِكُمْ فَتُكَذِّبُونَ عَلَى اللَّهِ عِلَاقَةً عَلَى كِذْبِكُمْ عَلَى الْخَلْقِ.

وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ إِلَى أَبْعَدِ حَدٍّ وَأَنْتُمْ سَتَسْرِقُونَ كُلَّ فِكْرَةٍ لِلْحَقِّ وَتُلْبَسُونَ بِهَا الْبَاطِلَ. وَلَكِنْ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ هَدَاهُ بِكَلَامِي هَذَا أَوْ بغيرِهِ وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَزِيدَهُ إِنْمَاءً زَادَهُ إِنْمَاءً بِهِ أَوْ بغيرِهِ.

إِنَّ الَّذِينَ يَدْخِلُونَ آرَاءَهُمْ فِي الشَّرْعِ هُمْ الْأَظْلَمُ، لِأَنَّهُمْ افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا. قَالَ تَعَالَى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُغْنِي عَنْ الظَّالِمِينَ﴾

[الأنعام: ٢١].

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذِينَ حَرَّمَ أَمْ الْآنُسَيْنِ أَمْ أَسْتَمَلْتُ عَلَيْهِمْ أَزْهَامًا الْآنُسَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّلَكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ
الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ
مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ
مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢].

وَهَا أَنْذَا ذَكَّرْتُمْ بِهَذَا فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ فَلَا أَظْلَمَ مِنْكُمْ:
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذَكَرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾
[السجدة: ٢٢].

ذَكَّرْتُمْ يَا قَوْمُ إِنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الْإِسْلَامُ.. فَأَسْلِمُوا لِلَّهِ تَدْخُلُوا الْإِسْلَامَ.
وإِنْ حَكَمْتُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ قَبْلِ أَنْفُسِكُمْ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ فِي حُكْمِ اللَّهِ وَرَعَمْتُمْ
أَنْكُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ الْخَلْقِ:
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ﴾ [الصف: ٧].

فَمَنْ حَكَمَ عَلَى شَيْءٍ أَوْ فِي شَيْءٍ بِغَيْرِ حُكْمِ اللَّهِ أَوْ سَبَقَهُ فِي الْحُكْمِ فَقَدْ خَرَجَ
مِنَ الْإِسْلَامِ سَوَاءً أَكَانَ مِنْ طَائِفَةِ تُدْعَى الشَّيْعَةُ أَوْ طَائِفَةِ تُدْعَى السُّنَّةُ أَوْ طَائِفَةِ
تُدْعَى النَّصَارَى أَوْ طَائِفَةِ تُدْعَى الْيَهُودُ أَوْ آيَةٍ طَائِفَةٍ ارْتَبَطَتْ بِرَسُولٍ وَكِتَابٍ مُنْزَلٍ.
◀ ٦ - أَمْ هُوَ قَوْلُهُ ﷺ:

«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي وَيَمُوتَ مِيتَتِي وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ الَّتِي وَعَدَنِي رَبِّي وَهِيَ
جَنَّةُ الْخُلْدِ فَلْيَتَوَلَّ عَلَيَّ مِنْ بَعْدِي وَدُرَّتِي مِنْ بَعْدِي فَإِنَّهُمْ لَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بَابِ
هُدًى وَلَنْ يُدْخِلُوكُمْ بَابَ ضَلَالَةٍ»^(١).

(١) كنز العمال ج ٦ / ١٥٥ / ج ٨ / ٢٥٧ - الإصابة / ت زياد بن مطرف / القسم الأول.

وَفِيهِ وَفِي هَذَا الْمَظْمُونِ ذَاتِهِ نصوصٌ أُخْرَى (١).

أَقُولُ: بِهَذَا قَامَتْ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ!

وإنْكَارُ هَذَا هُوَ إنْكَارٌ لِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ. إِنَّ مَفْهُومَ حُجَّةِ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ هُوَ لُبُّ التَّوْحِيدِ كَيْمَا يُنْسَبُ الْاِخْتِلَافُ وَكُلُّ شَرٍّ نَاتِجٍ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمْ عَصَوْا الْأَوَامِرَ الْإِلَهِيَّةَ.

وَحِينَمَا لَا يَكُونُ هُنَاكَ شَخْصٌ يَحْمِلُ مُهِمَّةَ قِيَادَةِ الْعَالَمِ فَلَا حُجَّةَ لِلَّهِ عَلَى الْخَلْقِ، بَلْ سَتَكُونُ الْحُجَّةُ لِلْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ.

إِنَّ إنْكَارَ الْوَصِيَّةِ لَهُوَ أَشَدُّ كُفْرًا مِنْ إنْكَارِ النُّبُوَّةِ، وَهُوَ كَالْفَرْقِ بَيْنَ مَنْ يُكَذِّبُ بِالدِّينِ كُلِّهِ وَبَيْنَ الَّذِي يَدْخُلُ إِلَى الدِّينِ وَيُكَذِّبُ عَلَى اللَّهِ. فَالْأَخِيرُ أَكْثَرُ جُرْأَةً. وَلِذَلِكَ كَانَ النِّفَاقُ أَشَدَّ مِنَ الْكُفْرِ الْمُعْلَنِ وَأَكْثَرُ عَقُوبَةً.

وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَحْذِيرٌ شَدِيدٌ مِنَ النِّفَاقِ!، بَيْنَمَا هُنَاكَ اسْتِهَانَةٌ وَاضِحَةٌ بِقُوَّةِ الشُّرْكِ الظَّاهِرِ الْمُعْلَنِ. قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

وَلِذَلِكَ فَالنِّفَاقُ يُعْرَفُ مِنْ خِلَالِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَطْ! وَبِهِ وَخَدَهُ يُكْشَفُ النِّفَاقُ، فَلَا يَكْشِفُهُ سِوَاهُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْآتِي.

◀ ٧ - أَمْ هُوَ قَوْلُهُ ﷺ:

«عَلِيٌّ بَابُ عِلْمِي وَمُبَيِّنٌ مِنْ بَعْدِي لِأَمَّتِي مَا أُرْسِلْتُ بِهِ، حُبُّ إِيْمَانٍ وَبُغْضُهُ نِفَاقٍ» (٢).

(١) لاحظ المستدرك ١/٢٨ ج ٣، الكنز/ ح ٢٥٧٧ وح ٣٨١٩.

(٢) كنز العمال ج ٦ / ١٥٦.

أَقُولُ: إِنَّ فَرَّةَ: «أَنْتَ تُبَيِّنُ لَأُمَّتِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ بَعْدِي»^(١) موجودة في
أَحَادِيث أُخْرَى مُسْتَفْلَةٍ.

إِنَّهَا عِبَارَةٌ تُمَثِّلُ مَرْكَزَ الثَّقَلِ فِي فِكْرَةِ التَّوْحِيدِ!
تَأَمَّلْ فِيهَا جَيِّدًا.. تَأَمَّلْ بَعُمَقٍ!
تَفَكَّرْ كَمَا أَمَرَكَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَبْلَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ!
وَلتَسْأَلْ:

لِمَاذَا خَلَقَ اللهُ الْعَالَمَ؟!
لِمَاذَا جَعَلَ الْكَوْنَ بِهَذِهِ السَّعَةِ؟!
مَاذَا يَفْعَلُ اللهُ بِهَذِهِ الْكَوَائِبِ وَالْمَجَرَّاتِ؟!
«بَعْضُ «عُلَمَاءِ» الْمُسْلِمِينَ» يَقُولُونَ: لَا نَذْرِي!
فَلَا أَدْرَاهُمْ اللهُ!!

وَيَقُولُونَ: إِنَّهَا سَتُطَوَّى طَيِّ السَّجَلِ لِلْكِتَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ!
إِذَنْ.. فَهَذَا الْكَوْنَ عَبَثٌ وَلَا مَعْنَى لِيُوجِدَهُ!
إِذَنْ.. فَهَذَا هُوَ عَيْنُهُ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا:
﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

لَقَدْ قَالَ تَعَالَى:
﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ
آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد:
٢١].

(١) المستدرک ج ٣ / ١٢٢ والکترج ٦ / ١٥٦.

إِنَّ الْعَايَةَ هِيَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمَسَاحَاتُ هِيَ الْجَنَّةُ الْمَوْعُودَةُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ
«عَرَضُهَا كَعَرَضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» فَقَطَّ عَلَى التَّشْبِيهِ، بَلْ قَالَ أَيْضًا:
﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

«وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ»، فَالسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ هِيَ عَرَضُ
الْجَنَّةِ. الْعَرَضُ «بِالْفَتْحِ» وَلَيْسَ الْعَرَضُ «بِالضَّمِّ» حَتَّى يَكُونَ لِلْجَاهِلِ أَنْ يَسْأَلَ:
فَكَمْ طَوْلُهَا إِذَنْ؟.

فَالْعَرَضُ هُوَ الْعَرَضُ، فَهِيَ مَعْرُوضَةٌ لِلتَّاهِيلِ مِنْ قَبْلِ الْإِتْقَاءِ بِالتَّسْخِيرِ مُنْذُ
زَمَنِ سَحَابِيٍّ جِدًّا!
فَإِنَّهُ تَعَالَى قَدْ سَخَّرَهَا لَنَا. قَالَ تَعَالَى:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً
وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [النمان: ٢٠].

إِنَّهَا مَسَاحَاتٌ مُؤَهَّلَةٌ لِلِاسْتِعْمَالِ وَمُسَخَّرَةٌ لِتَكُونَ جَنَّةً، وَلَكِنَّهَا غَيْرُ مُسْتَغْلَةٍ
لِلآن!

وَالْكُرَةُ الْأَرْضِيَّةُ بِالنِّسْبَةِ لَهَا مِثْلُ هَبَاءَةٍ بِالنِّسْبَةِ لِلصَّخْرَاءِ.

إِنَّ مِفْتَاحَ السَّيْطَرَةِ عَلَيْهَا هُوَ الْقُرْآنُ!

وَطَرِيقُ الْوَصُولِ إِلَى هَذَا الْمِفْتَاحِ هُوَ التَّسْلِيمُ لِأَوَامِرِ اللَّهِ!

وَطَرِيقُ التَّسْلِيمِ هُوَ إِزَالَةُ الْكِبَرِ وَالْغُرُورِ وَتَظْهِيرِ النَّفْسِ مِنَ الظُّلْمِ!

وَطَرِيقُ هَذَا هُوَ الْإِقْرَارُ بِفَضْلِ الْفَاضِلِ وَحُسْنِ الْحَسَنِ وَقُبْحِ الْقَبِيحِ وَبِحُكْمِ
اللَّهِ لَا بِحُكْمِ نَفْسِكَ وَعَقْلِكَ عَلَى انْفِرَادٍ!.

يُحْكَمْ اللهُ تَعْلَمُ الْفَاضِلَ وَيُحْكَمْ اللهُ تَعْلَمُ الْقَيْحَ وَيُحْكَمْ اللهُ تَعْمَلُ وَبِهِ تَتْلُو
الْقُرْآنَ كِتَابَ اللهِ الَّذِي هُوَ ﴿نَبِيْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]!

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِيءُ بِالْأَذْرَانِ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ لَكَ مَعْرِفَةَ كُلِّ شَيْءٍ!
إِنَّهُ ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ ٧٨ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ [الواقعة: ٧٨-٧٩]
مَفَاتِيحُهُ عِنْدَ أَهْلِهِ.

فَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْ أَهْلِهِ فَعَلَيْكَ أَوَّلًا بِالْاِقْتِدَاءِ بِالْمَلَائِكَةِ!

وَتَرِكَ الْاِقْتِدَاءِ بِإِبْلِيسَ الَّذِي كَانَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ!

الْاِخْتِبَارُ هُنَاكَ جَرَى!

وَسَقَطَ إِبْلِيسُ فِي الْاِخْتِبَارِ!

وَأَنْتَ لَسْتَ بِأَفْضَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى تُعْفَى مِنْ هَذَا الْاِخْتِبَارِ!

أَنْتَ تُخَبِّرُ كُلَّ يَوْمٍ وَكُلَّ لَحْظَةٍ بِنَفْسِ الْاِخْتِبَارِ يَا مُعْقِلُ!

ثُمَّ: أَلَمْ تَسْأَلْ كَيْفَ تَسْجُدُ الْمَلَائِكَةُ لِآدَمَ؟ وَلِمَاذَا لَا يُجْرَى عَلَيْكَ اخْتِبَارٌ
كَهَذَا؟!

بَلَى... لَقَدْ جَرَى!

وَيَجْرِي فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَلِكِنَّكَ تَتَغَافَلُ وَتَضُمُّ أُذُنَكَ وَتَسْتَعْشِي ثِيَابَكَ كَيْ لَا
تَرَى الْمَسْجُودَ لَهُ!

يَا لِحُمُوقِكَ وَغُرُورِكَ وَحُمُقِ أَسْلَافِكَ الَّذِينَ دَاخُوا: كَيْفَ يُخْرَجُونَ السُّجُودَ
لِآدَمَ مِنْ قَبْلِ الْمَلَائِكَةِ؟، وَمَا عَلِمُوا أَنَّ مُجَرَّدَ التَّفَكِيرِ بِالتَّخْرِيجِ هُوَ اقْتِدَاءٌ بِفِعْلِ
إِبْلِيسَ وَمُخَالَفَةٌ لِفِعْلِ الْمَلَائِكَةِ!

مَا يَذَرُونَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا لِمُجَرَّدِ التَّفَكِيرِ بِالتَّخْرِيجِ!

ذَلِكَ لِأَنَّ عُذْرَ إِبْلِيسَ بِقَوْلِهِ: ﴿خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الاعراف: ١٢] لَمْ يُقْبَلْ مِنَ اللَّهِ. وَهُمْ الْآنَ يَتَحْتَوْنَ عَنْ مَعْنَى آخِرِ لِلْسُّجُودِ!

فَكَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِذَا عَرَفْنَا الْعِلَّةَ نَطِيعُ!

وَإِذَنْ فَإِذَا لَمْ يَعْرِفُوهَا عَصَوْا!

لَقَدْ أَضْبَحَ أَمْرُ اللَّهِ عِنْدَهُمْ أَقَلَّ شَأْنًا مِنْ أَوَامِرِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ يَخْضَعُونَ لَهُمْ مُرْغَمِينَ وَلَا يَسْأَلُونَهُمْ عَنِ الْعِلَّةِ وَلَا عَنِ الْمَعْنَى!!

أَضْبَحَ اللَّهُ عِنْدَهُمْ مُجَرَّدَ «صَدِيقٍ» مُزْعَجٍ وَبَعْضُ أَوَامِرِهِ لَا تُفْهَمُ، وَلَيْسَ إِلَهَا يَجِبُ أَنْ يُطَاعَ دَوْمًا سِوَاءَ فُهِمَتْ أَوَامِرُهُ أَمْ لَمْ تُفْهَمْ!!

أَيُّهَا النَّاسُ:

إِنَّ الدِّينَ الَّذِي تُفْهَمُونَ وَالصَّلَاةَ الَّتِي تُقِيمُونَ وَالْعِبَادَاتِ الَّتِي تُؤَدُّونَ لَا شَأْنَ لَهَا وَلَا عِلَاقَةَ لَهَا بِالَّذِينَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ تَحْقِيقُ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا!

الْكَلِمَةُ الَّتِي جَاءَ بِهَا هِيَ «التَّسْلِيمُ»!

التَّسْلِيمُ بِأَنْ لَا مُشَرَّعَ مَعَ اللَّهِ.

والتَّسْلِيمُ يَقُودُ إِلَى فَهْمِ الْكِتَابِ وَظُهُورِ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ!

إِنَّهُ يَقُودُ إِلَى الاعْتِرَافِ وَالْإِقْرَارِ بِوُجُودِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ دَوْمًا وَأَكْثَرُ مِنْكَ طَاعَةً لِلَّهِ فَتَتَسَابَقُ مَعَهُ فِي الطَّاعَةِ وَلَا تَخْشُدُهُ، بَلْ تَأْخُذُ مِنْهُ لِتَرْقَى وَتَرْتَفِعَ!

السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مَعْرُوضَةٌ لِلْخَلْقِ مُنْذُ زَمَنِ سَحِيحٍ! وَقَدْ تَأَخَّرُوا فِي تَأْهِيلِهَا لِأَنَّهُمْ رَفَضُوا الْإِدْعَانَ لِلَّهِ وَاعْتَمَدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ. فَالطَّبِيعَةُ تَنْتَقِمُ مِنْهُمْ

لَأَنَّهَا مُصَمِّمَةٌ أَضْلًا بِخِلَافِ هَذَا التَّصْمِيمِ، إِنَّهَا مُصَمِّمَةٌ لِتَوَاجِهَةِ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ!. وَمَا مَعَاجِزُ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا إِشَارَةٌ لِقُدْرَةِ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ عَلَى تَسْخِيرِ الْكَائِنَاتِ

وَالسَّيْطَرَةِ عَلَى الْمَوْجُودَاتِ!

لَقَدْ تَأَخَّرُوا كَثِيرًا وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى :

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وَقَالَ تَعَالَى :

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

إِنَّهُ كِتَابٌ إلهيٌّ تُقَطَّعُ بِهِ الْأَرْضُ وَتُنْقَلُ بِهِ الْجِبَالُ وَيُحْيَى بِهِ الْمَوْتَى . .

فَمَنْ يَكْشِفُ عَنْ أَعْيَادِهِ وَمَنْ الَّذِي يَعْمَلُ بِهِ؟

إِنَّهُ الْإِمَامُ الَّذِي يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ .

أَمَّا هَذَا «الْكَاتِبُ» فَإِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ هُمُ الَّذِينَ ابْتَدَعُوا هَذِهِ الْفِكْرَةَ لِإثْبَاتِ وجودِ الإمام، أي فِكْرَةَ مَعْرِفَةِ الْكِتَابِ!

فَأُخْرِجْ لَنَا أَيُّهَا الْمُنَافِقُ عِلْمَكَ أَنَّتَ بِالْكِتَابِ حَتَّى تُزِيلَ بِهِ اخْتِلَافَ الْأُمَّةِ، وَتُظْهِرَ بِهِ الرَّحْمَةَ!

فَإِنَّهُ تَعَالَى قَالَ عَنْهُ إِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ . وَالْآنَ فَإِنَّ الْعَالَمِينَ لَا تَعِيشُ رَحْمَةَ الْكِتَابِ، بَلْ تَعِيشُ فِي الظُّلْمِ وَالْاضْطِهَادِ!

إِنَّ إِيْمَانَنَا بِالْإِمَامِ يُفَسِّرُ لَنَا ذَلِكَ كُلَّهُ . وَنَبْقَى مُؤْمِنِينَ بِالْكِتَابِ لِأَنَّا نُوْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِاتِّبَاعِ قَوْمٍ اضْطَفَّاهُمْ لِحَمْلِ الْكِتَابِ فَعَصَاهُمْ النَّاسُ وَبَدَّلُوا وَحَرَّفُوا وَكَذَّبُوا عَلَيْهِمْ وَقَتَلُوهُمْ .

فَالشَّرُّ قَدْ جَاءَ مِنْ قِبَلِ النَّاسِ وَرَبُّنَا بَرِيءٌ مِنْهُ، بَلْ هُوَ تَعَالَى قَائِمٌ بِالْقِسْطِ وَنَشْهَدُ لَهُ بِذَلِكَ كَمَا أَمَرَ:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا قَوْمِيَّتٌ لِلّٰهِ شُهَدَآءٌ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَآ أَلَّا تَعْدِلُوْا أَعْدِلُوْا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ حَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ﴾ [المائدة: ٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ:

﴿شَهِدَ اللّٰهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَابِٔمَا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيْزُ الْعَكِيْمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وَأَنْتَ بِالتَّكْيِيْدِ لَسْتَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَلَا مِنْ أَوْلِي الْعِلْمِ! لَأَنَّكَ تَعْتَبِرُ الْاِخْتِلَافَ وَعَدَمَ إِمْكَانِيَةِ التَّأْوِيلِ صِفَةً فِي النَّصِّ لَا بِسَبَبِ انْجِرَافِ الْخَلْقِ وَسُوءِ نَوَايَاهُمْ، وَلَا تَشْهَدُ لِلّٰهِ بِالْقِسْطِ مُطْلَقًا، بَلْ كُلُّ أَقْوَالِكَ هِيَ اتِّهَامٌ لِلّٰهِ. فَأَنْتَ قَدَرِيٌّ مَّرْجِيٌّ حَرُورِيٌّ مُنَافِقٌ كَافِرٌ!

فَانْظُرْ أَخِي الْقَارِئُ:

إِنَّ عِبَارَةَ النَّبِيِّ ﷺ «عَلَيَّ يَبِيْنُ لِأُمْتِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ بَعْدِي» هِيَ عِبَارَةٌ تُعَادِلُ الشَّهَادَتَيْنِ مَعًا!

إِذْ لَوْلَاهَا فَلَا مَعْنَى لِلدِّينِ، وَلَا مَعْنَى لِلتَّبْلِيغِ، وَلَا مَعْنَى لِلرُّسَالَةِ! لَأَنَّ الْاِخْتِلَافَ إِذَا كَانَ وَاقِعًا عَمَلِيًّا وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَزُولَ نَظَرِيًّا قَطْ فَإِنَّ إِزْسَالَ الرُّسُلِ هُوَ عَبَثٌ فِي عَبَثٍ.

فَوْجُودٌ مِنْ يَبِيْنُ الْاِخْتِلَافِ هُوَ حُجَّةٌ لِلّٰهِ عَلَى الْخَلْقِ. فِيهِ وَخْدُهُ يُدْخِلُهُمُ النَّارَ وَبِهِ يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ!

الْمَسْأَلَةُ إِذْنٌ لَا تَرْتَبِطُ بَعْلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَاسِمٍ لَشَخْصٍ مُعَيَّنٍ!، بَلْ إِنَّهَا تَرْتَبِطُ بِأَمْرِ إِلَهِيٍّ مَنْ شَكَّ بِهِ فَقَدْ كَفَرَ كَاثِنًا مَنْ كَانَ إِسْمُ الْإِمَامِ الَّذِي يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ وَيُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِهِ!

نَحْنُ نَعْبُدُ اللّٰهَ وَنُطِيعُ اللّٰهَ فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَنْتُمْ تُطِيعُونَ أَشْخَاصًا

آخِرِينَ فِي اللّٰهِ!

فَالْفَرْقُ بَيْنَنَا إِذَنْ هُوَ عَيْنُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَابْلِيسَ!
نَحْنُ نَتَّبِعُ الْأَمْرَ الْإِلَهِيَّ فِي عَلَيٍّ، وَأَنْتُمْ تَتَّبِعُونَ الْأَشْخَاصَ وَتَعْبُدُونَهُمْ
لِلتَّوَضُّعِ إِلَى الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ.

أَنْتُمْ تُطِيعُونَ أَشْخَاصًا لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ بِطَاعَتِهِمْ! بَلْ أَمَرَ بِالْكَفْرِ بِهِمْ لِأَنَّهُمْ
الطَّاغُوتُ الَّذِي يُرِيدُ الاسْتِحْوَاذَ عَلَى الْأَمْرِ مِنْ دُونِ بَيَانِ شَرْعِيٍّ وَاضِحٍ!
فَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأَتُونَا بِحَدِيثٍ وَاحِدٍ عَنْ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ أَوْ آيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ
الْقُرْآنِ أَجْمَعَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ أَنَّهَا تَأْمُرُ بِطَاعَتِهِمْ!
◀ ٨ - أَمْ هُوَ قَوْلُهُ ﷺ :

«مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ أَطَاعَ عَلِيًّا فَقَدْ
أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَى عَلِيًّا فَقَدْ عَصَانِي»^(١).
الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ يَقُولُ: هَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ
يُخْرِجَاهُ!

فَهُوَ لَا يَقُولُ عَلَى شَرْطِ الْقُرْآنِ كَمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ حَيْثُ قَالَ:
«مَا جَاءَكُمْ عَنِّي فَأَعْرِضُوهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فَمَا وَافَقَهُ فَقَدْ قُلْتُهُ وَمَا لَمْ يُوَافِقْهُ
فَاضْرِبُوا بِهِ عُرْضَ الْحَاظِطِ».
تُرَى: لَوْ ظَهَرَ الشَّيْخَانِ كَافِرِينَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَمَنْ يُنْقِذُ هَذِهِ الْأُمَّةَ مِنَ
الضَّلَالِ؟!!

شَيْخَانِ يَأْتِيَانِ فِي الزَّمَانِ بَعْدَ النَّبِيِّ بِثَلَاثَةِ قُرُونٍ يَحْكُمَانِ فِي النَّصِّ الرَّسَالِيِّ
وَيَضْطَرُّنِ الْحَاكِمَ لَتَمْرِيرِ النُّصُوصِ الَّتِي لَمْ يُخْرِجَاهَا إِلَى تَطْيِيقِ شُرُوطِهَا عَلَيْهَا
وَالِإِذْنِ لَهَا بِالْمُرُورِ إِلَى الْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ!

(١) مستدرک الحاكم ج ٣ / ١٢١. وَقَالَ: صحيح على شرط الشيخين! كَذَلِكَ صرح
الذهبي في التلخيص.

لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا إِلَّا هَذَا فَأَنْتُمْ كُفَّارٌ لَّأَنْتُمْ تَرَكْتُمْ الْقُرْآنَ وَرَاءَكُمْ وَنَبَذْتُمُوهُ
وَاشْتَرَيْتُمْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ .

ثُمَّ أَفَرَزْتُمْ بِشُرُوطِكُمْ صِحَّةَ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي يَجْعَلُ طَاعَةَ عَلِيٍّ هِيَ طَاعَةُ
الرَّسُولِ وَطَاعَةُ الرَّسُولِ طَاعَةُ اللَّهِ وَعِصْيَانُهُ عِصْيَانًا لَهُمَا ، وَمَعَ ذَلِكَ تُشْرِكُونَ مَعَ
عَلِيٍّ أَضْنَامَكُمْ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَقِيَادَةِ الْأُمَّةِ ! .

فَأَتُوا بِحَدِيثٍ آخَرَ يَجْعَلُ طَاعَةَ الْأَضْنَامِ الَّتِي تَعْبُدُونَ كَطَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى
تُبَرِّرُوا شِرْكَكُمْ .

فَمَا لَكُمْ لَا هَذَا كُمْ اللَّهُ اجْتَمَعَتْ فِيكُمْ الصِّفَتَانِ : الْعِصْيَانُ وَالْعِبَاءُ !
ثُمَّ يَأْتِي هَذَا الْكَاتِبُ «بَعْدَمَا رَأَوْا الْآيَاتِ» فَيَزَعُمُ أَنَّ عَلِيًّا مُرْشِحُ خِلَافَةٍ !!
بَلْ أَنْتَ الْمُرْشِحُ إِلَى جَهَنَّمَ مَا لَمْ تَتَذَارَكَ نَفْسَكَ بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ .
◀ ٩ - أَمْ هُوَ قَوْلُهُ ﷺ :

«مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فَقَدْ أَبْغَضَنِي»^(١) .
أَقُولُ : الْكَثِيرُونَ لَمْ يُدْرِكُوا مَرَامِي هَذَا النَّصِّ ! ، فَإِنَّ الْحُبَّ أَضْلَى لِلَّهِ
وَلِرَسُولِهِ وَكُلُّ مَنْ هُوَ غَيْرُهُمَا عِرْضَةٌ لِلخَطَا وَالْمَعْصِيَةِ ، فَيَكُونُ الْبُغْضُ مُبَرَّرًا
مَهْمَا كَانَتْ مَنَازِلُهُمْ . لَكِنَّ حُبَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْإِجْمَالِ وَعَلَى الْجَمْعِ وَاجِبٌ
مَعْلُومٌ . لَكِنَّ حُبَّ الْأَفْرَادِ فَرْدًا فَرْدًا لَا يَأْمُرُ بِهِ الشَّارِعُ لِأَنَّهُ فَوْقَ طَاقَةِ الْإِنْسَانِ
إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمَأْمُورُ لَا مُبَرَّرَ لَهُ مُطْلَقًا لِلْبُغْضِ كَمَا فِي حَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
فَالرَّسُولُ ﷺ لَا يَمْكِنُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَبْغِضَهُ حَتَّى لَوْ كَانَ عَلَى غَيْرِ دِينِهِ ، وَبِهِ
اِحْتِجَّ اللَّهُ عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ ، إِذْ يَسْتَحِيلُ صُدُورُ شَيْءٍ مِنْهُ يُؤَدِّي إِلَى الْبُغْضِ .

(١) صحيح مسلم ج ١ / كتاب الإيمان ٤٦ . وأخرجه الحاكم أيضًا قَالَ : وَهُوَ صَحِيحٌ عَلَى
شَرَطِ الشَّيْخَيْنِ !!

وَمَا ذَكَّرُوهُ عَنْ صَدُورِ لِمَثَلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ كَالْأَخْطَاءِ وَالنِّسْيَانِ فَهِيَ مِنْ وَضْعِ قَوْمٍ
أَعْدَاءٍ مُبْغِضِينَ .

وَالنَّاتِجُ أَنَّ الَّذِي يَبْغُضُ النَّبِيَّ هُوَ شَخْصٌ مُنْحَرِفٌ أَخْلَاقِيًّا وَسُلُوكِيًّا .
فَالْقَضِيَّةُ هُنَا لَا عِلَاقَةَ لَهَا بِالْعَقَائِدِ وَالْأَفْكَارِ ، وَإِنَّمَا هِيَ مَشَاعِرُ الْحُبِّ وَالْكُرْهِ .

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ نَفْسَ النَّبِيِّ وَرُوحَهُ وَبَدَنَهُ مِمَّا يَكُونُ مَحْبُوبًا جِدًّا كَالرَّائِحَةِ
الزَّكِيَّةِ لَا يَبْغُضُهَا أَحَدٌ ، لِأَنَّ الْمَعْدُومَ الْإِحْسَاسِ لَهَا لَا يُحِبُّهَا وَلَكِنَّهُ أَيْضًا لَا
يَبْغُضُهَا لِأَنَّهُ لَا يَشُمُّ الرَّائِحَةَ . فَالْمَجْنُونُ وَالْمَرِيضُ فِي بَدَنِهِ وَعَقْلِهِ لَا يَبْغُضُ
النَّبِيَّ وَإِنْ كَانَ لَا يُحِبُّهُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَتْ لَدَيْهِ مَشَاعِرُ الْحُبِّ وَالْبُغْضِ عَلَى هَذَا
الْفَرَضِ .

أَمَّا الَّذِي يَبْغُضُ النَّبِيَّ ﷺ فَهُوَ شَخْصٌ عُدَوَانِيٌّ مَرِيضُ النَّفْسِ وَجَبَّارٌ
مُسْتَكْبِرٌ . وَهُوَ لَيْسَ عَدُوًّا لِلنَّبِيِّ وَحْدَهُ ، بَلْ هُوَ عَدُوٌّ لِدَوْدَ لِكُلِّ النَّاسِ بِمَا فِي
ذَلِكَ أَغْوَانُهُ وَأَضْدَاقُهُ وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ .

أَلَا تَرَى الْجَبَّارَةَ يَغْدُرُونَ بِأَخْوَانِهِمْ وَأَبَاءِهِمْ وَعَشِيرَتِهِمْ وَيَجْعَلُ اللَّهُ الظَّالِمِينَ
بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؟ أَفَلَا تُبْصِرُونَ؟

وَمَا كَانَ ﷺ لِيُقَرَّنَ حُبَّ عَلِيٍّ بِحُبِّهِ وَبُغْضُهُ بِبُغْضِهِ لَوْلَا أَنَّ صِفَاتِ عَلِيٍّ هِيَ
نَفْسُ صِفَاتِ النَّبِيِّ . وَلِذَلِكَ قَالَ لَهُ : «أَخْصِمُكَ بِالنَّبِوَّةِ فَلَا نَبِوَّةَ بَعْدِي» .

يَتَفَوَّقُ عَلَيْهِ إِذَنْ بِرُبُوبَةِ النَّبِوَّةِ فَلَا نَبِوَّةَ بَعْدَهُ . أَمَّا غَيْرُهَا فَقَدْ قَرَنَهُ فِيهَا بِنَفْسِهِ فِي
كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى جَعَلَهُ الْقُرْآنُ مِنْهُ كَنَفْسِهِ فِي آيَةِ الْمُبَاهَلَةِ الشَّهِيرَةِ وَالَّتِي تَهَرَّبُ
الكَاتِبُ الْمُنَافِقُ الْحَرُورِيُّ الْقَدْرِيُّ مِنْهَا وَلَمْ يَذْكُرْهَا لَا هِيَ وَلَا كُلُّ الْآيَاتِ
النَّازِلَةِ فِي عَلِيٍّ وَالبَالِغَةُ خَمْسَمِائَةِ آيَةٍ ! .

فَكَمْ سَتَكْذِبُ مِنْهَا أَيُّهَا الْأَفَّاكُ؟

كَذَّبَ إِنْ شِئْتَ بِأَرْبَعَمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ آيَةً . . . فَمَاذَا تَفْعَلُ لآيَةِ الْوَلَايَةِ؟

أَمْ سَتَقُولُ إِنَّ أبا بَكْرٍ أَيْضًا نَزَعَ خَاتِمَهُ وَأَعْطَاهُ حَالَ الرُّكُوعِ؟

وَمَاذَا تَفْعَلُ لآيَةِ الْفَاسِقِ؟

وَمَاذَا تَفْعَلُ لآيَةِ: وَيُطْعَمُونَ الطَّلَامَ عَلَى حُبِّهِ . . ؟

وَمَاذَا تَفْعَلُ لآيَةِ: الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ؟

وَمَاذَا تَفْعَلُ لآيَةِ الْمُجَاهِدِينَ؟

وَمَاذَا تَفْعَلُ لآيَةِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ؟

مَاذَا تَفْعَلُ لِعَشْرِ آيَاتٍ فَقَطْ أَقَرَّ أَصْحَابُ الشُّورَى أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ!

لأنَّه إِذَا بَقِيَتْ آيَةٌ وَاحِدَةٌ فَهِيَ حُجَّةٌ عَلَيْكَ وَعَلَى كُلِّ الْخَلْقِ!

يَا هَذَا: إِنَّ غَايَةَ الدِّينِ لَيْسَتْ أَنْ يَكُونَ فُلَانٌ حَاكِمًا وَعِلَّانٌ مَحْكُومًا!

إِنَّ غَايَةَ الدِّينِ هِيَ أَنْ يَتَمَيَّزَ فَرِيقَانِ: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي النَّارِ لِأَنَّ

«الْآخِرَةُ هِيَ دَارُ الْحَيَاةِ» لَا الدُّنْيَا!

وَبِعَلِيٍّ وَخَدَهُ يَحْدِثُ التَّمْيِيزُ فَتَرْوَحُ بِإِذْنِ اللَّهِ إِلَى الْجَنَّةِ وَتَذْهَبُ أَنْتَ

وَأَصْحَابُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَى جَهَنَّمَ.

◀ ١٠ - أَمْ هُوَ قَوْلُهُ ﷺ:

«الْأَمَّةُ مِنْ بَعْدِي إِثْنَا عَشَرَ أَوَّلُهُمْ عَلِيٌّ وَآخِرُهُمُ الْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَفْتَحُ

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى يَدَيْهِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا»^(١).

أَقُولُ: هُنَا يَظْهَرُ مَكْرُ الْمَاكِرِينَ . .

(١) إكمال الدين/ ١٤٩.

فَهَذَا النِّصُّ يَنْصَمُنُ الْإِشَارَةَ إِلَى قَضِيَّتَيْنِ مُتْرَابَتَيْنِ :

الأولى : إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِ عليه السلام إِثْنَا عَشَرَ .

الثانية : إِنَّ أَوْلَهُمْ عَلَيَّ وَآخِرُهُمُ الْمَهْدِيُّ .

فَالْحَدِيثُ بِهَذِهِ الصُّورَةِ يُلْغِي وَيُبْطِلُ خِلَافَةَ أَيِّ مَخْلُوقٍ عِدا هَؤُلَاءِ .

فَمَاذَا يَفْعَلُونَ؟

سَيَذْكُرُونَ هَاتَيْنِ الْقَضِيَّتَيْنِ ، وَلَكِنْ كُلُّ وَاحِدَةٍ عَلَى انْفِرَادٍ!!

وَهَكَذَا كَانَ!

فَقَدْ أَخْرَجَ «أَهْلُ الشُّرَى» حَدِيثَ الْأَئِمَّةِ الْإِثْنِي عَشَرَ وَلَكِنْ مِنْ غَيْرِ إِشَارَةٍ

إِلَى أَنَّ أَوْلَهُمْ عَلَيَّ!

وَهَذَا ضَرُورِيٌّ إِذْ بَدَوْنِهِ تَسْقُطُ شَرْعِيَّةُ الثَّلَاثَةِ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَتَتَّبِعُهُمْ
أَوْثَانُ أُمِّيَّةٌ كُلُّهَا! بَلْ تَتَّبِعُهُمْ كُلُّ أَوْثَانِ الْأَرْضِ ، لِأَنَّهَا لَمْ تَطْهَرْ مِنْهُمْ بِسَبَبِ إِبْعَادِ
عَلَيٍّ عَنِ الْأَمْرِ .

وَأَخْرَجُوا أَحَادِيثَ الْمَهْدِيِّ!

أَخْرَجُوهَا بِالْمِائَاتِ وَلَكِنْ بَعْدَ «فَلْتَرَةً» وَ «غَرْبَلَةٍ» لَهَا بِحَيْثُ لَا تَتَّصِلُ بِعَلَيٍّ إِلَّا
مِنْ نَسَبٍ بَعِيدٍ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ «مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ»!

وَمَا دَرَى هَؤُلَاءِ الْحَقْمَى أَنَّ الْمَوْضُوعَ كُلَّهُ يَدُورُ عَنِ اللَّهِ وَعَنِ الشُّعَارِ نَفْسِهِ
«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الْمَهْدِيُّ يَلِدُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَوْجُودُ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ
وَالظُّلْمِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ مُوجَلٌّ بِأَمْرِ إِلَهِيٍّ!

وَهَذَا مَا سَمِعْتُهُ بِأَذْنِي - وَإِلَّا صُمَمًا - فِي دَوْلَةٍ أَعْجَنِيَّةٍ فِي مُنَاقَشَةٍ مَعَ
«فِيلْسُوفٍ مَارْكَسِيٍّ» حَيْثُ قَالَ :

«حَتَّى لَوْ اعْتَقَدْنَا بِوُجُودِ اللَّهِ فَهُوَ إِلَهٌ ظَالِمٌ يَرَى الْخَلْقَ يُعَذِّبُونَ فَلَا يَفْعَلُ

شَيْئًا»!!

ولا يَمَكِّنُ الرُّدَّ عَلَى هَذَا الاعتراضِ إِلَّا بِالشَّهَادَةِ لِلَّهِ بِالْقِسْطِ مِنْ خِلَالِ
وجودِ الْحُجَّةِ. وَمَا سَمَّاهُ أَهْلُ الْبَيْتِ بِالْحُجَّةِ إِلَّا لِلرَّبِّطِ مَعَ الْأَصْلِ الدِّينِيِّ أَيْ
الْعَدْلِ.

فَالزَّعْمُ بِأَنَّ أَهْلَ الْقَبْلَةِ - الْمُعْتَزِلَةَ وَالسُّنَّةَ وَالشَّيْعَةَ - يَجْمَعُهُمْ إِسْمٌ وَاحِدٌ هُوَ
«الْعَدْلِيَّةُ» إِنَّمَا هُوَ أَكْذُوبَةٌ!.

ولا يُوجَدُ فِي الْوَاقِعِ أَكْثَرُ ضَرَرًا عَلَى مَبَادِي أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ مِنْ كَلِمَاتٍ
وَشُرُوحٍ بَعْضِ «عُلَمَاءِ» طَائِفَةِ الشَّيْعَةِ!

إِنَّهُمْ يَتَحَدَّثُونَ كَمَا يَخْلُو لَهُمْ وَيُسَمُّونَ الْمُعْتَزِلَةَ عَدْلِيَّةً!

عَنْ أَيِّ عَدْلٍ تَتَحَدَّثُونَ؟

إِنَّ الْمُنْكَرَ لِلتَّسْلُسِ الْمُتَرَابِطِ بَيْنَ الْحُجَجِ مُنْكَرٌ لِلْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ!

وَالْأَمْرُ لِمَاذَا يُقَرَّرُ أَنَّ اللَّهَ أَنْ يَخْلُقَ كَائِنًا إِسْمُهُ الْمَهْدِيُّ بَعْدَ أَنْ تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ ظُلْمًا
وَجَوْرًا؟ أَلَيْسَ هَذَا هُوَ قَوْلُ الْعَدْلِيَّةِ؟

أَصْبَحَ اللَّهُ - وَحَاشَاهُ - عِنْدَكُمْ جَلَادًا مِنْ جَلَادِي دَوَائِرِ الْأَمْنِ!

فَبَعْدَ أَنْ يَرَى الْخَلْقُ مُعَذِّبِينَ وَقَدْ بَلَّغُوا حَالَ الْيَأْسِ وَهُمْ يَتَوَسَّلُونَ إِلَيْهِ فِي
إِنْقَادِهِمْ يُنْقَذُهُمْ!

أَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْكُفْرُ بِعَيْنِهِ وَلَحْمِهِ وَدَمِهِ؟!!

لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْحُجَّةُ مَوْجُودًا دَوْمًا وَالْخَلْقُ مُعْرِضُونَ دَوْمًا!

لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ رَحِيمًا دَوْمًا وَالْخَلْقُ هُمْ الظَّالِمَةُ!

لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ حُجَّةُ اللَّهِ قَائِمَةً دَوْمًا، وَهُوَ يَنْتَظِرُ رَجُوعَ الْخَلْقِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ
وَلَيْسَ الْخَلْقُ هُمْ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ مِنْهُ أَنْ يُنْقَذَهُمْ!

وَحِينَمَا يَأْمُرُ الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ الْخَلْقَ أَنْ يَدْعُو لَهُ بِالْفَرَجِ فَهَوُ يُعْلِمُهُمْ مِنْ خِلَالِ الدُّعَاءِ أَنَّ السَّبَبَ رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ لِأَنَّ هَذَا الْمَطْلَبَ يَتِمُّ دَوْمًا بَعْدَ أَنْ يَشْهَدَ الْعَبْدُ عَلَى نَفْسِهِ بِالظُّلْمِ .

أَلِهَذَا خَتَمَتْ صَحَائِفُكَ السَّودَاءُ بِالتَّشْكِيكِ بِدُعَاءِ الْإِفْتِيَاكِ ؟
طَبْعًا أَيُّهَا الْمُنَافِقُ لَا يُعْجِبُكَ دُعَاءُ الْإِفْتِيَاكِ لِأَنَّكَ لَا تُقَرُّ بِوُجُودِ ذَنْبٍ لَكَ !!
وَكَيْفَ يُقَرُّ الْمُنَافِقُ بِالذَّنْبِ وَالدُّعَاءُ مَلِيٌّ بِمِثْلِ هَذَا الْإِفْرَارِ وَالتَّنْزِيهِ لِلْخَالِقِ تَعَالَى ؟

مَا دَرَى أَشْيَاخُكَ حَيْثُ فَصَلُوا النَّصَّ النَّبَوِيَّ الشَّرِيفَ إِلَى نِصْفَيْنِ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِهَذَا الْفَضْلِ !

لِأَنَّ حُجَّةَ اللَّهِ فِي النَّصِّ هِيَ فِي أَلْفَاظٍ : «بَعْدِي - أَوَّلُهُمْ - آخِرُهُمْ» ،
وَالتَّسْلُسُ الزَّمَنِيُّ هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ الْخَلْقَ ظَالِمِينَ ، وَاللَّهُ بَرِيءٌ مِنْ ظُلْمِهِمْ .
وَأَيَّةٌ مُعَادَلَةٌ أُخْرَى أَوْ تَغْيِيرٌ لِهَذَا التَّرْتِيبِ يُفْضِي إِلَى الشُّرْكِ ثُمَّ إِلَى الْكُفْرِ .
فَهَلْ فَهَمُّ هَذَا مِنْ مُغْضَلَاتِ الْمَسَائِلِ الْفَلَسَفِيَّةِ ؟

لَقَدْ أَكَّدَ أَهْلُ الْبَيْتِ ﷺ عَلَى مَوْضُوعِ الْاِخْتِجَاجِ الْإِلَهِيِّ عَلَى الْخَلْقِ لِأَنَّهُ جَوْهَرُ الْاِعْتِقَادِ بِالْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ . فَكُلُّ هَذِهِ الْفَنَائِ الْمُدَّعِيَةِ لِلْإِيمَانِ بِالْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ كَاذِبَةٌ وَالْفِكْرَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي تُجَسِّدُ الْعَدْلَ الْإِلَهِيَّ هِيَ فِكْرَةُ دَوَامِ حُجَّةِ اللَّهِ !

لَقَدْ دَعَا ﷺ النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْفِكْرَةِ . . . فَإِذَا آمَنُوا بِهَا وَعَرَفُوا الْحَقَّ عَرَفُوا مَنْ هُوَ الْحُجَّةُ !

أَمَّا رَفْضُ الْفِكْرَةِ أَسَاسًا فَلَيْسَ مِنْ بَعْدِهِ ضَرُورَةٌ لِأَيِّ بُرْهَانٍ عَلَى إِمَامَتِهِمْ .
وَهَلْ يُنْبِئُ الْعَاقِلُ الْإِمَامَةَ لِشَخْصٍ كَافِرٍ أَضَلَّ بِاللَّهِ ؟

هَذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ أَقْوَالِهِمْ عليه السلام فِي اسْتِمْرَارِ وجودِ الْحُجَّةِ:

الأول: عَنْ كَمِيلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا عليه السلام يَقُولُ فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَا تُخْلِي الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا ظَاهِرًا أَوْ خَائِفًا مَغْمُورًا لَيْلًا تَبْطُلُ حُجْبُكَ وَيَبْيَأُنَاثُكَ».

قَالَ الصَّدُوقُ: لِهَذَا الْحَدِيثِ طُرُقٌ كَثِيرَةٌ. وَذَكَرَ مِنْ نَحْوِ ثَلَاثَةِ نصوصٍ أُخْرَى مِثْلَهُ. / عَنْ الْبَحَارِ ج ٢٣ / ٤٤.

الثاني: عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ لَكُمْبِيلٍ وَقَدْ خَرَجَ بِهِ إِلَى ظَهْرِ الْكُوفَةِ: «يَا كُمْبِيلُ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا. إِحْفِظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: عَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ وَهَمَّجٌ رُعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ فَيَهْتَدُوا وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ فَيَنْجُوا. يَا كُمْبِيلُ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَخْرِسُكَ وَأَنْتَ تَخْرِسُ الْمَالَ...».

إِلَى أَنْ يَقُولَ:

كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ، اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّتِهِ إِلَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا أَوْ خَائِفًا مَغْمُورًا لَيْلًا تَبْطُلُ حُجْبُكَ اللَّهُ وَيَبْيَأُنَاثُ، وَكَمْ ذَا وَابْنٍ أَوْلَيْكَ؟ أَوْلَيْكَ وَاللَّهُ الْأَقْلُونَ عَدَدًا وَالْأَعْظَمُونَ قَدْرًا^(١).

أَقُولُ: قَوْلُهُ عليه السلام: «الْأَقْلُونَ عَدَدًا» مُرْتَبِطٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣].

وَيَقُولُهُ تَعَالَى:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ١٠-١١].

(١) إكمال الدين.

إلى قوله :

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة: ١٣-١٤] .

وَلَمَّا كَانَ قَدْ اسْتَعْمَلَ الصَّيغَةَ الْكُبْرَى «الْأَقْلُونَ عَدَدًا»، فَاَلْمَعْنِي بِهَم هُنَا السَّابِقُونَ .

فَقُلْ لِهَذَا الْكَاتِبِ الْأَحْمَقِ : يَا هَذَا إِنَّ أَصْحَابَ الشُّورَى بِحُدُودِ الْمَلْيَارِ فِي كُلِّ عَامٍ مُنْذُ رَحَلَ النَّبِيُّ ﷺ . . . أَفَتَحْسَبُ أَنَّ هَؤُلَاءِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَتُكَذِّبُ اللَّهُ وَهُوَ يَقُولُ ثُلَّةٌ وَقَلَّةٌ!؟

مَعْلُومٌ إِنَّكَ مِنَ الْكَثْرَةِ لَا مِنَ الْقَلَّةِ فَأَنْتَ مِنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ . وَهَذِهِ قَضِيَّةٌ وَاضِحَةٌ الْآنَ بَيْنَ قُرْآنٍ وَوَاقِعٍ لَا تَحْتَاجُ إِلَى مُتَكَلِّمِينَ وَلَا مُفَسِّرِينَ وَلَا عُلُومٍ رِجَالٍ!

فَعَجَبًا لَكَ وَأَنْتَ تَنْصَحُ شَيْعَةَ عَلِيٍّ ﷺ بِالتَّخَلِّي عَنْ صِفَةِ الْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ وَتَأْمُرُهُمْ أَنْ يَتَّبِعُوكَ!

وَمَاذَا يُخَفِّفُ هَذَا مِنْ عَذَابِكَ إِنْ اتَّبَعُوكَ!

أَنْتَ مِثْلُ إِبْلِيسَ مُوَلِّعٍ بِزِيَادَةِ أَتْبَاعِهِ مَعَ أَنَّهُمْ لَا يَنْفَعُونَهُ شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ .

الثَّالِثُ : فِي نِهَايَةِ هَذَا الْحَدِيثِ وَبَعْدَ أَنْ وَصَفَ هَؤُلَاءِ الْأَقْلُونَ عَدَدًا قَالَ

عَلِيٍّ ﷺ :

«يَا كُمْيلُ أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ والدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ» .

أَقُولُ : أَخْرَجَهُ أَيْضًا صَاحِبُ الْإِكْمَالِ وَالْبِحَارِ بِطُرُقٍ أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ^(١) .

الرَّابِعُ : قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ :

«اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا بُدَّ لَأَرْضِكَ مِنْ حُجَّةٍ لَكَ عَلَى خَلْقِكَ يَهْدِيهِمْ إِلَى دِينِكَ

(١) انظر البحار من ح ٩١ إلى حديث ٩٣ / ج ٢٣ .

وَيُعَلِّمُهُمُ عِلْمَكَ لِئَلَّا تُبْطِلَ حُجَّتَكَ وَلَا يَضِلَّ تَبِعٌ أَوْلِيَاكَ إِمَّا ظَاهِرٌ لَيْسَ بِالْمُطَاعِ
أَوْ مُكْتَمٍ أَوْ مُتَرَقِّبٍ إِنْ غَابَ»^(١).

الخامس: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إِنَّمَا مِثْلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمِثْلِ نُجُومِ السَّمَاءِ كُلَّمَا غَابَ نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ».
أَوْرَدَهُ فِي إِكْمَالِ الدِّينِ وَلَهُ طُرُقٌ كَثِيرَةٌ عَنِ السُّنَّةِ أَيْضًا مَعْلُومَةٌ فِي الْكُتُبِ
الْمُتَخَصِّصَةِ.

وَتَشْبِيهُ الْحُجَجِ بِالنُّجُومِ مُطَرِّدٌ فِي حَدِيثِهِ ﷺ، وَكَذَلِكَ بِالْكَوَاكِبِ وَالشَّمْسِ
وَالْقَمَرِ، وَلَهُ صِلَةٌ بِالْفَافِ الْقُرْآنِ.

والاهْتِدَاءُ يَكُونُ بِالنُّجُومِ فِي الظُّلُمَاتِ لِأَنَّ النُّجُومَ مُنِيرَةٌ بِذَاتِهَا.

كَذَلِكَ الْأَيْمَةُ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ فِي عِلْمٍ.

وَمِنْ هُنَا يَحْتَجُّ اللَّهُ بِهِمْ عَلَى الْخَلْقِ. وَلِذَلِكَ يُنَبِّهُ الْقُرْآنُ دَوْمًا إِلَى التَّأَمُّلِ فِي
السَّمَاءِ وَالنُّجُومِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَيَأْمُرُ بِالتَّفَكُّرِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالظُّلِّ
وَالْحُرُورِ وَالظُّلُمَاتِ وَالتُّورِ لِلاعتبارِ بِهَذَا النِّسْبَةِ. فَالَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ لِهِدَايَةِ
الْمُسَافِرِ فِي اللَّيْلِ وَأَعْطَاهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ لَهُو أَحْرَصُ عَلَى سَفَرِهِ إِلَى
عَالَمِ الْمَلَكُوتِ حَيْثُ الْحِسَابُ وَالْجَزَاءُ، وَلَا يَتْرِكُهُ مِنْ غَيْرِ هِدَايَةٍ!

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾

[الرعد: ٧].

فَالرَّسُولُ مُنْذِرٌ لِكُلِّ الْأَقْوَامِ فِي كُلِّ الْأَزْمَانِ بِكِتَابِهِ وَسُنَّتِهِ. وَالْهُدَايَةُ وَالتَّطْبِيقُ

(١) البحار ج ٢٣ / ح ٦ / ٩٤.

عَلَى الْهُدَاةِ مِنَ الْأُتَمَّةِ . وَلِذَلِكَ لَا بُدَّ لِكُلِّ جِيلٍ مِنْ إِمَامٍ . فَإِمَّا يَكُونُ إِمَامَ ضَلَالَةٍ
يَدْعُو إِلَى النَّارِ :

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١] .
وَأَمَّا إِمَامٌ هَدَى :

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ
وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣] .

وَلِذَلِكَ قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام عَلَى الْمِنْبَرِ :

«مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَنَزَلَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ! فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: فَمَا نَزَلَ فِيكَ؟
قَالَ: أَتَقْرَأُ هُوْدًا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ»، رَسُولُ اللَّهِ
هُوَ الْمُنْذِرُ وَأَنَا الْهَادِي.

أَقُولُ: أَخْرَجَهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْإِمَامِيَّةِ فَرَاغَهُ فِي مَصَادِرِهِ الْمُخَصَّصَةِ^(١)،
وَبَعْضُهَا مَرْفُوعٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله .

بَلِ الْبَغْتُ نَفْسُهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِإِمَامٍ . قَالَ تَعَالَى :

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْيَمِهِمْ فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابُهُ بِإِيمِينِهِ فَاُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ
كِتَابَهُمْ وَلَا يُطْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١] .

وَلَكِنَّ الْكَاتِبَ يُشَكِّكَ بِحَدِيثٍ :

«مَنْ لَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» .

أَنْتَ إِذَنْ تَحْلُمُ بِهَذَا لِأَنَّكَ لَنْ تَمُوتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً . فَهَذَا فَيَمَنْ لَا يَعْرِفُ إِمَامَ
زَمَانِهِ . أَمَّا الَّذِي يَعْرِفُ أَنَّهُ الطَّاغُوتُ وَيَعْبُدُهُ فَالْحَدِيثُ لَيْسَ فِيهِ قَطْعًا . . فَلَيْسَ

(١) الاختصاص / ٢٤٨ والكافي / ١ / ١٧٧ ومجمع البيان / ٢ / ٢٧٨ وبصائر الدرجات /

لَدَيْهِ وَقْتُ لِيُفَكَّرَ فِي مِيتَتِهِ وَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ إِذْ لَا دِينَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ حَتَّى يُحَاسَبَ. وَعَابِدُ الطَّاغُوتِ لَا وَقْتَ وَلَا فُرْصَةَ يُعْطَاهَا يَوْمَ مَوْتِهِ، بَلْ هُوَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى النَّارِ قَوْرًا.

أَوَلَيْسَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ إِنَّهُ يَدْعُو كُلَّ أَنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ؟

فَأَنْتَ تَكْذِبُ حَيْثُ تُرِيدُهَا شُورَى!! لَأَنَّكَ قَبْلَ الْإِتِّخَابِ تُرَشِّحُ شَخْصًا فَأَنْتَ تَعْبُدُ إِذْنَ الطَّاغُوتِ لَأَنَّكَ تَابِعٌ لِإِمَامٍ مُحَدَّدٍ قَبْلَ الشُّورَى. وَإِذَا زَعَمْتَ بِأَنَّكَ بِغَيْرِ إِمَامٍ فَإِنَّكَ تَرُدُّ عَلَى اللَّهِ. فَهَلْ تَبْقَى وَحْدَكَ لَا يَدْعُوكَ اللَّهُ أَمْ أَنَّكَ غَيْرُ مُشْمُولٍ بِلَفْظِ «أَنَاسٍ»؟.

نَعَمْ.. إِنَّ اللَّهَ يَنْعِثُ الْخَلْقَ كُلًّا بِإِمَامِهِ الَّذِي اتَّبَعَهُ وَهَذَا يَغْنِيهِ أَنْ مَعْرِفَةَ الْإِمَامِ بَعْدَ الشُّورَى هِيَ مُجَرَّدُ أَكْذُوبَةٍ لِمُتَمَرِّرِ الْإِخْتِيَارِ الذَّاتِي الْمُحَدَّدِ سَلَفًا.

السَّادِسُ: قُرْبُ الْإِسْنَادِ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام عَنْ آبَائِهِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ:

«فِي كُلِّ خَلْفٍ مِنْ أُمَّتِي عَذْلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَنْفِي عَنْ هَذَا الدِّينِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجُهَّالِ، وَإِنْ أَتَمَّتْكُمْ وَفَدُّكُمْ إِلَى اللَّهِ فَانظُرُوا مَنْ تُوفِدُونَ فِي دِينِكُمْ وَصَلَاتِكُمْ»^(١).

أَقُولُ: قَوْلُهُ عليه السلام «وَإِنْ أَتَمَّتْكُمْ وَفَدُّكُمْ» هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا مَضَى مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِبَيْمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١].

أَمَّا نَحْنُ فَوَفَدْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَيَّ أَبُو الْحَسَنِ وَالزَّهْرَاءُ فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَالْحَسَنُ سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَحَمْزَةُ أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ وَجَعْفَرُ ذُو الْجَنَاحَيْنِ وَالْحُسَيْنُ سَبْطُ الْأَسْبَاطِ الَّذِي دَمُهُ دَمُ النَّبِيِّ وَلَحْمُهُ لَحْمُهُ وَزَيْنُ

(١) قرب الإسناد/ ب الحجة. بحار الأنوار ج ٢٣ / ٣٠ / ح ٤٦.

السَّاجِدِينَ الْعَابِدِينَ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَهَلَمْ جَرَّأَ إِلَى الْمَهْدِيِّ طَاوُسٍ أَهْلِي الْجَنَّةِ!
سُلَالَةً مُطَهَّرَةً طَاهِرَةً زَكِيَّةً وَذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

وَأَمَّا أَنْتَ فَوَفِّدْكَ إِلَى اللَّهِ هُمْ أَهْلُ الشُّورَى: أَبُو بَكْرٍ أَحْسَدُ قُرَيْشٍ، وَصَاحِبُ
الرَّسُولِ فِي آيَةِ الْغَارِ الَّذِي لَمْ يُؤَيِّدْ بِالْجُنْدِ وَلَا كَانَ مِنَ الْجُنْدِ وَلَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ
السَّكِينَةُ وَلَا النَّصْرُ أَسْوَةً بِصَاحِبِهِ وَالْهَارِبُ يَوْمَ حُحَيْنَ وَخَيْبَرَ وَالْفَاتِكُ بِمَالِكِ بْنِ
نَوِيرَةَ وَالْمُسْرِعُ إِلَى السَّقِيفَةِ. . . وَكَذَلِكَ عُمَرُ بْنُ صَهَّاءَ وَحَنَنْتَمَةَ - وَحَسْبُكَ بِهِنَّ
شَهْرَةٌ فِي قُرَيْشٍ - الَّذِي أَفْقَهُ مِنْهُ يَرْفَأُ غُلَامُهُ وَعَجَائِزُ الْعِرَاقِ، وَالَّذِي فِيهِ كُلُّ
الْمَآثِرِ النَّبَوِيَّةِ فِي عِلَاقَتِهِ الْعَجَبِيَّةِ بِالشَّيْطَانِ الَّذِي مَا رَأَاهُ إِلَّا خَرَّ لَوَجْهِهِ سَاجِدًا. .
وَكَذَلِكَ عُثْمَانُ مَفْخَرَةُ الْمَفَاخِرِ فِي الْهَرَبِ مِنَ الْحَرْبِ، وَمُعَاوِيَةُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ
الَّذِي كَسَرُوا الذَّهَبَ وَالَّذِي خَلَفَهُ وَرَآهُ «بِالْفَوْسِ حَتَّى مَجَّتْ أَيُّ الرُّجَالِ»
حَسَبَ تَعْبِيرِ الْمُؤَرِّخِينَ ثَغْلَبُ الشُّورَى الْمَآكِرُ وَرَاءَ الْكَوَالِيسِ.

فَهَنِيئًا لَكَ هَذَا الْوَفْدُ: !!

فَوَاللَّهِ لَوْ قَرَأْتَ التَّارِيخَ وَلَا أَحْسَبُكَ لَمْ تَقْرَأْهُ لَمَّا وَجَدْتَ فَرْقًا كَبِيرًا بَيْنَ هَذِهِ
الرُّمُورَةِ وَبَيْنَ أَقْطَابِ أَيِّ دَائِرَةٍ مِنْ دَوَائِرِ الْمُخَابَرَاتِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ سِوَى أَنْ
هَؤُلَاءِ الْأَقْطَابِ يَتَأَمَّرُونَ عَلَى أُمَمٍ ضَالَّةٍ وَشُعُوبٍ مُضِلَّةٍ، وَأُولَئِكَ كَانُوا
يَتَأَمَّرُونَ عَلَى خَيْرِ أُمَّةٍ فِيهَا خَيْرُ خَلْقٍ خَلَقَ اللَّهُ فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ.

السَّابِعُ: عَنِ الصَّادِقِ (عليه السلام) قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الفصص: ٥١].

قَالَ: إِمَامٌ بَعْدَ إِمَامٍ.

وَفِي لَفِظٍ آخَرَ قَالَ: إِمَامٌ إِلَى إِمَامٍ فَإِنَّ الْأَرْضَ لَا تَبْقَى بِغَيْرِ إِمَامٍ^(١).

(١) البحار ج ٢٣ / ٤٧ - ٥١ / ح ٥٨.

أَيُّ وَرَبِّكَ هَذَا هُوَ تَفْسِيرُهَا الْحَقُّ، وَالْأَفْلَسَ هُنَاكَ حِسَابٌ بِالْحَقِّ.

الثَّامِنُ: عَنِ الْحُسَيْنِ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«لَوْ لَا مِنْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ حُجَجِ اللَّهِ لَنَفَضَتِ الْأَرْضُ مَا فِيهَا وَأَلْقَتْ مَا عَلَيْهَا، إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو سَاعَةً مِنَ الْحُجَّةِ»^(١).
أَقُولُ: فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۖ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَلَّتْ ۖ وَأَدْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُمَتْ ۖ﴾ [الانشقاق:

. [٥-٣]

فهذه الوقائع إِنَّمَا تَحْدُثُ بَعْدَ خُلُوعِ الْأَرْضِ مِنَ الْحُجَّةِ وَأَتْبَاعِهِ الْمُتَّقِينَ فِي
أَوَاخِرِ مَرَحَلَةِ الْاسْتِخْلَافِ حَيْثُ يَخْرُجُونَ مِنْهَا إِلَى الْمَلَكَوَتِ، وَتَقُومُ أَحْدَاثُ
الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ بَقِيَ فِيهَا وَهُمْ شِرَارُ الْخَلْقِ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ».

ذَكَرَهُ فِي التَّاجِ الْجَامِعِ لِلْأُصُولِ / ج ٥ / بَابُ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ.

التَّاسِعُ: فِي الْإِكْمَالِ بِسَنَدِهِ إِلَى الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

«إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهَا حُجَّةٌ عَالِمٌ إِنَّ الْأَرْضَ لَا يُضْلِحُهَا
إِلَّا ذَلِكَ وَلَا يُضْلِحُ النَّاسَ إِلَّا ذَلِكَ»^(٢)

الْعَاشِرُ: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

«لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا اثْنَانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْحُجَّةُ»^(٣).

الْحَادِي عَشَرَ: عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

(١) البحار ج ٢٣ / ح ٥٧.

(٢) البحار ج ٢٣ / ح ٦٠.

(٣) البحار ج ٣٢ / ح ٦١.

«لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا اثْنَانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْحُجَّةَ وَلَوْ ذَهَبَ أَحَدُهُمَا لَبَقِيَ الْحُجَّةُ»^(١).

أقول: فيه إشارة إلى أوّل الخلق وهو سيّدنا ﷺ. فَإِنَّهُ تَعَالَى لَا يُوْهَلُ الْأَرْضَ إِبْتَدَاءً بِفَاسِقٍ وَلَوْ بَقِيَ الْفَاسِقُ وَخِده فَلَا ضَرُورَةَ لِذَوَامِ الْحَيَاةِ، لِأَنَّ الْأَرْزَاقَ وَالْخَلْقَ وَاسْتِمْرَارَهُ إِنَّمَا هُوَ لِلْخَلِيفَةِ الْإِلَهِيِّ. قَالَ تَعَالَى فِي قِصَّةِ خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وَعَلَى هَذَا جَرَى الْاِعْتِرَاضُ بِالْفَسَادِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ. وَعَلَى هَذَا سُمِّيَ الْمَهْدِيُّ خَلِيفَةَ اللَّهِ كَمَا أَخْرَجَهُ الْحَفَاطُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:

«يَخْرُجُ الْمَهْدِيُّ وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ فِيهَا مَلِكٌ يُنَادِي هَذَا خَلِيفَةُ اللَّهِ فَاتَّبِعُوهُ».

وَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ فِي كُلِّ الْكُتُبِ وَالْمَصَادِرِ الْخَاصَّةِ بِهِ ﷺ.

وَقَالَ فِي لَفْظٍ آخَرَ:

«يَسْمَعُ مَنْ بِالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ كُلِّ قَوْمٍ يَلْسَانِهِمْ»

أقول: إِنَّ فَهْمَ قِصَّةِ الْخَلْقِ وَالشُّجُودِ لِأَدَمَ أَسَاسٌ هَامٌّ لِفَهْمِ مَوْضُوعِ الْحُجَّةِ!.

إِنَّ الْقِصَّةَ قَدْ شُوِّهَتْ بِأَيْدِي الْمُحَرِّفِينَ. وَلَكِنْ قَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَيَّامَ مَنْ أَمَاطَ اللَّثَامَ عَنْهَا.

(١) البحار ج ٣٢ / ح ٨٥.

الثاني عشر: عَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام قَالَ:

«يَا أَبَا خَالِدٍ لَيْسَ تَبْقَى الْأَرْضُ يَوْمًا وَاحِدًا بِغَيْرِ حُجَّةٍ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى النَّاسِ وَلَمْ يَبْقَ «تَبَقَ» مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَأَسْكَنَهُ الْأَرْضَ»^(١).

الثالث عشر: عَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام فِي حَدِيثٍ جَاءَ فِيهِ:

«... وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْلِكَهُمْ وَلَا يُنْهَلَهُمْ وَلَا يُنْظَرَهُمْ ذَهَبَ بِنَا مِنْ بَيْنِهِمْ وَرَفَعَنَا اللَّهُ ثُمَّ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَأَحَبُّ»^(٢).

أَقُولُ: فِيهِ تَأْكِيدٌ عَلَى عَدَدٍ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَتَرْكِ الْمَشِيئَةِ لِلَّهِ وَعَدَمِ سَبْقِهِ بِأَيِّ حُكْمٍ. وَهَذَا الْكَلَامُ يَسْتَحِيلُ حَصُولُهُ مِنْ مُتَكَلِّمٍ أَوْ فَيْلَسُوفٍ أَوْ صُوفِيٍّ أَوْ عِرْفَانِيٍّ أَوْ فُقَيْهٍ أَوْ فَاضِلٍ فِي الدِّينِ، بَلْ لَا يَصُدُّرُ إِلَّا عَنْ عَارِفٍ بِالسُّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ جَامِعٍ لِعِلْمِ الْكِتَابِ كُلِّهِ. فَهَذَا الْكَلَامُ يَجْعَلُ الْفَضَائِلَ تَابِعَةً لِقَانُونِ الْحُجَّةِ، وَلَيْسَ الْعَكْسُ كَمَا يَزْعُمُ النَّاسُ.

الرَّابِعُ عَشَرَ: عَنِ الْمُعَلَى قَالَ سَأَلْتُ الصَّادِقَ عليه السلام: هَلْ كَانَ لِلنَّاسِ إِلَّا فِيهِمْ مَنْ أَمَرُوا بِطَاعَتِهِ مُنْذُ كَانَ نُوحٌ؟ قَالَ:

«لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ»^(٣).

الخامس عشر: عَنْ أَبِي صَدَقَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ:

«لَنْ تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ حُجَّةٍ عَالِمٍ يُخَيِّ فِيهَا مَا يُمَيِّنُونَ مِنَ الْحَقِّ»^(٤).

ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِمْ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

(١) البحار ج ٢٣ / ح ٨٦.

(٢) البحار ج ٢٣ / ح ٨٤.

(٣) البحار ج ٢٣ / ح ٦٤.

(٤) البحار ج ٢٣ / ح ١٠٦ عن البصائر والآية في سورة الصف/ ٨.

أَقُولُ: نُورُ اللَّهِ مُخْتَلِفٌ عَنِ الْكِتَابِ. فَقَدْ قَالَ تَعَالَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:

﴿... وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُطْلِقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

بَيْنَمَا الْكِتَابُ أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَبَعْضُهُ أُنْزِلَ إِلَيْهِ. وَكَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿يَتَأَمَّلِ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُوْنَ عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

فالنور هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ هُوَ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ مِنْ كُتُبِهِ وَمِنْهَا الْقُرْآنُ الْمُبِينُ، وَذَلِكَ لِلتَّغَايُرِ وَالتَّعَاظُفِ بَيْنَ الْكِتَابِ وَالنُّورِ.

وَالنُّورُ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ هُوَ الْوَصِيُّ. فَافْهَمُ جَيْدًا وَتَدَبَّرْ فَإِنِّي أَعْطِيْكَ الْآنَ مَفَاتِيحَ كَثِيرَةً تَتَدَبَّرُ بِهَا كِتَابَ اللَّهِ. فَاتْلُوْا كِتَابَ اللَّهِ وَذَرِ الَّذِينَ يَغِيدُونَ مِنْ دُونِهِ وَاهْجُرِ الْمُفْتَرِينَ الْكَاذِبِينَ، فَإِنَّهُمْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ فَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ، وَانْتَبِهْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿الرَّ كِتَابٌ أُنْزِلَتْهُ إِلَيْكَ لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

فَلَا تَتَوَهَّمْ أَنَّهُ يَخْرُجُ بِالْكِتَابِ إِلَى الْكِتَابِ، بَلِ الْكِتَابُ يَهْدِي إِلَى النُّورِ وَبِهِ يَتِمُّ الْإِخْرَاجُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ. وَاعْلَمْ أَنَّ النُّورَ هُوَ الْإِمَامُ الَّذِي يَنْطِقُ بِالْحَقِّ بَدْءًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَالظُّلُمَاتُ هِيَ الطَّاغُوتُ:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وَلِذَلِكَ فَهُمْ ثَلَاثَةٌ بِالْفِعْلِ لِأَنَّهُمْ مُخْتَلِفُونَ، بَيْنَمَا الْأَنْوَارُ وَاحِدَةٌ وَإِنْ تَعَدَّدَتْ،
لَأَنَّ مَصْدَرَهَا الْمِشْكَاةُ مِشْكَاةُ النُّورِ.

وَقَدْ ظَهَرَ الثَّلَاثَةُ فِي طَبَقَاتٍ مِنَ الظُّلُمَاتِ :

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ، سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ
بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِ بِرَبِّهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾
[النور: ٤٠].

وَفِي تَفْسِيرِ أَهْلِ الْبَيْتِ : الظُّلُمَاتُ هُمُ الثَّلَاثَةُ أَضْنَامٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَهِيَ عِنْدَهُمْ
بَدِيلٌ لَا بُدَّ مِنْهُ لِلثَّلَاثَةِ الْكِبَارِ «اللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى» .

فَالْمَوْجُ الْأَوَّلُ : أَبُو بَكْرٍ، وَالْمَوْجُ الثَّانِي : عُمَرُ، وَالْمَوْجُ الثَّلَاثُ : عُثْمَانُ.
وَلِذَلِكَ تَشَابَهَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى جَمَعُوهُمَا فِي الْأِسْمِ فَقَالُوا :
«الشَّيَخَيْنِ وَالْعُمَرَيْنِ» - «انظر القاموس وتاج العروس/ باب عُمَر» .

فُسَبِّحَانَ رَبِّكَ الَّذِي يَصْدُقُ كَلَامُهُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ .
إِغْلَمْ أَنَّكَ لَا بُدَّ أَنْ تُجَاهِدَ نَفْسَكَ وَهَوَاكَ وَتَتَدَبَّرَ كِتَابَ اللَّهِ حَتَّى تَحْصَلَ عَلَى
رِضَاهُ وَهُدَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ
سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

أَفْتَحَسَبُ أَنَّكَ تَدْخِلُ الْجَنَّةَ وَأَنْتَ تَأْخُذُ بِكَلَامٍ مِنْ هَبٍّ وَدَبٍّ وَتَتْرُكُ كِتَابَ
اللَّهِ؟

هيهات !!

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الْقَادِرِينَ﴾

[آل عمران: ١٤٢].

﴿فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ، جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

السادس عشر: في قوله تعالى:

﴿... إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«كُلُّ إِمَامٍ هَادٍ لِلْقَوْمِ الَّذِي هُوَ فِيهِمْ»^(١).

السابع عشر: عن جَمْعٍ مِنَ الْأَتْبَاعِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

طَوِيلٌ جَاءَ فِيهِ:

«اللَّهُمَّ وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَأْزُرُ كُلَّهُ وَلَا تَنْقُطُ مَوَادُّهُ فَإِنَّكَ لَا تُخْلِي
أَرْضَكَ مِنْ حُجَّةٍ عَلَى خَلْقِكَ»^(٢).

الثامن عشر: عَنِ الْبَاقِرِ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ لِرَسُولِ
اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنَّا الْهُدَاةُ أَمْ مِنْ غَيْرِنَا؟ قَالَ: لَا بَلْ مِنَّا الْهُدَاةُ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِنَا اسْتَنْقَذَهُمُ اللَّهُ مِنْ ضَلَالَةِ الشُّرِكِ وَبِنَا يَسْتَنْقِذُهُمْ مِنْ ضَلَالَةِ الْفِتْنَةِ
وَبِنَا يُضْبِحُونَ إِخْوَانًا بَعْدَ الضَّلَالَةِ»^(٣).

التاسع عشر: في قوله تعالى:

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا
يُشْرِكُونَ﴾ (٦٨) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ لَهُ الْاَحْمَدُ فِي الْاَوَّلِ وَالْاٰخِرِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ [الفصل: ٦٨-٧٠].

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«... إِنْ اللَّهَ اخْتَارَنِي وَأَهْلَ بَيْتِي عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ فَاتَّجَبْنَا فَجَعَلَنِي الرَّسُولَ

(١) غيبة النعماني والبحار ج ٢٣ / ح ١١٥.

(٢) البحار ج ٢٣ / ح ١١٦.

(٣) إكمال الدين. وللحديث طرق أخرى في أخبار المهدي أخرجها السنة كما في البرهان.

وَجَعَلَ عَلَيَّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ الْوَصِيَّ وَقَالَ سُبْحَانَهُ «مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ» يَغْنِي مَا
 جَعَلْتُ لِلْعِبَادِ أَنْ يَخْتَارُوا وَلَكِنِّي اخْتَارُ مَنْ أَشَاءُ. فَأَنَا وَأَهْلُ بَيْتِي صَفْوَةُ اللَّهِ مِنَ
 الْخَلْقِ وَخَيْرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ ثُمَّ قَالَ «سُبْحَانَ اللَّهِ» تَنْزِيهًا عَمَّا يُشْرِكُونَ بِهِ ثُمَّ قَالَ:
 وَرَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ مِنَ الْبُغْضِ لَكَ وَلَأَهْلِ بَيْتِكَ وَمَا يُغْلِنُونَ
 بِالْأَسْتِثْمِ مِنَ الْحُبِّ لَكَ وَلَأَهْلِ بَيْتِكَ».

أَقُولُ: هَذِهِ الْآيَاتُ الثَّلَاثَةُ وَخُذْهَا كَافِيَةً وَلِلَّهِ الْحَمْدُ فِي كَشْفِ الْمُنَافِقِينَ مِنَ
 أَمْثَالِ هَذَا الْكَاتِبِ الْمُدَّعِي.

فَلَا حِظَّ أَخِي الْقَارِئُ ارْتَبَاطَ هَذَا الْأَمْرِ بِالتَّوْحِيدِ. وَلَكِنْ لَهُ تَعَالَى الْحَمْدُ فِي
 كُلِّ الْأَحْوَالِ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ لِأَنَّهُ عَدْلٌ لَا يَجُورُ.

فَالشَّهَادَةُ لَهُ بِالْحَمْدِ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ لَا تَتَحَقَّقُ وَمُحَالٌ أَنْ تَتَحَقَّقَ إِلَّا
 بِالْحُجَّةِ حَتَّى يَكُونَ الْخَلْقُ هُمْ السَّبَبُ فِي عَدَمِ حَصُولِهِمْ عَلَى الرَّحْمَةِ وَبَرَكَاتِ
 الدِّينِ.

وَفِي الْآيَاتِ كَشَفْتُ صَارِخٌ لِلْمُدَّعِينَ حُبِّ النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ كَذِبًا وَزُورًا.
 فَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ قَالُوا: «نَحْنُ أَوْلَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ مِنَ الْيَهُودِ وَهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ»،
 ذَلِكَ أَنَّهُمْ حُمِلُوا التَّوْرَةَ - بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ - وَلَمْ يَحْمِلُوهَا، فَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ
 الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ
 الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَاثِتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

لَقَدْ تَصَدَّوْا لِلْكِتَابِ مَعَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ حَمَلَتِهِ، وَعَصَوْا حَمَلَتَهُ الْفِعْلِيَّينَ فَلَا
 حَصْلُوا عَلَى الدُّنْيَا وَلَا الْآخِرَةِ، وَلَا حَصَلُوا عَلَى الْعِلْمِ فَهُمْ حَمِيرٌ.

إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي عِلْمَهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَلَا يُعْطِيهِ إِلَّا لِمَنْ أَدْعَنَ لَهُ وَهُوَ تَعَالَى يُفْتِنُ
 الْخَلْقَ بِهَذَا الْاِخْتِبَارِ.

وَكَانَ فِي مَقْدُورِهِ أَنْ يَهْدِيَ شَخْصًا آخَرَ غَيْرَ عَلِيٍّ عليه السلام مِنَ الْغُرَبَاءِ وَيَجْعَلَهُ
وَصِيًّا وَإِمَامًا، وَلَكِنَّهُ اخْتَارَ كَمَا يَشَاءُ. فَهُوَ يُرِيدُ مِنَ النَّاسِ أَضْلًا أَنْ يَكْشِفُوا عَنْ
نَوَايَاهُمْ وَيَقُولُوا: «هَا هُوَ مُحَمَّدٌ يُعْطِي الْوِلَايَةَ لابْنِ عَمِّهِ»!

وفي هذا الاختيار فائدتان كما رأيت:

الأولى: الكشف عن المنافقين، والثانية: إكمال الحجة! لأنَّ قِيَمَ الْجَاهِلِيَّةِ
هِيَ مَرْجِعُهُمْ. وَيَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُمْ سَيَرْجِعُونَ إِلَى تِلْكَ الْقِيَمِ وَيَتَحَدَّثُونَ عَنِ الْأَنْسَابِ
وَالْأَحْسَابِ!. ولا يمكنُ أَنْ يَكُونَ الْأَدْعَاءُ إِلَّا بِنَسَبِ مُحَمَّدٍ عليه السلام صَاحِبِ
الرِّسَالَةِ. فَجَعَلَ الْوَصِيَّ وَالْخُلَفَاءَ مِنْ نَسَبِهِ وَأَقْرَبِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ رَحْمًا لِقَطْعِ الطَّرِيقِ
عَلَيْهِمْ!.

فَإِذَا اخْتَجُّوا بِالنَّسَبِ وَلَمْ يُؤْلُوا عَلِيًّا كَفَرُوا، وَإِذَا اخْتَجُّوا بِأَيِّ صِفَةٍ أُخْرَى
كَانَ فَوْقَهُمْ فِيهَا وَلَمْ يُؤْلُوهُ فَقَدْ كَفَرُوا أَيْضًا.

لِمَ لَا تَكُونُوا وَاقِعِينَ وَتَعْتَرِفُونَ أَنَّكُمْ تَحْقِدُونَ عَلَى عَلِيٍّ لِأَنَّ قُلُوبَكُمْ لَا
تَطَاوَعُكُمْ عَلَى طَاعَةِ مُحَمَّدٍ عليه السلام؟

فَبَغْضُهُمْ قَالَ ذَلِكَ فَأَرَّاحَ وَاسْتَرَّاحَ وَأَقَرَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِثْلُ إِمَامِكُمْ مَعَاوِيَةَ!
وَالْأَفْهَلُ يَعْقِلُ أَنَّكُمْ أَفْضَلُ مِنْ أَسْبَاطِ يَعْقُوبَ عليه السلام إِذْ حَقَدُوا عَلَى أَخِيهِمْ
يُوسُفَ وَأَرَادُوا قَتْلَهُ وَالْقَوَّةُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ؟

لَكِنِّي أَسْأَلُكُمْ سُؤْلًا آخَرَ: لِمَاذَا قَصَّ اللَّهُ هَذِهِ الْقِصَّةَ الطَّوِيلَةَ؟

إِنَّمَا: مَا الْفَائِدَةُ مِنَ السُّؤَالِ إِذَا كَانَ إِمَامُكُمْ الْجُرْجَانِي وَتِلْمِذَاهُ الزَّمْلَكَانِي
وَالسَّكَانِي يَقُولُونَ فِي بِلَاغَتِهِمْ: إِنَّهُ جَاءَ بِالْقَصَصِ لِلتَّنْوِيعِ الْأَدْبِيِّ لِيَكُونَ الْقُرْآنُ
شَامِلًا لِكُلِّ أَنْوَاعِ الْأَدَبِ!!!

أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى بِلَاغَتِكُمْ!!

فَهَلْ أَقَامَ - حَاشَاهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ - لَكُمْ حَفْلَةً مَسَائِيَّةً أَوْ مُطَارَدَةً أَدْبِيَّةً حَتَّى يُنَوِّعَ لَكُمْ أَلْوَانًا مُخْتَلِفَةً فِي بَرَنَامَجِ الْحَفْلَةِ!!؟

وَهَلْ يَدْعُو الرَّحْمَنُ إِلَى مَائِدَتِهِ هَذِهِ الْوُجُوهَ الْكَالِحَةَ وَالْقُلُوبَ الْمُرْتَابَةَ!!؟
أَمْ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ «كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ»؟

فَمَاذَا تَقُولُ أَيُّهَا الْأَفَّاكُ الْكَذُوبُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ مِنْ سُورَةِ الْقَصَصِ؟
فَإِنَّ فِيهَا: إِنَّ الْخَلْقَ وَالْاخْتِيَارَ لِلَّهِ لَا لَكُمْ

وَفِيهَا: «وَلَهُ الْحُكْمُ» وَلَيْسَ الْحُكْمُ لَكُمْ. وَقَدْ آتَى الْحُكْمَ لِعِبَادِ اضْطِفَاهُمْ.
فَإِذَا أَرْسَلَ اللَّهُ رَسُولًا ثُمَّ اخْتَارَ الْمَخْلُوقَ حَاكِمًا بَعْدَ الرَّسُولِ.. فَمَا الْفَرْقُ
بَيْنَ الْمَخْلُوقِ وَالْخَالِقِ؟ وَمَا فَائِدَةُ الرَّسُولِ؟

كَانَ أَخُوهُ يُوسُفَ قَدْ وَقَعُوا فِي حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ حِينَمَا ظَنُّوا أَنَّ يَعْقُوبَ أَحَبَّ
يُوسُفَ لِأَجْلِ أُمِّهِ، وَأَنَّ بَنِيَامِينَ أَحَبَّ يُوسُفَ لِأَنَّهُ شَقِيقُهُ لِأُمِّهِ!

هَكَذَا يَكْشِفُ اللَّهُ مَكْنُونَ الصُّدُورِ. فَهَلْ كَانَ يُوسُفَ مُتَحَيِّرًا لِأَخِيهِ حِينَمَا
اسْتَبْقَاهُ مَعَهُ وَأَنْكَرُوهُ فَقَالُوا بَعْدَ التَّعَرُّفِ: «أَنْتَ لَأَنْتَ يُوسُفَ» فَقَالَ:

«قَالُوا أَوَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ
مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» [يوسف: ٩٠].

لَا.. طَبْعًا فَمَنْ ظَنَّ ذَلِكَ أَشْرَكَ. فَإِنَّ يُوسُفَ مَا جَعَلَ أَخَاهُ فِي ضَمِيرِ
«الْمَنِّ» فَقَالَ «مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا» مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ وَلِأَجْلِ أُمِّهِ، وَلَا كَانَ يَعْقُوبُ قَدْ
أَحَبَّهُ لِعَايَةِ عَاطِفِيَّةٍ. وَهَذَا مَا لَا زَالَ يَتَصَوَّرُهُ قَوْمٌ مُسْلِمُونَ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا
يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ وَلَا يَعْقِلُونَ.

إِنَّمَا قَصَّ الْقُرْآنُ هَذَا كُلَّهُ لِأَجْلِ أَنْ تُفْهَمَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ وَهِيَ:

إِنَّهُ تَعَالَى يَبْتَلِي الْخَلْقَ بِنَفْسِ عَوَاطِفِهِمْ وَبِنَفْسِ أَحْكَامِهِمِ الْمُسَبَّقَةِ.

وَهُنَا تَكْمُنُ الْمُسْكِةُ!!

فَمَنْ هُوَ الَّذِي يُفَرِّقُ جِيداً بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ بَحِيثٍ يَعْتَقِدُ أَنَّ يَعْقُوبَ أَوْ يُوسُفَ أَحَبَّاَ لِلَّهِ وَكَرِهَهَا فِي اللَّهِ فَقَطَّ وَلِذَلِكَ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم بِالرُّغْمِ مِنْ أَنَّ عِلَاقَاتِ الرَّحِمِ هِيَ نَفْسُهَا الْعِلَاقَاتُ الَّتِي يُحِبُّ فِيهَا النَّاسُ وَيَكْرَهُونَ عَلَى الْعَادَةِ الْمَطْبُوعَةِ فِيهِمْ حِينَمَا يَكُونُونَ بَعِيدِينَ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ؟.

وَلَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ إِلَّا بَعْدَ الْإِفْرَارِ بِهَذَا الْأَمْرِ وَالْقَسَمِ عَلَى أَنَّهُمْ فَهِمُوا مُرَادَ اللَّهِ، وَأَنَّ يُوسُفَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ عِنْدَ اللَّهِ لَا عِنْدَ يَعْقُوبَ، وَأَنَّ يَعْقُوبَ إِنَّمَا يَتَحَسَّسُ مَحَبَّةَ اللَّهِ فَيُحِبُّ لِلَّهِ وَيَكْرَهُ لِلَّهِ. وَلِذَلِكَ فَاقَ حُبُّهُ لِيُوسُفَ عَلَى حُبِّهِ لَهُمْ. وَكَيْفَ يُمْكِنُهُ أَنْ يُحِبَّ مَنْ هُوَ قَادِرٌ عَلَى قَتْلِ أَخِيهِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ أَذْنَبَهُ إِلَّا بِسَبَبٍ أَنَّ اللَّهَ أَحَبُّهُ؟، بَلْ كَانَ يَظْهَرُ مِنْهُ الْبُغْضُ لَهُمْ وَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ. وَلَكِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ فِيهِمْ بَذْرَةَ خَيْرٍ، وَأَنَّهُمْ سَيَرْجِعُونَ لِلْحَقِّ، فَلَمْ يَكُنْ مَوْقِفُهُ مَعَهُمْ مَوْقِفَ الْعَدُوِّ، بَلِ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ.

لَا تَأْخُذُوا الْحُبَّ بِالْإِكْرَاهِ، فَلَيْسَ هُنَاكَ حُبٌّ بِالْإِكْرَاهِ، وَلَا يَجْلِبُ الْحُبُّ إِلَّا الْحُبُّ!

تُرِيدُونَ حُبًّا فَأَعْطُوا حُبًّا!

أَمَّا أَنْ تُرِيدُوا حُبًّا وَتُعْطُوا بُغْضًا فَهَذِهِ مُعَامَلَةٌ غَرِيبَةٌ فِي سُوقِ الْبِضَائِعِ فَضْلاً عَنْ سُوقِ الْعَوَاطِفِ وَالْأَفْكَارِ.

لَقَدْ كَانَتْ مُلَابَسَاتُ الْقِصَّةِ كُلِّهَا مَوَاعِظَ وَعِبَرًا لِإِيصَالِ الْأُخُوَّةِ إِلَى هَذَا الْإِفْرَارِ. فَلَمَّا قَدَحَتِ الْفِكْرَةُ فِي أَذْهَانِهِمْ بِمُسَاعَدَةِ الضَّرِّ الَّذِي أَصَابَهُم وَالْجُوعِ الَّذِي أَطَاخَ بِهِمِ وَالْقُحْطِ الَّذِي أَلَمَّ بِهِمْ قَالُوا بَعْدَ مَعْرِفَةِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ:

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيطِينَ﴾ [يوسف: ٩١].

وَالآنَ فَقَطْ أُمْكِنَ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَغْفِرَةُ الْإِلَهِيَّةُ:

﴿قَالَ لَا تَحْزَبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:

. [٩٢]

الْيَوْمَ فَقَطْ لَا تَحْزَبْ عَلَيْكُمْ بَعْدَ هَذَا الْإِقْرَارِ.

وَتُعَادُ قِصَّةُ السُّجُودِ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَكُونُوا فِي مَصَافِ الْمَلَائِكَةِ وَيُخْرِجُوا مِنْ قُلُوبِهِمْ كَيْدَ الشَّيْطَانِ وَالْأَبَالِسَةِ. . تُعَادُ نَفْسُ الْقِصَّةِ فَيَسْجُدُونَ لِخَلِيفَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَيُقْرُونَ بِإِمَامَتِهِ عَلَيْهِمْ وَإِنْ كَانَ أَضْعَرُّهُمْ سِنًا:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رُبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

فَيَا قَوْمُ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ حَقًّا فَاتَّبِعُوا بِمَا قَصَّ فِي كِتَابِهِ فَإِنَّهُ «أَحْسَنُ الْقَصَصِ»، وَأَعِيدُوا سُجُودَكُمْ لِخَلِيفَةِ اللَّهِ، وَلَا تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ، فَإِنَّهُ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ.

وَإِنَّ مَقْتَلَكُمْ هُوَ الْأَنَانِيَّةُ وَحُبُّ الذَّاتِ وَتُكْرَانُ فَضْلِ الْفَاضِلِ. فَمَنْ أَنْكَرَ الْمَخْلُوقَ الْمُلَاحَظَ الْمُبَايِنَ الْمُعَايِنَ أَنْكَرَ فَضْلَ اللَّهِ وَكَفَرَ لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ:

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف:

. [١١١]

أَكْتَفِي بِهِذِهِ النَّمَاذِجِ الَّتِي هِيَ غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ. فَقَدْ ذَكَرَ صَاحِبُ الْبَحَارِ وَخَدَهُ فِي بَابِ الْاضْطِرَارِ إِلَى الْحُجَّةِ وَانْتِفَاءِ الْخَلْقِ بَانْتِفَاءِ وجودِهِ مِنْ نَحْوِ مِائَةِ وَثَمَانِيَةِ عَشَرَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَهْلِ بَيْتِهِ. وَذَكَرَ فِي بَابِ اتِّصَالِ الْحُجَجِ

والإِثْمَةُ واستِحَالَةٍ وجودَ زَمَانٍ يُغْدَمُ فِيهِ الْحُجَّةُ مِنْ نَحْوِ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا. وَذُكِرَتْ
الْوَصِيَّةُ وَالْإِمَامَةُ عُمُومًا فِي أَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافِ نَصِّ نَبَوِيٍّ أَوْ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَام. وَذُكِرَتْ الدَّلَائِلُ عَلَى الْإِمَامَةِ فِي
أَكْثَرِ مِنْ سَبْعِينَ مَوْزِعًا فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ مَعْظُمُهَا خَافٍ عَنِ النَّاسِ ذَكَرْتُ لَكَ
نَمَازِجَ مِنْهَا سَابِقًا.

وَذُكِرَتْ الْإِمَامَةُ فِي كُلِّ قِصَصٍ وَمَوَاعِظِ الْقُرْآنِ وَأَغْلَبَ آيَاتِ التَّهْدِيدِ
وَالْوَعِيدِ، بَلْ رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ رُبْعَ الْقُرْآنِ فِي الْإِثْمَةِ، وَرُبْعًا فِي
عَدْوِهِمْ وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْإِمَامَةِ أَيْضًا، وَرُبْعًا أَحْكَامًا، وَالْأَحْكَامُ لَا
يَقُومُ بِهَا إِلَّا إِمَامٌ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لِأَنَّهُ رَأْسُ الْحُكُومَةِ وَمُعَيَّنُ الْقَضَاةِ، فَإِذَا صَلَحَ
صَلَحُوا وَإِذَا فَسَدَ فَسَدُوا، وَرُبْعًا قِصَصٌ وَمَوَاعِظُ وَأَمْثَالٌ، وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْإِمَامَةِ
أَيْضًا.

وَالنَّاتِجُ أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ كُلَّهُ فِي الْإِمَامَةِ. وَهِيَ مَوْضُوعُهُ الْأَسَاسِيُّ وَعَلَيْهَا يَدُورُ
الْإِيمَانُ وَالْكَفَرُ وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ.

أَقُولُ: أَكْتَفِي بِهَذِهِ الْأَمْثِلَةِ وَأَرْجِعُ إِلَى أَقْوَالِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْإِمَامَةِ رَدًّا عَلَى
الْأَفَّاكِ الْكَذُوبِ الَّذِي زَعَمَ أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ يُؤْمِنُونَ بِالشُّرَى وَلَا يَرُونَ الْإِمَامَةَ
لأنفسِهِمْ!

ص - وَمِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَشَّتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَّهَمُ. وَأَدَّبْتُ
إِلَيْكُمْ مَا أَدَّبَ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسُوطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا،
وَحَدَّثْتُكُمْ بِالزَّوْاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا! اللَّهُ أَنْتُمْ! اتَّقُوا إِمَامًا غَيْرِي بَطْأً بِكُمْ
الطَّرِيقَ وَيُرْشِدْكُمْ السَّبِيلَ..

أَشَارَ الْإِمَامُ عليه السلام فِي هَذَا الْخِطَابِ إِلَى عَمَلِهِ فِيهِمْ الَّذِي هُوَ عَمَلُ الْأَنْبِيَاءِ
وَالْأَوْصِيَاءِ .

ثُمَّ تَسَاءَلَ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ عَنْ وجودِ إِمَامٍ غَيْرِهِ يَطَّأُ بِهِمُ الطَّرِيقَ وَيُرْشِدُهُمُ
السَّبِيلَ . فَأَنْكَرَ وجودَ غَيْرِهِ فِي حَيَاتِهِ وَلَمْ يَنْكَرْ وجودَ إِمَامٍ بَعْدَهُ فَافْتَهُم .
وَهَذَا نَصٌّ كَافٍ جِدًّا لِلدَّلَالَةِ عَلَى عَدَمِ وجودِ إِمَامٍ سِوَاهُ . وَمَا كَانَ يَجُوزُ لَهُ
أَنْ يَدَّعِي هَذَا الْمُدَّعَى لَوْلَا أَنَّهُ الْإِمَامُ الْحَقُّ وَغَيْرُهُ إِمَامٌ بَاطِلٌ .
لِذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ إِخْبَارِهِمْ بِمَا يُوَوِّلُ إِلَيْهِ حَالُهُمْ بَعْدَهُ لِعِلْمِهِ بِالكِتَابِ وَسُنَنِ
الْكُونِ مِنْ جِهَةٍ ، وَلِعِلْمِهِ بِهِمْ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى .

ق - وَمِنْهَا قَوْلُهُ عليه السلام :

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى طَهَّرَنَا وَعَصَمَنَا وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَجًا عَلَى
عِبَادِهِ وَجَعَلَنَا مَعَ الْقُرْآنِ وَجَعَلَ الْقُرْآنَ مَعَنَا لَا نُفَارِقُهُ وَلَا يُفَارِقُنَا
مستدرک النهج / ص ١٨٣ - وتصنيف النهج / ص ١٦٨

أَقُولُ : فِي هَذَا النَّصِّ ثَمَانِيَّةُ خَصَائِصٍ خَصَّ اللَّهُ بِهَا أَهْلَ الْبَيْتِ عليهم السلام كَذَبَ
بِهَا كُلُّهَا هَذَا الْكَاتِبُ ، وَادَّعَى أَنَّ الْأَئِمَّةَ وَأَوَّلَهُمْ عَلِيٌّ عليه السلام لَمْ يُصَرِّحُوا بِهَا
وَلَمْ يَذْكُرُوا لِأَنفُسِهِمْ مِيزَةً مِنْهَا !

وَهَذِهِ الْمِيزَاتُ هِيَ : التَّطْهِيرُ وَالْعِصْمَةُ وَالشَّهَادَةُ وَالْحُجَّةُ عَلَى الْعِبَادِ وَمَعِيَّةُ
الْقُرْآنِ وَإِنَّهُمْ لَا يُفَارِقُونَهُ وَلَا يُفَارِقُهُمْ .

وَفِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمِيزَاتِ مَبْحَثٌ كَامِلٌ مُرْتَبِطٌ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ
الْمُقَدَّسَةِ .

فَأَمَّا الطَّهَارَةُ : فَالْمِفْتَاحُ فِي آيَاتِ التَّطْهِيرِ وَمِنْهَا آيَةُ التَّطْهِيرِ الشَّهِيرَةُ الَّتِي
نَزَلَتْ فِيهِمْ . فَرَعَمَ الْكَاتِبُ الْكَاذِبُ مُهْرُولًا وَرَاءَ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهَا فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ !

وَأَيُّمُ اللَّهِ لَقَدْ صَدَقَ !

لَكِنِّي أَسْتَغْرِبُ مِنْ «عُلَمَاءِ» الشَّيْعَةِ وَهُمْ يُرِيدُونَ صَرْفَهَا عَنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ
مَعَ أَنَّ السِّيَاقَ كُلَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ !

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْآيَةَ تُهَذِّدُ نِسَاءَ النَّبِيِّ بِصِغَةِ جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ الْمُخَاطَبِ ثُمَّ تَلْتَفِتُ
إِلَى أَهْلِ الدَّارِ فَتَقُولُ لَهُمْ :

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ
الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

أَهْلُ بَيْتِ طَاهِرٍ دَخَلَ مَعَهُمْ رِجْسٌ وَهُوَ تَعَالَى يُرِيدُ إِذْهَابَ الرِّجْسِ عَنْهُمْ لَا
مِنْهُمْ !

فَالآنَ أَيُّهَا الْقَوْمُ الْأَمْرُ وَاضِحٌ . .

فَإِذَا كَانَتِ النِّسَاءُ هُنَّ أَهْلُ الدَّارِ وَالزَّوْجَاتُ هُنَّ مَالِكَا الدَّارِ فَمَاذَا يَمْلِكُ
مُحَمَّدٌ إِذْنٌ؟ !

أَمْ أَنْتُمْ مُتَأَثِّرُونَ جِدًّا بِقَانُونِ «قِرَاقُوش» الَّذِي يَقُولُ : إِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ
خَرَجَ هُوَ مِنَ الدَّارِ لِأَنَّ الْبَيْتَ بَيْتُهَا !

أَمَّا أَنَا شَخْصِيًّا فَلَسْتُ مُتَحَيِّزًا ضِدَّ أَحَدٍ، وَنِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ أُمَهَاتِي رُغْمَ
أَنْفِي وَأَنْفِ وَالِدَيَّ . وَإِنْ لَمْ أَكُنْ أَحْتَرِمُهُنَّ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ كَفَرْتُ وَدَخَلْتُ النَّارَ .

وَلَكِنْ مِنْ غَيْرِ الْمَعْقُولِ رُغْمَ ذَلِكَ أَنَّ أَوْمِينَ بِالتَّفْسِيرِ الْقِرَاقُوشِي !!

إِنَّ عَلَيَّ أَنْ أَتَبَيَّنَ الْأَمْرَ فَلَا أُوَالِي الْكَافِرَ وَلَا أُعَادِي الْمُؤْمِنَ .

وَإِنِّي لَا سَأَلُ : أَفَلَا يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ وَاحِدَةً أَوْ أَكْثَرَ مِنْ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ
قَدْ كَفَرْتُ؟

فَإِنَّ كُفْرَ الْأُمِّ لَيْسَ مُحَالًا فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ؟ . فَاللَّهُ تَعَالَى يَمِيزُ الْحَيِّثُ مِنَ الطَّيِّبِ وَيُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ . وَكَانَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ مُؤْمِنَةً وَامْرَأَةُ نُوحٍ كَافِرَةً .

فَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُخَاطَبُ «أَهْلُ الْبَيْتِ» هُنَّ النِّسَاءُ؟ فَلِمَاذَا يَطْهَرْنَ بَعْدَ التَّهْدِيدِ؟ ، وَمَنْ هُوَ الرَّجْسُ الَّذِي مَعَهُنَّ حَتَّى يُذْهَبَ بِهِ عَنْهُنَّ؟ ، وَكَيْفَ يَكُونُ الْمُخَاطَبُ وَالْمُتَلَقُّ إِلَيْهِ وَاحِدًا فِي اللَّغَةِ؟ .

الظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا هُوَ تَفْسِيرُ الرَّجْسِ نَفْسِهِ حَيْثُ يُرِيدُ إِقَاءَ رَجْسِهِ عَلَى الظَّاهِرِ ، لِذَلِكَ فَإِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّ النَّصَّ وَخَدَهُ يُشِيرُ بوضوح تامٍّ إِلَى الْمَعْنَى بِالظَّاهِرِ وَالْمَعْنَى بِالرَّجْسِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى مُرَاجَعَةِ الْأَحَادِيثِ وَعِلْمِ الرِّجَالِ!

أَوْ لَيْسَ الْقُرْآنُ كِتَابًا مُبَيَّنًا وَنُورًا بَيِّنًا وَآيَاتٍ بَيِّنَاتٍ؟

فَمَا الْحَاجَةُ إِلَى النُّصُوصِ الْأُخْرَى؟

نَعَمْ . . لَكِنْ مَا الَّذِي جَاءَ فِي تِلْكَ النُّصُوصِ التَّارِيخِيَّةِ؟

أَهُوَ مُزَاحِمَةُ جَبْرِيلُ عليه السلام لِلْخَمْسَةِ تَحْتَ الْكِسَاءِ الْيَمَانِيِّ حِينَمَا جَاءَ بِالْوَحْيِ وَتَلَا الْآيَةَ؟

أَمْ هُوَ مُحَاوَلَةٌ أَمْ سَلْمَةٌ أَمْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَدْخُلَ مَعَهُمْ وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ :
«مَكَانِكَ . . أَنْتَ إِلَى خَيْرٍ»!

أَمْ هُوَ مَجِيءُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى بَيْتِ عَلِيٍّ عليه السلام كُلِّ فَجْرٍ لِمُدَّةِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ فَيَقِفُ عَلَى الْبَابِ وَيَقُولُ :

«الصَّلَاةُ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» .

فَأَخْرِجُوا لَنَا عِلْمَكُمْ أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ وَقُولُوا مَا يَقْنَعُ أَهْلَ اللَّغَةِ وَالْعُرْفِ : عَنْ

سَبَبِ انْتِقَالِ الْخِطَابِ مِنَ الْمُؤَنَّثِ إِلَى جَمْعِ الْمُذَكَّرِ، وَعَنْ سَبَبِ قَوْلِهِ «عَنْكُمْ» لَا «مِنْكُمْ» فِي الْآيَةِ!!

أَخْرِجُوا لَنَا عِلْمَكُمْ فَإِنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ بِالْآيَةِ مُنْذُ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا وَأَبْقَيْتُمُوهَا بِلا حُلٍّ لِعُيُوبٍ يُفْنَعُ الْخَلْقَ سِوَى إِنَّهَا تُرِيدُ تَظْهِيرَ النِّسْوَانِ دُونَ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ!!.

تُعَسَا لَكُمْ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ!!

فَهَلْ هُوَ بَيْتٌ أَبَائِكُمْ حَتَّى تَقُولُوا فِي أَهْلِهِ مَا سِئْتُمْ أَمْ هُوَ بَيْتُ اللَّهِ وَأَهْلُهُ هُمْ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ لَا ذُرِّيَّةُ تَيْمٍ وَلَا عَدِيٍّ.

تُعَسَا لَكُمْ وَأَنْتُمْ تُحَرِّفُونَ الْآيَةَ لِشَيْءٍ إِلَّا دِفَاعًا عَنْ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ دُونَ نِسَاءِ النَّبِيِّ الْأُخْرَيَاتِ وَالَّتِي لَا تَعْلَمُ الْأُمَّةُ أَسْمَاءَهُنَّ لَكثْرَةِ مَا تُرَدِّدُونَ اسْمِي حَفْصَةَ وَعَائِشَةَ! مَعَ أَنَّهِنَّ الْأُمَهَاتُ حَقًّا حَقًّا.

وَلَوْ عَلِمْتَ نِسَاءَ النَّبِيِّ الْبَاقِيَاتُ أَنَّ دَخُولَ الْجَنَّةِ يَتِمُّ بِرُكُوبِ الْجُمَالِ وَفِيَادَةِ الْجِيُوشِ ضِدَّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَكَانَ ذَلِكَ أَيْسَرَ لَهُنَّ مِنْ أَنْ يَقَرْنَ فِي بَيْتِهِنَّ!.

لَكِنْ عَلِمْنَ الْعَكْسَ تَمَامًا وَهُوَ أَنَّ الزَّوْجَةَ لَا تَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ إِلَّا إِذَا أَطَاعَتْ رَبَّ الْبَيْتِ!

فَتُعَسَا لَكُمْ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ... التَّفْسِيرِ الْغَرِيبِ عَنْ أَغْرَافِكُمْ الَّذِي تَتَّبَجَّحُونَ بِهَا وَتَظَرِّدُونَ عَلَيْهَا النِّسْوَانُ مِنَ الْبُيُوتِ لِأَذْنَى مُشْكِلَةٍ تَحْصُلُ بَيْنَكُمْ وَلَا تَقُولُونَ إِنَّ «أَهْلَ الْبَيْتِ» - أَيَّ بَيْتٍ - هُمُ النِّسَاءُ دُونَ الرِّجَالِ!!

وَدَوْمًا عِنْدَكُمْ صَاعَانِ تَكْتَالُونِ بِهِمَا!

فَإِذَا كِلْتُمَا لِغَيْرِكُمَا كِلْتُمَا بِصَاعِ الشَّيْطَانِ، وَإِذَا كِلْتُمَا لَأَنْفُسِكُمَا كِلْتُمَا بِصَاعِ الرَّحْمَنِ لِأَنَّهُ أَغْدَلُ وَأَقْوَمُ!!

فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمَا يَا شُدَّادُ الْأَفَاقِ وَمَسْخَرَةُ الْأُمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! :

﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور: ٤٩-٥٠].

وَأَمَّا الْخَصَائِصُ الْأُخْرَى فَكُلُّهَا مُرْتَبِطَةٌ بِالْقُرْآنِ فَتَدَبَّرُ الْفَاطَهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ حَتَّى تَجِدَهَا لَا تُشِيرُ إِلَّا إِلَيْهِمْ وَلَا تُنَوِّهُ إِلَّا بِهِمْ.

ر - وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ :

انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى فإن لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا..

نهج البلاغة / ٩٢

أقول: هذه أوامر واضحة جلية في وجوب إتباع أهل البيت، وأن الانحراف عنهم وإتباع سواهم لا يفضي إلا إلى نتيجتين: إما الضلال أو الهلاك.

ومحال أن يقول هذا الكلام ويكون احتمال الهدى والنجاة في غيرهم أو إتباع سواهم سواء بسواء، بل النص واضح في ما هو عكس هذا المطلوب تماماً.

فَمَنْ قَالَ هَذَا؟

أَقَالَهُ الْمُتَكَلِّمُونَ أَمْ قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ ذَلِكَ وَالنَّصُّ يُشِيرُ إِلَيْهِ حَيْثُ قَالَ ﷺ :

«مِثْلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمِثْلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ وَهُوَ»^(١).

(١) المستدرك للحاكم / ج ٣ / ١٥١.

وَحَيْثُ قَالَ ﷺ فِي حَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ:

«فَلَا تُقَدِّمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا وَلَا تُقْصِرُوا عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوا وَلَا تَعْلَمُوهُمَ فَإِنَّهُمْ أَغْلَمُ مِنْكُمْ»^(١).

أَقُولُ: وَحَدِيثُ الثَّقَلَيْنِ بِهَذَا الْمَنْطُوقِ رَوَاهُ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ وَعِشْرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ حَتَّى لَا يَكَادُ يَخْلُو مِنْهُ كِتَابٌ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ أَوْ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ أَوْ كُتُبِ التَّارِيخِ. وَهُوَ نَصٌّ رَوَاهُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ السُّنَّةِ قَبْلَ تَكُونِ عِلْمِ الْكَلَامِ حَيْثُ كَانَ الْفِقْهُ مَقْصُورًا عَلَى الرُّوَايَاتِ. . وَقَبْلَ حَصُولِ الْمَعْرَكَةِ بَيْنَ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَالْفَقَهَاءِ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا النِّصَّ يُحَدِّدُ بَعْدَ دِرَاسَتِهِ مَعَ غَيْرِهِ الْعَمَلَ السِّيَاسِيَّ فِي نَظَرِيَّةِ الْإِمَامَةِ. فَهُوَ يَقْرُنُ هَذَا الْعَمَلَ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ بِأَمْرِ الْقَائِدِ الْإِلَهِيِّ بِسَبَبِ اسْتِمْرَارِ وجودِهِ وَاسْتِحَالَةِ خُلُو الْأَرْضِ مِنْهُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ.

أَمَّا مَزَايِمُ الْكَاتِبِ مِنْ أَنَّ الشَّيْعَةَ تَطَوَّرَتْ نَظَرِيَّتُهُمُ السِّيَاسِيَّةُ تَبَعًا لِلظُرُوفِ، وَأَنَّهُمْ اخْتَالُوا عَلَى الْفِكْرَةِ بِرِمَّتِهَا خِلَالَ مَرَاحِلِ الْبَحْثِ فَهِيَ مُعَالِظَةٌ أُخْرَى فَاحِشَةٌ. إِذْ لَيْسَ كُلُّ الشَّيْعَةِ قَدْ تَابَعُوا هَذِهِ التَّحَوُّلَاتِ أَوَّلًا، وَثَانِيًا: فَلْنَفْرِضَ أَنَّ الْجَمِيعَ تَحَوَّلُوا وَاخْتَالُوا عَلَى الْفِكْرَةِ فَمَا هِيَ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ صِحَّةِ الْفِكْرَةِ نَفْسِهَا وَعَدَدِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا؟

أَمْ تَزْعُمُ أَنَّ الْمَرْءَ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ عَدَمُ إِيْمَانِ قَوْمٍ مَا بِفِكْرَةٍ مَا وَزَيْفُ ادِّعَائِهِمْ بِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ يُسَوِّغُ لَهُ الْإِعْتِقَادَ بِفَسَادِ الْفِكْرَةِ؟.

بِالطَّبَعِ فَإِنَّ الطَّوَائِفَ الَّتِي يُطْلَقُ عَلَيْهَا الشَّيْعَةُ هُمْ جُمُوعٌ مِنَ الْخَلْقِ جَمَعَهُمُ حُبُّ أَهْلِ الْبَيْتِ لَيْسَ إِلَّا.

(١) الصواعق لابن حجر - باب الوصية.

فالمُلتزِمونَ بِشروطِ الحُبِّ هُم دَوْمًا الأَقْلُ عَدَدًا فيهِم . وَالَّذِينَ يَفْهَمُونَ فِكْرَ أَهْلِ البَيْتِ هُم الأَقْلُ عَدَدًا ضِمْنَ هَذِهِ الأَقْلِيَّةِ ، وَالَّذِينَ يُطَبِّقُونَ فِعْلاً التَّوَلَّى والتَّبَرَّى وَيُفْذَوْنَ شروطَ النهوضِ والسُّكُونِ فِي هَذَا النِّصِّ هُم الأَقْلُ عَدَدًا دَوْمًا .

المُعَالَطَاتُ هُنَا مُرَكَّبَةٌ .

فَنَحْنُ إِذَا قُلْنَا لَهُ : إِنَّ طَوَائِفَ الشَّيْعَةِ أَخَلَّتْ بِهَذَا الشَّرْطِ وَلَا عِلَاقَةَ لَهَا بِالفِكْرَةِ وَصِحَّتِهَا وَفَسَادِهَا سَيَقُولُ : نَعَمْ وَمَا كَانَ ذَلِكَ إِلَّا بِسَبَبِ اليَأْسِ مِنْ حُصُولِ التَّغْيِيرِ .

لَكِنَّكَ أَيُّهَا الكَاتِبُ قَدْ أَنْكَرْتَ فِي أَكْثَرِ مَوَاضِعِ كِتَابِكَ أَيَّ دَوْرٍ «إِيجَابِيٍّ» لِلشَّيْعَةِ فِي السِّيَاسَةِ وَأَنَّ نَظَرِيَّةَ الإِمَامَةِ سَلَبَتْ مِنْهُمْ القُدْرَةَ عَلَى الحَرَكَةِ عَلَى حَدِّ زَعْمِكَ .

إِذَنْ فَأَنْتَ تُفْسِدُ المُنَاقَشَةَ مِنَ الجِهَتَيْنِ لِأَنَّ مَا تَدَّعِيهِ هُنَا تَنْقُضُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ . هَذَا مِنْ جِهَةٍ ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فَإِنَّ مَا تَزْعُمُ أَنَّهُ الصَّحِيحُ إِنَّمَا هُوَ المُحَرَّمُ فِي الشَّرْعِ وَالحَاطِئُ فِي نَظَرِ أَهْلِ البَيْتِ .

فإِنَّ فِكْرَةَ الإِمَامَةِ نَفْسَهَا يَسْتَحِيلُ مَعَهَا تَبْرِيرُ أَيِّ عَمَلٍ سِيَاسِيٍّ بغيرِ أَمْرٍ مِنَ الإِمَامِ وَقِيَادَتِهِ .

فَلِمَاذَا هُوَ إِمَامٌ إِذَنْ إِذَا كَانَ يَجُوزُ أَنْ يَحْكُمَ بِغيرِ إِمَامٍ أَوْ بِإِمَامٍ آخَرَ ؟

فَالْآخِرُ هَذَا حَتَّى لَوْ ادَّعَى الفِكْرَ الإِمَامِيَّ فَهُوَ خَارِجٌ عَنْهُ .

وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الثُّورَاتِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي الأُمَّةِ عَلَى حُكَامِ الجَوْرِ إِنَّمَا كَانَتْ تَنْتَلِقُ مِنْ قَوَاعِدِ الشَّيْعَةِ عَصِيَانًا لِأَوَامِرِ المَعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَإِذَنْ . . . فَإِنَّ فَسَلَ هَذِهِ الثُّورَاتِ وَالحُكُومَاتِ وَعَدَمَ قُدْرَتِهَا عَلَى نَشْرِ عُلُومِ

الْكِتَابِ لِيَكُونَ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ لَهُوَ دَلِيلٌ عَمَلِيٌّ صَارِخٌ عَلَى بُظْلَانِ قِيَادَتِهَا وَعَدَمِ شُرْعِيَّتِهَا .

وَلَيْسَ لِهَذَا أَيُّ مَعْنَى فِي الْحَرَكَةِ الاجتماعيةِ والسياسيةِ إِلَّا أَنَّهُ الشَّاهِدُ الْعَمَلِيُّ عَلَى سَرَيَانِ السُّنَنِ الإِلَهِيَّةِ وَصِحَّةِ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ شَرْحٍ تَفْصِيلِيٍّ لِهَذِهِ السُّنَنِ .

وِخْلَاصَةُ هَذِهِ السُّنَنِ :

إِنَّ الشَّرْعَ الإِلَهِيَّ مُنَوِّطٌ تَنْفِيذُهُ بِالاخْتِيَارِ الإِلَهِيِّ نَفْسِهِ . فَالْحَاكِمُ بِالشَّرْعِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حَاكِمًا بِنَفْسِ الشَّرْعِ لَا بِشَرْعٍ آخَرَ بَشَرِيٍّ الْمُنْشَأُ . فَإِذَا اخْتَارَ النَّاسُ حَاكِمًا آخَرَ مَعَ وجودِ الإِمَامِ فَقَدْ كَفَرُوا وَأَشْرَكُوا . وَمُحَالٌ أَنْ يُحَقِّقَ الشَّرْعَ كَافِرٌ أَوْ مُشْرِكٌ ، وَمُحَالٌ أَنْ يَتَحَقَّقَ لِلْكَفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ الْمَامُولُ مِنْ نَتَائِجِ الاستِخْلَافِ الإِلَهِيِّ ، لِأَنَّ هَذَا الْحَاكِمَ هُوَ خَلِيفَتُهُمْ لَا خَلِيفَةُ اللَّهِ .

فَإِذَا لَمْ يَخْرُجِ الإِمَامُ بِالسَّيْفِ وَلَمْ يُحَاوِلِ اسْتِلَامَ الْحُكْمِ فَهُنَاكَ إِذَنْ خَلَلٌ فِي الْقَوَاعِدِ نَفْسِهَا . فَهِيَ لَا تَسْتَحِقُّ الْخِلَافَةَ الإِلَهِيَّةَ وَعَلَيْهَا تَضَحِيحُ مَسَارِهَا وَطَاعَةُ الإِمَامِ حَتَّى يَقُومَ بِالمُهِمَّةِ .

أَمَّا أَنْ تَقُولَ الْقَوَاعِدُ : نُؤْمِنُ بِالْإِمَامِ وَنُخْتَارُ إِمَامًا آخَرَ ، فَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ احْتِيَالٌ عَلَى الْفِكْرَةِ . فَهُوَ عِلَاوَةٌ عَلَى فَسَادِهِ تُنْكَرُ هَذِهِ الْقَوَاعِدُ أَنَّهُ فَاسِدٌ وَلَا تَعْتَرِفُ لِرَبِّهَا بِذُنُوبِهَا . وَفِي هَذَا مِنَ الاستِغْبَارِ عَلَى الإِمَامِ وَعَلَى اللَّهِ مَا فِيهِ . فَلَنْ تُوفَّقَ فِي تَحْقِيقِ أَيِّ جُزْءٍ مِنَ الشَّرْعِ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمْلُ فِي سُمْ الْخِيَاطِ . وَإِنْ بَدَأَ لَهَا أَنَّهُا تَحَقَّقَ فِي جَانِبٍ انْفَتَقَ عِنْدَهَا جَانِبٌ آخَرُ . وَلَا تَزَالُ تَرْتُقُ حَتَّى تَأْتِيَ مَرَحَلَةً أُخْرَى تَقُومُ فِيهَا بِتَبْرِيرِ أَفْعَالِهَا وَالْكَذِبِ وَالتَّمْوِيهِ وَتَخْرِيفِ النُّصُوصِ وَإِخْفَاءِ نُّصُوصٍ أُخْرَى إِلَى أَنْ تَسَاوَى مَعَ أَشْبَاهِهَا مِنْ حُكَّامِ الطَّاغُوتِ .

وفي هذه المراحل التطورية تُوجدُ نصوصٌ كثيرةٌ عن أئمة أهل البيت عليهم السلام كان المراد منها تثقيف القواعد وإيصالها إلى الوعي الكامل لمبدأ الإمامة الذي هو ذاته التوحيد بلا زيادة أو نقصان ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

إذن.. . التأخير الحاصل في قيام الإمام المعصوم بمهمته مهما كان ترتيبه في سلالة الأئمة الإثني عشر هو بسبب القواعد.

أما تبرير «علماء» الشيعة للتأخير على أنه بسبب الظلمة من حكام الجور فهو على العكس تماماً من نظرية الإمامة.

فهم يريدون إلقاء اللائمة على العدو خلاصاً من المسؤولية. فالإمام خليفة الله على المؤمنين وهو لهم خاصة وليس للظلمة والطواغيت وأهل الكفر الصريح. فإن وجد هؤلاء المؤمنون قام بواجبه وإن لم يجدوا فعلام القيام؟

إذن.. . فالكاتب يستعمل كلام «علماء» الشيعة لإبطال الإمامة!

نعم.. . أنا أعترف له أن أكثر كلام «علماء» الشيعة هو بخلاف نظرية الإمامة التي يدعون الإيمان بها. ولكن الناتج ورغم أنه هو بالمقلوب.

فالناتج من ذلك هو: إن نظرية الإمامة تبطل كلام «علماء» الشيعة، وليس كلام «علماء» الشيعة هو الذي يبطل الإمامة!

وإذن.. . فأنت تعبد الأشخاص وقد قلت لك منذ البداية: إنك تعبد الأشخاص ولا يهتمك كلام الله ورسوله ولا تريد أن تعرف الحق مجرداً عن آراء الرجال.

فهل غابت عنك أيها المختال الكذوب عشرات النصوص التي تؤكد أن الفتن إنما هي عامة وخاصة، وأن الخاصة هي لتمييز الشيعة دون سواهم، وأن الشيعة لا بد أن يميزوا ويعربلوا ويقلب أغلاهم أسفلهم «ويخرج من الغربال خلق كثير» حسب تعبير الصادق عليه السلام؟

وَهَلْ فَاتَتْكَ النُّصُوصُ الَّتِي تَقُولُ إِنَّ أَكْثَرَ الشَّيْعَةِ وَالْقَائِلِينَ بِالْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَيُنْكَرُونَ وَجُودَهُ وَإِنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ يُعْرَبِلُونَ، وَإِنْ أَقْوَامًا مِنْ غَيْرِ الشَّيْعَةِ يُبَدِّلُهُمُ اللَّهُ بِالضَّالِّينَ وَالْكَفَّارِ مِنَ الشَّيْعَةِ فَيُؤْمِنُونَ بِالْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَنْتَظِرُونَ ظُهُورَهُ ثُمَّ يَنْصُرُونَهُ ضِدَّ أَقْوَامٍ مِنْ طَوَائِفِ الشَّيْعَةِ نَفْسِهَا؟

وَهَلْ فَاتَتْكَ النُّصُوصُ الَّتِي تَقُولُ إِنَّ مِائَةَ وَخَمْسِينَ أَلْفَ كَافِرٍ وَمُشْرِكٍ يَخْرُجُونَ مِنْ مَعْقِلِ الشَّيْعَةِ «مِنَ الْكُوفَةِ تَحْدِيدًا» فَيَقَاتِلُونَ الْمَهْدِيَّ حِينَ ظُهُورِهِ؟ مَا نَفَعَتْكَ النُّصُوصُ إِذَنْ فِي فَهْمِ الْمُرَادِ وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَلَكِنَّهَا أَفَادَتْكَ فِي أَنْ تَكُونَ مِنْ أَوَائِلِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُشَكِّكِينَ بِالْمَهْدِيِّ ..

فَهَذِهِ إِذَنْ بَشَارَةٌ لَنَا بِالْخَيْرِ وَبَشَارَةٌ لَكَ بِالشَّرِّ لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى اقْتِرَابِ الْوَعْدِ .
وَالآنَ سَأَذْكُرُ لِلْقَارِي الْكَرِيمِ الَّذِي قَدْ لَا يَعْلَمُ هَذِهِ النُّصُوصَ فَقَرَاتِ مِنْهَا وَأَعْلُقُ عَلَى بَعْضِهَا بِمَا يَنْفَعُهُ فِي إِضْاحِ السَّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ الْعَامِلَةِ :

الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ: عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ فِي حَدِيثٍ جَاءَ فِيهِ: «خَالِطُوا النَّاسَ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَأَبْدَانِكُمْ وَزَايِلُوا بِقُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا تَرُونَ مَا تُحِبُّونَ حَتَّى يَتَنَلَّ بِبَعْضِكُمْ فِي وُجُوهِ بَعْضٍ وَحَتَّى يُسَمِّيَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَذَائِبِينَ وَحَتَّى لَا يَبْقَى مِنْ شِيعَتِي «إِلَّا» كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ أَوْ الْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ وَسَأَضْرِبُ لَكُمْ مَثَلًا وَهُوَ مَثَلُ رَجُلٍ كَانَ لَهُ طَعَامٌ فَتَقَاءَ وَطَبِيئُهُ ثُمَّ أَدْخَلَهُ بَيْتًا وَتَرَكَهُ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ أَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهُ السُّوسُ فَأَخْرَجَهُ وَتَقَاءَ وَطَبِيئُهُ وَأَعَادَهُ وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ كَذَلِكَ حَتَّى بَقِيََتْ مِنْهُ رُزْمَةٌ كَرُزْمَةِ الْأَنْدَرِ فَلَا أَنْدَرٍ لَا يَضُرُّهُ السُّوسُ شَيْئًا وَكَذَلِكَ أَنْتُمْ تُمَيِّزُونَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا عِصَابَةٌ لَا تَضُرُّهَا الْفِتْنَةُ شَيْئًا»^(١).

(١) غيبة النعماني/ نقلته عن خاتمة الدروع ج ٢ / ٣٣١.

فانظر في هذا الكلام وهذا المثال: أهو من كلام المتكلمين والفقهاء وأهل الجدل عن مذاهبيهم التي يدافعون عنها أم هو كلام ولي يتحدث فيه عن القوانين الإلهية غير أبي بقصان عدد شيعته إلى حد أن يكونوا كالمِلح في الطعام؟

ألا تراه يعلّق عمليّة الاستخلاف على الخيار الإنساني من جهة طاعة الله لا من جهة اختيار الإمام؟

فلو كانت الشيعة تستحقّ الخلافة الإلهية لما تأخّر المدد الإلهي لحظة واحدة ولكن الله يعلم أن هذا العدد مغشوش ولا بُدّ من الغرْبلة والتمييز بالفتن.

أقول أيضاً: إنَّ المثل المضروب تكرر كثيراً في أحاديث أئمتنا الصادق والباقر والرضا وموسى بن جعفر عليهم السلام وبصور متعدّدة. وهو في الأصل مثل ضربته السيّد المسيح ﷺ لتلاميذه حين سأله عن يوم الرب أو يوم الملكوت. وهو بالطبع نفسه يوم المهدي ﷺ، لأنّ المسيح ﷺ ينزل والمهدي ﷺ يُقيم الصلاة في أوائل ظهوره فيصلّي خلفه كما في النصّ النبويّ الذي أخرجهُ الحُفَاطُ مُستفيضاً جداً وبلغ حدّ الاشتهار.

إذن فاختيال رجال الشيعة على موضوع الإمامة والانتظار هو قانون ذكره أهل البيت ﷺ ونُبوءة سابقة أخبروا عنها. فهي تُصدّق كلامهم وتؤكد صحّة المثل المضروب، وليس مغناها بطلان الإمامة كما يزعم هذا الكذاب.

فانظر في النصوص المشابهة لهذا الكلام في «بشارة الإسلام» وفي «منتخب الأثر» وفي «إزام النَّاصِب» وكتاب «الغيبة» ومُجْمَلِ كُتُبِ أَهْلِ الْأَخْبَارِ.

الحديث الثاني: عن سليمان بن صالح عن الباقر ﷺ قال في حديث جاء

فيه:

«إِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ فِتْنَةٌ يَسْقُطُ فِيهَا كُلُّ بَطَّانَةٍ وَوَلِيَجَةٍ حَتَّى يَسْقُطَ فِيهَا مِنْ يَشُقُّ الشَّعْرَةَ بِشَعْرَتَيْنِ حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا نَحْنُ وَشِيعَتُنَا».

والمقصود هنا بِشِيعَتِهِم المَعْنَى الفِعْلِي لَا الاضْطِلَاحِي إِذْ لَيْسَ كُلُّ مُتَمِّمٍ لِطَائِفَةِ الشَّيْعَةِ هُوَ مِنَ الشَّيْعَةِ فَافْهَمْ هَذَا.

وَلِذَلِكَ رَدَّ الْإِمَامُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام قَوْمًا مِنَ الْعِرَاقِ وَلَمْ يَأْدُنْ لَهُمْ بِالْدُخُولِ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حِينَ قَالُوا: نَحْنُ مِنَ الشَّيْعَةِ!، فَقَالَ الْإِمَامُ: إِنَّمَا الشَّيْعَةُ مَنْ هُوَ مِثْلُ سَلْمَانَ وَعَمَّارَ وَأَبِي ذَرٍّ وَالْمِقْدَادَ فَهَلْ أَنْتُمْ مِثْلُ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَقُولَ ذَلِكَ! فَقَالَ: قُولُوا نَحْنُ مِنْ مُجِيبِكُمْ وَمُؤَالِيكُمْ.

وَعَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرُّضَا عليه السلام قَالَ:

«لَيْسَ كُلُّ مَنْ قَالَ بَوْلَايَتِنَا مُؤْمِنًا وَلَكِنَّهُمْ جُعِلُوا أُنْسًا لِلْمُؤْمِنِينَ».

الْحَدِيثُ الثَّالِثُ: عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ عليه السلام قَالَ لِمَالِكِ بْنِ ضَمْرَةَ:

يَا مَالِكُ بْنُ ضَمْرَةَ كَيْفَ أَنْتَ إِذَا اخْتَلَفَتِ الشَّيْعَةُ هَكَذَا وَشَبَكَ أَصَابِعُهُ وَأَدْخَلَ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ خَيْرٍ. قَالَ: الْخَيْرُ كُلُّهُ عِنْدَ ذَلِكَ يَا مَالِكُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُومُ قَائِمُنَا فَيَقْدَمُ سَبْعِينَ رَجُلًا يُكَذِّبُونَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَيَقْتُلُهُمْ ثُمَّ يَجْمَعُ اللَّهُ «النَّاسَ» عَلَى أَمْرِ وَاحِدٍ^(١).

وَمِثْلُ هَذَا النَّصِّ وَرَدَ عَنِ الصَّادِقِ أَيْضًا فَرَاغَ الْعِيَّةَ وَالْبِشَارَةَ. كَمَا رُويَ مِثْلُهُ عَنِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ عليه السلام قَالَ:

«لَا يَكُونُ الْأَمْرُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ حَتَّى يَبْرَأَ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ وَيَتَنَفَّلَ بَعْضُكُمْ فِي وُجُوهِ بَعْضٍ وَحَتَّى يَلْعَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَحَتَّى يُسَمِّيَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَذَّابِينَ»^(٢).

(١) الخاتمة/ ج ٢ / ٣٣٠.

(٢) غيبة النعماني/ باب ما روي عن الحسن.

أَقُولُ: هَذَا الْاِخْتِلَافُ ضَرُورِيٌّ لِلتَّنْبِيهِ إِلَى الْحَقَائِقِ الْمَظْمُوسَةِ فِي رِكَامِ أَهْلِ
الْكَلَامِ وَالْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ حَسَبَ أَهْوَائِهِمْ سَوَاءَ كَانُوا شِيعَةً أَمْ سُنَّةً.

وَمَا لَمْ يَتَّحِدْ مَوْضُوعُ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ وَتَتَوَضَّحَ مَعَالِمُهُ فَلَنْ يَتَرَاجَعَ النَّاسُ
عَنِ الْمُغَالَطَةِ فِي التَّفَكِيرِ. . . وَقَدْ أَوْضَحْتُ جَانِباً مِنَ الْمُغَالَطَاتِ وَسَوْفَ أُبَيِّنُ
بَعْضَهَا الْآخَرَ فِي مَوَاضِعِهَا.

الحديث الرابع: عَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ:

«وَاللَّهِ مَا يَكُونُ مَا تَمْدُونُ أَغْيُنُكُمْ إِلَيْهِ حَتَّى تُمَحَّصُوا وَتُمَيَّزُوا وَحَتَّى لَا يَبْقَى
مِنْكُمْ إِلَّا الْأَنْدَرُ فَإِلَّا أَنْدَرُ»^(١).

إِذَنْ فَالْغَيْبَةُ - غَيْبَةُ الْإِمَامِ الثَّانِي عَشَرَ - لَهَا نَفْسُ الْعِلَّةِ وَالسَّبَبِ فِي عَدَمِ قِيَامِ
مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الْأُئِمَّةِ!

فَلَيْسَتْ هُنَاكَ أَسْبَابٌ مُخْتَلِفَةٌ أَوْ مُبَرَّرَاتٌ مُتَبَايِنَةٌ كَمَا يَزْعُمُ هَذَا الْكَذَّابُ
الْأَشْرِي، بَيِّنٌ أَنَّ التَّعْبِيرَ عَنِ الْعِلَّةِ يَأْخُذُ صُوراً مُخْتَلِفَةً بِحَسَبِ الْمُتَلَقِّي وَقُدْرَاتِهِ
الْعَقْلِيَّةِ. وَلِذَلِكَ وَصَلْتُ إِلَيْنَا الْأَحَادِيثُ وَهِيَ تُبَيِّنُ عِلَلاً كَثِيرَةً لِلْغَيْبَةِ.

وَإِذَا انْكَشَفَتِ الْعِلَّةُ ظَهَرَتْ تَلَقَائِيَّ كَافَّةُ الْمُغَالَطَاتِ فِي الْمَوْضُوعِ. فَهَذِهِ
الْعِلَلُ الْمُخْتَلِفَةُ إِنَّمَا تُنَوِّهُ عَنِ الْعِلَّةِ الرَّئِيسِيَّةِ الْأُمِّ.

عَجَباً لِقَوْمٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ سَبَبِ الْغَيْبَةِ!

عَجَباً لِعُلَمَاءٍ مِنَ الشَّيْعَةِ أَبَوْا إِلَّا أَنْ يَكُونُوا تَبَعاً لِلشَّيْطَانِ!

إِنَّ الْكَاتِبَ الْكَاذِبَ الشَّيْطَانُ أَيْضاً وَلَكِنْ لِلشَّيَاطِينِ فَوَائِدُ عَظِيمَةٌ خَافِيَةٌ عَنِ
أَكْثَرِ النَّاسِ!

فَالشَّيْطَانُ يَكْشِفُ الْمَسْتُورَ بِهِ يَتِمُّ التَّمْيِيزُ وَالْعَرَبَلَةُ!

(١) البشارة/ باب ما روي عن الرضا.

عَجَبًا لِقَوْمٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنْ أَسْبَابِ غَيْبَةِ الْإِمَامِ وَكَأَنَّهُمْ غَيْرُ مَعْنِينَ بِالْغَيْبَةِ وَلَا مَسْئُولِينَ عَنِ التَّأخِيرِ. إِنَّ هَذَا الْعَمَلَ نَفْسُهُ خَدَاعٌ، وَإِنَّ هَذَا الْعَمَلَ نَفْسُهُ هُوَ سَبَبُ طَوْلِ الْغَيْبَةِ!

وَلِذَلِكَ فَقَوْلُ الْكَاتِبِ فِي الْمَبْحَثِ السَّادِسِ مِنَ الْجُزْءِ الثَّانِي / ١٦٣ :
«فَبَعْدَ تَقْدِيمِ كَافَّةِ الْأَدَلَّةِ عَلَى وَجُودِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ فَإِنَّ غَيْبَتَهُ عَنْ الْأَنْظَارِ وَعَدَمَ خُرُوجِهِ وَتَصَدِّيهِ لِقِيَادَةِ الْأُمَّةِ وَالْإِضْطِلَاعِ بِمَهَامِ الْإِمَامَةِ يُشْكَلُ تَحْدِيًا كَبِيرًا لِلْقَائِلِينَ بِوُجُودِهِ وَيُوجِبُ عَلَيْهِمْ تَفْسِيرَ «سِرِّ الْغَيْبَةِ» وَقَدْ قَدَّمُوا عِدَّةَ نَظَرِيَّاتٍ فِي تَفْسِيرِ ظَاهِرَةِ الْغَيْبَةِ الْمُحِيرَةِ!».
أَقُولُ: هَذَا كَلَامٌ يُشَبِّهُ كَلَامَ الْخَوَارِجِ فَهُوَ كَلَامٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهِ الْبَاطِلُ. وَذَلِكَ لِسَبَبَيْنِ رَئِيسَيْنِ هُمَا:

الْأَوَّلُ: إِنَّ هَذَا التَّحْدِيَّ ذَاتِيٌّ. فَإِنَّ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِهِ حَقًّا فَإِنَّ اللَّوْمَ يَقَعُ عَلَيْهِمْ لَأَنَّ التَّفْسِيرَ الْوَحِيدَ لِلْغَيْبَةِ هُوَ عَدَمُ صَلَاحِيَّتِهِمْ لظُهُورِ الْإِمَامِ وَالْقِيَامِ بِالْمِهْمَةِ. فَشَأْنُهُ فِي هَذَا لَا يَخْتَلِفُ عَنْ شَأْنِ الرِّضَا عليه السلام الَّذِي رَفَضَ وَلَايَةَ الْمَأْمُونِ، وَكَذَلِكَ شَأْنُ جَمِيعِ آبَائِهِ كَالصَّادِقِ عليه السلام الَّذِي رَفَضَ الدَّعْوَةَ الْهَاشِمِيَّةَ لِبَنِي الْعَبَّاسِ مَعَ أَنَّ جَيْشَ الْعَبَّاسِيَّةِ الْبَالِغَ عَشْرِينَ أَلْفًا قَدْ دَخَلَ الْعِرَاقَ وَغَايَتُهُ أَنْ يَكُونَ تَحْتَ تَصَرُّفِهِ.

وَإِنْ كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ وَيَتَسَاءَلُونَ فَقَطِّ فَإِنَّهُمْ كَذَبَةٌ وَمَا كَرُونِ. وَقَدْ ذَكَرَهُمُ الْقُرْآنُ لِأَنَّ يَوْمَ الْمَهْدِيِّ عليه السلام هُوَ يَوْمُ الدِّينِ وَتَحْقِيقِ الْمُرَادِ الْإِلَهِيِّ مِنَ الشَّرْعِ كَمَا فِي آلاَفِ النُّصُوصِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْحُفَّاظُ. حَيْثُ وَرَدَ تَكْذِيبُهُمْ بِيَوْمِ الدِّينِ مِنْ نَحْوِ مَنْ إِثْنِي عَشَرَ مَرَّةً فِي الْقُرْآنِ، وَهُمْ شِرَارُ خَلْقِ اللَّهِ.

الثَّانِي: إِنَّ النَّظَرِيَّاتِ الْمَوْضُوعَةَ لِتَفْسِيرِ الْغَيْبَةِ لَيْسَتْ نَظَرِيَّاتٍ عَلَى الْجَمْعِ، وَإِنَّمَا هِيَ نَظَرِيَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطِّ صِيغَتْ صِيغَةً مُخْتَلِفَةً بِحَسَبِ نَتَائِجِهَا لَا لِاخْتِلَافِ الْأَسْبَابِ كَمَا زَعَمَ هَذَا الْجَاهِلُ. وَهَذَا مَا سَوْفَ نُوضِّحُهُ الْآنَ مُخْتَصَرًا:

١ - الْحِكْمَةُ الْمَجْهُولَةُ:

وَهَذِهِ فِكْرَةٌ مُبْتَدَعَةٌ لَا عِلَاقَةَ لَهَا بِالْإِمَامَةِ وَإِنْ قَالَ بِهَا أَسَاطِينُ الْفِكْرِ الشَّيْعِيِّ!

فَلَا تَخْدَعُكُمْ الشَّهْرَةُ!

إِذْ كَيْفَ تَكُونُ مَجْهُولَةً وَفِي عَيْنِ الْوَقْتِ يَطْلُبُ الْحُجَّةُ نَفْسُهُ أَنْ يُدْعَى لَهُ بِالْفَرَجِ وَيُوكَّدَ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْعِبَادَةِ؟

فَمَاذَا يَقُولُ الدَّاعِي؟

وَأَيُّ سَبِيلٍ يَسْلُكُ لِأَجْلِ تَقْرِبِ الْمَوْعِدِ إِذَا كَانَ يَجْهَلُ السَّرَّ فِي الْغَيْبَةِ؟

أَقُولُ أَيْضًا: إِنَّ فِكْرَةَ الْحِكْمَةِ الْمَجْهُولَةِ لَمْ تُؤْتَرْ قَطْعًا عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْإِثْنِي عَشَرَ، فَهِيَ مِنْ أَقْوَالِ «الْعُلَمَاءِ» وَمَزَاعِمِهِمْ لَا غَيْرَ. بَلِ الْحِكْمَةُ وَاضِحَةٌ جِدًّا حَتَّى فِي أَجْوِبَةِ الْإِمَامِ الثَّانِي عَشَرَ عليه السلام نَفْسِهِ حَوْلَ السُّؤَالِ عَنْ سَبَبِ الْغَيْبَةِ وَالَّذِي لَمْ يَرِدْ فِيهِ تَبَكُّيُ السَّائِلِ وَإِهَانَتِهِ. فَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَقُولَ لَهُ: «أَنْتُمْ سَبَبُ الْغَيْبَةِ» قَالَ فِي الْجَوَابِ مَا ذَكَرَهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ بُدِّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١].

وَهَذَا جَوَابٌ كَافٍ جِدًّا يُوَضِّحُ السَّبَبَ مِنَ الْغَيْبَةِ، فَفِيهِ أَشْيَاءٌ تُسَيِّئُ إِلَى سُمْعَةِ السَّائِلِينَ، لِأَنَّ الْعِلَّةَ فِي الْآتِبَاعِ لَأَنَّهُمْ لَمْ يَصِلُوا بَعْدُ إِلَى دَرَجَةِ الْوَعْيِ وَالتَّسْلِيمِ لِلْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ حَتَّى يَسْتَحِقُّوا الْخِلَافَةَ الْإِلَهِيَّةَ.

أَمَّا الْمُعَادَلَةُ الْقَائِلَةُ إِنَّ الْحُكْمَ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَإِنَّ النَّاسَ فِي ضَلَالٍ مَا دَامَ هُنَاكَ حُكَّامٌ جَوْرٌ فَهِيَ مُعَادَلَةٌ مُقْلُوبَةٌ مُخَالِفَةٌ لِلتَّشْرِيعِ الْإِلَهِيِّ، وَهِيَ مِنْ تَشْرِيعَاتِ الَّذِينَ كَفَرُوا.

فَالْحَرَكَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ هِيَ دَوْمًا سَابِقَةٌ عَلَى أَيِّ تَكْوِينٍ سِيَاسِيٍّ. وَقَدْ جَمَعَ

النَّبِيُّ ﷺ العلاقة بَيْنَ الْحَاكِمِ وَالْمَحْكُومِ فِي عِبَارَةٍ مُوجِزَةٍ عَظِيمَةِ الْأَهَمِيَّةِ
حِينَمَا قَالَ:

«كَيْفَ مَا تَكُونُونَ يَكُونُ أَمْرَاؤُكُمْ».

وفي نصوصٍ أُخْرَى عَنِ السُّنَّةِ قَالَ:

«كَيْفَمَا تَكُونُونَ يُؤَمَّرُ عَلَيْكُمْ».

وَلَوْ كَانَ الْحُكْمُ هُوَ الْمُؤَثِّرُ عَلَى عَقَائِدِ النَّاسِ لَقَالَ عَكْسَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ:
«كَيْفَمَا يَكُونُ أَمْرَاؤُكُمْ تَكُونُونَ».

وَلَكِنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ الْأَخِيرَةَ خَاطِئَةٌ وَإِعْيَاءً لِأَنَّ الْأَمْرَاءَ يَأْتُونَ دَوْمًا نَتِيجَةَ
صِرَاعِ قُوَى اجْتِمَاعِيَّةٍ وَفِكْرِيَّةٍ مَوْجُودَةٍ قَبْلَهُمْ وَهُمْ نَاتِجٌ لَهَا.

فَإِذَا وُجِدَ فِي السَّاحَةِ قَوْمٌ يُؤْمِنُونَ بِالْخِلَافَةِ الْإِلَهِيَّةِ تَحَقَّقَتْ، وَإِنْ لَمْ يَوْجَدُوا
فَالْفِتْنُ وَأَمْرَاءُ السُّوءِ وَحُكَّامُ الشَّرِّ هُمْ مَخْصُولُهُمُ الْوَحِيدُ.

فَطَبِيعَةُ الْحُكْمِ هُوَ أَمْرٌ مُعَلَّقٌ عَلَى الْإِخْتِيَارِ الْبَشَرِيِّ إِزَاءَ قَضِيَّةِ التَّوْحِيدِ
وَالْتِزَامَاتِهَا الْعَقَائِدِيَّةِ وَمَنْ ثُمَّ الْأَخْلَاقِيَّةِ. فَمَتَى وَقَعَ هَذَا الْإِخْتِيَارُ عَلَى الْمَفْهُومِ
الصَّحِيحِ لِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ فَإِنَّ مَسِيرَةَ النَّوعِ الْبَشَرِيِّ سَتُفْضِي إِلَى الْحُكْمِ الْإِلَهِيِّ
حَتْمًا. وَأَمَّا إِذَا تَرَكَ هَذَا الْإِخْتِيَارُ سَائِبًا أَوْ وَقَعَ هُوَ عَلَى الْمَفَاهِيمِ الْخَاطِئَةِ
لِلْقَضِيَّةِ هَذِهِ، فَإِنَّ الْحَرَابَ الدَّاخِلِيَّ لَا بُدَّ أَنْ يَطَالَ كُلُّ إِنْسَانٍ، وَبِالتَّالِي عَدَمِ
اسْتِحْقَاقِ النَّوعِ الْبَشَرِيِّ إِلَّا لِحُكْمٍ مِنْ نَوْعِ هَذَا الْحَرَابِ.

وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ مُجَرَّدَ الْإِعْتِقَادِ بِالْخَلِيفَةِ وَالْحُجَّةِ لَنْ يَكُونَ كَافِيًا لِلظُّهُورِ مِثْلَمَا
أَنَّ مُجَرَّدَ الْقَوْلِ بِهَذَا الْإِعْتِقَادِ لَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَنَاطَ.

فَإِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ ذَلِكَ هُمْ كَثْرَةٌ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ وَمُرَاوُونَ وَأَهْلُ دُنْيَا
وَيَطْلُبُونَ الْمَهْدِيَّ لِأَغْرَاضٍ شَخْصِيَّةٍ. فَهُمْ يَرُونَ فِيهِ حَاكِمًا عَادِلًا يُخْلَصُهُمْ مِنَ
الظُّلْمِ لَا غَيْرَ!.

وَهَذَا التَّصَوُّرُ لَيْسَ قَصْرًا عَلَى أَهْلِ الْأَذْيَانِ وَأَهْلِ الْإِسْلَامِ . فَكُلُّ الشُّعُوبِ تُرِيدُ التَّحَرُّرَ مِنَ الظُّلْمِ وَتُحَاوِلُ إِجَادَ قِيَادَةَ عَادِلَةٍ ! .

كَلَّا . . إِنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا التَّصَوُّرِ فِي نَتَائِجِهَا . وَالْخِلَافَةُ الْإِلَهِيَّةُ هِيَ فَقَطْ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَيُسَلِّمُونَ بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ وَلَيْسَتْ لَدَيْهِمْ أَحْكَامٌ مُسَبِّقَةٌ وَلَا تَعْقِيبٌ عَلَى الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ . فَهَذَا هُوَ جَوْهَرُ الْإِيمَانِ وَهُوَ مُرْتَبِطٌ بِعَمَلِيَّةِ سُلُوكٍ مَعْقَدَةٍ جِدًّا ، إِذْ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ حَاجَتُهُمُ الْأُولَى لِلَّهِ وَخُده وَلِطَاعَتِهِ لَا لِلدُّنْيَا وَلَا حَتَّى لِلْآخِرَةِ وَالْعَاقِبَةِ السَّعِيدَةِ فِي الْجَنَّةِ ! .

هَذَا الْوَعْدُ بِالْخِلَافَةِ هُوَ تَحْدِيدٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِعِصْمَةِ الْإِمَامِ ﷺ وَلَمْ يَرُدُّوا عَلَى اللَّهِ فِي شَيْءٍ ، وَكَانَ هَمُّهُمْ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ هُوَ رِضَاهُ تَعَالَى ، وَكَانُوا هُمْ فِي عَمَلٍ مُسْتَمِرٍّ مَخْمُومٍ لِلصَّالِحَاتِ الَّتِي رَضِيَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ . قَالَ تَعَالَى :

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥] .

وَالْخِطَابُ لِلَّذِينَ آمَنُوا كَمَجْمُوعٍ ، وَهُمْ مُخْتَلَفِي الدَّرَجَاتِ .
إِذْ لَا تُوجَدُ حِكْمَةٌ مَّجْهُولَةٌ كَمَا زَعَمَ الْكَاتِبُ الْكَاذِبُ وَإِنْ قَالَ بِهَا بَعْضُ «عُلَمَاءِ» الشَّيْعَةِ كَالصَّدُوقِ وَالطُّوسِيِّ وَكَاشَفِ الْغَطَاءِ وَغَيْرِهِمْ .

فَالْمَعْصُومُ ﷺ أَوْضَحَ بِجَلَاءٍ وَفِي نصوصٍ عَدِيدَةٍ عِلَّةَ الْغَيْبَةِ . وَقَوْلُهُ ﷺ : ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ . . .﴾ [المائدة: ١٠١] لَيْسَ هُوَ مَنْعًا مِنَ السُّؤَالِ لِأَنَّ الْحِكْمَةَ مَجْهُولَةٌ ، بَلْ لَا يَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا جَاهِلٌ . إِنَّمَا الْآيَةُ صَرِيحَةٌ فِي إِلْقَاءِ التَّبَعَةِ عَلَى السَّائِلِ . فَهِيَ جَوَابٌ لِلسُّؤَالِ ، بَلْ هِيَ جَوَابٌ غَنِيٌّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ .

ب - نَظَرِيَّةُ التَّمْحِيصِ:

قَالَ الْكَاتِبُ الْكَاذِبُ:

«وَهُنَاكَ نَظَرِيَّةٌ أُخْرَى لِتَفْسِيرِ الْغَيْبَةِ هِيَ نَظَرِيَّةُ التَّمْحِيصِ وَقَدْ رَوَى الصَّدُوقُ وَالطُّوسِيُّ رَوَايَاتٍ عَدِيدَةً فِي هَذَا الْمَضْمُونِ عَنِ الْإِمَامِينَ الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ وَتَعْنِي تَمْحِيصَ الشَّيْعَةِ وَغَرَبَلَتَهُمْ وَظُهُورَ حَقِيقَةِ إِيْمَانِهِمْ بِالْمَهْدِيِّ وَصَبْرَهُمْ عَلَى الْبَلَاءِ.

وَتَتَحَدَّثُ بَعْضُ الرَوَايَاتِ: إِنَّهُ لَا بُدَّ لِصَاحِبِ الْأَمْرِ مِنْ غَيْبَةٍ يَغِيْبُهَا حَتَّى يَرْجِعَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ مَنْ كَانَ يَقُولُ بِهِ: وَإِنَّمَا هِيَ مِخْنَةٌ إِمْتَحَنَ اللَّهُ بِهَا خَلْقَهُ». ثُمَّ ذَكَرَ تَشَابُهَ غَيْبَتِهِ وَإِبْطَاءَهُ مَعَ إِبْطَاءِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى أَخَذَتْ طَوَائِفُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ تَرْتَدُّ طَائِفَةٌ بَعْدَ أُخْرَى.

وَقَالَ: «وَلَكِنْ لَمْ يَأْخُذْ بِهَذِهِ النَّظَرِيَّةِ سِوَى الصَّدُوقِ وَأَهْمَلَهَا الْمُفِيدُ وَالْمُرْتَضَى وَالطُّوسِيُّ وَقَسَرَ الطُّوسِيُّ الرَوَايَاتِ الْوَارِدَةَ فِي امْتِحَانِ الشَّيْعَةِ حَالَ الْغَيْبَةِ أَنَّهَا تَعْنِي الْإِتِّفَاقَ فِي ذَلِكَ فِي أَثْنَائِهَا لَا إِنَّهَا سَبَبٌ لَهَا». . . انتهى الشاهد/ ١٦٤.

وَالْكَاتِبُ كَعَادَتِهِ فِي الْكَذِبِ وَالتَّزْوِيرِ لَمْ يَأْتِ بِأَغْلَبِ النُّصُوصِ الْهَامَّةِ فِي فِكْرَةِ التَّمْحِيصِ وَبَثَّرَ النَّصَّ الْخَاصَّ بِتَشْبِيهِ الْإِبْطَاءِ بِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا أَهْمَلَ كَافَّةَ النُّصُوصِ الَّتِي تُشَبِّهُ غَيْبَةَ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِغَيْبَةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كِيُونُسَ وَيُوسُفَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى حَيْثُ كَانَ لِكُلِّ مِنْهُمْ غَيْبَةٌ طَوِيلَةٌ أَوْ قَصِيرَةٌ وَافْتِرَاقٌ عَنِ قَوَاعِدِهِمْ.

وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ أَوْحَى لِلْمُتَلَقِّي عَنْ إِهْمَالِ الْأَسَاطِينِ لَهَا وَكَأَنَّا نُدِينُ بَدِينَنَا لِلطُّوسِيِّ وَالْمُرْتَضَى وَالْمُفِيدِ؟

السُّؤَالُ هُوَ: أَنْتَ أَيُّهَا الْكَاتِبُ مَا تَقُولُ فِي هَذَا؟

أَتَقُولُ مَا يَقُولُهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَمَا يَقُولُهُ رَسُولُهُ؟
تُرَى لَوْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ عَيَّنَ حُجَجًا عَلَى خَلْقِهِ وَأَتَاهُمْ عِلْمَ الْكِتَابِ وَلَكِنَّ الْخَلْقَ
عَصَوْهُمْ فَمَاذَا يَفْعَلُ أُولَئِكَ الْحُجَجُ؟
أَتُرِيدُ مِنْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِتَحْرِيكِ الدَّبَابَاتِ فِي مُؤَامَرَةٍ حَقِيرَةٍ وَيَقُومُونَ بِانْقِلَابِ
عَسْكَرِي حَتَّى يَأْتِيَ الْمَهْدِيُّ الْحُجَّةُ لِيَحْكُمَ؟
أَمْ تُرِيدُ مِنْهُ أَنْ يَسْتَبْدِلَ الْقَوْمَ بِخَلْقٍ آخَرِينَ كَمَا هَدَدَ مِرَارًا فِي الْقُرْآنِ؟
أَمْ يَكِيدُ الْعَدُوَّ وَيَقْتِنِ الْمُوَالِي بِتَمْدِيدِ عُمُرِ الْحُجَّةِ الْأَخِيرِ مِنْهُمْ وَيَحْلُمَ عَلَيْهِمْ
حَتَّى يَعُودُوا إِلَى الْحَقِّ فَيَحَقِّقَ بِذَلِكَ وَعْدَهُ الَّذِي قَطَعَهُ لَهُمْ وَلِرَسُولِهِ فِي الْقُرْآنِ؟
وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ!
وَمَا هُوَ الْأَنْسَبُ وَالْأَلْيَقُ لَجَلَالِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ وَلُطْفِهِ وَعِلْمِهِ؟
وَمَا أَذْرَاكَ أَنْ يَكُونَ فِي عِلْمِهِ أَنَّ الْخَلْقَ لَا بُدَّ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى دِينِهِ طَوْعًا لَا
كَرْهًا كَمَا عَلِمَ مِنْ رَجُوعِ قَوْمِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟
وَمَا عَلِمَكَ عَنْ طَرِيقَتِهِ فِي الْحِسَابِ بَحِيثُ إِنَّ كُلَّ امْرَأٍ يَنَالُ جَزَاءَهُ الْعَادِلَ
وَلَا يَخْسِرُ مُؤْمِنٌ مُتَنَبِّئًا صَابِرٌ عَامِلٌ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ مِثْلَمَا لَا يَرْبَحُ أُولَئِكَ الَّذِينَ
أَمْهَلَهُمْ؟
وَهَلْ أَيَّامُكَ مِثْلُ أَيَّامِهِ؟
﴿وَسَتَجْلُو لَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا
تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].
أَفَلَا يَضْبِرُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ؟
وَلِمَاذَا قَصَّ عَلَيْكَ قِصَّةَ يُونُسَ؟
فَإِنَّ يُونُسَ اعْتَقَدَ أَنَّ الْقَوْمَ لَا يُؤْمِنُونَ وَاسْتَعْجَلَ الْعَذَابَ عَلَيْهِمْ فَأَخَذَهُ

الْغَضَبُ لِبَطْنِ الْوَعْدِ بِالْعَذَابِ . وفي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُمْ لَنْ يُعَذَّبُوا فَهَوَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَيُؤْمِنُونَ ، وَلَكِنْ يُؤَسَّسَ لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَتْرِكِ الْمَشِيئَةَ لِلَّهِ . فَهَوَ مِثْلُ رَجُلٍ يَأْتِمُرُ بِأَمْرِ الْمَلِكِ وَلَكِنَّهُ يَقُولُ لِلْمَلِكِ : لَا بُدَّ أَنْ أَنْفِذَ الْأَمْرَ الْآنَ ! .

صَحِيحٌ إِنَّهَا طَاعَةٌ لِلْمَلِكِ وَلَكِنَّهَا تَتَضَمَّنُ عَصْيَانًا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى . فَمَا أَذْرَاهُ أَنَّ الْمَلِكَ يُرِيدُ الْعُدُولَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ لِتَغْيِيرِ فِي حَالِ الرِّعْيَةِ وَإِضْطَارَ أَمْرٍ آخَرَ؟ إِنَّ الْعِلَاقَةَ مَعَ اللَّهِ لَهَا صُورَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ هِيَ «التَّسْلِيمُ» وَكُلُّ مَا عَدَاهَا فَهَوَ شِرْكٌ أَوْ كُفْرٌ .

وَهَلْ تَفْهَمُ سِرَّ الْعُقُوبَةِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي طَالَتْ يُؤَسَّسُ؟

مَا أَذْرَاكَ أَيُّهَا الْمُتَعَاظِلُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ الْخَلْقَ رَاجِعُونَ إِلَى دِينِهِ حَتْمًا وَلِذَلِكَ فَهَوَ يُمَحِّصُهُم بِالْبَلَاءِ وَلَا يُعَجِّلُ عَلَيْهِمُ بِالْعِقَابِ؟!

مَعَ أَنَّ الْبَلَاءَ يَعْمَلُ كِعِقَابٍ أَيْضًا وَلَكِنْ دُونَ الْإِهْلَاكِ . وفي كُلِّ الْأَحْوَالِ تَبْقَى الْإِحْتِمَالَاتُ كُلُّهَا مَفْتُوحَةً ، فَلَا أَحَدٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَادِرٌ عَلَى الْحُكْمِ بِمَصِيرِ الْخَلْقِ!

وَكُلُّ مَا نَعْلَمُهُ أَنَّهُ لِحَدِّ هَذِهِ اللَّحْظَةِ قَدْ وَفَى بِوَعْدِهِ وَنَصَرَ جُنْدَهُ وَأَمَدَّ بِعُمْرِ حُجَّتِهِ إِمْنَهَالًا لِلْعِبَادِ لِيَرْجِعُوا إِلَى دِينِهِ الْحَقِّ ، فَإِنْ فَعَلَ فَهَوَ جَدِيرٌ بِالرَّحْمَةِ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهَوَ الْجَدِيرُ بِالْعَذْلِ . وَلِذَلِكَ قَالَ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

«لَا بُدَّ أَنْ يُؤَلَّى كُلُّ قَوْمٍ قَبْلَ الْقَائِمِ حَتَّى لَا يَقُولُوا لَوْ وَلَّيْنَا لَفَعَلْنَا وَفَعَلْنَا» .

وَالْمَعْنَى : إِنَّ كُلَّ النَّظَرِيَّاتِ تَسْقُطُ تَبَاعًا فَإِذَا أَحَسَّ الْخَلْقُ ذَلِكَ رَجَعُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ يَبْتَخُنُونَ فِيهِ عَنْ سَبَبِ اخْتِلَافِهِمْ وَغِيَابِ الرَّحْمَةِ عَنْهُمْ . . وَأَوَّلُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ هُمُ الْمُحِبُّونَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ مِنَ الشَّيْعَةِ فَتَنْكَشِفُ النَّوَايَا وَيُكْفَرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا جَهَارًا . وَهَذَا يَسْتَدْعِي مِنَ الثَّلَاةِ الْمُؤْمِنَةِ أَنْ تُعْلِنَ عَنْ كُفْرِهِمْ .

فَأَعْلِنُ الْآنَ مِنْ هَذِهِ الْوَرَقَةِ الْمُبَارَكَةِ أَنَّكَ أَوَّلُ مُرْتَدٍّ وَكَافِرٍ بِالْمَهْدِيِّ لَتَبْدَأَ
الْفِتْنَةُ الَّتِي هِيَ «خَيْرٌ».

أَلَمْ تَرَوْا عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام قَوْلَهُ:

«وَكَذَلِكَ الْقَائِمُ تَمْتَدُّ أَيَّامُ غَيْبَتِهِ لِبُضْرَحِ الْحَقِّ عَنْ مَحْضِهِ وَيَضْفُو الْكَدْرُ
بَارْتِدَادِ كُلِّ مَنْ كَانَتْ طَبِئَتُهُ خَبِيثَةً مِنَ الشَّيْئَةِ».

لَقَدْ حَكَمْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِهَذَا النَّصِّ. فَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ الْمَهْدِيَّ أَكْذُوبَةٌ وَنَحْنُ
نُعْلِنُ عَنْ صِدْقِ الصَّادِقِ عليه السلام وَأَنْتَ أَوَّلُ مُرْتَدٍّ طَبِئَتُهُ خَبِيثَةٌ.

اسْأَلْ أَهْلَكَ فَإِنَّهُمْ ذَكَرُوا مَا هُوَ شَرٌّ مِنْ ذَلِكَ، ذَكَرُوا أَنَّ الْمُبْغِضَ لَهُمْ عليه السلام
هُوَ ابْنُ زَنَى أَوْ حَرَامٍ عَهْدُ مَعْهُودٍ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله الْأُمِّيِّ الصَّادِقِ الْأَمِينِ عَلَى
الْوَحْيِ.

فَلَا تَحْسَبْ أَنَّ أُمَّمَ الْأَرْضِ كُلَّهُمْ زُنَاةٌ وَلَوْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ لِأَنَّ
اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّالِحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

سَيَنْجُو الْكَثِيرُ الْكَثِيرُ مِنَ الْأُمَمِ وَسَيَهْلِكُ الْكَثِيرُ الْكَثِيرُ جَدًّا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ،
ذَلِكَ أَنَّ حُكْمَكُمْ عَلَى النَّاسِ مُخْتَلِفٌ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ.

ج - نَظَرِيَّةُ الْخَوْفِ:

سَمَّاها الْكَاتِبُ الْمُعْغَلُ نَظَرِيَّةَ الْخَوْفِ لِأَنَّ ثَلَاثَةً مِنْ عُلَمَاءِ الْإِمَامِيَّةِ قَالُوا بِهَا!
وَمَفَادُهَا أَنَّ غَيْبَةَ الْمَهْدِيِّ عليه السلام هِيَ بِسَبَبِ خَوْفِهِ مِنَ الظَّالِمِينَ.

وهؤلاء الْعُلَمَاءُ هُمْ الْمُفِيدُ فِي الْإِرْشَادِ وَالْمُرْتَضَى فِي الشَّافِي وَالْكَرَاجَكِي
فِي كَثَرِ الْفَوَائِدِ.

أَمَّا الرَّابِعُ وَهُوَ الطُّوسِيُّ فَكَلَامُهُ مُخْتَلِفٌ وَإِنْ أَدْرَجَهُ الْمُعَقَّلُ مَعَ كَلَامِهِمْ .
 ذَلِكَ أَنَّ الثَّلَاثَةَ قَالُوا : «خَوْفُهُ مِنَ الظَّالِمِينَ وَمِنَ السُّلْطَانِ وَأَعْوَانِهِ وَشِدَّةُ
 طَلِبِهِمْ لَهُ هِيَ الْمَانِعُ مِنَ الظُّهُورِ وَالْعِلَّةُ فِي الْغَيْبَةِ .

فَتَعَالَوْا أَيُّهَا الْقُرَاءُ الْكَرَامُ لِنَفْهَمَ : مَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْحِكْمَةِ الْمَجْهُولَةِ
 وَالتَّمْحِصِ وَالْخَوْفِ الَّتِي سَمَّاها الْمُعَقَّلُ نَظَرِيَّاتٍ ثَلَاثًا؟!

أَوْ لَيْسَتْ إِجَابَةُ الْمَهْدِيِّ عليه السلام نَفْسِهِ عَنْ سَبَبِ الْغَيْبَةِ قَدْ تَكَرَّرَتْ ذَاتُهَا حَيْثُ
 أَنَّهُ أَجَابَ بِنَفْسِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ :

﴿يَتَأْتِيهَا الْذِّكْرُ مَا تَوَلَّوْا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُوكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ
 يُنْزَلُ الْقُرْآنُ بُدِّ لَكُمْ عَمَّا أَتَى اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة : ١٠١] .

مَعْلُومٌ أَنَّ الْإِمَامَ قَدْ أَجَابَ الْإِجَابَةَ الْحَقِيقِيَّةَ عَنِ السُّؤَالِ وَحَدَّدَ الْعِلَّةَ فِي
 الْغَيْبَةِ وَإِنْ كَانَتْ صِغَةُ الْآيَةِ النَّهْيِ عَنِ السُّؤَالِ - إِنَّمَا يَفْهَمُ أَنَّهُ لَمْ يُجِبْ عَنِ
 السُّؤَالِ وَأَنَّ الْحِكْمَةَ فِيهَا مَجْهُولَةٌ إِمَّا مُعَقَّلٌ لَا يَفْهَمُ ، وَإِمَّا مُفْتَدٍ بِالْإِمَامِ عليه السلام
 لَا يُجِيبُ إِلَّا بِمَا يُسَاوِقُ جَوَابَهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ إِنْهَامٌ أَوْ إِنْهَامٌ لِلْسَّامِعِ الَّذِي لَا يَتَدَبَّرُ
 وَلَا يَشْكُ فِي نَفْسِهِ لِعُرْوِهِ . ذَلِكَ أَنَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ إِنَّمَا تُلْقِي بِاللُّومِ عَلَى نَفْسِ
 السَّائِلِ كَمَنْ يَقُولُ لَكَ : لِمَاذَا لَمْ تَأْتِ لِرِيَازَتِي؟ . فَإِذَا تَلَوْتَ لَهُ الْآيَةَ فَمَعْنَاهُ أَنَّكَ
 تَجْعَلُ الْوِزْرَ عَلَيْهِ وَالْعِلَّةَ فِيهِ بِحَيْثُ لَوْ سَمَعَ الْجَوَابَ بِشَكْلِ صَرِيحِ أَسَاءَةٍ . فَأَنْتَ
 بِذِكْرِكَ الْآيَةَ تَكُونُ قَدْ أَجَبْتَ عَلَى السُّؤَالِ بِلُطْفٍ . وَلَكِنْ أَنْ يَذْكُرَ الْإِمَامُ هَذَا
 الْجَوَابَ فَهُوَ أَمْرٌ لَا لُطْفَ فِيهِ لِأَنَّ الْمَوْضُوعَ هُوَ مَوْضُوعٌ يَتَعَلَّقُ بِاللَّهِ تَعَالَى
 نَفْسِهِ . . إِذْ هُنَاكَ تَقْصِيرٌ مِنْ جَانِبِ السَّائِلِ هُوَ سَبَبُ التَّأْخِيرِ وَالْغَيْبَةِ .

فَالْإِمَامُ وَاضِحٌ جِدًّا فِي مُرَادِهِ . وَمُرَادُهُ هُوَ :

أَنْتُمْ أَيُّهَا الشَّيْعَةُ الْمُتَتَبِعُونَ لِأَمْرِي لَا تَسْأَلُوا عَنْ غَيْبَتِي فَالْجَوَابُ يَسْوَوُكُمْ
 لَأَنْكُمْ سَبَبُ غَيْبَتِي فَأَنَا أَنْتَظِرُ قَوْمًا وَأَعْوَانًا مُسْلِمِينَ لِأَمْرِي غَيْرَ شَاكِينَ وَلَا

رَادَيْنَ عَلَيَّ وَعَلَى الْكِتَابِ وَعَلَى السُّنَّةِ وَعَلَى آبَائِي وَلَسْتُمْ كَذَلِكَ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ظُهُورِي ، لَأَنَّ هَذَا الْحُبَّ مَشُوبٌ بِمَطَامِعٍ أُخْرَى وَضَلَالَاتٍ وَأَهْوَاءٍ ، وَلَا زَالَ الَّذِينَ أَسْتَعِينُ بِهِمْ عَلَى الْأَمْرِ وَيَأْذَنُ اللَّهُ بِظُهُورِي لِأَجْلِهِمْ قَلَّةً - وَلِهَؤُلَاءِ أَجْرُهُمْ وَإِنْ تَأَخَّرَ - أَمَّا الْمُسْتَعْجِلُونَ فَهُمْ هَالِكُونَ كَمَا قَالَ جَدِّي الصَّادِقُ وَجَدِّي الْبَاقِرُ تَنْفِيذاً لِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعٍ نَهَى فِيهَا عَنِ الِاسْتِعْجَالِ .

فَالْمُسْتَعْجِلُ شَاكٌّ وَالسَّائِلُ نَفْسُهُ شَاكٌّ ، فَالْجَوَابُ الْوَاضِحُ يُسَيِّئُ إِلَيْهِ . وَهَذَا هُوَ نَفْسُهُ كَلَامٌ فِي مُتَنَاهِي الْوُضُوحِ .

إِذَنْ لَمْ يَقُلْ عِبَارَةً «الْحِكْمَةُ الْمَجْهُولَةُ» أَحَدٌ مِنَ الْأَثَمَةِ الْإِنْفِي عَشَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَإِنَّمَا قَالَهَا بَعْضُ «الْعُلَمَاءِ» شَرْحاً لِكَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِيهَا إِبْهَامٌ وَإِيهَامٌ .
لِذَا نَسَأَلُكَ يَا كَاتِبُ :

مَا عِلَاقَةُ أَقْوَالِ الرِّجَالِ وَ«الْعُلَمَاءِ» بِالْفِكْرَةِ الْوَاضِحَةِ وَالْجَوَابِ الَّذِي يَقُولُهُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى فَرَضِ أَنْ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ أَخْطَأُوا أَوْ حَتَّى تَحَايَلُوا عَلَى الْأَمْرِ؟

ثُمَّ تَعَالَ فَانْظُرْ . . أَوْ لَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّ الظُّهُورَ لَوْ حَصَلَ قَبْلَ حِينِهِ وَبِغَيْرِ قَانُونِهِ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ يَخْرُجُ بِغَيْرِ إِذْنِ إِلَهِي؟ وَهُوَ مُمْتَنِعٌ إِذْ لَا مَعْنَى لِلْمَعْصُومِ سِوَى أَنَّهُ الْمُتَقَدُّ لِأَمْرِ اللَّهِ .

فَكَيْفَ يَخْرُجُ بِغَيْرِ أَمْرِ مِنَ اللَّهِ؟

أَتَرَاهُ عَابِدٌ كُرْسِيِّ كَالطُّغَاةِ حَتَّى يَفْعَلَ ذَلِكَ؟

فَكَيْفَ يُضْبِحُ انْتِظَارُهُ لِأَمْرِ اللَّهِ الْمُرتَبِطُ بِعَوْدَةِ الْخَلْقِ إِلَى الطَّاعَةِ وَالتَّسْلِيمِ سُبَّةً عَلَيْهِ؟

لَكِنْ لَا عَجَبَ . . فَالْخَلْقُ مَا دَامُوا حَقَمَى فِي عَدَمِ الطَّاعَةِ أَضْلاً فَمِنْ الْمُؤَكَّدِ

أَنَّهُمْ يُوجِّهُونَ أَتَهَامَهُمْ إِلَى الْمَهْدِيِّ عليه السلام لَأَنَّهُمْ حَمَقَى وَيَأْتِي أَتَهَامُهُمْ مُصَادَرَةً مِنْ مُصَادَرَاتِ الْحَمَقَى . وبالنسبة لي لا أعجبُ مِنْ هَذَا مُطْلَقاً لَأَنَّ هَذَا هُوَ الْمُتَّفَقُ مَعَ ضَحَالَةِ عُقُولِهِمْ وَسُقْمِ تَفْكِيرِهِمْ . فَقَبْلَ ذَلِكَ نَسَبُوا الظُّلْمَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَمَا رَأَيْنَا .

فلنفرضَ أَنَّهُ خَرَجَ بِغَيْرِ إِذْنٍ أَوْ بِإِذْنِ إلهِيٍّ وَلَكِنْ قَبْلَ تَحَقُّقِ تِلْكَ الشُّرُوطِ فَمَا مَعْنَى ذَلِكَ؟

أَوْ لَيْسَ مَعْنَاهُ فَشَلَ هَذَا الْخُرُوجَ وَعَدَمَ تَحَقُّقِ الْعَدْلِ الْمَوْعُودِ - فَمَا دَامَ لَا يُوجَدُ أَنْصَارٌ فَالْقَائِدُ مَقْتُولٌ حَتْمًا! .

فَهَلْ هُنَاكَ قَائِدٌ يَقُومُ بِثَوْرَةٍ مَحْكُومٍ عَلَيْهَا بِالْفَشْلِ وَقَتْلٍ قَائِدِيهَا مُسَبِّقًا حَتَّى لَوْ افْتَرَضْنَا أَنَّ مَا يَفْعَلُهُ هُوَ «ثَوْرَةٌ» بِالْمَعْنَى الْمُتَعَارَفِ عَلَيْهِ الَّذِي يَغِيبُ فِيهِ حَقُّ الْإِخْتِيَارِ وَحُرِّيَّةِ الْإِنْسَانِ وَالْمُضَادِ أَضْلًا لِلطَّرْحِ الدِّينِيِّ؟ .

تَاللَّهِ مَا أَعْظَمَ حِلْمَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام عَلَى الْخَلْقِ!

وَمَا أَعْظَمَ أَخْلَاقَهُمْ وَلُطْفَهُمْ مَعَ النَّاسِ حَيْثُ يُوضِّحُونَ الْعِلَّةَ نَفْسَهَا ب: إِيَّاكَ أَغْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَةَ!

فَهُوَ يَقُولُ تَارَةً أُخْرَى: كَيْفَ لِي أَنْ أَخْرَجَ؟ . فالإمامُ وَاحِدٌ فَإِذَا قُتِلَ فَلَا إِمَامَةَ فَتَنْتَهِي الْحَيَاةُ، إِذْ لَا مَعْنَى لِلْحَيَاةِ بِغَيْرِ الْحُجَّةِ . . فَكَيْفَ لِي أَنْ أَخْرَجَ وَلَا أَنْصَارَ يَنْصُرُونَنِي مِنَ الْعَدُوِّ؟!

بِالطَّبَعِ فَإِنَّ السَّامِعَ لَا بُدَّ أَنْ يَنْدَهَشَ، بَلْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُفَكِّرَ الْمَرْءُ بِهَذَا الْجَوَابِ الْغَرِيبِ جِدًّا!

ذَلِكَ لَأَنَّ الْمَهْدِيَّ عليه السلام هُوَ أَمْرٌ أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ كُلُّهَا، بَلِ الْأَذْيَانُ، بَلِ الْمِلَلُ كُلُّهَا . وَهُوَ قَضِيَّةٌ مَعْلُومَةٌ بِصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ عِنْدَ كُلِّ الشُّعُوبِ، إِذْ لَا نَبِيَّ وَلَا رَسُولَ إِلَّا وَيُبَشِّرُ بِوَصُولِ الْخَلْقِ إِلَى مَرْحَلَةِ الْإِسْتِخْلَافِ الْإِلَهِيِّ

ووراثَةِ الْأَرْضِ مِنْ قَبْلِ الْمُتَّقِينَ - فَهوَ يُعِيدُ بِهَذَا الْكَلَامِ . . التَّهْمَةَ إِلَى الْخَلْقِ كُلِّهِمْ .

فَلْتَرْكُ هَذَا كُلَّهُ فَإِنَّ إِجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ حَاصِلٌ فِي الْمَهْدِيِّ عليه السلام وَلَمْ يَكْذِبْ أَحَدٌ بِوُجُودِهِ حَتَّى الْكَاتِبَ نَفْسَهُ لِأَنَّهُ لَا يَنْفِي مَجِيءَ الْمَهْدِيِّ بَلْ يُرِيدُ إِبْطَالَ كَوْنِهِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ ذُرِّيَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله لَا غَيْرَ!

فَتَعَالَ الْآنَ وَأَعْرِفِ الْفَرْقَ بَيْنَ كَوْنِهِ مَوْجُودًا أَوْ يُوَلَّدُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ! .

إِذَا كَانَ مَوْجُودًا فَالْعِلَّةُ فِي الْخَلْقِ، وَذَلِكَ بِتَنَكُّبِهِمْ عَنِ الْحَقِّ . وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَوْجُودٍ الْآنَ فَلَا عِلَّةَ فِي الْخَلْقِ طَبْعًا ! لِأَنَّ الرَّسُولَ قَالَ : لَا بُدَّ أَنْ تَمْتَلِئَ ظُلْمًا وَجَوْرًا فَيَأْتِيَ الْمَهْدِيُّ وَيَمْلَأُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا فَيَرْجِعُ سَبَبُ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ وَاسْتِمْرَارُهُ إِلَى اللَّهِ !! .

وَإِذَا لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ الْمَهْدِيَّ لِلآنَ . . فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَمْلَأَهَا ظُلْمًا وَجَوْرًا - تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ غُلُوبًا كَبِيرًا - .

وَلَكِنْ رُبَّمَا تَكُونُ أَيْهَا الْقَارِئُ مِنَ الْمُؤَلِّعِينَ بِالْفَلَسَفَةِ فَتَقُولُ : وَلَمْ لَا نَجْمَعُ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ فَتَقُولُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْهُ لِأَنَّ لِبُعْدِ الْخَلْقِ عَنِ الْحَقِّ إِذَا رَجَعُوا إِلَى الْحَقِّ خَلَقَ لَهُمُ الْمَهْدِيَّ؟ ! .

أَقُولُ : إِذْنُ لَا بُدَّ أَنْ يَخْلُقَهُ بِتَوْقِيتٍ دَقِيقٍ جَدًّا بِحَيْثُ أَنَّ عُمُرَهُ يَكْتَمِلُ لِلخُرُوجِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ الَّذِي يَكُونُونَ فِيهِ قَدْ رَجَعُوا إِلَى الْحَقِّ بِالْعَدَدِ الْمَطْلُوبِ فَلَا يَنْقُصُ ثَانِيَّةٌ وَلَا يَزِيدُ ثَانِيَّةٌ ! لِأَنَّهُ لَوْ حَصَلَ فَرْقٌ ثَانِيَّةٌ وَاحِدَةٌ يَكُونُ اللَّهُ قَدْ شَارَكَ فِي الظُّلْمِ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ !

سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ مَا أَطْوَلَ أَنَاتِهِ ! فَهَذَا وَاللَّهُ هُوَ الْجَبْرُ بَعِيْنُهُ، وَلِذَلِكَ لَعَنَ الْأَئِمَّةُ كُلُّهُمْ بَدَأَ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله إِلَى الْمَهْدِيِّ عليه السلام الْقَدَرِيَّةَ وَالْجَبْرِيَّةَ وَسَمَّوْهُمْ الْكُفَّارَ .

إِذْ كَيْفَ يُحَقِّقُ اللَّهُ هَذِهِ الْمُعَادَلَةَ؟ فَإِنَّهَا لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالْجَبْرِ وَمُضَادَرَةِ الاختيارِ الإنسانيِّ، وهو نقيضُ تامٍّ لِحَالَةِ الوجودِ الدائمِ لِلْحُجَّةِ^(١).

وَرُبَّمَا لَا زِلْتَ مُولِعاً بِالْفَلَسَفَةِ فَتَقُولُ: أَوْ لَيْسَ هَذَا الْحَالُ هُوَ نَفْسُهُ فِي بَعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَيَقَالُ أَيْضاً: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَهُ وَبَعَثَهُ فِي لَحْظَةٍ مُعَيَّنَةٍ وَإِلَّا فَلِمَ آذَا لَمْ يَبْعَثْهُ قَبْلَ الْوَقْتِ أَوْ بَعْدَهُ؟!

سُبْحَانَ اللَّهِ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ!

أَوْ لَا تَذْرِي أَنَّ هَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي قَوْلِهِمْ ﷺ:

«كَفَرَ مَنْ ادَّعَى أَنَّ الْأَرْضَ تَبْقَى بِغَيْرِ حُجَّةٍ سَاعَةً وَاحِدَةً».

لَأَنَّ بَعْثَةَ أَيِّ رَسُولٍ لَا تَعْنِي أَنَّهُ يُبْعَثُ بَعْدَ فَتْوٍ عَنِ الْحُجَّةِ، بَلْ بَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ فَيَخْتَارُ اللَّهُ حُجَّةً مِنَ الْحُجَجِ فِي زَمَانٍ فَيَجِدُّدُ عَلَى لِسَانِهِ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ وَتَذَكِيرَ الْخَلْقِ لَا غَيْرَ وَيُعَزِّزُ لَهُ بِكَلَامِهِ وَرِسَالَاتِهِ فَيَزِيدُهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُحِلُّ لَهُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلَ.

سَتَقُولُ: إِذَنْ فَلَا أَذْيَانَ مُتَعَدِّدَةً وَأَنَّ الدِّينَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ وَاحِدٌ؟

أَقُولُ: وَمَنْ قَالَ لَكَ أَنَّ الدِّينَ مُتَعَدِّدٌ؟

إِنَّ الدِّينَ وَاحِدٌ وَهُوَ ذَاتُهُ دِينُ آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﷺ . . . إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَإِنَّمَا هُوَ دِينٌ وَاحِدٌ وَكُلُّهُمْ عَلَى مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ وَالنَّاسُ هُمُ الْمُخْتَلِفُونَ، لِأَنَّهُمْ بِهَائِهِمْ لَا يَفْهَمُونَ وَلَا يَعْقِلُونَ:

(١) وَهَاهُمْ كِتَابُ مِصْرَ فَارُوقَ عَمْرٍ فَوْزِي وَمُحَمَّدَ عِمَارَةَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْوَصِيَّةَ لِعَلِيِّ هِيَ خِلَافُ الْحَرِيَّةِ. وَإِنِّي لِأَتَحَدَّاهُمْ أَنْ يَرُدُّوهُ عَلَيَّ بِكَلَامٍ يَقْنَعُ الْخَلْقَ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ مَا عَلِمُوا لِلَّانِ مَا الْحَرِيَّةُ وَمَنْ أَيْنَ يَعْلَمُونَ مَا هِيَ وَهُمْ يَنْكُرُونَ حُكْمَ اللَّهِ؟ فَإِنَّ حُكْمَ اللَّهِ هُوَ الْحَرِيَّةُ الْإِنْسَانِيَّةُ لَا سِوَاهَا.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

يَا هَذَا إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ وَاحِدٌ هُوَ الْإِسْلَامُ الْمُسْتَقْتُ اسْمُهُ مِنَ التَّسْلِيمِ:
﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

أَتَفْهَمُ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ أَيُّهَا الْكَاتِبُ الْمُغْفَلُ؟

إِنَّ مَعْنَاهَا: إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْكَ مَا هُوَ أَقْلٌ مِنَ التَّسْلِيمِ!

ثُمَّ أَتَفْهَمُ مَا مَعْنَى هَذَا؟

مَعْنَاهُ أَنَّكَ مَعْدُومُ الرَّأْيِ وَلَكِنَّكَ كَامِلُ الْاخْتِيَارِ!

فَهَلْ فَهِمْتَ؟

وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ فَهِمْتَ لِلَّانِ!

يَا هَذَا أَنْتَ حُرٌّ فِيمَا تَخْتَارُ فَلَا أَحَدَ يُجْبِرُكَ عَلَى شَيْءٍ فَاخْتَرِ مِنَ الْأَدْيَانِ مَا شِئْتَ! دِينَ اللَّهِ أَوْ دِينَ الشَّيْطَانِ.

لَكِنْ إِذَا اخْتَرْتَ دِينَ اللَّهِ فَلَا يَقْبَلُ مِنْكَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ إِلَّا الْإِغَاءُ كَافَّةً خِيَارَاتِكَ دَاخِلَ هَذَا الدِّينِ!

فَلَيْسَ عِنْدَكَ بَعْدَ هَذَا أَيُّ رَأْيٍ فِي أَيِّ مَوْضُوعٍ!

سَيَكُونُ رَأْيُكَ فِي أَيِّ مَوْضُوعٍ هُوَ مُرَادَ اللَّهِ.

فَإِذَا اخْتَرْتَ مَلْيَارَ مَوْضُوعٍ وَحَكَمْتَ فِيهَا كُلَّهَا بِحُكْمِ اللَّهِ وَالْغَيْتِ رَأْيُكَ الْخَاصَّ وَلَكِنَّكَ وَضَعْتَ رَأْيَكَ الْخَاصَّ فِي مَوْضُوعٍ وَاحِدٍ فَقَطْ مَعَ هَذَا الْمَلْيَارِ وَقُلْتَ هَذَا هُوَ مُرَادُ اللَّهِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُتَاكِدٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا تَعْلَمُ بِهِ فَأَنْتَ كَافِرٌ!

أَتَذْهَبُ لِمَاذَا؟ ..

لَكَ هَذِهِ الْآيَةُ فَتَأَمَّلْ :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

وإنَّ هذا الاختيارَ بينَ دينِ الله ودينِ الشَّيْطَانِ هُوَ أَسْهَلُ الْخِيَارَاتِ كُلِّهَا وَلَيْسَ أَضْعَفَهَا .

فإذا اخترتَ الله ذلكَ الله على مُرادِهِ!

وإذا اخترتَ الشَّيْطَانَ وَلَوْ دَاخِلَ دِينِ الْإِسْلَامِ ذلكَ الله على مُرادِ الشَّيْطَانِ!
إذْ مَا مَعْنَى أَنْ تَخْتَارَ دِينَ الْإِسْلَامِ؟

مَعْنَاهُ هُوَ أَنْ تُسَلِّمَ بِالْحُكْمِ الْإِلَهِيِّ فِي كُلِّ مَوْضُوعٍ وَتُلْغِي رَأْيَكَ الْمُسَبِّقَ وَتَبْتَخِثَ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ فِيهِ . فإذا قُلْتَ بِرَأْيِكَ فِي أَيِّ مَوْضُوعٍ مَا شِئْتَ فَلَسْتَ مِنْ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ!

وَالآنَ هَلْ أَنْتَ مُتَأَكِّدٌ فِعْلًا يَا كَذَّابٌ مِنْ عَدَمِ وَجُودِ الْمَهْدِيِّ؟

فَأَنَا أَسْأَلُكَ : أَتَنْفِي وَجُودَهُ أَوْ تُثَبِّتُهُ مِنْ خِلَالِ أَقْوَالِ الْمُفِيدِ وَالطُّوسِيِّ أَمْ مِنْ خِلَالِ حُكْمِ اللَّهِ؟!

إذا آمَنْتَ بِهِ مِنْ خِلَالِ حُكْمِ هَؤُلَاءِ كَفَرْتَ ، وإنْ كَفَرْتَ بِهِ مِنْ خِلَالِ حُكْمِ غَيْرِهِمْ مِنْ أَغْدَائِهِ فَقَدْ كَفَرْتَ أَيْضًا!!

فَهَلْ فَهِمْتَ الْإِسْلَامَ أَيُّهَا الْمُغْفَلُ أَمْ لَمْ تَفْهَمْ لِلآنِ؟!

فَتَعَالَ أَخِي الْقَارِئُ - وبالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ هَذَا - إِلَى أَحَادِيثِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليه السلام الَّتِي ذَكَرْتُ عِلَّةَ الْعَيْبَةِ وَلِتَنْظُرَ : أَهِيَ نَظَرِيَّاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ أَمْ أَنَّهَا سَبَبٌ وَاحِدٌ عَبَّرُوا عَنْهُ بِصِيغِ وَصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ؟

أَوْ لَيْسَ الْخَوْفُ مِنَ الظَّالِمِينَ مَعْنَاهُ عَدَمُ وجودِ أنصارِ مُؤْمِنِينَ فِعْلًا؟
أَوْ لَيْسَ التَّمَحِيصُ مَعْنَاهُ أَيْضًا عَدَمُ وجودِ مُؤْمِنِينَ حَقِيقِينَ بِحَيْثُ يَخْتَاجُ
الْأَمْرُ إِلَى تَمْدِيدِ وإمْهَالٍ وَفِتْنٍ حَتَّى تَظْهَرَ فِتْنَةُ مُؤْمِنَةٍ؟

أَوْ لَيْسَ هَذَا كُلُّهُ لَوْمٌ وَإِلْقَاءٌ بِالتَّبِعَةِ عَلَى كُلِّ الْأَطْرَافِ مِنَ الشَّيْعَةِ أَوَّلًا وَالسُّنَّةِ
ثَانِيًا وَأَهْلِ الْكِتَابِ ثَالِثًا وَالْأُمَمِ كَافَّةً لِأَنَّهُمْ انْحَرَفُوا عَنِ اخْتِيَارِ اللَّهِ وَزَعَمُوا أَنَّهُ
لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَهُمْ مَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ الْكَامِلَةِ بِكِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ؟
وَبِالطَّبَعِ كُلُّ فَرِيقٍ يَأْخُذُ حَصَّتَهُ مِنَ التَّبِعَةِ وَاللَّوْمِ.

وَكَيْفَ يَخْرُجُ الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُغْلِبُ عَنْ نَفْسِهِ وَيَقُولُ: هَا أَنْدَا... وَقَدْ مَرَّ مِنْ
قَبْلِهِ أَحَدٌ عَشَرَ مَهْدِيًّا كَذَبُوهُمْ جَمِيعًا؟
فَهَلْ يُوجَدُ عَاقِلٌ يُغْلِبُ عَنْ نَفْسِهِ حَاكِمًا عَلَى الْعَالَمِ كُلِّهِ وَالْعَالَمِ كُلُّهُ لَا يُرِيدُ
حُكْمَهُ وَيُسَكِّتُ فِيهِ؟

وَكَيْفَ يَجْعَلُكَ الْمَهْدِيُّ تُصَدِّقُ بِوُجُودِهِ؟

هَلْ يَأْتِيكَ وَأَنْتَ تُكَذِّبُ بِوُجُودِهِ؟!

إِنَّكُمْ يَا قَوْمُ لَتَقْلِبُونَ الْمُعَادَلَةَ مَعَ اللَّهِ. وَالْمَوْضُوعُ هُوَ الْعِلَاقَةُ مَعَ اللَّهِ لَا مَعَ
الْمَهْدِيِّ. فَالْمَهْدِيُّ عَبْدٌ مَأْمُورٌ لَا حَوْلَ لَهُ وَلَا قُوَّةَ!.. الْمُعَادَلَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا
النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ:

«مَا يَزَالُ اللَّهُ فِي حَاجَةِ الْعَبْدِ مَا دَامَ الْعَبْدُ فِي حَاجَةِ اللَّهِ تَعَالَى».

وَعَنِ الصَّادِقِ وَالْكَاطِمِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

«إِنْ كُنْتَ فِي حَاجَةِ اللَّهِ فَاللَّهُ فِي حَاجَتِكَ».

أَنْتَ الَّذِي تَبْدَأُ الْإِيمَانَ بِوُجُودِ الْمَهْدِيِّ فَيَتَأَكَّدُ لَدَيْكَ الْإِيمَانُ بِهِ لِأَنَّكَ لَوْ
رَأَيْتَ الْمَهْدِيَّ فَلَنْ تَجِدَهُ مُخْتَلِفًا عَنِ الْبَشَرِ! فَكَيْفَ تُصَدِّقُ أَنَّهُ هُوَ؟

تَقْلِبُونَ الْمُعَادَلَةَ وَتَقُولُونَ: هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْنَا فَلِمَذَا لَا يَظْهَرُ وَيُعَرِّفُ نَفْسَهُ؟!

لَقَدْ ظَهَرَ قَبْلَهُ أَحَدَ عَشَرَ إِمَامًا فَكَذَّبْتُمْ وَكَفَرْتُمْ . . فَادَّخَرَهُ اللَّهُ لِلْقَلَّةِ الْأَتْقِيَاءِ لِيُعِيدَ عَلَى يَدَيْهِ الْكُرَّةَ عَلَيْكُمْ وَيَذِيقَكُمْ أَلْوَانَ الْعَذَابِ . وَهَذِهِ هِيَ كُلُّ الْقِصَّةِ : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الْأَوَّلِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور : ٥٥] .
أَوْ لَيْسَتْ هَذِهِ الْآيَةُ تُغْنِي عَنْ كُلِّ الْكُتُبِ الْمُؤَلَّفَةِ حَوْلَ الْمَهْدِيِّ وَتُجِيبُ عَلَى كَافَّةِ الْأَسْئَلَةِ !

فَفيهَا : حَقِيقَةُ الْوَعْدِ ، وَقَانُونُ الْاسْتِخْلَافِ ، وَالْإِيمَانُ وَاخْتِلَافُهُ عَنِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَالَّذِينَ الْمَرْضِيُّ وَالتَّمَكِينُ وَإِزَالَةُ الْخَوْفِ وَتَطْهِيرُ الْأَرْضِ مِنَ الشُّرَكِ لِأَنَّهُ يَقُولُ «فِي الْأَرْضِ» وَعَمومُهُ يَدُلُّ عَلَى عَمومِ الْأَرْضِ لَا عَلَى بُفْعَةٍ مُّعَيَّنَةٍ فِيهَا !

ثُمَّ رَاحَ الْكَاتِبُ الْكَاذِبُ يَسْأَلُ أَسْئَلَتَهُ الْعَبِيَّةَ عَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ :

- ١ - أَيْنَ مَكَانُ الْعَبِيَّةِ ؟
- ٢ - أَيْنَ مَوْضِعُ الْمَهْدِيِّ الْآنَ ؟
- ٣ - كَمْ هِيَ مُدَّةُ الْعَبِيَّةِ ؟
- ٤ - كَيْفَ التَّأَكُّدُ مِنْ هُوِيَّةِ الْمَهْدِيِّ ؟ !

تَطَوُّرُ الْفِكْرِ الشَّيْعِيِّ / ج ٢ / ١٦٦

أَأَنْتَ مُحَقِّقٌ مُّخَابِرَاتِي أَمْ بَاحِثٌ عَنِ الْحَقِّ ؟

هَذِهِ . . هِيَ أَسْئَلَةُ شَخْصٍ يُرِيدُ الْإِمْسَاكَ بِالْمَهْدِيِّ وَقَتْلَهُ !!

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَنْ يَأْتِيَنَّكَ . . إِذْ لَا أَنْتَ وَلَا كُلُّ قَوَى الْعَالَمِ سَتَجِدُونَ مَا يَشْفِي غَيْظَكُمْ !!

فَمَتِ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ تِلْكَ الْأَجُوبَةَ .

وَهُوَ الَّذِي سَيَمْسِكُ بِكُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا وَيُلْقِي بِكُمْ فِي النَّارِ بِغَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى رِجَالِ مُخَابَرَاتٍ وَأَمْنٍ وَسَيَّارَاتٍ سَرِيعَةٍ وَخَرَائِطٍ لِلدُّورِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَقْبِيَةِ وَتَأْكُدُ مِنَ الْهَوَيَّاتِ وَالْبَطَاقَاتِ .

فَيَا لِعَبَائِكَ الْمُتَنَقِّطِ النَّظِيرِ وَأَنْتَ تَسْأَلُ هَذِهِ الْأَسْئَلَةَ وَتَرُدُّ فِيهَا عَلَى نَفْسِكَ وَتَكْشِفُ بِهَا الْمَسْتُورَ .

أَلَا تَرَى أَخِي الْقَارِئُ أَنَّ هَذَا الْكَاذِبَ قَدْ تَرَكَ ذِكْرَ صِغَةِ أُخْرَى هَامَةً لِلصَّادِقِ عليه السلام فِي عِلَّةِ الْعَيْبَةِ عَامِدًا لِأَنَّهَا أَوْضَحُ الصَّيْغِ وَأَجْلَاهَا فَعَمَدًا إِلَى إِغْفَالِهَا لِكِي لَا يَنْتَبِهَ الْقَارِئُ إِلَى أَنَّ النَّظَرِيَّاتِ الْمَزْعُومَةَ مَا هِيَ إِلَّا فِكْرَةٌ وَاحِدَةٌ . وَهَذِهِ الصِّغَةُ هِيَ قَوْلُهُ عليه السلام :

«إِنَّهُ مَا مِنْ إِمَامٍ سَبَقَ الْقَائِمَ إِلَّا وَلَهُ بَيْعَةٌ فِي عُنُقِهِ لِبَاغِيَةِ زَمَانِهِ وَإِنْ قَائِمَنَا أَهْلُ الْبَيْتِ إِذَا خَرَجَ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ وَلَا بَيْعَةَ فِي عُنُقِهِ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ» .

أَقُولُ: وَحَتَّى أَنْ عُلَمَاءَ مِنَ الشَّيْعَةِ لَا يَفْهَمُونَ مَعْنَى هَذَا النَّصِّ عَلَى التَّفْصِيلِ، فَكَيْفَ بِالَّذِينَ أَضَلَّهُمُ اللَّهُ وَأَغْوَاهُمُ الشَّيْطَانُ؟

الْحَقْمَقَى . . يَخْسَبُونَ أَنَّ الْبَيْعَةَ الْمَذْكُورَةَ فِي النَّصِّ هِيَ بَيْعَةُ حَقِيقَةٍ! وَلِذَلِكَ يَتَشَبَّهُونَ بِبَيْعَةِ عَلِيِّ عليه السلام لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ خِلَافَتِهِمْ!

مَعْلُومٌ أَنَّ الطُّغَاةَ قَدْ عَمَلُوا لَكُمْ غَسِيلَ دِمَاحٍ فَانْحَرَفَتْ عَقُولُكُمْ فَلَمْ تَعُودُوا تُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْوَاضِحَاتِ، لِأَنَّ مِنْ أَفْعَالِهِمُ الْحَدِيثَةَ فِي هَذَا الْعَصْرِ هُوَ مَوْضُوعُ «التَّبَرُّعِ الْإِجْبَارِيِّ»!! أَوْ التَّطَوُّعِ الْقَسْرِيِّ .

فَالْتَبَرُّعُ أَضْلًا هُوَ أَنْ يُشَارِكَ الْمَرْءُ بِمَخْضِ حُرِّيَّتِهِ وَأَنْ يَتَطَوَّعَ كَيْفَمَا أَرَادَ وَأَنْ يَفْعَلَ أَوْ لَا يَفْعَلَ . لَكِنَّ الطُّغَاةَ «طُغَاةَ الْفِكْرِ» أَفْسَدُوا لِعَتَّكُمْ قَبْلَ عَقُولِكُمْ،

فَأَضْبَحَ فَسَادُ الْعُقُولِ هُوَ تَحْصِيلُ حَاصِلٍ لَا بُدَّ مِنْهُ لِفَسَادِ اللُّغَةِ . وَإِلَّا كَيْفَ
يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ التَطَوُّعِ وَالْإِجْبَارِ ! .

إِنَّ اللُّغَةَ هِيَ الْفِكْرُ فَإِذَا فَسَدَتِ اللُّغَةُ فَسَدَتِ الْأَفْكَارُ .

وَهَا أَنْتُمْ تَحْسِبُونَ الْمُكْرَةَ عَلَى الْفِعْلِ فَاعِلًا بَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ بِفَاعِلٍ لِأَنَّهُ
اسْتَثْنَاهُ مِنَ الْفِعْلِ فَقَالَ :

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ
مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:
١٠٦] .

إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ لَمْ يُبَايِعِ الطُّغَاةَ !

هَذَا هُوَ حُكْمُهُ وَحُكْمُ عَمَلِهِ عِنْدَ اللَّهِ لِأَنَّ الْأَضْلَ فِي الْبَيْعَةِ أَنْ تَكُونَ بِاخْتِيَارٍ
لَا إِجْبَارٍ .

وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّهُ بَايَعَ وَتَرُدُّونَ عَلَى اللَّهِ قَوْلَهُ وَتُعَادُونَهُ . . فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الظَّالِمِينَ .

وَأِنَّمَا أُجْبِرُهُ طُغَاةَ زَمَانِهِ عَلَى الْبَيْعَةِ لِعِلْمِهِمْ أَنَّهُ إِنْ بَايَعَ كُرْهًا فَلَا يَنْكُثُ لِأَنَّهُ
حُرٌّ بَيْنَ اخْتِيَارَيْنِ فَقَطْ : أَنْ يُبَايَعَ أَوْ يَمُوتَ . ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَوْفِيَاءُ
لَا غَدَارُونَ مِثْلَهُمْ وَمِثْلُكُمْ .

فَأَنْتُمْ الْمُبَايِعُونَ لِأَنَّكُمْ رَضِيتُمْ هَذِهِ الْبَيْعَةَ وَشَرَحْتُمْ بِهَا صَدْرًا فَكَفَرْتُمْ .
وَعَلَيَّ لَمْ يَكْفُرْ قَطْ .

أَنْتُمْ الْمُبَايِعُونَ وَإِنْ جِئْتُمْ بَعْدَ أَلْفِ عَامٍ وَلَمْ تُصَفِّقُوا بِيَدٍ ! :

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ
مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:
١٠٦] .

وَلَذَلِكَ قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام :

«كَفَرَ النَّاسُ كُلُّهُمْ إِلَّا ثَلَاثَةً ثُمَّ رَجَعَ النَّاسُ بَعْدَ مَا عَرَفُوا» .

[١] وَقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَدُوا كُفْرًا لَّكَ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ

لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٣٧] .

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام :

«نَزَلَتْ فِي فُلَانٍ وَفُلَانٍ وَفُلَانٍ «يَعْنِي الثَّلَاثَةَ» ءَامَنُوا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ وَكَفَرُوا حَيْثُ عُرِضَتْ عَلَيْهِمُ الْوَلَايَةُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلَيَّ مَوْلَاهُ ثُمَّ ءَامَنُوا بِالْبَيْعَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ كَفَرُوا حَيْثُ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَلَمْ يُقَرُّوا بِالْبَيْعَةِ ثُمَّ ءَزَدُوا كُفْرًا بِأَخْذِهِمْ مَنْ بَايَعَهُ بِالْبَيْعَةِ لَهُمْ فَهُوَ لَا لَمْ يَبْقَ فِيهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ شَيْءٌ»^(١) .

فَتَعَالَ أَيُّهَا الْكَاتِبُ فَإِنِّي سَأَسْأَلُكَ : هَلْ تَذَرِي بِنَفْسِكَ؟ وَهَلْ تَعْلَمُ إِنْ كُنْتُ الْآنَ قَدْ كَفَرْتُ وَازْدَدْتُ كُفْرًا أَمْ لَا؟

الِإِدْعَاءُ شَيْءٌ وَالْحَقِيقَةُ شَيْءٌ آخَرُ . فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَخَسِبُهُمُ الْمُغْفَلُونَ مُؤْمِنِينَ سَيَظْهَرُ كُفْرُهُمْ يَوْمَ الْحِسَابِ وَإِلَّا فَلِمَاذَا يَشْهَدُونَ هُنَاكَ فَقَطْ أَنَّهُمْ كَافِرُونَ؟

﴿يَمْعَشَرُ الْمَلِكُ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِي وَسُيُذِرُوكُمُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠] .

فَكَمْ مِنْ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ تُكَفِّرُ هَؤُلَاءِ؟ أَتَعْلَمُونَ؟

(١) الكافي/ كتاب الحجّة/ ح ١١٣٤ / ٤٢ .

والله إِنَّ كُلَّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ لَتُكْفَرُ بِهِمْ وَأُيْمَتُهُمْ بِمَا فِي ذَلِكَ آيَاتِ الْأَحْكَامِ
وَالْقَصَصِ وَالْأَمْثَالِ . . وَلَكِنْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمُ النَّفَاقُ فَلَا يَفْقَهُونَ .

هَذِهِ جُمْلَةٌ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي فَسَّرَهَا الْبَاقِرُ وَالصَّادِقُ عليه السلام فِي عَهْدِ سَابِقٍ جَدًّا
عَلَى عِلْمِ الْكَلَامِ، وَرَوَوْا فِيهَا أَحَادِيثَ عَنْ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ أَوْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
لَأَنَّ الصَّادِقَ عليه السلام قَالَ :

« مَا حَدَّثْنَاكُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٦] .

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام :

« نَزَلَتْ وَاللَّهُ فِيهِمَا وَفِي أَتْبَاعِهِمَا وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي نَزَلَ بِهِ
جَبْرَائِيلُ عليه السلام عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا
مَا نَزَّلَ اللَّهُ - أَيْ فِي عَلِيِّ عليه السلام - سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ » .
قَالَ :

« دَعَا بَنِي أُمَيَّةَ إِلَى مِيثَاقٍ بَيْنَهُمْ إِلَّا يَصِيرَ الْأَمْرُ فِينَا بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَنْ لَا يُعْطَوْا
مِنَ الْخُمْسِ شَيْئًا وَقَالُوا : إِنْ أُعْطِينَاهُمْ إِيَّاهُ لَمْ يَخْتَاجُوا إِلَى شَيْءٍ وَلَمْ يُبَالُوا أَنْ
يَكُونَ الْأَمْرُ فِيهِمْ فَقَالُوا نُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ أَيْ الْخُمْسِ «دُونَ الْخِلَافَةِ» ،
وَلَكِنْ يَكُونُ مِنْهُمْ وَلَاةٌ» ^(١) .

أَقُولُ : وَهَذَا هُوَ الْمُطَابِقُ لِلْوَاقِعِ التَّارِيخِيِّ فَقَدْ مَنَعَ هَؤُلَاءِ الْخُمْسَ عَنْهُمْ
حَسَبَ الْإِتِّفَاقِ وَعَيْنُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ الْوَلَاةَ وَغَيْرَ عُمَرُ كُلَّ الْوَلَاةِ إِلَّا مُعَاوِيَةَ لَمْ
يُغَيِّرْهُ، فَبَقِيَ مُعَاوِيَةُ فِي الشَّامِ أَمِيرًا لِلثَّلَاثَةِ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ .

(١) الكافي / ح ١١٣٥ / ٤٣ .

أَوْ لَيْسَ هَذَا اتِّفَاقٌ وَاضِحٌ؟

وَلِذَلِكَ اخْتَارَ الْحُكَّامُ فِي مَوْضِعِ الْخُمْسِ حَيْرَةً عَظِيمَةً رُغِمَ مُحَاوَلَاتِ
التَّأْوِيلِ وَالتَّفْسِيرِ الْمُخَالَفِ لِلُّغَةِ!

وَحَالَفَهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَأَعَادَ الْخُمْسَ إِلَى ذَرِيَّةِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ
يَحْكُمُونَ فِيهِ! وَجَاءَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَلْغَى مَا فَعَلَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ
وَأَعَادَهُ إِلَيْهِ. وَكَانَ عُثْمَانُ قَدْ اقْتَطَعَ جُزْءاً مِنْهُ «مَا يَخْصُ شِمَالَ أَفْرِيْقِيَا» إِلَى
أَوْلَادِ عَمِّهِ!

وَأَعَادَهُ الْمَهْدِيُّ الْعَبَّاسِيُّ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عليه السلام فَتَرَةً ثُمَّ قَطَعَهُ، وَأَرْجَعَهُ مَنْ جَاءَ
بَعْدَهُ إِلَى الْحُكَّامِ وَأَعَادَهُ الْمَأْمُونُ إِلَيْهِمْ فِي عَهْدِ الرِّضَا عليه السلام زَمَاناً ثُمَّ قَطَعَهُ!
فَتَبَّأَ لَكُمْ إِذْ أَنْتُمْ لِلآنَ لَا تَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ بِحُكْمِ شَرْعِيٍّ وَاحِدٍ، فَكَيْفَ
تُرِيدُونَ أَنْ تَحْكُمُوا أُمَّمَ الْعَالَمِ كُلَّهَا بِكَافَّةِ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ؟

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿سَطِطُيْعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ [محمد: ٢٦] فَهَذَا الَّذِي قَالَهُ
الصَّادِقُ عليه السلام هُوَ التَّفْسِيرُ الصَّحِيحُ لِأَنَّا رَأَيْنَا أَنَّ «الْأَمْرَ» الْمَعْرَفَ بِالِ
التَّعْرِيفِ هُوَ الْإِمَامَةُ وَالْخِلَافَةُ وَهُوَ يَخْتَلِفُ عَنْ «أَمْرِهِمْ» الَّذِي جَاءَ فِي سُورَةِ
الشُّورَى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. وَمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ قِبَائِلَ مَنْ
الْعَرَبَ عَرَضَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ عليه السلام دِينَهُ أَوَّلَ الدَّعْوَةِ فَاشْتَرَطُوا عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ
«الْأَمْرُ» مِنْ بَعْدِهِ فَرَفَضَ أَنْ يَقْبَلَ إِسْلَامَهُمْ بِشَرْطِ!

تَصَوُّرٍ.. أَنَّ الْمَخْلُوقَ يَشْتَرِطُ عَلَى الْخَالِقِ قَبُولَ نِعْمَتِهِ بِشَرْطِ الْمَعْصِيَةِ!
هَذِهِ لَيْسَتْ أُمَّةٌ مُتَخَلِّفَةٌ مَنْطِقِيًّا وَفِكْرِيًّا حَتَّى تَنْتَظِرَ مِنْهَا أَنْ تَتَطَوَّرَ وَتَتَرَقَّى! بَلْ
هِيَ أَقْوَامٌ جُهَلَاءُ يُشْكَلُ الْجَهْلُ عِنْدَهُمْ عَقِيدَةً لَا حَالَةَ طَارِئَةٍ وَلَهَا صِلَةٌ بِالْمَسَائِلِ
الْوَرَائِثَةِ أَيْضاً.

فَلَيْسَ فِيهِمْ قَوْمٌ غَفْلَاءُ سِوَى ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي دَعَا :

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾

[إبراهيم: ٣٥].

فاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ دُعَاءَهُ.

وَمِنْهُمْ «أَيُّ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ» أَفْرَادٌ مُتَفَرِّقُونَ فِي الْيَمَنِ وَالْقَبَائِلِ الْبَعِيدَةِ عَنْ جِهَالَاتِ قُرَيْشٍ وَمُكَابَرَاتِهَا الْفَارِغَةِ.

فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى مُجِيبًا عَلَى هَذَا الشَّرْطِ :

﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ثُمَّ دَخَلُوا الْإِسْلَامَ نِفَاقًا وَأَخْفَوْا خَطَّتَهُمْ فِي سَلْبِ الْأَمْرِ عَنْ أَهْلِهِ فَقَالَ :

﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وَقَدْ أَكَّدَتْ كُلُّ آيَاتِ الْقُرْآنِ أَنَّ «الْأَمْرَ» الْمُعَرَّفَ بِالِالتَّعْرِيفِ وَالَّذِي يَعْتَرِفُ الْمُخَرَّفُونَ أَنَّهُ فِي اللَّغَةِ هُوَ لِلْعَهْدِ لِأَنَّهُ مُعَرَّفٌ بِالْعَهْدِيَّةِ، وَالْمَعْلُومُ بَيْنَ السَّامِعِ وَالْمُتَكَلِّمِ وَالَّذِي لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَغَيَّرَ دِلَالَتُهُ - أَكَّدَتْ كُلُّ الْآيَاتِ أَنَّهُ لِلَّهِ وَخِده، وَمَعَ ذَلِكَ يَنْسُونَ قَوَاعِدَهُمُ اللَّغَوِيَّةَ وَيَسْتَمِرُّونَ فِي التَّخْرِيفِ وَالتَّزْوِيرِ :

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران:

١٢٨].

﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

بِالظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٨].

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].
 ﴿يَصْصِجِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ
 الظُّبُرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١].

ذَلِكَ لِأَنَّهُمَا سَأَلَا يُوسُفَ عليه السلام عَنِ الْإِمَامِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فَلَمَّا ذَكَرَ لَهُمَا أَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ سَأَلَاهُ عَنْ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا . ولهذا تَقَدَّمَ مِنْهُ قَبْلَ الْإِجَابَةِ عَلَى تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا مُحَاضَرَةٌ كَامِلَةٌ فِي التَّوْحِيدِ بِلَا إِمَامٍ فَلَمَّا أَخْبَرَهُمَا بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ قَالَ «قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ» - ضرورةً أَنَّ تَعْبِيرَ الْأَحْلَامِ لَيْسَ فَتْوَى لِأَنَّهُ تَقْدِيرٌ وَلَكِنَّهُ أَصْبَحَ مَعَ كَلَامِهِ السَّابِقِ فَتْوَى لِأَنَّهُ حُكْمٌ وَاحِدٌ.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتُ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِئِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَرَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا تَصْيِبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ [الرعد: ٣١].

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٦٧].

﴿فِي يَضَعُ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٤].

﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥].

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

وَالآنَ يَقُولُونَ: كُلُّ الْأَمْرِ لَنَا!!

فَكَمْ هُوَ الْعَنْتُ إِذَنْ؟

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[الجاثية: ١٨].

جَعَلَ رَسُولُهُ وَلَمْ يَجْعَلْكُمْ أَنْتُمْ فَإِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَكُونُوا عَلَىٰ تِلْكَ الشَّرِيعَةِ لَا بُدَّ لَكُمْ مِنْ طَاعَةِ الرَّسُولِ وَأَمْرِهِ.

[٣] وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ ۖ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥].

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام:

«هُمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ، ارْتَدُّوا عَنِ الْإِيمَانِ فِي تَرْكِ وِلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(١).

أَقُولُ: الْآيَةُ تُثَبِّتُ وَجُودَ الرَّدَّةِ حَالَ حَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ كَمَا ذَكَرْنَاهُ لَا بَعْدَهُ كَمَا يَقُولُ الْمُحَرِّفُونَ وَالْكَاتِبُ الْكَاذِبُ.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَىٰ بِفَرْهَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ أَفَلَا مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبْدَلَ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسًا إِنِ اتَّبَعْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام:

«أَوْ بَدَّلَ عَلَيَّ بغيره»^(٢).

(١) الكافي/ ح ٢١٢٩ / ٣٧.

(٢) الكافي/ ح ٢١٢٩ / ٣٧.

أَقُولُ: هَذَا هُوَ التَّفْسِيرُ الصَّحِيحُ، فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْمُحَرِّفِينَ لِأَنَّهُ إِذَا جَاءَهُمْ
بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا الْقُرْآنِ فَقَدْ تَمَّ التَّبْدِيلُ وَلَا تَبْدِيلَ لَأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ وَاحِدٌ. وَإِذَنْ
فَ«بَدَلُهُ» لَا بُدَّ أَنْ يَعُودَ عَلَى الْقَرِينِ حَيْثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«عَلَيَّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلَيٍّ لَا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ».
فَهُمْ يُرِيدُونَ قِرَاءَةً لَيْسَ فِيهِ الْوَلَايَةُ! أَوْ تَبْدِيلُ الرَّجُلِ الْمَقْصُودِ بِالْوَلَايَةِ
وَالنَّاتِجُ وَاحِدٌ.

وَلِذَلِكَ فَالتَّبْدِيلُ خَاصٌّ بِالْخَلْقِ الَّذِينَ هُمْ كَلِمَاتُ اللَّهِ لَا كَلَامَ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ
قَالَ:

﴿... لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ...﴾ [يونس: ٦٤].

﴿... لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْبَیْتُ الْقَتِيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّكَاسِ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وَكُلُّ ذَلِكَ مَعْنَاهُ لَا تَبْدِيلَ لِعَلَيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ.

أَلَا تَرَاهُ سَمَّى الْمَسِيحَ ﷺ كَلِمَةَ اللَّهِ، وَسَمَّى النَّبِيَّ ﷺ كَلِمَةَ اللَّهِ الْعُلَيَّا
فِي آيَةِ الْغَارِ؟

فَانْظُرْ كَيْفَ يُؤَيِّدُ كَلَامُ اللَّهِ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَاَنْظُرْ أَيْنَ يَرْتَكِسُ الْمُبْطِلُونَ؟
فَامْنَعِ الْقَلَمَ وَلَا تَتِمَادَى وَلَا تُخْبِرْهُمْ بِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَحِقُّونَ أَنْ
يَطَّلِعُوا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ.

ثُمَّ هَلْ هَذَا هُوَ مِنْ كَشُوفَاتِ الْمُتَكَلِّمِينَ؟

وَمِنْ أَيْنَ لِلْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ فُطْنَةٍ فِي مَعْنَى «بَدَلُهُ»^(١)؟

(١) أَخِي الْقَارِيءُ الْكَرِيمُ: قَدْ فَصَّلَ السَّيِّدُ النَّبِلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى تَفْسِيرَ هَذِهِ الْآيَةِ فِي كِتَابِهِ
الْآخِرِ الْمُسَمَّى «نُجُومُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي وَلايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» الَّذِي حَالَتِ الْمَنِيَّةُ دُونَ
إِتِمَامِهِ وَسَيَصْدُرُ عَلَى شَكْلِ كِرَاسٍ صَغِيرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ١٠-١١]

قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

«هُمْ عَلَيَّ وَالْأُئِمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ»^(١).

أَقُولُ: الْأَقْسَامُ فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ ثَلَاثَةٌ. وَهَذَا هُوَ تَفْسِيرُ الْآيَةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ :

«سَبَّاقُ الْأَمَمِ ثَلَاثَةٌ حَزَقِيلُ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ وَحَبِيبُ النَّجَّارِ سَابِقُ يَاسِينَ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ السَّابِقُ إِلَيَّ وَهُوَ أَفْضَلُهُمْ».

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿وَالَّذِينَ اسْتَفْتَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦].

قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

«الطَّرِيقَةُ هِيَ وَلَايَةُ عَلِيٍّ وَالْأَوْصِيَاءُ مِنْ بَعْدِهِ».

أَقُولُ: وَمُحَالٌ تَفْسِيرُهَا بِغَيْرِهِمْ إِذْ يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى تَنَاقُضِ الْقُرْآنِ فَتَدَبَّرْ.

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾

[النبا: ١-٤].

قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

«النَّبَأُ الْعَظِيمُ: الْوَلَايَةُ»^(٢).

أَقُولُ: هَذَا عَامٌّ أَيِ مُخْتَلِفُونَ فِي الْوَلَايَةِ فَبَعْضُهُمْ يُوَالِي الطَّاغُوتَ،

(١) الكافي/ ح ١١٣٠ / ٣١.

(٢) الكافي/ ح ١١٢٥ / ٣٣.

وَبَعْضُهُمْ يُؤَالِي أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، لَأَنَّ تَحْدِيدَ الْمَوْقِفِ مِنَ الْوَلَايَةِ هُوَ ذَاتُهُ تَحْدِيدُ الْمَوْقِفِ مِنَ التَّوْحِيدِ.

[٨] قوله تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

عن الرضا عليه السلام قال:

«المُشْرِكِينَ بَوَلَايَةِ عَلِيٍّ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ»^(١).

أقول: وَهَذَا هُوَ الشُّرْكُ لِأَنَّ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ عِنْدَهُمْ مَعَ اللَّهِ لَا مَعَ انْكَارِ اللَّهِ، إِذْ لَا أَحَدٌ يُنْكِرُ اللَّهَ مُطْلَقًا. وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى:

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ...﴾ [الأحزاب: ٤].

أَي لَا يَقْدِرُ الْمَرْءُ عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ حُبِّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَاءِ اللَّهِ فَهُوَ كَاذِبٌ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ خَلْطَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ!

فَهَذَا الْكَاتِبُ يَكْذِبُ إِذْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُحِبُّ عَلِيًّا وَفُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا، لِأَنَّ غَايَتَهُ الثَّلَاثَةُ لَا عَلِيٍّ.

وَهَذَا بَحْثٌ دَقِيقٌ جَدًّا، فَإِنَّ الشَّرَّ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْحَرَكَةِ إِلَّا مِنْ خِلَالِ تَبْنِي طُرُوحَاتِ الْخَيْرِ.

فَالشَّرُّ الْمَحْضُ مُكْبَلٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِعْلَانِ عَنْ نَفْسِهِ، وَلِذَلِكَ لَا نَجِدُ فِي الْمِلَّةِ أَحَدًا لَا يَدَّعِي حُبَّ عَلِيٍّ خِلَافًا لِعَبِيرِهِ، وَحَتَّى النَوَاصِبُ وَجَدُوا بَدِيلًا هُوَ النَّبِيُّ ﷺ!

(١) الكافي/ ح ١١٢٤ / ٣٢.

وَحَتَّى الْوَهَابِيَّةِ الَّذِينَ هُمْ عَبْدَةُ أُوثَانٍ وَجَدُوا بَدِيلًا هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَحُجَّتُهُمْ
هِيَ التَّوْحِيدُ!

نَعَمْ.. إِنَّهُ تَوْحِيدٌ يُشْبِهُ تَوْحِيدَ إِبْلِيسَ الْمَلْعُونِ لِأَنَّهُ قَالَ: لَا أَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ وَلَا
أَسْجُدُ لِآدَمَ!

وَمَا عَلِمَ الْأَحْمَقُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِهِ، فَهُوَ مُسْتَكْبِرٌ عَلَى اللَّهِ لَا عَلَى
آدَمَ. وَرَفُضُ السُّجُودِ هُوَ مُجَرَّدُ حُجَّةٍ.

فَمَنْ أَرَادَ التَّوَصُّلَ إِلَى رِضَا اللَّهِ لَا بُدَّ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ!
فَإِذَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: «أَسْجُدْ لِآدَمَ».

فَالتَّوْحِيدُ هُوَ فِي تَنْفِيذِ الْأَمْرِ لَا الْعُضْيَانِ. لِأَنَّ مَعْنَى كَلَامِهِ أَنَّهُ يُطِيعُ اللَّهَ فِي
بَعْضِ الْأَوَامِرِ دُونَ بَعْضٍ. فَإِذَا أَعْجَبَهُ الْأَمْرُ أَطَاعَهُ وَإِذَا لَمْ يُعْجِبْهُ لَمْ يُطِعهُ.
وَهَذَا مَا يَفْعَلُهُ الْمَخْلُوقُ مَعَ الْمَخْلُوقِ. فَأَنْزَلَ هَذَا الْمَلْعُونُ الْخَالِقَ بِمَنْزِلَةِ
الْمَخْلُوقِ فَكَفَرَ.. فَافْهَمَ ذَلِكَ.

فَالْوَهَابِيَّةُ يَدْعُونَ التَّوْحِيدَ وَهُمْ عَبْدَةُ أُوثَانٍ، لِأَنَّهُمْ يَتَوَصَّلُونَ إِلَى مَفْهُومِ
لِلتَّوْحِيدِ حَسَبَ رَأْيِهِمْ لَا حَسَبَ الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ. فَهُمْ وَعَبْدَةُ اللَّاتِ وَالْعُزَّى سَوَاءٌ
بِسَوَاءٍ، بَلْ هُمْ شَرٌّ مِنْهُمْ، لِأَنَّ الصَّنَمَ رَمَزٌ لِلَّهِ عِنْدَ بَعْضِ الْمُشْرِكِينَ.
[٩] قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

عَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام قَالَ:

«أَدْخُلُوا فِي وِلَايَةِ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»^(١).

أَقُولُ: وَمَحَالٌ تَفْسِيرُ الْآيَةِ بِأَيِّ وَجْهِ آخَرَ، لِأَنَّ الْاِخْتِلَافَ لَا بُدَّ أَنْ يَحْصُلَ إِذَا أُوْكَلَ «الْأَمْرُ» إِلَى النَّاسِ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَدْخُلُوا فِي الطَّاعَةِ، لِأَنَّهُ الْبَرُّ الرَّحِيمُ بِهِمُ وَالْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَالَّذِي يُعْطِي مَنْ فَضْلِهِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَتَظْهَرُ كُنُوزُ الْأَرْضِ وَيَعْمُ الرِّخَاءُ وَيَسُودُ السَّلَامُ وَتُطَهَّرُ الْأَرْضُ مِنَ الشُّرْكِ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا.

وَأَقُولُ أَيْضًا: هَذَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ تَفْسِيرِنَا الْمَارَّ سَابِقًا لِأَحَادِيثِ الرَّسُولِ ﷺ فِي فَضَائِلِ الثَّانِي حَيْثُ أُثْبِتْنَا أَنَّهُ رَئِيسُ الشَّيَاطِينِ وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِلَفْظِ الشَّيْطَانِ فِي الْقُرْآنِ كَمَا مَرَّ عَلَيْكَ.

وَالْمَعْنَى: لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ عُمَرَ.. الْخُطْوَةُ الْأُولَى أَنْ يَكُونَ أَبُو بَكْرٍ الْخَلِيفَةَ وَعُمَرُ يُصَافِحُهُ، وَالْخُطْوَةُ الثَّانِيَةُ أَنْ يُوصِيَهُ لَهُ أَبُو بَكْرٍ بِالْإِمَامَةِ!، وَالْخُطْوَةُ الثَّالِثَةُ أَنْ يَجْعَلَهَا بِحَيْثُ تُفْضِي إِلَى بَنِي أُمَيَّةٍ حَسَبِ الْمِيثَاقِ وَالِاتِّفَاقِ مَعَهُمْ!

وَهَذِهِ هِيَ خُطَوَاتُ الشَّيْطَانِ، وَلِذَلِكَ كَانَ عُمَرُ إِبَانَ خِلَافَتِهِ إِذَا رَأَى عَلِيًّا يَضْحَكُ وَيُنْزِلُ رَأْسَهُ فِي صَدْرِهِ وَعَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَبْتَسِمُ أَوْ يَضْحَكُ هُوَ الْآخَرُ، لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ الْآخَرِ. فَكَأَنَّ عُمَرَ يَقُولُ لَهُ: «أَصْبَحْتُ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ فَهَلْ هُنَاكَ انْتِصَارٌ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا؟». وَإِنَّمَا يَضْحَكُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّهُ لَمْ يَخْسَرْ شَيْئًا قَط. فَالْخَاسِرُونَ هُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَهَذَا مُفِيدٌ مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ قَرَزَ لِلْخَلْقِ وَفَتَنَهُ لِلنَّاسِ!

وَلِذَلِكَ فَعُمَرُ يُعَدُّ بِالْفِعْلِ فَارُوقَ الْأُمَّةِ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَنْكَرْ أَنَّ هَذَا اللَّقَبَ لَهُ وَلَكِنَّهُ قَالَ:

«أَنَا الْفَارُوقُ الْأَكْبَرُ لَا يَقُولُهَا بَعْدِي إِلَّا كَذَّابٌ».

وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ عُمَرَ فَارُوقٌ أَضْعَفُ. فَالشَّيْطَانُ وَالْوَلِيُّ كِلَاهُمَا يَقُومُ بِالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَلَكِنَّ عَلِيًّا أَكْبَرُ بِالتَّفْرِيقِ لِأَنَّهُ أَقْدَمُ وَأَدْوَمُ لِأَنَّ الْخَيْرَ قَبْلَ

الشَّرُّ وَالنُّورَ قَبْلَ الظُّلَامِ كَمَا قَالَ مَوْلَانَا الصَّادِقُ عليه السلام فِي أَزْمَانِ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ.

[١٠] قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِن دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنِييَةً﴾ [النساء: ٦٦].

عَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام قَالَ:

«لَوْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ فِي وَلَايَةِ عَلِيِّ عليه السلام» ^(١).

أَقُولُ: لَوْ تَذَبَّرْتَ لَفَظَ «الْوَعْظُ» فِي الْقُرْآنِ لَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ هَذَا هُوَ التَّفْسِيرُ الْوَحِيدُ، لِأَنَّ اتِّبَاعَ الْخَيْرِ نَاتِجُهُ خَيْرٌ، وَاتِّبَاعَ الشَّرِّ نَاتِجُهُ شَرٌّ.

فَكُلُّ شَرٍّ أَصَابَكَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ الْأَوَّلِ، وَكُلُّ خَيْرٍ جَاءَكَ فَإِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَأَهْلِ بَيْتِهِ عليهم السلام.

ثُمَّ إِنَّ الْأَمْرَ هُنَا عَامٌّ فَلَوْ قُلْتَ هِيَ فِي عُمَرٍ فَإِنَّهُ يَصِحُّ قَطْعًا لِأَنَّهُمْ لَوْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ وَهُوَ عَدَمُ اتِّبَاعِ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ. فَالْوَعْظُ وَاحِدٌ: يَنْهِي عَنِ اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ. وَمَعْنَاهُ أَمْرٌ بِاتِّبَاعِ الْوَلِيِّ أَوْ الْعَكْسِ وَالنَّاتِجُ وَاحِدٌ.

وَهَذَا يُفَسِّرُ لَكَ التَّنَاقُضَ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ فَاتَّبِعْ لِلْإِشَارَةِ، لِأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ قَالُوا نَزَلَتْ فِي عُمَرَ. فَهُوَ قَوْلٌ صَحِيحٌ.

[١١] قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء: ١٦٨-١٦٩].

(١) الكافي/ ح ١١١٩ / ٢٧.

عَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام قَالَ:

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْوَلَايَةِ وَظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ عليه السلام حَقَّهُمْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا»^(١).

أَقُولُ: وَلَا يُمْكُنُ تَفْسِيرُ الْآيَةِ بِغَيْرِ هَذَا لِأَنَّهُ لَا حَدِيثَ عَنِ الْمَغْفِرَةِ بِالنِّسْبَةِ لِعَبْدَةِ الْأَصْنَامِ الْمُنْحَوْتَةِ، لِأَنَّهُ شَرَكُ ظَاهِرٌ، وَإِنَّمَا الْحَدِيثُ عَنْ قَوْمٍ مُسْلِمِينَ ظَاهِرُهُمُ الْإِيمَانُ وَالصَّلَاحُ وَلَكِنَّهُمْ كُفَّارٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ. وَلِذَلِكَ قَالَ: «وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» [النساء: ١٦٩]، لِأَنَّ بَعْضَهُمْ لَا يَعْمَلُ مِنَ الْمُؤَبَقَاتِ شَيْئًا قَطُّ، فَهُوَ يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ وَيَحُجُّ وَيُتَّقِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقَالُ وَلَا بُدَّ أَنْ يُقَالَ: «كَيْفَ يُدْخِلُهُمْ جَهَنَّمَ إِذَنْ؟»، فَيَأْتِي الْجَوَابُ هُنَا: «وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا».

فَمَا دَامَ قَدْ اتَّبَعَ إِمَامًا بَاطِلًا فَكُلُّ عَمَلِهِ بَاطِلٌ لِأَنَّهُ لِغَيْرِ اللَّهِ، فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُمْلِيَ عَلَى اللَّهِ شُرُوطَهُ وَيَحْسُبُ إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ مِنْهُ.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا مَا يَكُونُ خَالِصًا لَهُ وَخَدَهُ بِحَيْثُ لَا مَوْقِعَ لِهَوَى النَّفْسِ فِيهِ، وَهَؤُلَاءِ يَعْبُدُونَ عُمَرَ مَعَ اللَّهِ!

فَمِنْ أَيْنَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟

وَمِثْلُهُمُ الَّذِينَ يُوَالُونَ عَلِيًّا بِالسِّتَةِ اتِّبَاعًا لِأَهْوَائِهِمْ لَا لِأَمْرِ اللَّهِ.

فَالْأَمْرُ مَعَ هَذَيْنِ سَيِّئًا!

الْكُلُّ مِنْهُمَا مُشْرِكُونَ!

لَكِنَّ عَلِيًّا عليه السلام مُحَاطٌ بِعِنَايَةِ إِلَهِيَّةٍ، وَلَا يُوَالِيهِ غَالِيًا صَاحِبُ هَوَى أَوْ رَاغِبٌ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُ لَا تَأْتِيهِ مِنْ وَلَايَتِهِ غَيْرُ الْمَصَائِبِ وَالْإِبْتِلَاءَاتِ.

(١) الكافي/ ح ١١٥١ / ٥٩.

فَأَغْلَبُ الَّذِينَ يَقُولُونَ بُولَايَتِهِ عَلَى وَجْهِهَا يَقُولُونَ ذَلِكَ تَنْفِيزًا لِلْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ الرضا عليه السلام :

«لَيْسَ كُلُّ مَنْ قَالَ بُولَايَتَنَا مُؤْمِنًا وَلَكِنَّهُمْ جُعِلُوا أُنْسًا لِلْمُؤْمِنِينَ» .
فَلَا يَخْلُو الْقَائِلُونَ بِالْوِلَايَةِ مِنَ النِّفَاقِ أَوْ الشُّرْكِ أَوْ الضَّلَالِ، بَلْ وَالْكَفْرِ .
[١٢] قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣] .
قَالَ الْبَاقِرُ عليه السلام :

«لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] اجْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ كَفَرْنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ نَكْفُرُ بِسَائِرِهَا وَإِنْ آمَنَّا بِهَا فَهَذَا الذُّلُّ حِينَ يُسَلِّطَ عَلَيْنَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. فَقَالُوا: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ فِيمَا يَقُولُ وَلَكِنَّا نَتَوَلَّاهُ وَلَا نَطِيعُ عَلِيًّا فِي مَا أَمَرَنَا فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣] - وَالنِّعْمَةُ هِيَ الْوِلَايَةُ - وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ»^(١) .

أَقُولُ: هَذَا مُرْتَبِطٌ بِالنَّعِيمِ وَالنِّعْمَةِ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ فَتَذَكَّرُ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ هُوَ صِرَاطُ قَوْمِ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَالْكُلُّ يَعْرِفُهُم بِالطَّبْعِ وَلَكِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ هَذِهِ النِّعْمَةَ :

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧ ﴿﴾ [الفاتحة: ٦-٧] .

فَمَاذَا أَنْعَمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ؟

(١) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٦٣ .

أَهُوَ الْجُبْنُ وَالْفِرَارُ مِنَ الْحَرْبِ وَتَوَلِيَةِ الْأَذْبَارِ؟
أَمْ هُوَ الْبُخْلُ الشَّدِيدُ إِذْ لَمْ يَعْمَلُوا بِآيَةِ النَّجْوَى وَلَمْ يَضْرِبُوا دِرْهَمًا وَاحِدًا
لِمُدَّةِ عَشْرَةِ أَيَّامٍ؟

أَمْ هُوَ الْعِلْمُ الْجَمُّ حَتَّى يَقُولَ عُمَرُ: «حَتَّى الْعَجَائِزُ أَفْقَهُ مِنْ عُمَرَ»؟!

أَمْ الذَّرِيَّةُ الظَّاهِرَةُ الْمُطَهَّرَةُ مِنَ الدَّنَسِ؟

وَأَيْنَ صَهَاكَ وَحَتْنَمَةَ مِنَ الظَّهَارَةِ؟

أَمْ الْحَسَبُ الضَّارِبُ فِي صُلْبِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ؟

وَأَيْنَ تَيْمٍ وَعَدِيٍّ مِنَ الْأَخْسَابِ وَالْأَنْسَابِ؟

يَا قَوْمُ مَا لَكُمْ؟

أَلَا تَرَوْنَ الْآنَ الدَّوْلَ الْمُسَيِّرَةَ عَلَى الْعِلْمِ كَيْفَ تَخْتَارُ الْحُكَّامَ الطُّغَاةَ مِنْ
بَيْنِكُمْ؟

أَلَا تَرَوْنَهَا تَخْتَارُهُمْ بَحِيثٌ يَكُونُونَ فَاقِدِينَ لِكُلِّ الْقِيَمِ وَمِنْ أَسْوَأِ الْخَلْقِ لَا
يَحْلُمُ أَحَدُهُمْ بِحُكْمِ عَائِلَةٍ مُحْتَرَمَةٍ فَضْلًا عَنْ أُمَّةٍ بِكَامِلِهَا لَكِي يُنْفِذُوا أَوْامِرَهَا
بِالتَّفْصِيلِ وَيُمْكِنُ تَبْدِيلُهُمْ فِي أَيِّ وَقْتٍ!

إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ هُمَا مِنْ هَذِهِ الشَّاكِلَةِ!

لَكِنَّهُمْ طُغَاةٌ مِنْ صُنْعِ خَطَايَاكُمْ. وَحَتَّى أَنَّ أَبَا قُحَاةً قَدْ تَعَجَّبَ مِنْ اسْتِلامِ
إِبْنِهِ أَبِي بَكْرٍ لِمَنْصِبِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ خَيْرِ الْخَلْقِ وَسَيِّدِ الْبَشَرِ! فَقَالَ لِأَبِي
بَكْرٍ: «مَاذَا وَجَدُوا فِيكَ؟!»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «وَجَدُونِي أَكْبَرُهُمْ سِنًا!!»، فَقَالَ
أَبُو قُحَاةَ: «تَبًّا لَكَ أَلَا قُلْتَ لَهُمْ إِنَّ أَبَاكَ أَكْبَرُ مِنْكَ سِنًا؟!»

وَاللَّهِ إِنَّ أَبَا قُحَاةَ هَذَا لَمُحِقٌ جَدًّا، لِأَنَّهُ أَيْضًا وَحَسَبَ قَانُونَ أَهْلِ الشُّورَى:
«دَخَلَ الْإِسْلَامَ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ»!

مَا أَذْرَأَكُمْ بِأَنْ كُلَّ هَؤُلَاءِ قَدْ حَسُنَ إِسْلَامُهُمْ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ؟
أَعِنْدَكُمْ قَائِمَةٌ بِأَسْمَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مُسْتَنْسَخَةٌ عَلَى قَائِمَةِ رِضْوَانِ خَازِنِ
الْجَنَانِ ﷺ؟

أَمْ تَعْلَمُونَ بِمَا فِي ذَاتِ الصُّدُورِ مِثْلُ اللَّهِ؟
أَلَا يَنْبَغِي عَلَيْكُمْ تَقْيِيمُ وَوزنِ الْخَلْقِ عَلَى ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؟
[١٣] قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا
السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥]
قَالَ الصَّادِقُ ﷺ:

«خُرُوجُ الْقَائِمِ وَهُوَ السَّاعَةُ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا».
أَقُولُ: وَلَا يُمَكِّنُ تَفْسِيرُ الْآيَةِ بِأَيِّ نَحْوٍ آخَرَ لِأَنَّ هُنَاكَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا الْعَذَابَ
الْآتِي، وَإِمَّا السَّاعَةَ. فَالْعَذَابُ قَدْ يَأْتِي إِذَا اسْتَمَرَّ الْخَلْقُ فِي الْعِصْيَانِ، وَإِذَا
وُجِدَ أَنْصَارٌ مِنْهُمْ لِلْقَائِمِ كَانَتْ السَّاعَةُ وَلِلَّهِ الْمَشِيئَةُ وَالْأَمْرُ. وَالسَّاعَةُ غَيْرُ
الْقِيَامَةِ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا خَلَطُوا الْأَلْفَاظَ لِلتَّمْوِيهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَتَعْمِيَةِ الْأَمْرِ
عَلَيْهِمْ.

وَالْوَعْدُ مُرْتَبِطٌ بِالْعَذَابِ وَالسَّاعَةِ فَقَطْ لِأَنَّ الْقِيَامَةَ أَجَلٌ لَا وَعْدَ وَلَا سَاعَةَ
فَتَدَبَّرْ هَذِهِ الْأُمُورَ فِي الْقُرْآنِ تَتَكَشَّفُ لَكَ جَلِيلَةُ الْحَالِ.

قَالَ تَعَالَى فِي أَهْلِ الْكَهْفِ:

﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ
يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَظْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

وَذَلِكَ أَنَّ بَقَاءَ أَهْلِ الْكَهْفِ أَحْيَاءَ وَهُمْ لَيْسُوا بِنِيَامٍ وَلَا مَوْتَى كُلُّ هَذِهِ
الدَّهْرِ، إِنَّمَا هُوَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى غَيْبَةِ الْمَهْدِيِّ عليه السلام وَطُولِ حَيَاتِهِ، فَمَا مِنْ آيَةٍ فِي
الْقُرْآنِ وَفِيهَا لَفْظُ «الْوَعْدِ» إِلَّا وَهِيَ فِيهِ عليه السلام. وَسَجَّدهَا تَفْتَحُ لَكَ أَبْوَاباً مِنَ
الْمَعْرِفَةِ بِأَمْرِهِ، وَإِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أُبَيِّنَ كُلَّ مَا أَعْلَمُ خَشْيَةً وَقَوْعِهِ فِي أَيْدِي
الْمُنَافِقِينَ فَافْتَهُمْ وَتَدَبَّرْ بِنَفْسِكَ كِتَابَ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُغْنِيكَ عَنِ الْكَثِيرِ، وَأَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُهُ
فَهُوَ مَوْجُودٌ فِيهِ - أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ «أَعِثْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا» حَيْثُ يَقُولُ الْمُكَذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ وَتَحَقُّقِ الْخِلَافَةِ
الْإِلَهِيَّةِ فِيهِ عَلَى يَدِ الْمَهْدِيِّ عليه السلام : «كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟ وَلِمَاذَا لَا يَمُوتُ؟». أَوْ
يَكْذِبُ بِمَوْلِدِهِ يَقُولُ: «مَا وُلِدَ وَلَيْسَ لِلْحَادِي عَشَرَ مِنْ عُقْبٍ»... إِلَى آخِرِ
الْمِرَاءِ.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا
الْحَقُّ ۖ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨].

فَأَعِثْنَا اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْكَهْفِ بَعْدَ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ وَتِسْعَ سِنِينَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَهُ
حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا!، ثُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْفَتِيَّةَ رَقَدُوا مُجَدِّدًا فِي كَهْفِهِمْ
وَأَنَّهُمْ لَنْ يُبْعَثُوا مَرَّةً أُخْرَى إِلَّا عِنْدَ ظَهْرِ الْمَهْدِيِّ عليه السلام، فَهُمْ مِنْ جُنْدِهِ
وَأَمْرُهُمْ مُرْتَبِطٌ بِأَمْرِهِ وَهُمْ عَلَامَةٌ لَهُ وَهُوَ عَلَامَةٌ لَهُمْ كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ
حَدِيثٍ شَرِيفٍ.

أَقُولُ: هَذِهِ النَّمَاذِجُ الْإِنْتِثَارِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ هِيَ غَيْضٌ مِنْ
فَيْضٍ. فَكُلُّ الْقُرْآنِ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ إِنَّمَا يَتَحَدَّثُ عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَأَهْلِ بَيْتِهِ مُقَابِلَ عَدُوِّهِمُ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَأَعْوَانِهِ وَأَتْبَاعِهِمْ.

ش - وَمِنْهَا قَوْلُهُ عليه السلام :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْدِيكَ عَلَى قُرْنِشٍ فَإِنَّهُمْ أَضْمَرُوا لِرَسُولِكَ عليه السلام ضُرُوبًا مِنَ
الشَّرِّ وَالْغَدْرِ فَعَجَزُوا عَنْهَا وَجَلَّتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ فَكَانَتِ الْوَجْبَةُ بِيِ الدَّائِرَةِ عَلَيَّ.

اللَّهُمَّ اخْفِظْ حَسَنًا وَحُسَيْنًا وَلَا تُمَكِّنْ فَجْرَةَ قُرَيْشٍ مِنْهُمَا مَا دُمْتُ حَيًّا فَإِذَا تَوَفَّيْتَنِي فَأَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

نهج البلاغة/ ٤١٣ - في شرح ابن أبي الحديد، تصنيف النهج/ ١٦٤

مَاذَا أَقُولُ؟ !

فَهَذَا كَلَامٌ وَاضِحٌ وَفِي مُتَهَيِّ الوُضُوحِ!

نَبِيِّ وَإِمَامٍ.. فَإِذَا مَضَى النَّبِيُّ دَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى الْإِمَامِ. وَالْفَاعِلُونَ أَهْلُ غَدْرِ وَشَرٍّ وَفُجُورٍ!.

فَلَوْ كَانَ عَلِيٌّ مُرْشَحًا لِلْخِلَافَةِ فَحَسَبَ، وَيُؤْمِنُ بِالشُّورَى وَلَا يُنَافِسُهُمْ إِلَّا فِي انتخاباتٍ نزيهةٍ وَهُوَ النَّزِيهُ كُلُّ النَّزِيهِ.. فَلِمَاذَا الدَّائِرَةُ؟ وَلِمَاذَا ضُرُوبُ الشَّرِّ؟ وَلِمَاذَا الْعَدْرُ؟ وَمَا الَّذِي يَجْعَلُهُ يَدْعُو اللهَ بِالْحَاحِ لِحِفْظِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ فَجْرَةِ قُرَيْشٍ الَّتِي حَالَ اللهُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ فَعَجَزَتْ عَنْ تَنْفِيزِ خَطِّهَا فَتَحَوَّلَتْ إِلَى إِبَادَةِ الذَّرِيَّةِ وَالنَّسْلِ وَالْأَصْهَارِ وَالْأَقَارِبِ؟

إِذَنْ.. فَكَرْبَلَاءُ قَدْ بَدَأَتْ هُنَاكَ فِي السَّقِيفَةِ!

وَالْخَطَّةُ لِقَتْلِ الْأَطْفَالِ الرُّضْعِ مَوْضِعَةٌ مُسَبِّقًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً فَلَا يَمْنَعُ هَذَا مِنْ قَتْلِ عَبْدِ اللهِ الرُّضْعِ قَبْلَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ نَفْسِهِ! لِأَنَّ الْوَاجِبَ الْأَسَاسِيَّ هُوَ قَطْعُ نَسْلِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

وَمَا زَالَتْ قُرَيْشٌ مُنْزَعِجَةٌ مِنَ الْوَحْيِ حَيْثُ يَقُولُ:

﴿إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكونر: ٣].

أَلَا تَرَى هَذَا النَّصْرَ كَيْفَ يُؤَكِّدُ حُلُولَ التَّالِيِ مَحَلِّ السَّابِقِ فَإِذَا مَضَى مُحَمَّدٌ فَالدَّائِرَةُ عَلَى عَلِيٍّ فِي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ!، كَمَا كَانَتْ عَلَى مُحَمَّدٍ فِي عَلِيٍّ!، فَإِذَا مَضَى عَلِيٌّ أَصْبَحَتْ الدَّائِرَةُ عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فِي الْقَاسِمِ وَعَلِيٍّ وَعَبْدِ اللهِ!

إِنَّهُ لَيَبْدُو لِي أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ عَمَلَ مَعَهُمْ مُنَاوَرَةً فِي الْحَسَنِ
وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لِإِخْفَاءِ فَرْعِ الْإِمَامَةِ فَيَقْلِنَا مِنَ الْقَتْلِ! بَلِ الصِّرَاعُ دَاخِلَ أَتْبَاعِ
الْأُتَمَّةِ فَيَمَنْ تَكُونُ الْإِمَامَةُ فِيهِ هُوَ مِنَ الْمَنَافِعِ الَّتِي تَظْهَرُ ذَاتِيًّا فِي كُلِّ حَلَبَةٍ
صِرَاعٍ.، وَإِنَّ ادِّعَاءَ بَعْضِ بَنِي هَاشِمٍ لِلْإِمَامَةِ لَهُ مَنَافِعُ خَفِيَّةٌ أَيْضًا. . ذَلِكَ أَنَّ
الْعَدُوَّ يَتَرَبَّصُّ وَالْمُنَاصِرُ ضَعِيفٌ وَالْمُؤَيَّدُ جَبَانٌ وَالْمُحِبُّ شَكَاكٌ وَالْقَرِيبُ مَدْعٍ
وَالرَّحِمُ حَسُودٌ!

وَكُلُّ ذَلِكَ حَصَلَ لِلْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَمَا دَخَلَ الْهَيْكَلُ! إِذْ كُلُّ إِسْرَائِيلَ قَدْ
وَقَفَتْ بِوَجْهِهِ. . كُلُّهُمْ رَفَضُوهُ. . وَأَمَنَ بِهِ الْأَغْرَابُ فَقَطَّ فَقَالَ:

«الْخُبْرُ الَّذِي لَا يَأْكُلُهُ أَهْلُ الدَّارِ فَلَيْسَتْ جَدِيرَةً بِأَكْلِهِ سِوَى الْكِلَابِ»

أَمَنَ بِالْمَسِيحِ شُبَّانٌ مِنَ الرُّومَانِ الْمُخْتَلِينَ لِفَلَسْطِينَ وَكَفَرُوا بِهِ يَسْعُونَ أَلْفًا مِنْ
عُلَمَاءِ الْهَيْكَلِ مِنْ إِسْرَائِيلَ وَأَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ كَفَرُوا بِهِ مِنْ غَيْرِ الْعُلَمَاءِ.

لَقَدْ بُعِثَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ خُصُوصًا وَأُنْزِلَ إِلَيْهِمُ الْإِنْجِيلُ!
وَلَكِنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا رَأَاهُمْ كَفَرُوا أَرْسَلَ التَّلَامِيذَ مِنَ الرُّومَانِ لِيَدْعُوا الْأُمَمَ
فَقَالَ لَهُمْ:

«اذْهَبُوا فَادْعُوا الْأُمَمَ وَلَكِنْ خُذُوا خُبْرَ اللَّهِ لِلْغُرَبَاءِ».

وَعَلِيٌّ فِي الْأُمَّةِ يُشَبَّهُ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أُمَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَهَذَا هُوَ وَصْفُ النَّبِيِّ
لَهُ فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ:

«لَوْ لَا أَنْ تَقُولَ فِيكَ يَا عَلِيُّ طَوَائِفُ مِنْ أُمَّتِي مَا قَالَتِ النَّصَارَى فِي عِيسَى بْنِ
مَرْيَمَ لَقُلْتُ فِيكَ قَوْلًا مَا تَمُرُّ بِمَلَأٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَخَذُوا التُّرَابَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْكَ
يَلْتَمِسُونَ بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ».

ذَكَرَ ذَلِكَ صَاحِبُ الْبُرْهَانِ بِطَرِيقِ مُخْتَلَفَةٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ج ٤/ ١٥٠.

بَلْ تَشَابَهَ يَوْمُهُ مَعَ يَوْمِ الْمَسِيحِ فَقُتِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَفْسِ الْيَوْمِ الَّذِي عُرِجَ فِيهِ

بِعِيسَى عليه السلام. ذَكَرَ ذَلِكَ الْهَيْثُمِي فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ ج ٩/١٤٦، وَابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ ج ٣/١/٢٦، وَكَثُرَ الْعَمَالُ ج ٦/٤١٢.

وَلَمْ يُعْجَبِ الْمُنَافِقِينَ تَشْبِيهُ النَّبِيِّ عليه السلام لِعَلِيِّ بِالْمَسِيحِ عليه السلام فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ يُحَرِّضُونَهُمْ عَلَى الْإِعْتِرَاضِ: «مَا رَضِيَ مُحَمَّدٌ أَنْ يُضْرَبَ لِابْنِ عَمِّهِ مَثَلًا إِلَّا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ!»

وَفِي حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ وَكَيْعٍ عَنِ الْأَعْمَشِ بِسَنَدِهِ إِلَى سَلْمَانَ أَنَّهُمْ قَالُوا: «وَاللَّهِ إِنْ أَلْهَتَنَا الَّتِي نَعْبُدُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَفْضَلَ!»، أَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا/ كَمَا فِي الْحَدِيثِ ٤/: «وَاللَّهِ لِعِبَادَةِ اللَّاتِ وَالْعَزَّى أَهْوَى مِنْ هَذَا!»! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: ٥٧-٥٨].

انْظُرِ الْأَحَادِيثَ فِي الْبُرْهَانِ مِنْ «١ - ٩» فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ.

لِنَكُنْ وَاقِعِينَ: مَا الَّذِي يَدْعُونِي لِتَصْدِيقِ أَقْوَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ اللَّامُنْطَقِيَّةِ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ وَتَرْكِ هَذَا التَّفْسِيرِ الْوَاقِعِيِّ؟

لِنَكُنْ وَاقِعِينَ: فَإِنَّ الْحَسَدَ هُوَ مَنشَأُ كُلِّ الشُّرُورِ وَمَبْدَأُهَا وَهُوَ حَسَدُ إِبْلِيسَ لِأَدَمَ. وَمِنْ الصَّغَبِ جِدًّا عَلَى قَوْمٍ مِثْلِ قُرَيْشٍ أَنْ يُؤْمِنُوا بِأَفْضَلِيَّةِ شَابٍّ مِنْهُمْ! لَقَدْ رَفَضُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ عليه السلام وَكَذَّبُوهُ بَعْدَ أَنْ آمَنُوا ظَاهِرِيًّا. وَلَا بُدَّ مِنْ كَشْفِهِمْ بِأَمْرِ آخَرَ أَضْعَبَ عَلَى النَّفُوسِ.

إِنَّ الْوَلَايَةَ هِيَ غَرِيبُ الْخَلْقِ وَهِيَ الْكَاشِفَةُ عَنْ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، وَإِنَّ الْجِدَالَ فِيهَا هُوَ مُصَادَرَةٌ عَلَى الْمَطْلُوبِ أَضْلًا! وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الزخرف: ٥٨].

الْغَايَةُ هِيَ الْجِدَالُ فَقَطْ وَإِلَّا فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ جَيِّدًا أَنَّهُمْ أُمِرُوا أَنْ يَسْجُدُوا
لِحَجَرٍ أَسْوَدَ رُغْمَ أَنْوْفِهِمْ إِنْ أَرَادُوا أَنْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ! وَمَا مِيلَادُ عَلِيٍّ فِي
الْكَعْبَةِ إِلَّا إِشَارَةٌ أُخْرَى.. إِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ. وَلَسْتُمْ بِأَفْضَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ
سَجَدُوا لِآدَمَ، وَلَيْسَ الْحَجَرُ بِأَفْضَلَ مِنَ الرَّسُولِ وَالْوَلِيِّ!

بِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ تَنْكَشِفُ الْأَكَاذِيبُ وَالْمِرَاءُ.. فَقَدْ وُضِعَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ
لِلْإِنْسَانِ وَأَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لَهُ رُغْمَ أَنْوْفِكُمْ وَأَلَّا فَلَسْتُمْ مِنَ الْإِيمَانِ فِي شَيْءٍ، لَأَنَّ
مَنْ لَمْ يُصَلِّ إِلَى الْكَعْبَةِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ، وَمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ فَلَا دِينَ لَهُ!
هَذِهِ بَدِيعَةٌ وَاضِحَةٌ فَكَيْفَ يُحَدِّدُ اللَّهُ لَكَ اتِّجَاهًا وَاحِدًا فِي الْعِبَادَةِ وَيَتْرُكُكَ
حُرًّا مُخْتَارًا فِي الْعُبُودِيَّةِ؟

فَلَا تَأْمَنُوا مَكْرَ اللَّهِ وَانظُرُوا جَيِّدًا:

فَإِنَّ مَنْ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ فَهُوَ فَاسِقٌ.. لَأَنَّ مَكْرَ اللَّهِ مَوْجُودٌ فِي كُلِّ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ
صَغِيرٍ أَمْ كَبِيرٍ، وَبِهِ تُسْتَخْرَجُ حَقِيقَةُ الْأَعْمَالِ وَالنَّوَايَا بِحَيْثُ يَشْهَدُ الْعَبْدُ عَلَى
نَفْسِهِ مُضْطَرًّا.

إِنَّ اللَّهَ هُوَ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ.. وَهُنَا فِي الْوَلَايَةِ مَلْيُونُ مَكْرٍ وَمَكْرٍ وَلَكِنَّكُمْ قَوْمٌ
لَا تَفْقَهُونَ. وَلَا يَأْتِيَكُمُ الْفِقْهُ فِي الدِّينِ مِنَ الدِّرَاسَةِ وَالتَّعَلُّمِ!

يَا قَوْمُ إِنَّكُمْ بِمَا لَدَيْكُمْ مِنْ مَفَاهِيمَ بَعِيدَةٍ عَنْ مَفَاهِيمِ اللَّهِ ضَالُّونَ مُضَلَّلُونَ،
ذَلِكَ أَنْ لَا عِلَاقَةَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ! وَلَا كَمَا هُوَ قَارٌّ فِي بَدِيعِيَّاتِكُمُ الَّتِي
يَسْتَصْرِحُكُمْ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ لِتُرَاجِعُوهَا.

إِنَّ الْفَقَاهَةَ هِيَ فِي الْقُلُوبِ لَا فِي الْعُقُولِ! لَأَنَّ الْقُلُوبَ إِذَا فَسَدَتْ فَلَا فَائِدَةَ
مِنَ الْعُقُولِ مَهْمَا عَظُمَتْ، بَلْ سَتَكُونُ فَاسِدَةً هِيَ الْأُخْرَى وَإِنْ أَعْجَبَتْكُمْ أَقْوَالُهَا
وَتَخْرِيجَاتُهَا وَحَذَلَتْهَا. فَبَقِيلِيلٍ مِنَ التَّأْمُلِ الْوَاعِيِ وَبَقِيلِيلٍ مِنَ فَقَاهَةِ الْقُلُوبِ
سَتَذَرِكُونَ فَسَادَ هَذِهِ الْعُقُولِ.

وَكُلُّ هَذَا هُوَ كَلَامٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَفِي الْقُرْآنِ الَّذِي مَلَّ مِنْ كَثْرَةِ تِلَاوَتِكُمُ الْعَقِيمَةَ لَهُ، فَمَا جَزَاءُكُمْ مِنْهُ إِلَّا ضَلَالٌ فِي ضَلَالٍ . .

يَا هَؤُلَاءِ أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْفَقَاهَةَ قَدْ اقْتَرَنْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِالْقُلُوبِ وَالْقُلُوبِ فَقَطَّ . . بِالْقُلُوبِ دُونَ الْعُقُولِ، وَذَلِكَ فِي سَائِرِ آيَاتِهِ وَأَنْهَا لَمْ تَرْتَبِطْ مُطْلَقًا بِالْعُقُولِ . . انظروا:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسَى مَا قَدِمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣].

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرَتْ رَبِّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحَدِّثْ وَلَوْ عَلَىٰ أَذُنٍ عَلَيْهِمْ نُفُورًا﴾ [الاسراء: ٤٦].

﴿وَإِذَا مَا أَنزَلْنَا سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ مِمَّنْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسَى مَا قَدِمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

يَا قَوْمُ . . نَذِي أَنْ الْعُقُولَ الْكَبِيرَةَ الْمُقَدَّسَةَ عِنْدَكُمْ قَدْ تَلَاعَبَتْ وَسَتَّلَاعَبَتْ بِالْفَاطِ الْآيَةِ لِصَرْفِهَا وَصَرْفِكُمْ عَنْ مُرَادِهَا الْحَقُّ الَّذِي يَجْعَلُ الْمَنَاطَ هُوَ

الْقُلُوبَ . . وَرُبَّمَا قَالُوا لَكُمْ إِنَّ الْقُلُوبَ وَالْعُقُولَ فِي اللِّغَةِ سَيَّانَ . . خَالِفُوا
وَجَدَانَكُمْ وَقُلُوبَكُمْ إِذْنَ! وَصَدَّقُوا قَدَاسَتَهُمْ وَلَتَذْهَبُوا مَعَهُمْ وَثِيدًا إِلَى . . النَّارِ!
وَعَذَرْنَا مَعَكُمْ حِينَهَا هُوَ عَذْرُ يُونَسَ ﷺ ، فَلَوْ جَاءَ إِلَى اللَّهِ بِشَأْنِكُمْ عَجَلًا
لَعَذَابِكُمْ مَا كَانَ وَاللَّهِ لِيَمْضِيَ إِلَى بَطْنِ الْحَوِثِ . . بَلْ سَيَسْتَجِيبُ الْمَوْلَى عَزَّ
وَجَلَّ لَهُ لِأَن قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ التَّنْذِيرِ مَا لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ . وَالْمَشِئَةُ كُلُّهَا
مَعَ ذَلِكَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ .

ت - وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ :

مِنْ خِطَابِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْمُتَبَدِّلِ بِالْحَمْدِ وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ :
... اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ أَمَرْتَ بِطَاعَتِهِمْ وَأَذْهَبْتَ عَنْهُمْ
الرَّجْسَ وَطَهَّرْتَهُمْ تَطْهِيرًا . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ أَلْهَمْتَهُمْ
عِلْمَكَ وَاسْتَحْفَظْتَهُمْ كُتُبَكَ وَاسْتَرْعَيْتَهُمْ عِبَادَكَ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ
وَرَسُولِكَ وَنَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ وَخَلِيلِكَ وَسَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
وَالْمُرْسَلِينَ وَالْخَلْقِ أَجْمَعِينَ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الَّذِينَ أَمَرْتَ بِطَاعَتِهِمْ
وَأَوْجَبْتَ عَلَيْنَا حَقَّهُمْ وَمَوَدَّتَهُمْ . .

نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة/ ج ٣ - باب الدعاء/ ١ / ١٢

أَقُولُ: فِي هَذِهِ الصَّلَوَاتِ تِسْعُ صِفَاتٍ لِآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ ذُكِرَتْ فِي النَّصِّ
وَهِيَ حَسَبُ التَّسْلُسِلِ :

١ - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِطَاعَتِهِمْ .

٢ - أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرَّجْسَ .

٣ - طَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا .

٤ - أَلْهَمَهُمْ عِلْمَهُ .

٥ - اسْتَحْفَظَهُمْ كُتُبَهُ .

٦ - اسْتَرْعَاهُمْ عِبَادَهُ.

٧ - جَعَلَهُمْ طَيِّبِينَ.

٨ - أَوْجَبَ عَلَى النَّاسِ حَقَّهُمْ.

٩ - أَوْجَبَ مَوَدَّتَهُمْ.

ونلاحظ في هذا الخطابِ أموراً أربعةً أخرى :

الأمر الأول: إِنَّهُ ﷺ بَنَى كَافَّةَ الصِّفَاتِ وَالْخَصَائِصِ عَلَى الْمَفْعُولِيَةِ وَنَسَبَهَا إِلَى اللَّهِ، فَلَمْ تَشُدْ مِنْهَا آيَةٌ صِفَةً مِثْلُ: أَمَرَ - أَذْهَبَ - طَهَّرَ - أَلْهَمَ - اسْتَحْفَظَ - اسْتَرْعَى . . فالأفعالُ كُلُّهَا تَعُودُ إِلَى اللَّهِ.

الأمر الثاني: إِنَّهُ ﷺ كَرَّرَ صِفَتَيْنِ مِنْهَا فَقَطْ وَهُمَا: إِنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِطَاعَتِهِمْ وَطَهَّرَهُمْ . وَجَعَلَ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ مُبْتَدَأَ الْكَلَامِ وَمُنْتَهَاهَا فِي فِقْرَةِ الصَّلَاةِ . لِأَنَّهُ بَعْدَ هَذِهِ الْفِقْرَةِ يُشْرِعُ بِالدُّعَاءِ فَيَقُولُ:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ سُؤَالَ وَجَلٍ مِنْ عِقَابِكَ، حَذِرٍ مِنْ نَقْمَتِكَ، فَرِحٍ إِلَيْكَ مِنْكَ. . . الخ».

الأمر الثالث: إِنَّهُ ﷺ أَفْرَدَ لِلنَّبِيِّ الْأَكْرَمِ تِسْعَ صِفَاتٍ أُخْرَى مُتَفَرِّدَةٍ خَاصَّةٍ بِهِ بِأَسْلُوبِ الْخِطَابِ الْمُبَاشِرِ مَعَ اللَّهِ وَنَسَبَهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَيْضاً وَهِيَ: عَبْدُكَ، رَسُولُكَ، حَبِيبُكَ، خَلِيلُكَ. فَهَذِهِ خَمْسُ صِفَاتٍ بِاللَّفْظِ الْمُتَفَرِّدِ وَهِيَ تُشِيرُ إِلَى الْخَمْسَةِ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ بَحَيْثُ إِذَا أُضِيفَتْ إِلَى التَّسْعَةِ الْآيَةِ أَصْبَحَ الْمَجْمُوعُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ صِفَةً، وَهِيَ بَعْدَ الصِّفَاتِ فِي آيَةِ الْمَشْكَاةِ وَبَعْدَ الْمَغْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأَرْبَعَةِ صِفَاتٍ مُرْتَبِطَةٍ بِلَفْظِ السَّيِّدِ لِإِتِمَامِ تِسْعِ صِفَاتٍ خَاصَّةٍ بِالرَّسُولِ الْأَكْرَمِ وَخَدِيدِهِ وَهِيَ: سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْخَلْقِ أَجْمَعِينَ. وَجَعَلَ هَذِهِ الصِّفَاتِ بِمَجْمُوعِهَا فِي وَسْطِ ذِكْرِ الْآلِ فَكَأَنَّهُ أَحَاطَ مُحَمَّداً بِالْآلِ بَحَيْثُ لَا يُمْكِنُ بُلُوغُ طَاعَتِهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِمْ.

الْأَمْرُ الرَّابِعُ: إِنَّهُ ﷺ تَكَلَّمَ بِصِيغَةِ الْمُفْرَدِ حَالَ الدُّعَاءِ وَجَعَلَ نَفْسَهُ وَاحِدًا مِنَ النَّاسِ فَقَالَ: أَوْجِبْتَ عَلَيْنَا حَقَّهُمْ . . وَأَوْجِبْتَ عَلَيْنَا مَوَدَّتَهُمْ . وَقَدْ سَبَّبَ هَذَا الْأَسْلُوبُ إِشْكَالًا لَدَى الْبَعْضِ ظَهَرَ مِنْ خِلَالِ وَضْعِ هَوَامِشٍ مِثْلَ هَامِشِ الْمُحَمَّدِي الَّذِي قَالَ فِيهِ: «هَذَا لَا يُتَأْفَى كَوْنُ الدُّعَاءِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِذْ أَغْلَبَ دَعَوَاتِهِ تَعْلِيمِيَّةٌ».

وَهَذَا جَوَابٌ سَيِّئٌ جِدًّا لِإِشْكَالٍ مُوهومٍ لَا وَجُودَ لَهُ . وَلِذَلِكَ فَسَوْفَ أَوْضَحُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ الْخَطِيرَةَ قَبْلَ الشُّرُوعِ بِشَرْحِ الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ لِلْأَلِ ﷺ .

لَقَدْ ذَكَرْتُ سَابِقًا أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ تَعَالَى مَا وَصَلُوا إِلَى الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا إِلَّا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَتَنْفِيزِ الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ وَانْعِدَامِ الْحُكْمِ الذَّاتِيِّ لَدِيهِمْ .

إِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَ الْمُطِيعِ هُوَ أَكْثَرُ الْخَلْقِ طَاعَةً لِلَّهِ وَلِمُحَمَّدٍ الرَّسُولِ ﷺ . وَهَذَا الْكَلَامُ الَّذِي يَصْدُرُ عَنْهُمْ لَيْسَ مُجَرَّدَ تَعْلِيمٍ يَقُولُونَهُ لِغَيْرِهِمْ .

وَالْأَفْ مَا مَعْنَى قَوْلِ الرَّسُولِ فِي التَّشْهِيدِ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»؟

وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ نُفَسِّرَ هَذَا الْقَوْلَ عَلَى أَنَّهُ مُجَرَّدُ تَعْلِيمٍ لَا يَصِحُّ فِي الْأَصْلِ أَنْ يَقُولَهُ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ نَفْسِهِ؟

كَلَّا . . إِنَّهُ يَشْهَدُ حِينَ يَشْهَدُ بِحَقِّ، وَيَطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي ذَلِكَ، وَيُنْفِذُ أَمْرَ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ وَعَلَيْهِ .

وَالْوَاقِعُ أَنَّ هَذِهِ الطَّاعَةَ بِهَذِهِ الصُّورَةِ هِيَ الْبُرْهَانُ الْأَكِيدُ وَالْأَكْبَرُ عَلَى الْعِزْمَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَيْثُ أَمَرَ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ بِطَاعَةِ مُحَمَّدٍ الرَّسُولِ وَانْطَبَقَ مُرَادُ مُحَمَّدٍ الْعَبْدِ مَعَ مُرَادِ مُحَمَّدٍ الرَّسُولِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَخْصُلْ إِلَّا بَعْدَ فَنَاءِ تَامِّ لِهَوَى الذَّاتِ وَتَسْلِيمِ تَامِّ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْمَعصُومَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ يُصَلِّي عَلَى نَفْسِهِ وَيَشْهَدُ لِنَفْسِهِ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ طَاعَةً لِلَّهِ لَا طَاعَةً لِهَوَى النَّفْسِ لِانْعِدَامِ هَذَا الْهَوَى مِنَ الْأَصْلِ فِيهِ . فَيُؤَكِّدُ هَذَا الْانْعِدَامَ دَوِّماً بِالطَّاعَةِ .

فَإِنْ قُلْتَ: «يَدْخُلُ فِي قَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْحَالِ بَعْضُ أَوْلَادِهِ الْمَعصُومِينَ فَكَيْفَ يَقُولُ بِصِغَةِ الْجَمَاعَةِ فَرَضَ عَلَيْنَا كَذَا وَكَذَا . . . حَيْثُ أَصْبَحَ مُطِيعاً لِلأَدْنَى مِنْهُ رُبَّةً فَإِذَا صَحَّ ذَلِكَ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ إِذْ هُوَ الْأَوَّلُ فِيهِمْ وَصَحَّتْ طَاعَتُهُ لِنَفْسِهِ بِاعْتِبَارِهِ عَبْدًا يَطِيعُ أَمْرَ اللَّهِ فِي مَقَامِ نَفْسِهِ ، فَكَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مُطِيعاً لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ إِلَى آخِرِ الْأَئِمَّةِ الْإِثْنِي عَشَرَ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ جَمِيعاً؟» .

فَالْجَوَابُ: كَلَّا . . . أَنْتَ الْمُتَوَهِّمُ . . . لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ . فَلَوْ رَجَعْتَ إِلَى كَلَامِهِ لَمَا وَجَدْتَهُ يَذْكُرُ مَعَ صِغَةِ جَمَاعَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَجُوبَ الطَّاعَةِ ، بَلْ وَجُوبَ الْحَقِّ وَالْمَوَدَّةِ فَقَطْ . . . بَيْنَمَا اسْتَعْمَلَ لِلطَّاعَةِ صِغَةً أُخْرَى ظَهَرَ فِيهَا الْوُجُوبُ عَلَى النَّاسِ هَكَذَا :

● الَّذِينَ أَمَرْتُ بِطَاعَتِهِمْ - فِي أَوَّلِ الْفَقَرَةِ وَلَمْ يَقُلْ «أَمَرْتَنَا» .

● الَّذِينَ أَمَرْتُ بِطَاعَتِهِمْ - فِي آخِرِ الْفَقَرَةِ .

● وَأَوْجَبْتَ عَلَيْنَا حَقَّهُمْ - فِي آخِرِ الْفَقَرَةِ .

● وَمَوَدَّتَهُمْ - فِي آخِرِ الْفَقَرَةِ .

وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ وَجُوبَ الطَّاعَةِ يَكُونُ عَلَى الْغَيْرِ .

فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ غَيْرٌ مَشْمُولٌ بِهَذَا الْوُجُوبِ ، بَلْ مَشْمُولٌ بِوُجُوبٍ أَنْ يُطَاعَ مِنْ قِبَلِ الْغَيْرِ . وَلَكِنَّهُ يَشْتَرِكُ مَعَ الْغَيْرِ فِي وَجُوبِ مَعْرِفَةِ حَقِّهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ !! .

فَهَلْ أَذْرَكْتَ الْآنَ مِنْ هَذَا التَّحْلِيلِ لِلنَّصِّ أَنَّهُ رَجُلٌ مَعصُومٌ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى وَإِنْ هُوَ إِلَّا وَخِي يُوْحَى . . . فَمِنْ هَذَا الَّذِي يَأْتِي بِكَلَامٍ دَقِيقٍ لَا تَجِدُ فِيهِ تَنَاقُضاً سِوَى حُجَّةِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ؟ .

وإني لأتحدّى كُلَّ الْخَلْقِ أَنْ يَأْتُونِي بِكَلَامٍ لِغَيْرِ حُجَجِ اللَّهِ وَلَوْ مِنْ سَطْرِ وَاحِدٍ لَيْسَ فِيهِ جَوَابٌ مِنَ الْخَطَأِ وَالتَّهَافُتِ . وَلِذَلِكَ قُلْنَا مِرَاراً إِنَّ تَحْلِيلَ النَّصِّ هُوَ الدَّلِيلُ الْوَحِيدُ عَلَى صِحَّةِ صَدُورِهِ مِنَ الْمَغْضُومِ أَوْ مِنْ سِوَاهُ ، فَلَا يُمْكِنُ تَضْعِيفُ نَصٍّ أَوْ تَقْوِيَتُهُ تَبَعاً لَوَثَاقَةِ الرِّجَالِ . فَكَمْ مِنْ مَوْثُوقٍ وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ فَاسِقٌ؟ وَكَمْ مِنْ شَرِيرٍ وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْأَخْيَارِ؟ . بَلْ كَمْ مِنْ شَرِيرٍ يَجْعَلُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِهِ الْحَقَّ؟ وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ نَحْرِيرِ نَسَى اللَّفْظَ فَيَنْقُلُ الْمَعْنَى بِالْفَاطِظِ هُوَ فَيَقْعُ فِي التَّبَاسِ وَيُوقِعُ الْخَلْقَ مَعَهُ .

وَقَدْ اعْتَمَدَ الْكَاتِبُ الْكَاذِبُ عَلَى تَضْعِيفِ الرِّوَاةِ فَقَطَّ لِلْخُلَاصِ مِنَ النُّصُوصِ الدَّامِغَةِ لِبَاطِلِهِ وَكَأَنَّا مُعْقِلُونَ لَا نَذَرِي أَنَّ عِلْمَ الرِّجَالِ ظَهَرَ أَضْلاً مِنْ جِهَةِ أَغْدَاءِ الدِّينِ وَخُصُومِ الْأُثْمَةِ الْأَظْهَارِ وَإِنْ عَمَلَ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ طَوَائِفِ الشُّبُعَةِ . قَالَ تَعَالَى :

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤] .

إِذَنْ.. الْوَاجِبُ عَلَيْهِ «ﷺ» أَنْ يَعْرِفَ حَقَّ الْأُثْمَةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَأَنْ يَنْفِذَ التَّعَالِيمَ فِي مَوَدَّتِهِمْ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِطَاعَةِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُوَ الثَّانِي فِيهِمْ .

وَالْآنَ نَرْجِعُ إِلَى مَا تَضَمَّنَهُ الْخِطَابُ مِنَ الصِّفَاتِ :

الضِّفَّةُ الْأُولَى:

أَمَّا قَوْلُهُ ﷺ : «أَمَرْتُ بِطَاعَتِهِمْ» . فَإِنَّ الْأَمَرَ بِطَاعَتِهِمْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ فِي عَشْرَاتِ الْمَوَاضِعِ . فَحَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ فَإِنَّ الرَّسُولَ أَمَرَ بِطَاعَتِهِمْ فَأَصْبَحَتْ طَاعَتُهُمْ مِنْ طَاعَةِ الرَّسُولِ . ثُمَّ أَفْرَدَ طَاعَتَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] .

ومعلومٌ أَنَّهُ لَا يَعْطِفُ شَخْصًا نَجَسًا عَلَى مُطَهَّرٍ . . . فَلَا يَعْطِفُ خَطَاءً عَلَى ذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ وَعَلَى رَسُولِهِ . فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أُولَوِ الْأَمْرِ مُطَهَّرِينَ ، وَلِذَلِكَ عَظَفَ عَلَيَّ ﷺ فِي نَفْسِ الْخِطَابِ هَذِهِ الصِّفَةَ فَقَالَ : «وَأَذْهَبَتْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ» .

مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى لَوْ كَانَ أُولَوِ الْأَمْرِ هُمْ مِثْلَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَكُلُّ طَاعِيَةٍ آخَرَ لَحَدَّثَ تَنَاقُضٌ مُشِينٌ فِي أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى . لَأَنْتُمْ تَقُولُونَ : «هَؤُلَاءِ غَيْرُ مَعْصُومِينَ عَنِ الْخَطَا» فَكَيْفَ يَأْمُرُ بِطَاعَتِهِمْ مُطْلَقًا وَيَعْطِفُ طَاعَتَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ؟!

فَمَاذَا تَفْعَلُونَ فِيمَا لَوْ أَخْطَأُوا وَلَا نَقُولُ تَعَمَّدُوا الْخَطَا مَعَ أَنْ غَيْرَ الْمَعْصُومِ لَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَعَمَّدُ الْخَطَا أَحْيَانًا وَأَلَّا فَمِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ الذَّنْبُ وَالْخَطِيئَةُ؟! فَلَوْ عَصَى اللَّهُ فِي أَمْرِ مَا جَهْلًا أَوْ عَمْدًا فَمَاذَا تَفْعَلُونَ؟ هَلْ تُطِيعُونَهُ فِي مَا أَخْطَأَ؟

إِنْ أَطَعْتُمُوهُ فَقَدْ عَصَيْتُمُ الْخَالِقَ إِذْ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ، وَإِنْ عَصَيْتُمُوهُ عَصَيْتُمُ الْأَمَرَ فِي الْآيَةِ بِوَجوبِ طَاعَتِهِ!

فَيَا لَكُمْ مِنْ حَمَقَى!

يَا لَكُمْ مِنْ مُعْغَلِينَ!

إِنَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ لِتَفْهَمُوا اسْتِحَالَةَ رِضَاهُ بِطَاعَةِ غَيْرِ الْمَعْصُومِ لِأَنَّ الْآيَةَ مُرَكَّبَةٌ بِطَرِيقَةٍ يَسْتَحِيلُ مَعَهَا افْتِرَاضُ وَجُودِ وَلِيِّ لِلْأَمْرِ مِنْ اخْتِيَارِكُمْ! .

فَلِكَيْ يَتَخَلَّصَ الْمَرْءُ مِنْ هَذِهِ الْمِخْنَةِ لَا بُدَّ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ مُتَوَسِّلًا إِلَيْهِ : «يَا رَبِّ خَلِّصْنَا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي هِيَ أَشَقُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ وَهِيَ أَعْظَمُ تَبِعَةٍ مِنْ كُلِّ التَّشْرِيعَاتِ مُجْتَمِعَةً لِأَنَّهَا صُورَةُ التَّوْحِيدِ الْعَمَلِيَّةِ»!

أَنْتُمْ قَوْمٌ لَا تَفْقَهُونَ . . . وَلِذَلِكَ لَمْ تَسْأَلُوا اللَّهَ مُتَوَسِّلِينَ : «رَبِّ خَلِّصْنَا مِنْ هَذِهِ

الآيَةِ بِلُطْفِكَ وَحَنَانِكَ وَرَحْمَتِكَ . . .»، بَلْ سَأَلْتُمْ: «مَنْ هَؤُلَاءِ يَا تُرَى؟»، فَلَمَّا قِيلَ لَكُمْ عَلَى لِسَانِ الرَّسُولِ ﷺ: «هُمْ عَتَرْتِي أَهْلُ بَيْتِي»، قُلْتُمْ:

﴿... اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ أَوْ أَثْنِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وَهِيَ الْآيَةُ الَّتِي نَزَلَتْ فِي السَّائِلِ الَّذِي سَأَلَ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ وَالَّذِي كَرِهَ وَلَايَةَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا مَرَّ سَابِقًا.

فَأُبَشِّرُوا فَقَدْ اسْتَجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ:

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨].

﴿... وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣].

وَاعْلَمُوا أَنَّ الْبَشَارَةَ لَمْ تَرْتَبِطْ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ بِنَوْعِ الْعَذَابِ سِوَى «الْأَلِيمِ» بِالرُّغْمِ مِنْ وَجُودِ ثَمَانِيَةِ وَثَلَاثِينَ نَوْعًا مِنَ الْعَذَابِ اسْتِجَابَةً لِمَطَالِبِكُمْ وَتَنْفِيذًا لِدُعَائِكُمْ فَسُبْحَانَ اللَّهِ الْمُجِيبِ لِدَعْوَةِ الدَّاعِينَ.

هَذَا هُوَ كِتَابُ اللَّهِ الْعَجِيبِ الَّذِي لَا تَنْتَهِي غَرَائِبُهُ وَالَّذِي أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ. وَأَمَّا الْحِجَارَةُ فَأُبَشِّرُوا فَإِنَّهُ تَعَالَى رَحِيمٌ وَيُعْطِي الْخَلْقَ مَا طَلَبُوهُ حَتْمًا وَالْحِجَارَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكُمْ جِدًّا:

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢-٨٣].

فَمَاذَا تُرِيدُونَ؟!

طَلَبَاتُكُمْ كُلُّهَا مُجَابَةٌ وَلَا يُخَزِّنُكُمْ سِوَى تَأَخُّرِ تَنْفِيذِهَا فَلَا تَسْتَعْجِلُوا فَإِنَّ لَكُمْ مَا طَلَبْتُمْ أَسْوَةً بِأَصْحَابِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ:

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات: ٥٩].

أَنْتُمْ مُسْتَعِجِلُونَ دَوْمًا - وَنَأْسَفُ جِدًّا لِلتَّأْخِيرِ! - لَأَنَّ التَّأْخِيرَ هُوَ بِسَبَبِ
وَجُودِنَا بَيْنَكُمْ فَقَطَّ . .

لَكِنْ احْذَرُوا فَلَا تَقُولُوا يَوْمَهَا : «أَمَّا بَعْلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ هُوَ مَوْلَانَا وَنِعْمَ
الْأَمِيرُ . . !»

نَصِيحَةٌ لَكُمْ هَذِهِ مِنَّا لِأَنَّ قَوْلَكُمْ هَذَا بَعْدَ قَوَاتِ الْأَوَانِ لَا يَعُودُ عَلَيْكُمْ إِلَّا
بِمَزِيدٍ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ :

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتُمْ إِذَا مَا
وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ ءَالَكُنْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يونس : ٥٠-٥١] .

وَالْآنَ تُرِيدُونَ أَنْ تُصَدِّقُوا هَذَا الْكَلَامَ فَلَا تَقْدِرُونَ عَلَى التَّصَدِيقِ وَتَتَمَنُّونَ لَوْ
أَنَّ أَحَدَ الْمُتَّبِعِينَ أَوْ أَهْلَ الْفَالِ يُخْبِرُكُمْ أَحَقُّ هُوَ أَمْ لَا ؟ :

﴿يَسْتَسْتَوُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُمْ لَحَقُّ وَمَا أَشَدُّ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس : ٥٣] .

الضِّفَّةُ الثَّانِيَّةُ:

أَمَّا قَوْلُهُ ﷺ : «وَأَذْهَبَ عَنْهُمْ الرُّجْسَ» : فَقَدْ أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرُّجْسَ بِأَيِّ
التَّطْهِيرِ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى :

﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾
[الأحزاب : ٣٣] .

• قَدْ قُلْنَا إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ هُمْ أَهْلُهُ . فَالنِّسَاءُ لَسْنَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ، لِأَنَّ أَهْلَ
الْبَيْتِ هُمْ مُلَاكُ الْبَيْتِ فَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهُ كَمَا لَوْ طَلَّقَ أَحَدُهُمْ امْرَأَتَهُ فَإِنَّهَا تَخْرُجُ
إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ مِنْ أَهْلِهِ بِلَفْظِ الْآلِ أَوْ الْأَهْلِ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِفَاطِمَةَ
الرَّهْرَاءِ ﷺ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ .

نَقُولُ هَذَا رَدًّا عَلَى مَزَاعِمِهِمْ وَأَلَّا فَاَلْمُنَاقَشَةُ خَاطِئَةٌ مِنَ الْأَصْلِ لِأَنَّ الْبَيْتَ
لُغَةً لَيْسَ هُوَ الدَّارَ أَوْ الْمَسْكَنَ حَتَّى يَخْتَاجَ إِلَى مَعْرِفَةِ أَهْلِهِ . فَأَهْلُ الدَّارِ شَيْءٌ
وَأَهْلُ الرَّجُلِ شَيْءٌ وَأَهْلُ الْمَسْكَنِ شَيْءٌ وَأَهْلُ الْبَيْتِ شَيْءٌ فَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ قَطْعًا .

فَالزَّوْجَاتُ مِنْ أَهْلِ الرَّجُلِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

﴿ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانِكَ كَأَنَّكَ مِنَ الْغَافِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٣].

وَهَذَا عَلَى فَرْضِ الإِضْرَارِ عَلَى أَنَّ الْمُسْتَشْتَى لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِنْسِ الْمُسْتَشْتَى مِنْهُ وَلَيْسَ هَذَا بِصَحِيحٍ دَوْمًا ، بَلْ هُوَ مُنْقَطِعٌ أَحْيَانًا كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ ، وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤].

وَمَعَ ذَلِكَ فَأَهْلُ الرَّجُلِ هُمْ غَيْرُ أَهْلِ الْبَيْتِ ، لِأَنَّ الْبَيْتَ هُوَ إِسْمٌ لِمَجْمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ لَهُمْ نَسَبٌ مُحَدَّدٌ وَرَحْمٌ مُتَّصِلَةٌ لَا تَنْفَكُ حَتَّى بِالْكَفْرِ مِثْلَ ابْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّهُ ابْنُهُ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ نُوحٌ : « رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي » فَلَمْ يَقُلْ لَهُ تَعَالَى : « لَيْسَ ابْنُكَ » . وَلَكِنْ قَالَ تَعَالَى : « أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ » فَتَنَّى أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِهِ وَنُوحٌ يَقْهَمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِهِ . فَجَعَلَ اللَّهُ الْإِيمَانَ مُوَصِلًا لِلْأَهْلِيَّةِ كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ ذَلِكَ :

﴿ رَبِّ إِنِّي أَضَلَّانَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُمْ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

وَلَمْ يَقُلْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَلَوْ مَعَ الْإِتْبَاعِ وَبِهَذَا الشَّرْطِ ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْبَيْتَ هُوَ تَكْوِينٌ خُصُوصِيٌّ . فَالتَّحْرِيمُ بِالزَّوْجِيَّةِ فَقْهِيًّا هُوَ تَحْرِيمٌ سَبَبِيٌّ لَا أَبَدِيٌّ ، فَلَوْ طَلَّقَتِ الْمَرْأَةُ حُلَّتْ عَلَى غَيْرِ الزَّوْجِ . وَلَكِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَ رَسُولَهُ بِاسْتِثْنَاءٍ مِنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ وَجَعَلَ زَوْجَاتِهِ أُمَّهَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَوْ عِنْدَ التَّطْلُقِ .

وَأَنْتُمْ لَا تَفْهَمُونَ هَذَا لِأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ هُوَ إِكْرَامٌ لَهُ وَخَدَه ، وَفِيهِ مِنَ التَّذْلِيلِ لَهُنَّ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ لِأَنَّ مُطْلَقَتَهُ لَا يَحِلُّ لَهَا الزَّوْاجُ مِنْ غَيْرِهِ .

فَتَأْمَلُ فِي مَعْنَاهُ : هَلْ تَجِدُهُ إِكْرَامًا لَهُنَّ أَمْ وَبَالًا عَلَيْهِنَّ ؟

بَلْ فِيهِ تَشْكِيكَ فِيهِنَّ وَفِي سُلُوكِهِنَّ مَعَهُ وَلَكِنَّهُ أَعْطَى التَّعْلِيمَاتِ لِلْكَلِّ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فَضِيحَةُ الْبَغْضِ، وَجَاءَتْ الْخِطَابَاتُ عَلَى الْمَجْمُوعِ مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ. ثُمَّ حَدَّدَ اثْنَيْنِ مِنْهُنَّ فِي سُورَةِ التَّحْرِيمِ كَانَتَا تَتَظَاهَرَانِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَتَعْصِيَانَهُ وَضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَهُمَا حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ بِاجْمَاعِ الْمُفَسِّرِينَ. فَرَأَجَعَ تَفْسِيرَ التَّهْدِيدِ الْإِلَهِيِّ فِي السُّورَةِ مِنْ أَيِّ الْمَرَاجِعِ شِئَتْ سُنِّيَّةٌ أَوْ شِيعِيَّةٌ تَجِدُ أَنَّهُ أَفْرَدَهُمَا بِمِثَالِ الْكُفْرِ وَهَدَّدَهُمَا بِأَكْثَرِ مِمَّا هَدَّدَ كُلَّ قَوَى الْكُفْرِ مُجْتَمِعَةً وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿إِنْ لَنْوَبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: ٤٠]

فَانظُرُوا: هَلْ هَدَّدَ الْأَمَمَ وَالِدُ الْكَافِرَةِ بِشَيْءٍ كَهَذَا التَّهْدِيدِ؟. بَلْ الْعَكْسُ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالثَّبَاتِ أَمَامَ الرَّخْفِ وَأَنَّهُمْ إِذَا احْتَاجُوا أَمَدَّهُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقَطْ... وَقَالَ:

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤].

وَقَدْ قُلْتُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: إِنَّ هَذِهِ الْمُؤَامِرَةَ وَالْتَّظَاهَرَ مِنْ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ مُرْتَبِطَانِ بِكُلِّ قَوَى الْكُفْرِ وَيدورانِ حَوْلَ مَسْكَنِ الرَّسُولِ، وَلِذَلِكَ فَهِيَ مُؤَامِرَةٌ ضَيِّقَةُ الْمَسَاحَةِ وَلَكِنَّهَا وَاسِعَةُ الْأَطْرَافِ وَأَخْطَرُ مِنَ الْقَوَى الْعَسْكَرِيَّةِ الْمُحْشَدَةِ فِي الْخَارِجِ وَالْمَنْظُورَةِ لِلنَّاسِ.

فَلِمَاذَا أَصَرَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَلَى تَرْوِيجِ ابْتِيهِمَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَمَا يَتَسَا مِنَ التَّرْوِجِ بِفَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؟

لَقَدْ كَانَتْ الْخَطَّةُ مَوْضُوعَةً سَلَفًا.

فَهُمَا جَاسُوسَتَانِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مُدْرَبَتَانِ كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ التَّدْرِيبُ وَقَامَتَا

بالدَّورِ الموكولِ لهُمَا بِكُلِّ أَمَانَةٍ وَجَاءَ تحريمُ الزَّواجِ عليهنَّ مِنْ بَعْدِ
الرَّسُولِ ﷺ ضَرْبَةً مُوجِعَةً.

إِنَّ الخَطَّةَ كَانَتْ تَرْمِي إِلَى الانْتِهَاءِ مِنْ مَوْضِعِ النَّبِيِّ بِسُرْعَةٍ وَمِنْ ثَمَّ يَأْخُذْنَ
حُرْيَتَهُنَّ فِي الزَّوْاجِ مِنْ بَعْدِهِ أَوْ بِالطَّلَاقِ خُصُوصًا وَإِنَّهُنَّ شَابَّاتٍ دُونَ سَائِرِ
نِسَائِهِ الْعَجَائِزِ.

مِنْ هُنَا أُصِيبَتْ عَائِشَةُ بِخِيَّةٍ أَمَلٍ وَحَصَلَ عِنْدَهَا مَا يُسَمَّى الْيَوْمَ بَارِزِوَجِ
الشَّخْصِيَّةِ وَأُصِيبَتْ بِمَرَضٍ نَفْسِيٍّ، وَهَذَا الْمَرَضُ وَاضِحٌ جِدًّا فِي كُلِّ سُلُوكِهَا
اللاحِقِ وَخَاصَّةً فِي مَا يَتَّصِلُ بِالْعِلَاقَةِ الْجَنَسِيَّةِ. ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَطَأْهَا
قَطَّ فَهِيَ رَجَسٌ وَكَانَ شَرْطُهُ لِلوطءِ هُوَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُكْفَرَ بِأَيِّهَا وَتُؤْمِنَ
بِوَلِيِّهَا. وَكَانَ ﷺ يَنْصَحُهَا وَيُرْشِدُهَا وَلَكِنَّ الْكُفْرَ الْمُتَاصِلَ فِيهَا أَبَى عَلَيْهَا
الْإِيمَانَ.

وَمِنْ هُنَا قَامَتْ بِمَحَاوَلَاتٍ عَدِيدَةٍ بَعْدَ مَا فَشَلَتْ الْمُؤَامَرَةُ الْأُولَى وَأُسْقِطَ فِي
يَدِهَا وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى نَقْلِ الْأَخْبَارِ بِأَمَانَةٍ إِلَى اللَّجْنَةِ الْمُخَصَّصَةِ. وَكَانَتْ حَفْصَةُ
تَتَابَعُهَا مَرَّةً وَتَغْصِيهَا أُخْرَى مُتَذَبِّذَةً بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ.

لَقَدْ قَامَتْ عَائِشَةُ بِدَوْرٍ آخِرٍ هُوَ الْحَرْبُ النَّفْسِيَّةُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَتْ تُحَاوِلُ
إِيذَاءَهُ بِشَتَّى السَّبِيلِ.

وَلِذَلِكَ فَإِنَّ تَبْرِيرَ أَعْمَالِهِمَا مِنْ قَبْلِ السُّنَّةِ وَالْأُمُومِينَ وَأَعْدَاءِ الرَّسُولِ إِنَّمَا يُرَادُّ
مِنْهُ خَلْطُ الْأَوْرَاقِ وَالْإِسَاءَةُ إِلَى شَخْصِيَّةِ الرَّسُولِ ﷺ. وَمِنْ الْمُسْتَحِيلِ الْجَمْعُ
بَيْنَ عَصْمَةِ الرَّسُولِ وَالْإِيمَانِ بِعَظَمَةِ شَخْصِيَّتِهِ مَعَ تَبْرِيرِ أَعْمَالِ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ

نَعَمْ.. فَهَذِهِ الْأُمَّةُ تَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَلَا شَأْنَ لَهَا بِالرَّسُولِ ﷺ، بَلْ اسْتَهْوَاهَا
الشَّيْطَانُ وَأَضَلَّهَا عَلَى عِلْمٍ وَجَعَلَهَا تَقُولُ مَا لَا تَفْعَلُ وَتَفْعَلُ مَا لَا تَقُولُ.

إِنَّ التَّحْلِيلَ النَّفْسِيَّ والتَّارِيخِيَّ لشَخْصِيَّةٍ عَائِشَةٍ وَحَفْصَةَ ضَرُورِيٌّ جَدًّا وَهُوَ
أَحَدُ الْأَبْوَابِ الْهَامَّةِ لِمَعْرِفَةِ خَصَائِصِ النُّبُوَّةِ وَالْوَلَايَةِ وَبَدْوْنِهِ يَبْقَى الْإِيمَانُ
نَاقِصًا إِنْ لَمْ يَكُنْ غَائِبًا أَضْلًا.

لكن مَعَ مَنْ نَتَكَلَّمُ؟

إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ مَعَ أَقْوَامٍ سَرَى فِي قُلُوبِهِمْ حُبُّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَائِشَةُ حَتَّى أَنَّهُمْ
لَا يَهْتُمُّهُمْ مَعَ هَذَا كُلِّهِ أَنْ تَكُونَ الْإِسَاءَةُ إِلَى الرَّسُولِ بِشَرِّطِ سَلَامَةِ هَؤُلَاءِ مِنَ
النَّقْدِ!.

هَذِهِ إِذَنْ هِيَ عُبُودِيَّةٌ لِلْأَضْنَامِ بِصُورَةٍ أُخْرَى.

فَالْأَمَّةُ مُصَابَةٌ هِيَ الْأُخْرَى بِعِلَلٍ وَأَمْرَاضٍ نَفْسِيَّةٍ مُسْتَدِيمَةٍ لَا عِلَاجَ لَهَا إِلَّا
نُزُولُ الْعَذَابِ الْمَوْعُودِ.

هَذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ أَعْمَالِ عَائِشَةَ:

أ - قَامَتْ بِحَادِثَةٍ تُسَمَّى عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ حَادِثَةُ الْإِفْكِ، وَهِيَ حَادِثَةٌ مُلَفَّقَةٌ.
فَإِنَّ تَأْخُرَهَا عَنِ الرَّكْبِ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْإِفْكِ وَإِنَّمَا هُوَ حَقِيقَةٌ تَارِيخِيَّةٌ وَنَفَذَتْ فِيهَا
وَصَايَا وَأَوَامِرَ خَاصَّةً آتِيَةً مِنَ الْقِيَادَةِ الْعُلْيَا. فَحَاوَلَتْ الْإِسَاءَةَ إِلَى الرَّسُولِ وَلَوْ
عَلَى حِسَابِ سَمْعَتِهَا!.

وَقَدْ جَعَلَهَا هَذَا وَبِحَسَبِ دِرَاسَتِي لِنَفْسِيَّتِهَا، جَعَلَهَا تَكْرَهُ الطَّرَفَيْنِ فِي آنٍ
وَاحِدٍ:

مُحَمَّدًا الرَّسُولَ وَأَعْدَاءَهُ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ. وَلِذَلِكَ قَامَتْ بِالسُّلْسِلَةِ الطَّوِيلَةِ مِنَ
الْأَعْمَالِ اللَّاحِقَةِ بَعْدَمَا رَجَعَتِ الْفَضِيحَةُ إِلَيْهَا.

ب - حَادِثَةُ الْإِفْكِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالْوَارِدَةِ فِي الْقُرْآنِ خُلَاصَتُهَا: إِنَّهَا اتَّهَمَتْ
«مَارِيَةَ» أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِالزَّنى مَعَ ابْنِ خَالَتِهَا بَعْدَمَا أَنْجَبَتْ مَارِيَةَ «إِبْرَاهِيمَ» ابْنَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّهُ يُشَبِّهُ فُلَانًا. وَنَشَرَتْ وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ التَّفَاقِيَّةِ الْخَبَرَ
وَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُم لِكُلِّ امْرِئٍ
مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].
إلى قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾
يُعْظَمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٦-١٧].

وَذَلِكَ إِنْ بَغَضَ الْمُسْلِمِينَ رَدَّدُوا شَائِعَةَ الْمُنَافِقِينَ وَذَكَرُوهَا فِي مَجَالِسِهِمْ.
وَكَانَ هَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْهَا أَصْلًا، فَجَاءَ الْقُرْآنُ لِإِخْبَاطِ الْمُؤَامَرَةِ الَّتِي قَامَتْ
بِهَا عَائِشَةُ. لِذَلِكَ نَسَبَ الْأَمْرَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَإِنْ كَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَزَوْجَتِهِ لِأَنَّهُ
كَانَ قَدْ قَالَ: «جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ»، فَقَالَ فِي حَادِثَةِ الْإِفْكِ:

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾
[النور: ١٢].

مَاذَا فَعَلْتَ عَائِشَةُ؟

هَذِهِ الْآيَاتُ وَجَدْنَهَا عَائِشَةُ تُنَزِّهُ مَارِيًا عَنِ الْفَاحِشَةِ وَتَرُدُّ الْمُؤَامَرَةَ إِلَيْهَا
وَتَتَحَدَّثُ عَنِ الْإِفْكِ، فَوَجَدَتْ فِيهَا الْفُرْصَةَ لَضَرْبِ عَصْفُورَيْنِ بِحَجَرٍ وَاحِدٍ:
الْخِلَاصُ مِنْ تُهْمَةِ تَأْخُرِهَا عَنِ الرِّكْبِ وَتُهْمَةُ الْإِفْكِ الَّذِي ادَّعَتْهُ عَلَى مَارِيَةَ
فَرَعَمَتْ أَنَّ الْآيَاتِ نَزَلَتْ بِشَأْنِ تَأْخُرِهَا عَنِ الرِّكْبِ! وَتَابَعَهَا عَلَى ذَلِكَ الْقَوْمُ
الْأَغْيَاءُ.

وَفَاتَهَا أَنْ تَأْخُرَهَا عَنِ الرِّكْبِ وَمَجِيءِ الْأَنْصَارِيِّ مَعَهَا وَكُلَّ تِلْكَ الْوَقَائِعِ لَمْ
تَكُنْ مِنَ الْإِفْكِ، بَلْ كَانَتْ حَقِيقَةً وَاقِعَةً وَانْتَظَرَهَا الْمُسْلِمُونَ وَمَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
يَوْمًا كَامِلًا حَتَّى عَادَ بِهَا الرَّجُلُ الْأَنْصَارِيُّ!

فَمَنْ هُوَ الَّذِي تَوَلَّى كِبَرَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ وَلَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ حَسَبَ الْآيَةِ؟

فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ عَصَبًا عَلَيْهَا هُوَ الرَّسُولُ ﷺ زَوْجُهَا أَمَامَ النَّاسِ وَوَفَّقَ الشَّرْعَ وَإِنْ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا وَلَا يَغْلُمَ ذَلِكَ قَطٍ سِوَى أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ وَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْإِلَهَامَ الْعِلْمِيَّ.

لِذَلِكَ كَذَّبَ أَهْلُ الْبَيْتِ دَعْوَى عَائِشَةَ وَأَكْثَرُوا أَنَّ الْإِفْكَ وَالْآيَاتِ النَّازِلَةَ فِيهِ هِيَ فِي عَائِشَةَ وَمَارِيَّةَ لَا فِي عَائِشَةَ وَالرَّكْبِ!

لَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ جَمِيعًا يَعْلَمُونَ هَذَا وَإِنَّمَا حَدَّثَ التَّغْيِيرُ فِي التَّفْسِيرِ بَعْدَ اسْتِيلَامِ الثَّلَاثَةِ الْحُكْمَ. فَأَصْبَحَتْ عَائِشَةُ الْمُفَسِّرَ الْوَحِيدَ وَالْمُحَدِّثَ الْوَحِيدَ لِلأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ! وَهَذَا وَحْدَهُ دَلِيلٌ آخِرٌ عَلَى الْمُؤَامَرَةِ.

ج - قَامَتْ بِإِيْدَاءِ الرَّسُولِ فِي دَارِهِ بِشَتَّى السَّبِيلِ. فَإِذَا ذَكَرَ زَوْجَةً سَابِقَةً مِثْلَ خَدِيجَةَ ﷺ اغْتَرَضَتْ وَقَالَتْ: «عَجُوزٌ شَمْطَاءٌ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ مِنْهَا!»، فَيَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ:

«وَاللَّهِ مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَمَنْتُ بِي حِينَ كَفَرَ النَّاسُ وَصَدَّقْتَنِي حِينَ كَذَبَنِي النَّاسُ وَكَانَ لِي مِنْهَا الْوَلَدُ وَمَا رَزَقَنِي اللَّهُ مِنْ غَيْرِهَا».

وَفِي كَلَامِهِ ﷺ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهَا مُكَذِّبَةٌ بِهِ غَيْرُ مُصَدِّقَةٍ بِمَا جَاءَ بِهِ وَإِلَّا فَلَا مُقَارَنَةً بَيْنَهُمَا لِأَنَّ الْمَوْضُوعَ هُوَ: هَلْ أَبْدَلَهُ اللَّهُ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَمْ لَا؟. فَلَمْ يَقُلْ: لِكُلِّ مِنْكُمَا فَضْلُهَا مَثَلًا، بَلْ أَنْكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِالْقَسَمِ: «لَا وَاللَّهِ مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِخَيْرٍ مِنْهَا» - لِأَنَّهَا تَقْصِدُ نَفْسَهَا.

وَهِيَ بِهَذَا الْكَلَامِ تُحَاوِلُ حَمْلَهُ عَلَى الدَّخُولِ بِهَا فَأَبَى وَكَانَ يَغْرِضُ عَلَيْهَا الطَّلَاقَ، وَكَانَتْ الْقِيَادَةُ الْعُلْيَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا تُوجَلُّ الْبَتَّ بِالْأَمْرِ دَوْمًا وَتَأْمُرُهَا بِالصَّبْرِ وَالْإِنْتِظَارِ، فَوَقَعَتْ بَيْنَ نَارَيْنِ. وَلِذَلِكَ حَقَّدَتْ عَلَى الْجَمِيعِ، وَكَانَتْ

تَبْتَهِّجُ لِقَتْلِ الْجَمِيعِ وَتَوَجُّجُ الْحُرُوبِ بَعْدَ ذَرٍّ، لَا انْتِمَاءَ لِأَعْدَاءِ عَلِيِّ عليه السلام كَمَا يَعْتَقِدُ بَعْضُ الشُّعْبَةِ، بَلْ لِلْمَرَضِ النَّفْسِيِّ الَّذِي أَصَابَهَا.

وَلِذَلِكَ كَانَتْ تُؤَلَّبُ عَلَى عُثْمَانَ فَإِذَا قُتِلَ طَالَبَتْ بِدَمِهِ، وَكَانَتْ مَسْرُورَةً جَدًّا لِإِبَادَةِ جَيْشِهَا الْخَاصِّ فِي مَعْرَكَةِ الْجَمَلِ وَلَمْ تَكُنْ فِي وَضْعٍ يُشْبِهُ وَضْعَ الْقَائِدِ الْمَهْزُومِ، بَلْ كَانَ حَالُهَا حَالُ الْمُتَّصِرِ تَمَامًا. وَكَانَ عَلِيُّ عليه السلام يَعْلَمُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ وَيُعَامِلُهَا عَلَى أَنَّهَا مُصَابَةٌ بِمَرَضٍ نَفْسِيٍّ.

وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ فَالنَّاسُ يَخْرُجُونَ عَلَى عَلِيِّ عليه السلام وَيُحَارِبُونَهُ سَوَاءً بِاسْمِ عَائِشَةَ أَوْ غَيْرَهَا. وَلِذَلِكَ فَهُوَ يَعْتَبِرُهَا مَغْنَاطِيْسًا يَجْمَعُ أَعْدَاءَهُ وَيَفْرِزُهُمْ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا عَلَى أَنَّهَا نَافِعَةٌ مِنْ هَذِهِ الْجَهَّةِ، لِأَنَّ الْحَرَكَةَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ وَالْفِكْرِيَّةَ لَهَا قَوَاعِدُهَا الْخَاصَّةُ وَهِيَ تَفْرِزُ قِيَادَاتِهَا وَلَيْسَتْ الْقِيَادَاتُ هِيَ سَبَبُ الْفِتْنَةِ، أَيْ إِنَّ الْأَمْرَ هُوَ عَكْسُ مَا نَتَصَوَّرُ تَمَامًا.

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا: إِنَّهَا كَانَتْ تَمُدُّ رِجْلَهَا فِي قِبْلَةِ النَّبِيِّ ﷺ حَالَ صَلَاتِهِ وَلَا تَسْحَبُ رِجْلَهَا حَتَّى يَذْفَعَهَا فَتَمُدُّهَا مَرَّةً أُخْرَى. وَهُوَ مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي بَابِ مَا يَجُوزُ مِنَ الْعَمَلِ فِي الصَّلَاةِ. ج ١ / ١٤٣.

د - حَدَّثَتْ عَائِشَةُ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَحَادِيثَ تُبْرِزُ عُقْدَتَهَا الْجَنَسِيَّةَ خُصُوصًا بِسَبَبِ عَدَمِ الدَّخُولِ بِهَا. فَكَانَتْ تُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِ الْمَشَاهِدِ الْجَنَسِيَّةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَتَتَحَدَّثُ عَنْ أَحْلَامِهَا «بِصَوْتٍ عَالٍ» حَسَبَ تَعْبِيرِ عُلَمَاءِ النَّفْسِ. وَمِنْ ذَلِكَ مَثَلًا: رَزَعُمَهَا إِنَّهَا كَانَتْ تَفْرِكُ الْمَنِي مِنْ ثَوْبِهِ وَهُوَ يُصَلِّي!، أَوْ أَنَّ الْوَحْيَ نَزَلَ فِي غُرْفَتِهَا وَهِيَ وَالنَّبِيُّ تَحْتَ لِحَافٍ وَاحِدٍ!، أَوْ إِنَّهَا كَانَتْ تَتَسَابَقُ مَعَ النَّبِيِّ! أَوْ أَنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا يَأْتُونَ لِيَرْضَعُوا مِنْ ثَدْيِهَا لِتَكُونَ أُمَّهُمْ بِحَقٍّ وَحَقِيقَةً!.

وَكَانَتْ عَائِشَةُ خَرِفَةً بِمَعْنَى الْكَلِمَةِ وَمُصَابَةً بِانْفِصَامِ الشَّخْصِيَّةِ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهَا وَلَا تَذَرِي لِمَنْ تَنْتَمِي. فَكَانَتْ تُكْرَهُ الرَّسُولَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ

وَالصَّحَابَةُ وَالْخَلْقُ أَجْمَعِينَ! بِمَا فِي ذَلِكَ جَبْرِيلُ عليه السلام وَالْمَلَائِكَةُ وَحَمَلَةُ
الْعَرْشِ!

كَانَتْ تَكْبَرُهُ الْجَمِيعَ وَتَمُتُّ كُلَّ الْخَلْقِ.

وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَتَّظَاهَرُ بِالانْتِمَاءِ إِلَى النَّبِيِّ عليه السلام وَإِلَّا فَمَاذَا تَفْعَلُ فِي أُمَّةٍ كَامِلَةٍ
تَعْتَقِدُ كُلُّهَا أَنَّ عَائِشَةَ أُمُّهَا وَهِيَ لَا زَالَتُ شَابَةً فِي مُقْتَبِلِ الْعُمُرِ؟.

لَكِنْ لِمَنْ نَقْدُمُ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ؟

فَالْبَاحِثُونَ يَتَجَرَّوْنَ عَلَى اللَّهِ وَلَا يَتَجَرَّوْنَ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ.

إِنِّي أُتَبِّهُ السَّادَةَ عُلَمَاءَ النَّفْسِ إِلَى ضَرُورَةِ تَخْصِيصِ دَرَاةٍ كَامِلَةٍ عَنْ أَثَرِ
الْجِرْمَانِ الْجَنَسِيِّ عَلَى سُلُوكِ عَائِشَةَ!

فَهَنَّاكَ عَشْرَاتِ النُّصُوصِ ذَاتِ الْعِلَاقَةِ بِهَذَا الْمَوْضُوعِ.

وَكَمَا حَدَّثَ أَنْ رَوَتْ عَائِشَةُ الْأَحْدَاثَ حَسَبَ أَحْلَامِهَا لَا حَسَبَ الْوَاقِعِ
قَلَبْتُ الْعِلَاقَاتِ الْأَسَاسِيَّةَ بَيْنَ الْأَفْرَادِ فِي أَحَادِيثِهَا وَأَصْبَحَ الطَّلَاقُ مِنَ
النَّبِيِّ عليه السلام حُلْمَهَا الَّذِي لَمْ يَتَحَقَّقْ وَهُوَ وَسِيلَةُ الْوَحْيِ لِلتَّهْدِيدِ، فَانْقَلَبَتْ
الْمُعَادَلَةُ وَأَصْبَحَتْ هِيَ الَّتِي تَتَشَبَّهُ بِالرَّسُولِ عليه السلام كَيْ لَا يُطْلَقَ لِأَنَّ تَحْرِيمَ
الزَّوْاجِ مِنْ غَيْرِهِ بَعْدَ الطَّلَاقِ أَفْقَدَهَا مَا كَانَتْ تَسْتَنِدُّ إِلَيْهِ فَلَمْ تَعُدْ لَهَا رَغْبَةٌ فِي
الطَّلَاقِ. وَاسْتُخْدِمَ الْوَحْيُ هَذِهِ الْوَرَقَةَ لِمَزِيدٍ مِنَ الضَّغْطِ:

﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مِثْلِكَ مُؤْتَمَرٍ مُثَبَّتٍ فَقُلْتُ تَبَيَّنَتْ
عَيْدَاتِي سَيَحْتِ تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَارًا﴾ [التَّحْرِيمُ: ٥].

وَهَذَا يَغْنِي أَنْ كُلَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ غَائِبَةٌ عَنْ عَائِشَةَ وَحِفْصَةَ مَوْضُوعِ الْآيَةِ،
لِأَنَّ الْآيَةَ جَاءَتْ بَعْدَ مُحَاوَلَاتِهِنَّ فِي قَضِيَّةِ الْعَسَلِ. فَلَوْ قُلْتُ لَكَ بِشَأْنِ دَارِ
سَكْنِ: «عَسَىٰ رَبُّكَ إِنْ تَرَكْتِ هَذِهِ الدَّارَ أَنْ يَبْدُلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا دَارًا وَاسِعَةً
عَالِيَةً قَرِيبَةً مِنَ الْمَاءِ بَعِيدَةً عَنِ الضُّوْضَاءِ!».

فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي الدَّارِ الْأُولَى لَوْجُودِ «خَيْرٍ مِنْهَا وَعَسَى». فَهِيَ إِذَنْ دَارٌ ضَيِّقَةٌ مُنْخَفِضَةٌ بَعِيدَةٌ عَنِ الْمَاءِ قَرِيبَةٌ مِنَ الضُّوْضَاءِ عَكْسُ الَّتِي تَتَمَنَّاهَا.

إِنَّ الْآيَةَ تَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى أَنَّ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ لَيْسَتَا مِنَ الْمُسْلِمَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْقَانِتَاتِ التَّائِبَاتِ الْعَابِدَاتِ السَّائِحَاتِ!

فَهَذِهِ الصِّفَاتُ صِفَاتُ عَالِيَةٍ جِدًّا وَهِيَ تَدُلُّ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى «وَهَذَا هُوَ الْأَمْرُ الْمُهْمُ الْآنَ» أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ مَوْجُودَةٌ فِي غَيْرِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ! وَالْأَقْمَنُ أَيْنَ يُبَدِّلُهُ خَيْرًا مِنْهُمْ؟. أَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْخَلْقِ وَمِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِ؟.

إِذَنْ لَيْسَتْ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ أَفْضَلُ النِّسَاءِ فِي الْأُمَّةِ فِي أَقْلٍ تَقْدِيرٍ...!!

فَمَا لِعُقُولِكُمْ جَامِدَةٌ وَقُلُوبُكُمْ مُتَحَجَّرَةٌ؟!

أَلَا تَفْهَمُونَ هَذِهِ اللَّغَةَ حَتَّى تَزْعُمُوا أَنَّ عَائِشَةَ هِيَ أَحَبُّ نِسَاءِ النَّبِيِّ إِلَى قَلْبِهِ وَأَفْضَلُ زَوْجَاتِهِ؟

هـ - وَخَرَجَتْ عَائِشَةُ فِي النِّهَايَةِ عَلَى الشَّرْعِ كُلِّهِ بِسَبَبِ انْغِمَارِهَا بِالْكُفْرِ وَعَدَمِ تَخْلِيلِهَا عَنْ مَوَالَاةِ الْقِيَادَةِ الْعَامَّةِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا، فَخَرَجَتْ تَشَارِكُ فِي الْأَحْدَاثِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَتَقُودُ الْجِيُوشَ وَتَبْعُثُ بِالرِّسَائِلِ إِلَى الرِّجَالِ لِيَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا!، وَتَرَكْتُ الْأَمْرَ الْقُرْآنِيَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿يَنْسَاءَ الَّذِينَ لَسُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الاحزاب: ٣٢]

إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ [الاحزاب: ٣٣].

وَقَدْ فَسَّرُوا التَّبَرُّجَ بِالزَّيْنَةِ. وَهَذَا تَحْدِيدٌ لَا مَسَوعَ لَهُ، بَلِ التَّبَرُّجُ هُوَ الظُّهُورُ فِي الْأَبْرَاجِ بِحَيْثُ يُلَاحَظُ الْمَرْءُ مِنْ قَبْلِ الْآخَرِينَ. وَالزَّيْنَةُ هِيَ جِزَاءٌ يَسِيرٌ مِنْ مَعْنَى التَّبَرُّجِ وَأَعْلَى مَعْنَى لَهُ هُوَ أَبْرَاجُ الاسْتِطْلَاعِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ. فَكَانَتْ عَائِشَةُ أَكْبَرَ مُتَبَرِّجَةٍ فِي التَّارِيخِ الْبَشَرِيِّ لِأَنَّا لَا نَعْلَمُ أَيَّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْمَلِكَاتِ مِثْلَ مَلِكَةٍ سَبَأَ أَوْ تَدْمَرَ أَوْ غَيْرَهَا خَرَجَتْ بِنَفْسِهَا عَلَى رَأْسِ الْجَيْشِ وَوَقَفَتْ بَيْنَ الصَّفُوفِ بِالرُّغْمِ مِنْ أَنَّهُنَّ مَلِكَاتُ بِنْتَظَامِ حُكْمٍ وَضِعِي يُبَيِّحُ لَهُنَّ ذَلِكَ وَلَا شَأْنَ لَهُنَّ بِالتَّشْرِيعِ الْإِلَهِيِّ.

عَائِشَةُ هِيَ أَكْبَرُ مُتَبَرِّجَةٍ فِي تَارِيخِ النِّسَاءِ وَلَهَا السَّبْقُ فِي هَذَا الْمِضْمَارِ. وَمَنْ هِيَ؟

إِنَّهَا بِنْتُ أَبِيهَا كَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْغَارِ فَلَا تَسْتَهِنُ بِقُدْرَاتِهَا الْفَائِقَةِ وَمَكْرَهَا وَحِيلِهَا الْغَرِيبَةِ. فَهِيَ أَبْرَعُ امْرَأَةٍ فِي التَّارِيخِ فِي التَّحْرِيفِ وَالتَّزْوِيرِ وَالتَّبَرُّجِ وَلَا غَرَابَةَ مَا دَامَ مُحَمَّدٌ أَعْظَمَ الْخَلْقِ «فَالضِّدُّ إِنَّمَا يُظْهِرُ فَضْلَهُ الضِّدُّ». لَقَدْ جَاءَتْ آيَةُ التَّطْهِيرِ ضِمْنَ هَذَا السِّيَاقِ:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

[الأحزاب: ٣٣].

يُطَهِّرُكُمْ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ وَرِجْسٍ وَلَوْ مِنْ جَرَاءِ زَوْجَاتِكُمْ. وَلِذَلِكَ شَدَّدَ بِالْحُكْمِ وَقَالَ «عَنْكُمْ» وَلَمْ يَقُلْ «مِنْكُمْ» لِأَنَّ الرِّجْسَ مَعَهُمْ لَا فِيهِمْ فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرِّجْسَ. حَيْثُ عَرَفْنَا مِنْ أَوَامِرِ الْقُرْآنِ أَنَّ الَّذِي لَمْ يُنْقِذْ هَذِهِ التَّعَالِيمَ هُوَ الرِّجْسُ، لِأَنَّهُ لَوْ سَكَتَ عَنْهَا وَلَمْ يُخَبِّرْنَا سَبْحَانَهُ بِهَا لَأَخْتَلَطَتْ عَلَيْنَا الْأُمُورُ وَلَمْ نَعُدْ نَعْلَمُ الطَّاهِرَ مِنَ الرِّجْسِ.

الضِّفَّةُ الثَّالِثَةُ:

وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا»: ذَكَرْنَا الْقَوْلَ فِيهَا ضِمْنَ الْآيَةِ فِي مَا سَبَقَ وَفِي فِقْرَةٍ أَسْبَقَ فَرَاغَ.

الضفة الرابعة:

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ : «وَأَلْهَمَهُمْ عِلْمَهُ» .

أَقُولُ : هَذَا دَالٌّ عَلَى الْعِصْمَةِ قَطْعًا ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ وَأَلْهَمَهُمُ الْعِلْمَ أَوْ عِلْمًا مَا حَتَّى يَكُونَ عِلْمًا عَامًّا حَصَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ بِالْفَحْصِ وَالدراسةِ وَحَصَلُوا عَلَيْهِ إِلْهَامًا . فَلَا مُقَارَنَةً ، لِأَنَّ عِلْمَ النَّاسِ هُوَ عِلْمُ النَّاسِ وَعِلْمُ اللَّهِ هُوَ عِلْمُ اللَّهِ ، لِذَلِكَ قَالَ : «وَأَلْهَمَهُمْ عِلْمَهُ» . قَالَ تَعَالَى :

﴿... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

فَلَا حِظَّ مَوْقِعِ الْبَاءِ الْأُولَى وَالثَانِيَةِ وَافْتَهُمُ لُغَةَ الْقُرْآنِ .

فَإِنَّ الْإِسْتِنَاءَ لَيْسَ لَهُمْ ﷺ ، بَلْ لغيرِهِمْ . أَي أَنَّ غَيْرَهُمْ إِنْ أَرَادُوا عِلْمَهُ تَعَالَى فَإِنَّهُمْ يَحِيطُونَ بِهِ بِوَاسِطَةِ مَنْ شَاءَ - لَا حِظَّ بَاءِ الْوَاسِطَةِ - وَلَا يَحْصِلُونَ عَلَيْهِ مَبَاشَرَةً فَهِيَ مُمْتَنِعٌ .

وَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى وِلَايَةِ عَلِيِّ ﷺ لِأَنَّهُ بَابُ مَدِينَةِ الْعِلْمِ كَمَا ثَبَتَ فِي السُّنَّةِ .
فَإَيْنَ تَذْهَبُونَ؟

الْقُرْآنُ كُلُّهُ ضِدُّكُمْ حَرْفًا وَمُفْرَدَةً وَمُفْرَدَةً وَآيَةً آيَةً وَسُورَةً سُورَةً!

وَالتَّارِيخُ كُلُّهُ ضِدُّكُمْ بِكُلِّ تَفَاصِيلِهِ!

وَالْمَنْطِقُ كُلُّهُ ضِدُّكُمْ!

وَالْخَيْرُ كُلُّهُ ضِدُّكُمْ!

وَالْوَجْدَانُ كُلُّهُ ضِدُّكُمْ!

وَالْحَدْسُ كُلُّهُ ضِدُّكُمْ!

وَالْعِلْمُ كُلُّهُ ضِدُّكُمْ!

وَالْوَاقِعُ الْمُعَايِنُ كُلَّهُ صِدْكُمْ!

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟

وَأَنَّى تُؤْفِكُونَ؟

وَأَيْنَ تَهْرَبُونَ مِنْ وَجْهِ الْعَدَالَةِ . . مِنْ وَجْهِ اللَّهِ؟

﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:

. [١١٥]

الضَّفَّةُ الْخَامِسَةُ:

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «وَأَسْتَحْفَظُهُمْ كُتُبُهُ».

لَمْ يَقُلْ «كِتَابُهُ» لِيَكُونَ الْقُرْآنَ فَقَطْ، بَلْ كُلَّ كُتُبِهِ.

فَهَلْ تَفْهَمُونَ هَذَا؟

وَهَلْ تُذَكِّرُونَ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الشَّيْعَةِ لَوْ أَرَادَ تَلْفِيْقَ كَلِمَةٍ وَانْتِحَالَ فَقَرَةَ عَلَى عَلِيٍّ
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ فَإِنَّمَا لَنْ تَأْتِيَ بِمِثْلِ هَذَا الْإِحْكَامِ وَالِدَقَّةِ لِأَنَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ نَفْسِهِ؟
وَكَفَى بِالْمَرْءِ خَبِيرًا بِنَفْسِهِ.

ذَلِكَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ عِنْدَهُمْ كُلُّ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ . . . وَكُلُّ تَأْوِيلِهَا عِنْدَهُمْ!

وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ: فَأَوَّلُ مَا تَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ الْحَمْدِ وَسُؤَالِ الْهِدَايَةِ
إِلَى صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هُوَ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ:

﴿الْم ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٢ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ ٣ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ
مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ ٤ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُقْلِحُونَ ۝ ٥﴾ [البقرة: ١-٥].

مُتَّقُونَ وَمُقْلِحُونَ وَعَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ!!

فَهَلْ هَؤُلَاءِ هُمْ أَنْفُسُهُمْ خَلِيطَ الَّذِينَ آمَنُوا؟
كَلَّا... بِالطَّبَعِ... فَلَوْ كَانُوا هَؤُلَاءِ لَمَا عَلَّلَ لَهُمُ الصِّفَاتِ: لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ -
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ - لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ.

فَلِمَاذَا يُعَلَّلُ الصِّفَاتِ وَهِيَ مَوْجُودَةٌ؟

إِذَنْ... هُنَاكَ فَرِيقَانِ: فَرِيقٌ هَدَاهُمُ اللَّهُ فَهُمْ مُفْلِحُونَ وَمُتَّقُونَ وَمُؤْمِنُونَ!
أَمْ تَحْسَبُ أَنَّهُ يَصِفُهُمْ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ غَيْرِ
مَعْرِفَةٍ مُفَصَّلَةٍ فِيهِ!

إِذَا قُلْتُمْ هَذَا يَا قَوْمُ فَقَدْ كَفَرْتُمْ بِالْآيَةِ لَأَنَّهُمْ تَجْعَلُونَ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ وَلَا يَغْنِي
بِكَلَامِهِ شَيْئًا مُحَدَّدًا.

فَالَّذِي يُؤْمِنُ بِكُلِّ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ السَّابِقَةِ وَعِنْدَهُ مُجَرَّدُ اِغْتِقَادٍ عَامٍّ بِصَحَّتِهَا مِنْ
غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَهَا سَيَكُونُ مَشْمُولًا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ!.

هَذَا إِيمَانٌ أَغْمَى بِمَا فَهَمَ وَلَا وَغَى وَلَا دِرَايَةٌ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ... فَكَيْفَ
يَصِحُّ امْتِدَاحُ شَخْصٍ لَا يَفْهَمُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِهَا عَمُومًا بِمَا دِرَايَةٌ بِمَا فِي تِلْكَ
الْكِتَابِ؟

بَلْ لَا مَعْنَى لِمُفْرَدَةِ «يُؤْمِنُ» أَضْلًا وَلَا تَنْطَبِقُ عَلَيْهِ الْمُفْرَدَةُ لِأَنَّ الْإِيمَانَ
بِالشَّيْءِ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ، وَغَيْرُ هَذَا يُسَمَّى ظَنًّا أَوْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ. بَيْنَمَا هُوَ
تَعَالَى يَقُولُ «يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» عَلَى نَسَقِ إِيمَانِهِمْ بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ السَّابِقَةِ.

فَهَؤُلَاءِ هُمْ مَجْمُوعَةٌ خَاصَّةٌ لَهَا عِلْمٌ تَفْصِيلِيٌّ بِكُلِّ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ وَمَا يَتَّبِعُهَا
مِنْ وَقَائِعِ احْتِمَالِيَّةٍ بَحِثُ إِذَا لَاحَظَ أَحَدُهُمُ الْوَاقِعَ الْحَالِيَّ عَرَفَ فَوْرًا حَتَّى
الْأَحْدَاثَ الْمُسْتَقْبَلِيَّةَ، فَإِيمَانُهُ بِهَا حَقِيقِيٌّ لَا مُجَرَّدُ تَخْمِينٍ.

فَتَعَالَى إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِتَعْرِفَ إِيمَانَهُ كَيْفَ هُوَ بِالْغَيْبِ، وَكَيْفَ هُوَ
بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ!.

أَهُوَ مُجَرَّدُ قَوْلٍ أَمْ هُوَ مَعْرِفَةٌ تَفْصِيلِيَّةٌ وَقُدْرَةٌ عَلَى الْحُكْمِ بِهَا وَجَمْعُهَا فِي
«ذَلِكَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ»؟

لقد كَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ:

«بَلِ انْدَمَجَتْ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحِثَ بِهِ لاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْضِيَّةِ فِي
الْقَلَوِ الْبَعِيدَةِ»! . . . الخطبة / ٥ .

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي فَقَّاثٌ عَيْنَ الْفِتْنَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيءَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ
مَاجَ غِيْهَبُهَا وَاشْتَدَّ مَكْبُهَا فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا
تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ وَلَا عَنْ فِتْنَةٍ تَهْدِي مَائَةً وَتُضِلُّ مَائَةً إِلَّا
أُنْبَأْتُكُمْ بِنَاقِعِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا وَمَنَاحِ رِكَابِهَا وَمَحْطَ رِجَالِهَا وَمَنْ يَقْتُلُ مِنْ
أَهْلِهَا قَتْلًا وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا!»

فَأَسْأَلُكُمْ: أَلَيْسَ هَذَا مُصَدَّقًا فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ...﴾ [البقرة: ٢٥٥].

لأنَّ هَذَا نَوْعٌ مِنَ الْعِلْمِ غَرِيبٌ عَلَيْنَا لِأَنَّهُ هُوَ ذَاتُهُ عِلْمُ اللَّهِ . وَهَذَا الَّذِي يَقُولُهُ
عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ لَا عِلْمَ الْخَلْقِ؟

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عَلِيٌّ هُوَ الْمُسْتَشْنَى فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ فَمَنْ هُوَ الَّذِي عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ
عِلْمِ اللَّهِ؟

أهو أَبُو بَكْرٍ الَّذِي لَا يَعْلَمُ «الْأَبَّ» وَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ مَا هِيَ الْكَلَالَةُ!
أَمْ يُعْطِي اللَّهُ عِلْمَهُ لِإِعَادِ صَنْمٍ عَكَفَ عَلَيْهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ
مُحَمَّدًا؟

«وَاللَّهُ لَوْ شِئْتُ أَنْ أَخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلَجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ
وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» . . . الخطبة / ١٧٣ .

«والله لو ثبثت لى الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتورانيهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل القرآن بقرآنيهم» .
 «إن ههنا علماً جماً لو أصبت له حملة» الفقرة / ١٤٣ .

أقول: وهذه هي صفة حُججِ الله في كتابه الكريم في أكثر من موضع كما أوضحناه في أول سورة البقرة. وهو في آخرها أيضاً حيث ختم بهم ﷺ :
 ﴿ءَامَنَ الرُّسُلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

هذه الآيات في الأئمة فقط كما في أول السورة: «وبالآخرة هم يوقنون» -
 إذ لا يبلغ درجة اليقين من علل له الأفعال والأوامر الشرعية بالتقوى فقال:
 «لعلكم تتقون»، وقال «اتقوا ربكم»، وقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رُسُلِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَكَيْتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦] .

إذن... فالذين آمنوا جماعة والمؤمنون جماعة أخرى..

فما لكم لا تفقهون؟

وهل ترون في أنفسكم أنكم من المتقين المؤمنين المفلحين أم أنكم من الذين آمنوا والذين لا زالوا يشكون في كل شيء وهم في حاجة إلى إيمان آخر غير إيمانهم هذا؟

إذا كان الكل سواء فقد كفرتم بالله لأنكم تجعلون كلامه تخلیطاً لا معنى له ولا مقاصد فيه. فهم تارة مؤمنون، وتارة يتوجب عليهم الإيمان، وتارة متقون موقنون، وتارة لم يتقوا الله بعد... الخ.

فَكَمْ مِنْ فَرْقٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ الْعَاصِي الشَّاكِّ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِ؟ .

إِنَّ وَضْعَ الشَّخْصِ غَيْرِ الْمُنَاسِبِ فِي الْمَكَانِ غَيْرِ الْمُنَاسِبِ هُوَ عَمَلُكُمْ الدَّائِمُ
وَدَيْدَنُكُمْ الَّذِي لَا تَتَخَلَّوْنَ عَنْهُ قَطَّ مَهْمَا زَعَمْتُمْ مِنْ مَزَايِمِ التَّحْضُرِ وَالتَّطَوُّرِ .

فَقُلْ لِكِتَابِ الْبَيْقَاتِ وَشُدَاذِ الْأَفَاقِ مِنْ مِصْرَ وَسُورِيَا وَالْحِجَازِ: عَلَامٌ تُنْكِرُونَ
الْحَقَّ وَتُبْرِرُونَ الْأَبَاطِيلَ فِي تَارِيخِ أُمَّةٍ مَضَى وَانْقَضَى؟

فَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ الَّذِينَ تَتَشَدَّقُونَ بِالتَّحْضُرِ وَالتَّمَدُّنِ زُورًا مَعَ أَنَّكُمْ أَنْتُمْ الْأَعْدَاءُ
الْأَلْدَاءُ لِلتَّحْضُرِ إِذْ لَا زِلْتُمْ تُحَاوِلُونَ فِي كِتَابَاتِكُمْ الْغَنَّةَ تَبْرِيرَ وَضْعِ الشَّخْصِ غَيْرِ
الْمُنَاسِبِ فِي الْمَوْضِعِ غَيْرِ الْمُنَاسِبِ؟

وَقَدْ تَرَكْتُمْ - تَرَكَ الْبَاغِضِ الْبَاغِي - الرَّجُلَ الْقَادِرَ عَلَى حُكْمِ كُلِّ مِلَّةٍ بِحَسَبِ
كِتَابِهَا، وَلَمْ تَفْتَحْ عَيْونَكُمْ حَقِيقَةً أَنَّهُ تَعَرَّضَ إِلَى السَّبِّ وَالتَّشْوِيهِ وَاللَّغْنِ طِيلَةً
أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِينَ عَامًا مِنْ قَبْلِ أَشْرَسِ طُغَاةِ الْأَرْضِ ..

أَجَلٌ .. فَلَمْ تَسْأَلُوا: لِمَاذَا؟

لَأَنَّكُمْ لَا تُرِيدُونَ لِعِزِّكُمْ نِعْمَةَ الْعَاجِلِ فِي أَمَاسِي الدُّولَارِ الْمَلْعُونَةِ،
تُرِيدُوهَا لَكُمْ فَقَطَّ يَا عَبْدَةَ الْجَيْفِ وَالتَّنِ .. وَتَحْسِبُونَ أَنَّ الْأَخْرَارَ مِنْ أَصْحَابِ
عَلِيِّ الْعَلِيِّ سَيَنَافِسُونَكُمْ فِيهَا ..

أَلَا خُذُوهَا وَالْعُبُوبَا بِهَا عَلَيْكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ يَا أَعْدَاءَ الْحُرِّيَّةِ وَالسَّلَامِ وَيَا عَبْدَةَ
الطَّاغُوتِ الْعَمْرِيِّ الَّذِي لَمْ يَسْتَطِعْ رُؤْيَا جَمَاعَةٍ يُصَلُّونَ النَّافِلَةَ فِي الْمَسْجِدِ
أَفْرَادًا فَجَمَعَهُمْ عَلَى إِمَامٍ وَاحِدٍ بِطَرِيقَةٍ كُلِّ طَاغُوتٍ عَسْكَرِيٍّ رَجْعِيٍّ مُتَخَلِّفٍ
يَخْشَى أَنْ تَتَطَوَّرَ حُرِّيَّةُ الْعِبَادَةِ إِلَى حُرِّيَّةٍ رَأْيٍ فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ! .

وَهَكَذَا فَعَلَ فِي كُلِّ أَعْمَالِهِ الْأُخْرَى الَّتِي تُسَمُّونَهَا بِالْأَسْمِ الْمُقْبِتِ «مَنَاقِبَ»:
إِلْهَاءُ الْقَوْمِ بِالْفَتْوحَاتِ، وَالْمَنْعُ مِنْ ذِكْرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَتَحْرِيمُ الْحَدِيثِ عَنِ
النَّبِيِّ، وَمَنْعُ الصَّحَابَةِ مِنَ الْحَرَكَةِ مِنَ الْعَاصِمَةِ بِحُجَّةٍ أَنَّهُ يَحْتَاجُهُمْ دَوْمًا ..

الخ.. الخ.. أَعْمَالٌ طَاغَوْتِيَّةٌ تَتَابَعَتْ كُلُّهَا حَتَّى أَجَجَ الْفِتْنَةُ وَدَثَّرَهَا بِدَنَارٍ
سَمِيكِ، وَمَكَّرَ مَكْرَ السُّوءِ حَتَّى يَكُونَ انْفِتَاقُهَا عَاتِيًا عَاصِفًا مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ.

يَا هَؤُلَاءِ أَتَحْسَبُونَ أَنَّكُمْ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَاتِ؟!

كَلَّا وَالْفِ كَلَّا..

وَأِنَّمَا أَنْتُمْ قَوْمٌ كُفَّارٌ لِأَنَّكُمْ لَا عِلْمَ لَكُمْ بِكُتُبِ اللَّهِ وَلَا رُسُلِهِ..

فَمَا هُوَ عِلْمُكُمْ بِمَا فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى؟

سَتَقُولُونَ: لَا عِلْمَ لَنَا!

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَمَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالشَّيْءِ فَإِنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِهِ، إِذْ كَيْفَ يُؤْمِنُ الْمَرْءُ بِشَيْءٍ
لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ وَلَا يَدْرِي مَا فِيهِ؟ لِأَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ أَنْ يُؤْمِنَ بِعنوانِ اسْمِهِ صُحُفُ
إِبْرَاهِيمَ وَعنوانِ اسْمِهِ تَوْرَاةُ مُوسَى، بَلِ الْمُرَادُ الْإِيمَانُ بِالْمُضْمُونِ الَّذِي تَحْتَ
العنوانِ!

إِذَنْ.. فَأَنْتُمْ كُفَّارٌ لِأَنَّكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِكُتُبِ اللَّهِ كُلِّهَا وَلَا تَقْدِرُونَ عَلَى عَدَمِ
التَّفْرِيقِ بَيْنَ رُسُلِهِ!

ثُمَّ إِنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا هُوَ الْيَوْمُ الْآخِرُ وَتَزْعَمُونَ أَنَّهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

فَمَا أَذْرَاكُمْ أَنْ الْيَوْمَ الْآخِرَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ؟

سَتَقُولُونَ: وَأَنْتِ أَيْضًا لَا تَعْلَمُ مَا فِي كُتُبِ اللَّهِ!.

بلى.. أَنَا لَا أَعْلَمُ أَيْضًا بِمَا فِيهَا وَمَعَ ذَلِكَ فَأَنَا مُؤْمِنٌ وَأَنْتُمْ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ

كَمَا قَرَّرْتُهُ الْآيَةُ!

ذَلِكَ لِأَنِّي مُؤْمِنٌ بِإِمْكَانِيَّةِ تَحْقِيقِ مَا فِي الْآيَةِ مِنْ ضَرُورَةِ وَجُودِ هَذَا الْعِلْمِ
وَمُؤْمِنٌ بِوُجُودِ مَنْ يَعْلَمُ كُلَّ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ. فَأَنَا مُؤْمِنٌ بِالْآيَةِ وَمُضْمُونِهَا كَامِلًا

وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ بِالْآيَةِ لَأَنْتُمْ تَنْفُونَ هَذِهِ الْإِمْكَانِيَّةَ وَتَزْعُمُونَ أَنْ لَا وَجُودَ لِشَخْصٍ
يَحْمِلُ عِلْمَ الْكِتَابِ كُلَّهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ أَقْسَامًا عَلَى الرُّسُلِ جَمِيعًا .

فإذا جَهِلْتُ المضمونَ شَفَعَ لي إيماني بالمضمونِ وحامِلِهِ وجُهدِي في
التَّعَرُّفِ عَلَى هَذَا المضمونِ وَعَدَمُ قُدْرَتِي عَلَى تَجَاوُزِ ذَلِكَ إِلَى عِلْمِ حَامِلِهِ لِأَنَّهُ
مُغَيَّبٌ بِسَبَبِ الْحَادِثِ كُمْ وَكُفْرِكُمْ .

أَمَّا أَنْتُمْ فَجَهِلْتُمْ بِهِ هُوَ هَدَفُكُمْ وَلَيْسَ هُوَ سَبَبًا طَارِئًا عَلَيْكُمْ فَلَا يَشْفَعُ لَكُمْ
الْعُنْوَانُ عَنِ الْمَضْمُونِ لَأَنْتُمْ تَرُدُّونَ عَلَى اللَّهِ وَتُكَذِّبُونَ كَلَامَهُ .

كُلُّ آيَةٍ تُكْفِّرُكُمْ بِمَا فِي ذَلِكَ كُلِّ مَقْطَعٍ مِنْ كُلِّ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ الْقِصَصِ وَالْأَمْثَالِ
وَلَيْسَ فَقَطْ آيَاتِ الْعَقَائِدِ وَالْأَحْكَامِ . فَلَوْ سَمِعْتُ الْمُفْرِيءَ يَقُولُ :

﴿... فَقَالَ مَالِكٌ لَا أَرَى الْهَٰذِهِدْ أَمْ كَانَ مِنَ الْفٰسٰكِيْنَ﴾ [النمل: ٢٠] .

عَلِمْتُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنِّي مُؤْمِنٌ وَأَنْتُمْ كُفَّارٌ خِلَافًا لِمَنْ زَعَمَ أَنَّ «هَارُونَ
الْعَبَّاسِيَّ» كَانَتْ لَدَيْهِ فِرَاسَةٌ فَرَأَى رَجُلًا فَقَالَ : «هَذَا أَحْمَقُ» ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى
خَاتِمِهِ وَجَدُوا نَقْشَ خَاتِمِهِ : ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِكٌ لَا أَرَى الْهَٰذِهِدْ أَمْ كَانَ
مِنْ الْفٰسٰكِيْنَ﴾ [النمل: ٢٠] فقالوا : «صَدَقَ الْأَمِيرُ» ! .

أَقُولُ : أَمَّا اخْتِمَلْ هَؤُلَاءِ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ عَلِمَ مِنَ الْآيَةِ مَا لَمْ يَعْلَمَهُ الْأَمِيرُ
وَجَلَّوْزُهُ؟ . فَإِنَّ هَذَا مُمَكِّنٌ وَمُحْتَمَلٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ يَتَبَيَّنُ لِكُلِّ شَيْءٍ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ .

إِنَّمَا الْأَحْمَقُ هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ نَقْشَ خَاتِمِهِ «ملك الملوك فلان» وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ
مُعْسَلِ الْمَوْتَى لَا بُدَّ أَنْ يَخْلَعَهُ مِنْهُ يَوْمًا مَا . فَمَنْ هُوَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى تَفَقُّدِ الطَّيْرِ
وَمَعْرِفَةِ «الموجود الغائب» مِنْهُ إِلَّا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ؟

إِنَّ قَوْلَهُ ﷺ : «وَأَسْتَحْفِظُهُمْ كُتُبُهُ» هُوَ تَرْتِيبٌ مَقْصُودٌ ، فَقَدْ جَعَلَ
الاستحفاظَ بَعْدَ إلهامِهِمُ الْعِلْمَ ، فَحِينَمَا وَجَدَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا يُفَرِّقُونَ

بَيْنَهُمْ أَيِّ حِينَمَا اسْتَقَامُوا وَغَابَتْ عَنْهُمْ الْأَحْكَامُ الدَّائِيَةُ وَلَمْ يَعُودُوا يَرْغُبُونَ فِي أَيِّ حُكْمٍ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ إِلَّا بِحُكْمِ اللَّهِ أَلْهَمَهُمْ عِلْمَ مَا أُنْزِلَ ثُمَّ ابْتَلَاهُمْ كَيْفَ شَاءَ فَاسْتَحْفَظَهُمْ كُتُبُهُ بَعْدَمَا اسْتَمَرُّوا فِي الطَّاعَةِ وَدَامُوا عَلَى الْإِذْعَانِ لِلَّهِ فَجَعَلَهُمْ حَفَظَةً لِكُتُبِهِ .

وكلامه ﷺ يَجْرِي مَجْرَى كَلَامِ اللَّهِ وَهُوَ يُشِيرُ إِلَيْهِ ، فَهُوَ يَأْخُذُ مِنْهُ وَيَعُودُ إِلَيْهِ ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْا وَلَا تَسْتُرُوا بِأَيْدِي نَمَانًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] .

إِنَّكُمْ تَقُولُونَ : إِنَّ التَّوْرَةَ مَنْسُوخَةٌ . . !

فَأَيُّنَ وَجَدْتُمْ أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ ؟ !

أَلَيْسَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ إِنَّ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ وَيَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ الَّذِينَ اسْتُحْفِظَهُمُ اللَّهُ كُتُبُهُ ؟

إِذَنْ . . فَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ بِالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ وَتُفَرِّقُونَ بَيْنَ الرُّسُلِ . إِذْ لَيْسَ عِنْدَكُمْ إِمَامٌ يَعْلَمُ كِتَابَ اللَّهِ مِثْلُ إِمَامِنَا عَلِيٍّ ﷺ الَّذِي أَرَادَ أَنْ تُثْنَى لَهُ الْوَسَادَةُ لِيَحْكُمَ بِكُلِّ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ . فَأَنْتُمْ ضِدُّ الْآيَةِ وَنَحْنُ مَعَهَا .

إِمَامُكُمْ هُوَ عُمَرُ الَّذِي قَضَى عَشْرِينَ سَنَةً فِي حِفْظِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، : فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّهُ حَفَظَهَا نَحَرَ جَزْوَراً بِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ السَّعِيدَةِ !!

ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ فِي شُرُوحِ الْخُطْبَةِ « ٢٢٣ » الَّتِي أَوَّلُهَا : « اللَّهُ دَرُّ بِلَادِ فُلَانٍ » - يُرِيدُ بِهِ عُمَرَ حَسَبَ الشَّرَاحِ . وَذَكَرَ فِي نَفْسِ الْبَابِ : إِنَّ عُمَرَ خَرَجَ يَوْماً إِلَى الْمَسْجِدِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ فِي ظَهْرِهِ أَرْبَعُ رِقَاعٍ فَقَرَأَ

حَتَّى انْتَهَى إِلَى «وَفَاكِهَةٍ وَأَبَا» فَقَالَ: مَا الْأَبُ؟ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكْلُفُ وَمَا عَلَيْكَ يَا بَنَ الْخَطَابِ إِلَّا تَذَرِي مَا هُوَ الْأَبُ!!

فَهُوَ يُسَمِّي التَّدَبُّرَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَكْلُفًا وَيَنْهَى عَنْهُ. وَقَدْ نَهَى النَّاسَ عَنْهُ وَابْتَدَعَ لَهُمْ سُنَّةً جَدِيدَةً هِيَ عَدَمُ السُّؤَالِ لِحِينَ النَّجَاحِ فِي تَرْتِيبِ الْمُضْخَفِ الْجَدِيدِ الْمَلَائِمِ.

وَمَرَّ شَابٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ ظِمَانٌ فَاسْتَسْقَاه فَخَاضَ لَهُ عَسَلًا فَرَدَّهُ وَلَمْ يَشْرَبْ وَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿النَّارِ أَذْهَبَتْكُمْ طَبِيبُكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمَنَعْتُمْ بِهَا﴾ [الاحقاف: ٢٠] فَقَالَ الْفَتَى: إِنَّهَا وَاللَّهِ لَيْسَتْ لَكَ فَاغْرَأُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا قَبْلَهَا ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبَتْكُمْ طَبِيبُكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمَنَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الاحقاف: ٢٠] أَفَنَحْنُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا؟ فَقَالَ عُمَرُ: «كُلُّ النَّاسِ أَفْقَهُ مِنْ عُمَرَ» ثُمَّ شَرَبَ (١).

أَقُولُ: دَعَوْتُنَا الْجَدِيدَةُ الْقَدِيمَةُ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا أَهْلُ الْبَيْتِ عليه السلام فِي أَنْ «عُمَرَ» هُوَ الشَّيْطَانُ نَعْرِضُهَا عَلَى أَهْلِ الْأَذْيَانِ وَأَهْلِ اللُّغَةِ وَالْدَّارِسِينَ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتَمَعَّنُوا فِيهَا فَإِنَّهَا تَحِلُّ الْإِشْكَالَاتِ الْعَقَائِدِيَّةَ كُلَّهَا وَتُبَيِّنُ حَقِيقَةَ نصوصِ الرَّسُولِ ﷺ فِيهِ وَفِي سِوَاهِ.

فَإِنَّ عُمَرَ صَادِقٌ كُلُّ الصَّدَقِ فِي كُلِّ مَا قَالَهُ وَكُلِّ مَا وَرَدَ عَنْهُ بِشَرْطِ أَنْ نَفْهَمَهُ الْفَهْمَ الصَّحِيحَ.

نَعَمْ... فَكُلُّ النَّاسِ أَفْقَهُ مِنْ عُمَرَ وَلَكِنْ لَيْسُوا أَعْلَمَ مِنْهُ. فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ مَثَلًا لَمْ يَلْتَبَسِ الْأَمْرُ عَلَيْهِ، بَلْ الْآيَةُ فِيهِ وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ «لَهُ» كَمَا قَالَ الشَّابُّ

(١) نهج البلاغة/ ج ٣ / ٧٦١ - ط بيروت - دار الحياة.

الأنصاري وَلِكِنَّهُ أَرَادَ إعطاءَ إِشَارَةٍ إِلَى الفَتَى وَلَكِنَّ الفَتَى لَمْ يَفْهَمْ وَهُوَ الَّذِي التَّبَسَّ عَلَيْهِ الأَمْرُ أَوْ لَعَلَّهُ فَهَمَ الأَمْرَ لِأَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَتْ لَكَ» وَلَمْ يَقُلْ «لَيْسَتْ فَيْكَ».

لَقَدْ كَانَ عُمَرُ يَقُومُ بِدَوْرِ الْفَاتِنِ لِلأُمَّةِ، وَهُوَ مُسْتَمِرٌّ فِي تَوْضِيحِ أَفْعَالِهِ وَوَجَابَتِهِ لِلآخِرِينَ وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا تَعْلَمُ حَقِيقَةَ الْحَالِ. وَحِينَمَا يَقُولُ: «كُلُّ النَّاسِ أَفْقَهُ مِنْ عُمَرَ» فَإِنَّهُ صَادِقٌ فِي قَوْلِهِ لِأَنَّا قُلْنَا: إِنَّ الْفَقْهَ هُوَ غَيْرُ الْعِلْمِ، وَالْفَقْهُ عَكْسُ الْإِيمَانِ، بَيْنَمَا الْعِلْمُ لَا يَتَضَادُّ مَعَ الْإِيمَانِ. فَهُوَ يَقَرُّرُ حَقِيقَةَ مَوْجُودَةٍ وَهِيَ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ أَكْثَرُ الْخَلْقِ وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ الْفَقْهِ مَهْمَا كَانَ هَؤُلَاءِ الْخَلْقِ مِنْ نَاحِيَةِ الْعَقَائِدِ. فَهُوَ شَرُّ الْخَلِيقَةِ كُلِّهِمْ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْفَقْهَ فِي الْقَلْبِ كَمَا رَأَيْنَا وَعَلَى الْقَلْبِ مَدَارُ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ كُلِّهِ.

تَحْتَاجُ أَقْوَالُ عُمَرَ وَخَطَابَاتُهُ كُلُّهَا إِلَى مُرَاجَعَةٍ جَدِيدَةٍ وَدِرَاسَةٍ وَفَقَ هَذَا الْمَنْظُورِ. فَهُوَ لَمْ يَتَمَّ بِإِخْفَاءِ حَقِيقَةٍ مُعَيَّنَةٍ وَلَا كَذَبَ فِي حَيَاتِهِ قَطُّ! كُلُّ مَا فَعَلَهُ هُوَ أَنَّهُ دَعَاهُمْ فَاسْتَجَابُوا لَهُ.

وَمَفْهُومُ هَذَا الأَمْرِ هُوَ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَكْذِبُ قَطُّ حَالَ الْإِغْوَاءِ لِأَنَّهُ لَوْ كَذَّبَ عَلَى الْمُكَلَّفِ كَانَ الْمُكَلَّفُ فِي عُذْرِ حَالِ الْعِصْيَانِ.

فَلَوْ رَجَعْنَا إِلَى أَقْوَالِ إِبْلِيسَ أَوْ الشَّيْطَانِ مَعَ آدَمَ لَا نَجِدُهُ يَكْذِبُ. فَالشَّيْطَانُ فِي الْوَاقِعِ لَا يُغَيِّرُ الْحَقَّ إِلَى بَاطِلٍ أَوْ الْبَاطِلَ إِلَى حَقٍّ، بَلْ كُلُّ مَا يَفْعَلُهُ هُوَ أَنْ يَدْعُوَ لِلْبَاطِلِ مِنْ حَيْثُ هُوَ بَاطِلٌ، فَلَا يُضِيفُ عَلَيْهِ صِفَةً لَيْسَتْ فِيهِ أَوْ مَاخُودَةً مِنَ الْحَقِّ. لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمُكَلَّفَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ سَيَكُونُ فِي عُذْرِ وَيَسْقُطُ الْحِسَابُ.

كَانَ عُمَرُ كَثِيرَ الْكَلَامِ، وَلِكِنَّهُ حِينَمَا يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَتَّقُوهُ بِعِبَارَاتٍ مُتَقَطَّعَةٍ وَيَنْزِلُ سَرِيعاً لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَقْدِرُ عَلَى الْإِسْتِرْسَالِ.

وإنَّ جميعَ مَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَجَلَائِلِ أَعْمَالِهِ إِنَّمَا تُفَسِّرُهَا حَقِيقَتُهُ
الَّتِي كَشَفَهَا الرَّسُولُ ﷺ فِي أَحَادِيثِهِ وَالَّتِي لَا تُفِيدُ سِوَى أَنَّهُ زَعِيمُ الشَّيَاطِينِ
فِي التَّارِيخِ وَأَكْثَرُهُمْ قُدْرَةٌ عَلَى الْإِغْوَاءِ . بَلْ بَلَغَ عُمُرُ الدَّرَجَةِ الْقُصْوَى مِنَ
الْإِغْوَاءِ الَّتِي أَصْبَحَ يَقُومُ فِيهَا بِتَجَارِبٍ وَيَتَحَرَّشُ بِالْآخِرِينَ لِمَعْرِفَةِ قُدْرَتِهِمْ عَلَى
كَشْفِهِ فَوَجَدَهُمْ عُمِيانًا بَهَائِمَ لَا فَهْمَ لَهُمْ وَلَا عَقْلًا !

فَحِينَمَا يَفْعَلُ بِالْأَمْرِ وَيُخْطِئُ كَانَ يَعتَبِرُ نَفْسَهُ قَدْ قَامَ بِوَاجِبِهِ أَيْضًا تَجَاوِزَ
الْحَقِيقَةِ . فَإِنَّهُ إِذَا أَقَامَ السُّنَّةَ فَهُوَ عَمَلُهُ وَإِنْ خَالَفَهَا فَهُوَ عَمَلُهُ أَيْضًا . وَلَكِنَّهُ كَانَ
يَنْدَهِشُ لِدَهْوَلِ النَّاسِ عَنْ أَمْرِهِ حَتَّى لَيَكَادُ يَقُولُ لَهُمْ بِصَرِيحِ الْعِبَارَةِ : « انظُرُوا
أَيُّهَا الْحَمَقَى مَنْ أَنَا ؟ » . فَحِينَمَا حَدَّدَ الْمَهْوَرَ وَقَامَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : « لَيْسَ
ذَلِكَ لَكَ يَا عُمَرُ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْبِدَالَ رَوْحَ مَكَاتِ رَوْحٍ وَمَاتَيْتُمْ
إِحْدَيْهِنَّ فَنَطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴾ [النساء : ٢٠] .
فَقَالَ عُمَرُ : أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ امْرَأَةٍ أَصَابَتْ وَإِمَامٍ أَخْطَأَ ؟ ! » .

لَقَدْ كَانَ يَحْمِلُهُمْ عَلَى الْإِنْدَهَاشِ وَالتَّعَجُّبِ فَلَا يَعْجَبُونَ وَلَا يَنْدَهِشُونَ وَلَا
يَقُولُونَ : - « إِذَنْ فَبَلَدُ الْمَرْأَةِ أَوْلَى مِنْهُ بِالْإِمَامَةِ فِي مِقْيَاسِ الْعِلْمِ بِالشَّرِيعَةِ » . ثُمَّ
قَالَ : « امْرَأَةٌ نَاصَلَتْ إِمَامَكُمْ فَفَضَّلْتَهُ ! »

أُورِدَ ذَلِكَ صَاحِبُ شَرْحِ النَّهْجِ فِي ج ٣ / ٧٦٢ .

وَيَفْتَحِرُ عُمَرُ بِأَنَّهُ قَدْ نَجَحَ فِي مَنَعِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ تَعْيِينِ الْخَلِيفَةِ بُوَيْقَةَ رَسْمِيَّةً
فِي كِتَابِ مَشْهُودِ حَالٍ وَفَاتِهِ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ فِي أَوَّلِ خِلَافَتِهِ وَقَدْ أَلْقَى لَهُ صَاعٌ مِنْ تَمْرِ
عَلَى خُصْفَةٍ فَدَعَانِي لِلْأَكْلِ فَأَكَلْتُ تَمْرَةً وَاقْبَلَ يَأْكُلُ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ ثُمَّ
شَرَبَ مِنْ جَرٍّ كَانَ عِنْدَهُ وَاسْتَلْقَى عَلَى مِرْفَقَتِهِ وَطَفِقَ يَحْمَدُ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ : مِنْ أَيْنَ
جِئْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ قُلْتُ : مِنَ الْمَسْجِدِ . قَالَ : كَيْفَ خَلَفْتَ ابْنَ عُمَرَ ؟ فَظَنَنْتَهُ

يُرِيدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ . قُلْتُ : خَلَفْتُهُ يَلْعَبُ مَعَ أَثَرِ ابْنِهِ . فَقَالَ : لَمْ أَغْنِ ذَلِكَ إِنَّمَا عَنِيتُ عَظِيمَكُمْ أَهْلَ الْيَتِّ ! . قُلْتُ : خَلَفْتُهُ يَمْتَحُ بِالْعَرَبِ «الدلو» عَلَى نُحَيْلَاتِ بَنِي فَلَانٍ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَالَ : عَلَيْكَ دِمَاءُ الْبَدَنِ إِنْ كَتَمْتَنِيهَا . هَلْ بَقِيَ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الْخِلَافَةِ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : أَيْزَعُمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ نَصَّ عَلَيْهِ؟ . قُلْتُ : نَعَمْ وَسَأَلْتُ أَبِي الْعَبَّاسَ عَمَّا يَدَّعِيهِ فَقَالَ : صَدَقَ . فَقَالَ عُمَرُ : لَقَدْ كَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ فِي أَمْرِهِ ذَرُّو مِنْ قَوْلٍ لَا يُثْبِتُ حُجَّةً وَلَا يَقْطَعُ عُذْرًا وَلَقَدْ كَانَ يَرْبُعُ فِي أَمْرِهِ وَقْتًا مَا وَلَقَدْ أَرَادَ فِي مَرَضِهِ أَنْ يُصْرَحَ بِهِ فَمَنْعَتْهُ مِنْ ذَلِكَ إِشْفَاقًا وَحِيظَةً عَلَى الْإِسْلَامِ ، لَا وَرَبِّ هَذِهِ الْبَيْتَةِ «يَعْنِي الْكَعْبَةَ» لَا تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ أَبَدًا وَلَوْ وَلِيهَا لَا تَنْفَضَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَقْطَارِهَا فَعَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ أَنِّي عَلِمْتُ مَا فِي نَفْسِهِ فَأَمْسَكَ وَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِمْضَاءَ مَا خَتَمَ .

ذَكَرَهُ شَارِحُ النَّهْجِ فِي نَفْسِ الْمَوْضِعِ أَعْلَاهُ . وَلِلْحَدِيثِ صُورٌ مُخْتَلِفَةٌ عِنْدَ الْمُؤَرِّخِينَ يُمَثِّلُ هَذَا النِّصَّ أَحْسَنَهَا بِالنِّسْبَةِ لِأَهْلِ الشُّوَرَى .
أَقُولُ : لَيْسَ فِي النِّصِّ أَيُّ تَمْوِيهِ أَوْ كَذِبٍ .

إِنَّهُ حَقَائِقُ وَاضِحَةٌ يَبْدُ أَنَّ مَوْضِعَ الْإِمَامَةِ لَيْسَ هُوَ مَوْضِعُ السِّيَاسَةِ .
الْإِمَامَةُ الَّتِي نَتَحَدَّثُ عَنْهَا هُنَا وَفِي الْفِكْرِ الْإِمَامِيِّ لَيْسَتْ هِيَ اجْتِمَاعُ الْعَرَبِ أَوْ عَدَمُ اجْتِمَاعِهَا ! .

إِنْ عَدَمَ اجْتِمَاعُ الْعَرَبِ عَلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ حَقِيقَةٌ أَيْدَهَا التَّارِيخُ ! يَبْدُ أَنَّ هَذَا هُوَ نَفْسُ الْفِتْنَةِ الَّتِي يُذْخِلُ اللَّهُ بِهَا الْأَكْثَرِيَّةَ إِلَى جَهَنَّمَ لِأَنَّهُمْ رَفَضُوا اخْتِيَارَ اللَّهِ وَعَمَلُوا بِاخْتِيَارِهِمُ الْخَاصِّ . وَمَعْلُومٌ إِنَّ الَّذِينَ قَادَوْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ أَكْثَرَ الْإِثْمِ وَأَعْظَمَ الْوِزْرِ .

إِنَّ اجْتِمَاعَ الْخَلْقِ عَلَى الْبَاطِلِ هُوَ مَوْضِعُ الدِّينِ . فَالْأَذْيَانُ مَا جَاءَتْ لِتَجْمَعَ النَّاسَ أَوْ لِتُؤَسَّسَ دَوْلًا أَوْ كِيَانَاتٍ سِيَاسِيَّةً نَاجِحَةً وَفَقَ الْمَنْظُورِ الْبَشَرِيِّ . فَهَذِهِ

الكيانات تتغير وتتبدل وتنهأ وتذهب نظريات ملوك ويأتي غيرهم، وفي كل دور تقوم السلطات بالإعلان عن انفرادها بالعدل وأتباع الحق لتضليل الجماهير. فالكيانات السياسية تجمعهم قوة وجمع طمع. فليس هذا هو الكيان الذي يسعى الدين لتحقيقه!

إن افتخار هذه الأمة بالكيان السياسي الذي بلغ حدود الصين شرقاً والأطلسي غرباً باعتباره كياناً مُنبثقاً عن الدين الإسلامي هو مخزية من مخازي التاريخ وعلامة على الجهل المطبق وغياب الوعي الديني غيابة تاماً. والدليل على ذلك أن التاريخ زاخر بالقوى التي سيطرت على أجزاء كبيرة من العالم! فقد سيطر البابليون والآشوريون والكنعانيون والرومان والتتر والفرس والترك وغيرهم على أجزاء كبرى من العالم خلال أدوار التاريخ كلها. ثم جاءت موجة العصر الحديث فسيطرت بريطانيا العظمى على أكثر أقطار الأرض مثلما سيطر الإسكندر من قبل أو ملك فارس «كورش» أو «سابور» ومثلما تسيطر اليوم الولايات المتحدة خلقاً للتقسيم الأسبق بينها وبين الشيوعية.

إن تصنيف الإمبراطورية الإسلامية من جملة هذه الإمبراطوريات هو حقيقة تاريخية. فليست هذه الإمبراطورية سوى كيان سياسي واثته الظروف الموضوعية كافة للسيطرة على العالم شأنه شأن أية إمبراطورية سابقة أو لاحقة.

ولا تمت هذه السيطرة في جوهرها إلى الدين بأية صلة سوى أن الدين هو الأيديولوجية العامة لهذا الكيان والشعار المرفوع، ومثله مثل كل الشعارات المزيفة للدول العملاقة التي تقوم بالسيطرة والاحتلال. فالخراج والسيطرة السياسية والاستفادة من الغلات والعبيد وإلهاء الخلق في الحروب هي الدوافع الثابتة لهذه الكيانات.

وَلَكِنْ بِفَضْلِ مَعَاشِرَةِ النَّاسِ لِأَهَالِي تِلْكَ الْمَنَاطِقِ الْمَسِيطِرِ عَلَيْهَا وَرَغْبَةً مِنْهُمْ بِالسَّلَامَةِ وَالْمَعَامَلَةِ الْحَسَنَةِ فَقَدْ كَانُوا يَدْخُلُونَ الْإِسْلَامَ . فَبَعْضُهُمْ يَكْتَشِفُ الْحَقِيقَةَ وَبَعْضُهُمْ يَبْقَى عَلَى ضَلَالِهِ الْقَدِيمِ . فَهُوَ إِسْلَامٌ رَسْمِيٌّ لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِالَّذِينَ الَّذِينَ جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَلِذَلِكَ تَبَقَّى هَذِهِ الْكِيَانَاتُ وَالْأُمَمُ مُرْتَبِطَةٌ بِجَذْوَرِهَا الْأَوَّلَى وَيَتَفَوَّقُ دَوْمًا انْتِمَاؤُهَا الْعِرْقِي وَالْوَطَنِي عَلَى انْتِمَائِهَا الْإِيدِيُولُوجِي الْعَقَائِدِي . لِذَلِكَ فَسَرَعَانَ مَا تَتَمَتَّتْ هَذِهِ الْكِيَانَاتُ وَتَتَفَصَّلُ أَوْ تُطَالِبُ بِالْإِنْفِصَالِ وَتَحْدُثُ الْحُرُوبُ بَيْنَهَا بِسُرْعَةٍ مُذْهِلَةٍ مِثْلَمَا تَحْدُثُ بَيْنَ الْأَعْدَاءِ .

إِنَّ تَحْوِيلَ وَجْهَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ دِينِ عَقَائِدِيٍّ إِلَى كِيَانٍ سِيَاسِيٍّ مُحْتَلٍّ وَإِلَى إِمْبِرَاطُورِيَّةٍ ضَلَالٍ بَدَلًا مِنْ دَوْلَةٍ خِلَافَةِ إِلَهِيَّةٍ إِنَّمَا تَمَّ بِفَضْلِ التَّخْطِيطِ الْمُحْكَمِ لِلْيَهُودِ وَفِي خَطِّ مَرْسُومَةٍ سَلَفًا وَقَامَتْ قُرَيْشٌ بِتَنْفِيزِهَا عَنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ .

إِنَّ تَصْنِيفَ دَوْلَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْ جُمْلَةِ دُولِ الْإِسْخِلَافِ فِي الْأَرْضِ هُوَ بِحَدِّ ذَاتِهِ كُفْرٌ . فَهِيَ دَوْلَةٌ سِيَاسِيَّةٌ دِكْتَاتُورِيَّةٌ . وَمَا الصُّورُ الْدِيمُقْرَاطِيَّةُ الْمَنْقُولَةُ عَنْهَا مِثْلُ بَسَاطَةِ الْخَلِيفَةِ وَإِمْكَانِيَّةِ تَقْلِيدِهِ مِنْ قِبَلِ الْعَامَّةِ إِلَّا تَمَثِيلِيَّاتٌ وَمَسْرَحِيَّاتٌ كَانَتْ ضَرُورِيَّةً جِدًّا لِتَضْلِيلِ الْجُمْهُورِ الَّذِي لَا زَالَ قَرِيبَ الْعَهْدِ مِنَ الْحُكُومَةِ الْإِلَهِيَّةِ لِلرَّسُولِ ﷺ .

لِذَلِكَ يُعْتَبَرُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ أَكْثَمَ زَعِيمَيْنِ لِلدِكْتَاتُورِيَّةِ وَالتَّنْظِيرِ الطَاغُوتِيِّ فِي كُلِّ تَارِيخِ الْأَرْضِ لِأَنَّهُمَا اعْتَمَدَا فِقَرَاتٍ مُهِمَّةً جِدًّا لِإِجْرَاءِ التَّحْوِيلِ مِنَ الْحُكُومَةِ الْإِلَهِيَّةِ إِلَى الْحُكُومَةِ الطَاغُوتِيَّةِ ، فَتَبَنَّى دِرَاسَةُ التَّارِيخِ دِرَاسَةً وَاقِعِيَّةً نَقْدِيَّةً وَتَرَكُ التَّرْدِيدَ الْبِغَاوِيَّ لِنَفْسِ الْمَقُولَاتِ مِنْذُ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا . فَهَذَاكَ دَوْمًا الْأَقْلَامُ الَّتِي تُمَجِّدُ تَارِيخَ الْأُمَّةِ عُمُومًا وَلَا يَهْتَمُّهَا أَنْ يَسِيءَ ذَلِكَ إِلَى جَوْهَرِ الطَّرْحِ الدِّينِيِّ

وَشَخْصِيَّةَ الرَّسُولِ ﷺ . وَمَا دَعَا تُ الْغَرْبِ وَأَعْدَاءُ الدِّينِ إِلَّا مَقُولَاتُ تَبْرِيرِيَّةٍ
اَنْبَقَّتْ أَضْلًا مِنْ أَفْيِيَةِ الْمُحَرِّفِينَ مِنْ عُلَمَاءِ وَوَعَاظِ السَّلَاطِينِ .

اعْتَمَدَ الشَّيْخَانِ عَلَى خُطُوبٍ هَامَّةٍ لِنَقْلِ الْحَالِ إِلَى الْحُكُومَةِ السِّيَاسِيَّةِ
الطَّاغُوتِيَّةِ ، وَهِيَ وَاضِحَةٌ جِدًّا فِي التَّارِيخِ وَأَهْمُهَا الْقَضَاءُ عَلَى الْمُعَارَضَةِ
وَتَغْيِيرُ دَلَالَةِ الْمُضْطَلَحَاتِ الْقَرَأَنِيَّةِ كَالْبَيْعَةِ وَالسُّنَّةِ وَالْحَجِّ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ
وَعَشْرَاتٍ غَيْرِهَا وَإِخْفَاءُ النِّصِّ الْقَرَأَنِيِّ وَابْتِدَاعُ التَّرْدِيدِ فِي النِّصِّ أَوْ تَأْوِيلِهِ
لِيَجْعَلَهُ عُرْضَةً لِلتَّفْسِيرَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَالِاسْتِخْوَاذُ عَلَى الْأَمْوَالِ وَالْخَرَاجَاتِ
وَالْجُزْيَةِ وَالِدَّعْوَةُ إِلَى الدِّينِ بِالسَّيْفِ وَتَقْسِيمُ الْأُمَّةِ إِلَى طَبَقَاتٍ فِي الْمَعَاشِ ثُمَّ
فِي الْأَنْسَابِ وَالْأَحْسَابِ وَتَأْجِيجُ التَّفَاخُرِ الْقَبِيلِيِّ .

وَبِصِفَةٍ عَامَّةٍ تَمَّ إِدْخَالُ كُلِّ الْمَفَاهِيمِ الْجَاهِلِيَّةِ لِتَكُونَ جُزْءًا مِنْ مَفَاهِيمِ
الاصْطِلَاحِ الدِّينِيِّ وَتَحْجِيمِ الْمُرَادِ وَالْمَقْصُودِ مِنَ النِّصِّ الْقَرَأَنِيِّ لِيَكُونَ مُرْتَبِطًا
بِأَشْخَاصٍ مُعَيَّنِينَ وَمَوَارِدَ مُحَدَّدَةٍ بِأَسْبَابِ الزُّوْلِ . وَقَدْ تَمَّ بِفَضْلِ هَذَا التَّخْطِيطِ
تَحْوِيلُ النِّصِّ الْإِلَهِيِّ إِلَى تَارِيخٍ وَتُرَاثٍ بَدَلًا مِنْ أَنْ يَكُونَ فِكْرًا مَفْتُوحَ الدَّلَالَةِ
زَمَنِيًّا . فَأَصْبَحَ الْمَرْءُ يَتْلُو الْآيَةَ وَلَا يَخْطُرُ فِي بَالِهِ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سُلُوكٍ
وَأَصْبَحَ يَتْلُو سُورَةَ النَّصْرِ وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ إِلَّا فَتْحُ مَكَّةَ وَهَكَذَا . .

وَكَانَ عُمَرُ خُصُوصًا لَا مِتْدَادَ حُكْمِهِ يُؤَسِّسُ التَّاسِيْسَ الْجَدِيدَ كُلَّهُ ، وَكَانَتْ
الْجَوَانِبُ الْعَقَائِدِيَّةُ وَالْمَالِيَّةُ وَالْأَخْلَاقِيَّةُ وَالسِّيَاسِيَّةُ قَدْ نَالَتْ مِنْ أَعْمَالِهِ الْكَثِيرَ .
وَالْعُقُولُ الَّتِي رَانَ عَلَيْهَا الضَّلَالُ كَانَتْ تَتَقَبَّلُ الْكَثِيرَ مِنْ أَفْكَارِهِ الْجَدِيدَةِ
بَاعْتِبَارِهَا تَأْوِيلًا مُعَيَّنًا لِلنِّصِّ هُوَ مِنْ صِلَاحِيَّاتِ الْخُلَيْفَةِ مِمَّا أَدَّى إِلَى أَنْ تَفْسَدَ
الْأُمَّةُ كُلُّهَا وَمِنْ ثَمَّ تَهْتِكُهَا لِلْفِتْنَةِ ثُمَّ زَرَعَ بِذُورِ هَذِهِ الْفِتْنَةِ قَبْلَ رَحِيلِهِ . وَلِذَلِكَ قَالَ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْقَوْلَ الْمَشْهُورَ الَّذِي اخْتَلَفَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي تَفْسِيرِ مَعْنَاهُ .
فَقَدْ قَالَ ﷺ :

«لِلَّهِ بِلَادُ فُلَانٍ فَلَقَدْ قَوْمَ الْأَوْدَ وَدَاوَى الْعَمَدَ وَأَقَامَ السُّنَّةَ وَخَلَّفَ الْفِتْنَةَ. ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ قَلِيلَ الْعَيْبِ. أَصَابَ خَيْرَهَا وَسَبَقَ شَرَّهَا. أَدَّى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ. رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ لَا يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ وَلَا يَسْتَقِينُ الْمُهْتَدِي».

نهج البلاغة/ الخطبة ٢٢٣

أَكْثَرُ الشُّرَاحِ قَالُوا الْمُرَادُ بِفُلَانٍ عُمَرُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا يَسْتَقِيمُ الْكَلَامُ لِأَنَّهُ انْتَقَدَ عُمَرَ نَقْدًا شَدِيدًا فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى فَلَا يُضْلِحُ أَنْ يَكُونَ الشَّاءُ عَلَيْهِ هُنَا، فَالْمُرَادُ أَبُو بَكْرٍ.

وَلَمْ تَسْبِقْهُ دَوْلَةٌ أَوْ بِلَادٌ لِأَحَدٍ سِوَاهُمَا مَعَ عُثْمَانَ. وَلَيْسَ عُثْمَانُ هُوَ الْمُرَادُ مِنْهُ بِإِجْمَاعِ الشُّرَاحِ لِأَنَّهُ صَاحِبُ الْفِتْنَةِ وَمَرْكَزُهُ. فَالسَّابِقُ لَهَا: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَطْ. وَقِيلَ إِنَّ الْجَارُودِيَّةَ قَوْمٌ مِنَ الزَيْدِيَّةِ يُزَعِمُونَ أَنَّهُ فِي عُثْمَانَ.

قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ وَقَدْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ حَيْرَةٌ عَظِيمَةٌ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُ سَأَلَ عَنْهُ النَّقِيبَ أَبَا جَعْفَرٍ بَنَ يَحْيَى فَقَضَّلَ لَهُ أَقْوَالَ فَرَّقِ الْإِمَامِيَّةَ فِيهِ وَمِنْهُمْ الْإِثْنَا عَشَرِيَّةَ حَيْثُ قَالُوا هُوَ مِنْ بَابِ التَّقِيَّةِ لِاسْتِصْلَاحِ أَصْحَابِهِ!!

وَقَالَ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْأَصْحَابِ دُونَ الْخُلَفَاءِ: «إِنَّهُ لَا يَجُوزُ»، وَسَمَّاهَا بِالتَّأْوِيلَاتِ الْغَثَّةِ وَقَالَ: «لَا يُعْجِبُنِي هَذَا التَّأْوِيلُ». عَلَى أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ الطَّبْرِيَّ صَرَّحَ أَوْ كَادَ أَنْ يُصَرِّحَ بِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ هُوَ عُمَرُ. فَقَدْ نَدَبَتْهُ إِحْدَى النِّسَاءِ عِنْدَ مَوْتِهِ فَقَالَتْ: «وَأَعَمَّرَاهُ أَقَامَ الْأَوْدَ وَأَبْرَأَ الْعَمَدَ، أَمَاتَ الْفِتْنََ وَأَحْيَا السُّنَنَ، خَرَجَ نَقِيَّ الثَّوْبِ بَرِيئًا مِنَ الْعَيْبِ».

قَالَ: وَقَالَ الطَّبْرِيُّ عَنِ الْمُغِيرَةِ وَهُوَ مِنْ أَعْدَاءِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ: أَتَيْتُ عَلِيًّا لَمَّا دُفِنَ عُمَرُ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ مِنْهُ وَقَدْ خَرَجَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ وَقَدْ اغْتَسَلَ وَهُوَ مُلْتَحِفٌ بِثَوْبٍ لَا يَشْكُ أَنْ الْأَمْرَ يَصِيرُ إِلَيْهِ فَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ ابْنَ الْخَطَّابِ

لَقَدْ صَدَقَتْ ابْنَةُ أَبِي حَتْمَةَ ذَهَبَ بِخَيْرِهَا وَنَجَا مِنْ شَرِّهَا أَمَا وَاللَّهِ مَا قَالَتْ وَلَكِنْ قَوْلَتْ.

أَقُولُ: أَمَا أَنَا فَعَجَبِي مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا هَذِهِ النُّصُوصَ وَلَمْ يُصِيبُوا الْمُرَادَ مِنْهَا بِمَا فِي ذَلِكَ مِثْمُ الْبَحْرَانِي أَحَدُ شُرَاحِ النَّهْجِ مِنَ الشُّعْبَةِ حَيْثُ تَحَيَّرَ فِيهَا...

فَيَا لِلْعَجَبِ!!

أَمَا الْمَغِيرَةُ فَهِيَ مُنَافِقٌ مِنْ رُؤُوسِ النِّفَاقِ فَمِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَتَصَوَّرَ عَلِيًّا وَهُوَ لَا يَشْكُ أَنَّ الْأَمْرَ صَاحِرٌ إِلَيْهِ!

فَأَيْنَ الْعَهْدُ الْمَعْهُودُ مِنَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ الَّذِي كَانَ يُكْرِّرُ الْقَوْلَ فِيهِ إِذَنْ؟ وَهَلْ الَّذِي يَذَرِي سَاعَةَ مَوْتِهِ وَلَا يَمُوتُ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ لَا بِمَشِيئَةِ مَلِكٍ الْمَوْتِ لَا يَذَرِي مَتَى يَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَيْهِ؟

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

ذَكَرَ صَاحِبُ الرِّيَاضِ فِي ج ٢/ ١٦٥ مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«لَمَّا أُسْرِيَ بِي مَرَزْتُ بِمَلِكٍ جَالِسٍ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ نُورٍ وَاحْدَى رِجْلَيْهِ فِي الْمَشْرِقِ وَالْأُخْرَى فِي الْمَغْرِبِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ لَوْحٌ يَنْظُرُ فِيهِ وَالْدُّنْيَا كُلُّهَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَالْخَلْقُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ وَبِئْذِهِ تَبْلُغُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا عِزْرَائِيلُ تَقْدَّمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَتَقَدَّمْتُ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَحْمَدُ. مَا فَعَلَ ابْنُ عَمِّكَ عَلِيٌّ؟ فَقُلْتُ: وَهَلْ تَعْرِفُ ابْنَ عَمِّي. قَالَ: وَكَيْفَ لَا أَعْرِفُهُ وَقَدْ وَكَّلَنِي اللَّهُ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْخَلَائِقِ مَا خَلَا رُوحَكَ وَرُوحَ ابْنِ عَمِّكَ عَلِيٍّ بَنِ أَبِي طَالِبٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَتَوَقَّأُكُمَا بِمَشِيئَتِهِ».

أَقُولُ: وَهُوَ الْحَدِيثُ «١٩٥» فِي كِتَابِ فَضَائِلِ الْخَمْسَةِ فِي الصَّحَاحِ السَّتَةِ مِنَ الْجُزْءِ الثَّالِثِ/ ٧٤.

فَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «وَاللَّهِ مَا قَالَتْ وَلَكِنْ قَوْلَتْ»، أَيِ انْطَقَهَا اللَّهُ بِهَذَا الْكَلَامِ. وَهُوَ كَلَامٌ حَقٌّ وَفِيهِ دَمٌ وَتَكْفِيرٌ لِأَنَّ الذَّاهِبَ بِخَيْرِ شَيْءٍ إِنَّمَا هُوَ شَرِّرٌ. وَقَدْ قَالَتْ النَّادِبَةُ: «ذَهَبَ بِخَيْرِهَا». وَقَالَتْ: «نَجَا مِنْ شَرِّهَا» وَفِيهِ دَمٌ أَعْظَمُ لِأَنَّ الرُّسُلَ وَالْمُؤْمِنِينَ جَمِيعاً لَيْسُوا بِمَنْجَاةٍ مِنَ الشَّرِّ وَالْأَفْكَيفَ وَمَعَ مَنْ وَقَعَ صِرَاعُهُمْ إِذَنْ؟.. بَلِ الْأَشْرَارُ أَنْفُسُهُمْ لَيْسُوا بِمَنْجَاةٍ مِنْ شُرُورِهِمْ قَطُّ إِلَّا عُمَرُ انْفَرَدَ عَنِ الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ فِي أَنَّهُ بِمَنْجَاةٍ مِنْ شُرُورِ الدُّنْيَا.

فَيَا لِلْعَجَبِ مِنَ الْعُقُولِ الَّتِي لَا تَفْهَمُ هَذَا الْكَلَامَ، فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ إِلَّا إِذَا كَانَ هُوَ مَصْدَرُ الشَّرِّ كُلِّهَا. فَالْمَصْدَرُ بِالطَّبْعِ هُوَ الْوَحِيدُ بِمَنْجَاةٍ مِنْهَا لِأَنَّهُ هُوَ ذَاتُهُ شَرٌّ مَخْضُ.

وَأَمَّا قَوْلُهَا: أَمَاتَ الْفِتْنِ فَهُوَ خِلَافُ الْقَانُونِ الْإِلَهِيِّ، لِأَنَّ الْقَانُونَ الْإِلَهِيَّ هُوَ مَا فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ مَثَلًا:

﴿الْمَ ١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت: ١-٣].

فَمَاذَا فَعَلَ؟ وَمَاذَا قَالُوا حَتَّى أَمَاتَ الْفِتْنِ؟

لَا تَمُوتُ الْفِتْنُ حَتَّى يَقُولُوا: «كَفَرْنَا وَرَضِينَا بِالْكَفْرِ دِينًا وَبِالشَّيْطَانِ إِمَامًا وَقَائِدًا». وَعِنْدَ ذَلِكَ تَمُوتُ الْفِتْنُ!!

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ جَعْفَرَ الصَّادِقَ ﷺ يَظْلُمُ أُمَّةَ جَدِّهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَقَوْمَهُ حِينَمَا يَقُولُ: «كَفَرَ النَّاسُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا ثَلَاثَةً!!»

إِنَّهُ يَا قَوْمُ يَنْطِقُ عَنِ الْقُرْآنِ!

وَالْمَصِيبَةُ أَنْكُمْ لَا زِلْتُمْ تَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ!

فَالْوَيْلُ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الْقَرِيبِ!

وَأَمَّا قَوْلُ النَّادِيَةِ: «أَحْيَا السُّنَنَ» فَلَا أَحَدَ لَهُ الْحَقُّ فِي أَنْ يَزْعِمَ أَنَّ النَّادِيَةَ
تَغْنِي بِهَا سُنَنَ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَمَا لَا يَحَقُّ لِي أَنْ أَدْعِي أَنَّهَا تَغْنِي سُنَنَ الشَّيْطَانِ.
أَلَيْسَ هَذَا إِنْصَافٌ مِنِّي؟

لأنَّهَا تَرْكَنُهَا سَائِبَةً بِلَا إِضَافَةٍ وَلَا تَعْرِيفٍ.

إِذَنْ.. فَتَنْحُنُ مُتَقَبِّضُونَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّادِيَةَ قَالَتْ: «السُّنَنُ» وَهِيَ لَا تَغْنِي مَا
نَفَهُمُ مِنَ اللُّغَةِ إِلَّا «السُّنَنُ» مُطْلَقًا. وَالسُّنَنُ مُطْلَقًا هِيَ قَوَانِينُ الْحَرَكَةِ
الاجْتِمَاعِيَّةِ ذَاتِهَا، وَلِنَقُلْ إِنَّهَا السُّنَنُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقُرْآنِ:

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾
[آل عمران: ١٣٧].

لَقَدْ أَحْيَا هَذِهِ السُّنَنَ فَمَرَحَى لِعُمَرَا!

وَمَرَحَى.. لِلْمُؤْمِنِينَ بِعُمَرَا!

وَأَمَّا قَوْلُ النَّادِيَةِ: «خَرَجَ نَقِيَّ الثَّوْبِ، بَرِيئًا مِنَ الْعَيْبِ.. فَهَذَا هُوَ حَالُ
الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ يَغْوِي وَلَكِنْ لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِاخْتِيَارِ الْخَلْقِ وَلَا يَحْمِلُ فِي الْوَاقِعِ
ذُنُوبَهُمْ.

وَمَا هُوَ الْعَيْبُ فِي الشَّيْطَانِ يَا هَذَا؟!

لَأَنَّكَ لَوْ قُلْتَ هَذَا الْكَلَامَ عَنِ الْكَافِرِ فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ، وَلَا يَصِحُّ عَنِ الْمُشْرِكِ
أَيْضًا لِأَنَّ الْكُفْرَ وَالشُّرْكَ فِيهِمَا عَيْبٌ لَا تُنْكَرُ.

وَلَكِنْ مَاذَا تَقُولُ عَنِ الْعَيْبِ نَفْسِهِ الْمُجَسَّدِ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ؟

هَلْ تَقُولُ: إِنَّ فِي الْعَيْبِ عَيْبًا؟

لا يَجُوزُ طَبْعًا . . . وَيَجُوزُ أَنْ تَقُولَ : إِنَّهُ نَقِيٌّ نِقَاوَةً كَامِلَةً مِنْ حَيْثُ هُوَ عَيْبٌ كُلُّهُ . . .

إِذَا فَهَمْنَا كَلَامَ النَّادِيَةِ وَتَصَدِيقَ الْإِمَامِ عَلِيِّ لَهَا فَهَمْنَا كَلَامَهُ الَّذِي هُوَ أَكْثَرُ وَضُوحًا . وَأَعْنِي بِهِ قَوْلُهُ : «لِلَّهِ دَرُّ بِلَادِ فُلَانٍ . . . الخ» .

فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «فُلَانٌ» هُوَ قَوْلٌ مَقْصُودٌ أَرَادَ بِهِ الْإِشَارَةَ إِلَى اسْمِهِ فِي الْقُرْآنِ . وَلِذَلِكَ أَقْسَمَ أَنَّهَا مَا قَالَتْ وَلَكِنْ قَوْلَتْ وَنَطَقَ عَلَى لِسَانِهَا رُوحُ الْقُدُسِ . قَالَ تَعَالَى :

﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (٧٧) يَوَلَّتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) [الفرقان: ٢٧-٢٩] .

و «فُلَانٌ» إِسْمُهُ عِنْدَ النَّاسِ وَهُوَ نَفْسُهُ الشَّيْطَانُ . وَالظَّالِمُ هُنَا أَبُو بَكْرٍ يَنْدُمُ عَلَى اتِّخَاذِهِ الشَّيْطَانَ الْمَخْضُ خَلِيلًا .

وَالزَّعْمُ بِأَنَّ الظَّالِمَ هُوَ اسْمُ جَنْسٍ مُرَدُّودٌ ، بَلْ هُوَ كُفْرٌ بِالْقُرْآنِ ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ اسْمُ جَنْسٍ فَقَدْ شَمَلَ كُلَّ الظَّالِمِينَ ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ هُوَ ظَالِمٌ بِدَرَجَةٍ مَا . وَلَكِنَّ الظَّالِمَ الْحَقِيقِيَّ وَمُمَثِّلَ الظَّالِمِينَ وَاحِدٌ مَعْلُومٌ بِالِالتَّعْرِيفِ ، لِأَنَّ الْجَنْسَ الْكَامِلَ لِلظَّالِمِينَ مَذْكُورٌ فِي الْقُرْآنِ بِلَفْظِ الْجَمْعِ . فَإِنْ ادَّعَى الْمُدَّعِي أَنَّ الظَّالِمَ اسْمُ جَنْسٍ فَقَدْ ادَّعَى أَنْ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْمُفْرَدِ وَالْجَمْعِ فَيُخَالِفُ اللَّغَةَ وَالطَّبِيعَةَ وَيَتَّهِمُ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِ الْأَشْيَاءِ شَطَطًا تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلوًّا كَبِيرًا .

عَلَى أَنْ تَفْسِيرَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَنَّ «الظَّالِمَ» هُوَ أَبُو بَكْرٍ ، وَ «فُلَانٌ» هُوَ عُمَرُ الشَّيْطَانُ مُتَوَاتِرٌ عَنْهُمْ فِي عَشْرَاتِ الْأَخْبَارِ . فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ فَهَذَا كَلَامُ اللَّهِ ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَعْبُدَ الشَّيْطَانَ ف :

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦] .

إِنَّ كُلَّ الْأَلْفَاظِ فِي الْآيَةِ «آيَةُ الْفِرْقَانِ» هِيَ عَلَى الْأَفْرَادِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الظَّالِمَ نَادِمٌ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَّخِذْ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا فَهُوَ فِي عَصْرِ الرَّسُولِ وَاتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ فَلَانًا خَلِيلًا وَهُوَ شَخْصٌ وَاحِدٌ أَيْضًا، وَهُوَ مَعْلُومٌ وَيَعْرِفُهُ وَهُوَ قَرِينُهُ.

وَلَا نَعْلَمُ فِي الْمَلَّةِ رَجُلَيْنِ تَأَخَّيَا فِي كُلِّ حَالٍ وَاقْتَرَنَا فِي كُلِّ مَجَالٍ سِوَى الْأَرْبَعَةِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ مِنْ جِهَةٍ، وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

وَالْآيَةُ هِيَ فِي الَّذِي اتَّخَذَ مِنْ دُونِ الرَّسُولِ خَلِيلًا فَلَا تَصْدُقُ عَلَى أَيِّ اثْنَيْنِ فِي الْأُمَمِ كُلِّهَا وَالتَّارِيخِ كُلِّهِ إِلَّا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ حَتَّى أَنَّهُمَا سُمِّيَا بِاسْمِ وَاحِدٍ فَقِيلَ: الشَّيْخَانِ وَقِيلَ الْعُمَرَانِ: فَافْهَمَ وَتَأَمَّلْ.

ثُمَّ إِنَّ الْخِطَابَ لَهُمَا فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ مُسْتَمِرٌّ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى آخِرِهِ. ۱. فُكِّلَمَا وَرَدَ ﴿فَيَأْتِيءَ الْآيَةَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٢] كَانَا هُمَا الْمُخَاطَبَيْنِ (١).

وَيُخْمَلُ الْمُحَرِّفُونَ الْخِطَابَ عَلَى أَنَّهُ لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ. وَهَذِهِ فَرِيَةٌ مَكْشُوفَةٌ لِأَنَّ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ قَدْ وَرَدَا فِي نَفْسِ السُّورَةِ. إِذْ لَمَّا جَاءَ بِالْفِعْلِ جَاءَ بِهِ عَلَى الْجَمْعِ وَلَمْ يَأْتِ بِهِ عَلَى الْمُثْنَى لِأَنَّ الْمَعْشَرَ مَجْمُوعَةٌ وَالْمَعْشَرَ الْآخَرَ مَجْمُوعَةٌ فَأَصْبَحَ الْمَجْمُوعُ مَجْمُوعُ أَفْرَادٍ. وَلِذَلِكَ قَالَ: «إِنْ اسْتَطَعْتُمْ»، وَقَالَ: «تَنْفِذُوا» وَقَالَ: «فَانْفِذُوا» وَقَالَ: «لَا تَنْفِذُونَ»... وَكُلُّ هَذِهِ جُمُوعٌ. وَلَوْ كَانَا هُمَا الْمُرَادَ مِنَ الْمُثْنَى لَاسْتَمَرَ بِالْقَوْلِ: «إِنْ اسْتَطَعْتُمَا، وَأَنْفِذَا، وَلَا تَنْفِذَا... الخ». فَاَنْظُرْ:

(١) نَسْتَبِقُ فَنَلْفُتْ نَظَرَ الْقِرَاءِ الْكِرَامِ إِلَى أَنَّ الْمَرْحُومَ النَّبِيَّ إِذْ يَظْهَرُ هَذَا الْمَوْقِفُ مِنْ مَسْأَلَةِ تَحْرِيفِ النَّصِّ الْقِرَائِيِّ فَإِنَّهُ لَا يَوَافِقُ الْقَوْمَ عَلَى أَنَّ وَجُودَ التَّحْرِيفِ مُلَازِمٌ لِنَفْيِ الْحُجَّةِ عَنِ كِتَابِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ فَهُوَ قَدْ نَفَى التَّلَازِمَ بَيْنَ مَصْدَرِيَةِ النَّصِّ الْمُقَدَّسِ وَبَيْنَ عَدَمِ وَقُوعِ التَّحْرِيفِ فِيهِ وَهُوَ التَّلَازِمُ الَّذِي وَجَدَ الْمُنْظَرُونَ مُسْتَدَّةً الْأَسَاسِيَّ فِي آيَةِ الذِّكْرِ حَيْثُ فَسَّرُوهُمَا بِمَا يَفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ. وَقَدْ تَحَدَّثَ عَنْ قِضِيَةِ التَّحْرِيفِ بِتَفْصِيلٍ أَكْثَرَ فِي كِتَابِهِ الْآخِرِ «الْبَحْثُ الْأَصُولِيُّ بَيْنَ الْحُكْمِ الْعَقْلِيِّ لِلْإِنْسَانِ وَحُكْمِ الْقُرْآنِ»...

﴿يَمَسُّشَرِ الْيَمِينِ وَالْأَيْمَنِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].

وَكَانَ الْمُحَرِّفُونَ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ فَوَجَدُوا فِي السُّورَةِ آيَةً تَكْشِفُ الْأَمْرَ وَتَفْضُحُ الْقَضِيَّةَ كُلَّهَا وَهِيَ عَلَى نَسَقِ الْآيَاتِ كُلِّهَا فِي التَّشْنِيَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿يُعْرِفُ الْمَجْرِمُونَ بِسَمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].
وَقَوْلُهُ:

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيرٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤].

وَكُلُّ هَذِهِ مَدْعَاةٌ لِأَنْ يَسْأَلَ الْقَارِئُ: مَنْ هُمَا؟ فَيَنْكَشِفُ الْأَمْرُ، فَعَمَدُوا إِلَى تَحْوِيلِ الصَّيْغَةِ مِنَ الْمُشْنَى إِلَى الْجَمْعِ خِلَافًا لِكُلِّ آيَاتِ السُّورَةِ الْمُبَارَكَةِ وَجَعَلُوهَا «يُعْرِفُ الْمَجْرِمُونَ» و «يَطُوفُونَ» لِتَكُونَ عَامَّةً فِي كُلِّ الْكُفَّارِ.

فِي تَفْسِيرِ الْبُرْهَانِ بِسَنَدِهِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَأَخْرَجَ لِي مُصْحَفًا فَتَصَفَّحْتُ فِيهِ فَوَقَعَ بَصَرِي عَلَى مَوْضِعٍ مِنْهُ فَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ: (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبَان) يَغْنِي الْأَوَّلِينَ.

وَفِي بَصَائِرِ الدَّرَجَاتِ: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيرٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤] / البرهان/ ج ٢٧ / ٢٦٩ / ح ٦.

أَقُولُ: وَهَذَا هُوَ الْمُلَائِمُ لِلتَّشْنِيَةِ فِي كُلِّ آيَاتِ السُّورَةِ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْقُمِّي: ﴿سَنَفَرُكُمْ لَكُمْ آيَةُ الثَّقَلَيْنِ﴾ [الرحمن: ٣١] قَالَ عليه السلام:
«نَحْنُ وَالْقُرْآنُ أَلَمْ تَسْمَعْ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنِّي مُخَلَّفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابُ اللَّهِ وَعِترتي».

وَفِيهِ أَيْضًا: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧] قَالَ: السَّمَاءُ رَسُولُ اللَّهِ رَفَعَهُ إِلَيْهِ وَالْمِيزَانُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ نَصَبَهُ اللَّهُ لِخَلْقِهِ. قُلْتُ: ﴿أَلَا تَطْعَمُوا فِي

الْمِيْزَانَ ﴿الرَّحْمَنُ: ٨﴾ قَالَ: لَا تَعْصُوا الْإِمَامَ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ لَا تَبْخُسُوهُ حَقَّهُ وَلَا تَظْلِمُوهُ. قَالَ: قُلْتُ: ﴿فَيَأْتِيْءُ الْآلَءَ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ ﴿الرَّحْمَنُ: ١٣﴾ قَالَ: فِي الظَّاهِرِ مُحَاظَبَةُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَفِي الْبَاطِنِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ.
أَقُولُ: لَا يَقْصِدُ بِالظَّاهِرِ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ، بَلْ الظَّاهِرُ عِنْدَ النَّاسِ وَهُوَ غَيْرُ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ.

وفيه قَالَ فِي الْحَدِيثِ الثَّالِثِ: قَرَأَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبَانِ).

انْظُرْ هَذِهِ النُّصُوصَ وَغَيْرَهَا فِي تَفْسِيرِ الْبُرْهَانِ/ج ٢٧/ سُورَةُ الرَّحْمَنِ/ الْمَجْلَدُ/ ٤

وفِي كِتَابِ الْبُرْهَانِ: عَنِ الْبَاقِرِ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَلْتَمِئَنِي أُنْخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧] يَعْنِي عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

وفيه أَيْضًا: ﴿يَوَلِّئَنِي لَئِنْ لَمْ أُنْخَذْ فَلَنَا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٨] قَالَ: الْأَوَّلُ أَيُّ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ ذَلِكَ عَنِ الثَّانِي «أَيُّ عُمَرَا».

وفِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ آخَرٍ قَالَ:

«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ تَلَاعَنَّا فِي دَوْرِهِمَا وَتَبَرَّأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ يَقُولُ لِقَرِينِهِ إِذَا التَّقَيَّا: ﴿يَلْتَمِئَتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨] فَيَجِيبُهُ الْأَوَّلُ: ﴿يَوَلِّئَنِي لَئِنْ لَمْ أُنْخَذْ فَلَنَا خَلِيلًا﴾ ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٨-٢٩].

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ: خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ مِنْ وِفَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَعَ الْأَوْهَامَ أَنْ تَنَالَ وجودَهُ وَحَجَبَ الْعُقُولَ أَنْ تَتَخَيَّلَ ذَاتَهُ. . . وَسَأَى الْخُطْبَةَ وَهِيَ طَوِيلَةٌ

وَلَيْسَتْ فِي النَّهْجِ وَلَا فِي الْمُسْتَذْرَكِ عَلَى النَّهْجِ وَهِيَ بَرَايَةُ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَجَاءَتْ فِيهَا الْفَقْرَةُ أَعْلَاهُ وَمِنْهَا أَيْضًا :

«أَنَا وَاللَّهُ الذِّكْرُ الَّذِي ضَلَّ عَنْهُ وَالسَّبِيلُ الَّذِي عَنْهُ مَالٌ وَالْإِيمَانُ الَّذِي بِهِ كَفَرُ
وَالْقُرْآنُ الَّذِي لِيَأْهُ هَجَرَ وَالَّذِينَ الَّذِي بِهِ كَذَبَ وَالصِّرَاطُ الَّذِي عَنْهُ نَكَبَ وَلَيْتَن
رَعَمَا فِي الْحَطَامِ الْمُنْصَرِمِ وَالْعُرُورِ الْمُنْقَطِعِ وَكَأَنَّا عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ لَهَا
عَلَيَّ شُرٌّ وَرُودٍ فِي أَخْبَبٍ وَفُودٍ وَأَلَعَنِي مُرُودٌ يَتَصَارَخَانِ بِاللَّعْنَةِ، وَيَتَنَاقَعَانِ
بِالْحُسْرَةِ، مَا لَهَا مِنْ رَاحَةٍ وَلَا عَنْ عَذَابِهَا مِنْ مَنُودَةٍ، إِنَّهُمَا لَا زَالَا عِبَادَ
أَضْنَامٍ وَسَدَنَةٍ أَوْثَانٍ يُقِيمُونَ لَهَا الْمَنَاسِكَ وَيُنْصِبُونَ لَهَا الْعَتَائِرَ وَيَتَّخِذُونَ لَهَا
الْقُرْبَانَ وَيَجْعَلُونَ لَهَا الْبَحِيرَةَ وَالسَّائِيَةَ وَالْوَصِيلَةَ وَالْحَامَ وَيَسْتَفْسِمُونَ بِالْأَزْلَامِ
عَاقِبِينَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ ذِكْرُهُ، جَائِزِينَ عَنِ الرَّشَادِ، مُهْطِعِينَ إِلَى الْعِنَادِ قَدْ
اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ وَغَمَرَتْهُمْ سَوْدَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ وَرَضَعُوها جَهَالَةً وَانْتَضَمُوهَا
ضَلَالَةً... إِلَى آخِرِ الْخُطْبَةِ.

أَقُولُ: هَذِهِ الْأَفْكَارُ هِيَ ثَوَابِتُ الْإِتِّجَاهِ الْإِمَامِيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِالنَّصِّ
وَالرَّوَيْيَةِ، إِذْ يَسْتَحِيلُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْإِيمَانِ بِالْإِمَامَةِ الْمَنْصُوصَةِ وَصِحَّةِ الْإِعْتِقَادِ
بِأُتَمَّةِ آخَرِينَ...

أَمَّا التَّحَوُّلَاتُ الْمَوْجُودَةُ فِي طَوَائِفَ وَتَبَارَاتٍ ضِمْنَ الْإِتِّجَاهِ الْإِمَامِيِّ فَهِيَ
تَحَوُّلَاتٌ نِفَاقِيَّةٌ أَوْ وَفَاقِيَّةٌ لَا صِلَةَ لَهَا بِالثَّوَابِتِ الْإِمَامِيَّةِ. فَالْمُجَامَلَاتُ شَيْءٌ
وَالْتَقْيَةُ شَيْءٌ آخَرُ. فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ التَّقْيَةَ تُبِيحُ لَهُ تَغْيِيرَ الثَّوَابِتِ أَوْ ادِّعَاءَ سِوَاهَا فَهُوَ
كَافِرٌ.

إِنَّمَا التَّقْيَةُ هِيَ تَصَرُّفٌ فَرْدِيٌّ فَقَطْ كَأَن يَقُولُ الْخَائِفُ: أَنَا لَسْتُ إِمَامِيًّا وَلَا
أَقُولُ بِهَذَا الْقَوْلِ.

أَمَّا أَنْ يَكْذِبَ عَلَى الْأُتَمَّةِ وَيَقُولَ إِنَّ مِنْ قَوْلِهِمْ كَذَا وَكَذَا وَهُوَ لَيْسَ مِنْ
قَوْلِهِمْ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

نعم . . في عصر الأئمة عليهم السلام كان يمكن بإذن من الإمام نفسه أن يقول ما يأمره الإمام بقوله، فإنهم عليهم السلام يقولون ولكن لا يكذبون قط.

فمن يفهم يفهم ومن لا يفهم لا يفهم!

فكانوا يمنعون عن أنفسهم الخطر بقول هو عينه الحق ولكن بطرائق وألفاظ يعمى عنها الخصم يحسبها له وهي عليه كقول علي عليه السلام في تأييد عمر: «عليك رحمة الله»: !.

نعم . . إنها عليه لا له وما هي إذن إلا لعنة، لأنه منع رحمة الله مع جنوده من الانتشار في المعصورة.

فقوله عليه السلام: «لله در بلاد فلان»، فقد علمت لماذا قال «فلان» ولم يسمه باسمه. فهذا وحده فيه ما فيه من الإشارة إلى فلان الذي أضل قريته والمذكور في كتاب الله.

وقوله: «بلاد» . . لم يقل «بلد» للاختلاف بينهما في القرآن. فالبلد واحد دوماً وهو «البلد الأمين» الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ﴾ [التين: ٣]، وقوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١].

أما البلاد فهو تعبير عن دولة الطاغوت. قال تعالى:

﴿مَا يُجَدِّلُ فِيْءِ إِيْدَتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ [غافر: ٤].

والجَمْع «بلاد» دليل على الفرقة لأن الفاروق جعله بلاداً لا بلداً واحداً، وبفضله تم زرع بذور الفتنة. ولذلك قال عليه السلام بعدها: «خلف الفتنة»، فهي من تركه في البلاد.

وقوله عليه السلام: «قوم الأود ودأوى العمدة» من غير إضافات معلوم مراده، لأن هذا هو حال النفاق. فهو عندهم كذلك، ولكن الإمام صادق فهو يحدث عن نفسه لا عن غيره.

وَأَذُنْ فَلَا أَوْذُ وَالْعَمْدُ هُوَ أَوْذُهُمْ وَعَمْدُهُمْ، وَلِذَلِكَ تَرَكَ إِصَافَتُهُ فَلَمْ يَقُلْ: أَوْذُ الدِّينِ أَوْ الْإِسْلَامِ مَثَلًا وَلَا قَالَ: عَمْدُ الْمَلَّةِ أَوْ غَيْرِهَا. . . وَأَعْقَبَ ذَلِكَ بِالْقَوْلِ: «وَأَقَامَ السُّنَّةَ. . .» حَيْثُ تَرَكَهَا عَامَّةً وَهِيَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الدِّينِ خَلَوَ مِنْ قَبْلُ، لِأَنَّكَ لَوْ رَاجَعْتَ أَقْوَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السُّنَّةِ وَجَدْتَهَا جَمِيعًا يُضِيفُ فِيهَا لَفْظَ «السُّنَّةِ» إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُ: وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ أَوْ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ مِنَ الْفَقْرَةِ «٢٦٦» مِنْ جُزْءِ «٤» مِنْ شَرْحِ النَّهْجِ:

«.. وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَا تُضْيَعُوا سُنَّتَهُ أَقِيمُوا هَذِينَ

الْعُمُودِينَ. . .».

فَلَمَّا تَرَكَ الْإِصَافَةَ فَقَالَ: «أَقَامَ السُّنَّةَ» فَقَدْ أَقَامَ السُّنَّةَ فِعْلًا!

أَوَلَيْسَتْ السُّنَّةُ وَاقِعَةً عَلَى الْفِتْنَةِ وَالْفِتْنَةُ مِنَ السُّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ؟

وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْدَهَا مُبَاشَرَةً: «وَحَلَفَ الْفِتْنَةُ». وفيها إشارة إلى واحدةٍ مِنْ «مَنَاقِبِ عُمَرَ» ذَكَرَهَا الْحَفَاطُ عَلَى أَنَّهَا مَنْقَبَةٌ قَالَهَا فِيهِ صَاحِبُ الرِّسَالَةِ ﷺ وَهِيَ قَوْلُهُ لِعُمَرَ: «هَذَا غَلَقُ الْفِتْنَةِ» - ذَكَرَهُ السِّيُوطِيُّ فِي التَّارِيخِ. وَفِي لَفْظِ آخَرَ: «إِذَا ذَهَبَ هَذَا خَرَجَتِ الْفِتْنَةُ إِنَّ هَذَا غَلَقُ الْفِتْنَةِ» وَيُشِيرُ فِيهِ إِلَى عُمَرَ.

فَالنَّاسُ لِجَهْلِهِمْ ظَنُّوا أَنَّ الْفِتْنَةَ جَاءَتْ بِسَبَبِ عُثْمَانَ حَتَّى أَنْ بَغَضَ أَرْبَابُ الْكَلَامِ وَرُعَمَاءُ الْمَلَلِ وَجَّهُوا كَلَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْفِتْنَةِ إِلَى عُثْمَانَ جَهْلًا مِنْهُمْ أَوْ تَعَصُّبًا لِعُمَرَ وَأَبِي بَكْرٍ أَوْ عِبَادَةً لِأَفْكَارِ مَذَاهِبِهِمُ الَّتِي عَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ. وَلَكِي تَفْهَمَ هَذَا الْأَمْرَ بِجَلَاءٍ تَامٍ سَوْفَ أَذْكَرُ لَكَ مِثَالًا عَنْهُ مِنْ كَلَامِ رَئِيسِ مِنْ رُؤَسَاءِ الْإِعْتِزَالِ هُوَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي شَرْحِهِ لِفَقْرَةٍ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَتَرَى بِنَفْسِكَ: هَلْ يَعْبُدُ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ الرَّبَّ الَّذِي تَحَدَّثَ عَنْهُ مُحَمَّدٌ ﷺ أَمْ يَعْبُدُ شَيْخَهُ وَاصِلَ بْنَ عَطَاءٍ؟

هَذِهِ الْفَقْرَةُ مِنْ هِيَ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْخُطْبَةِ الْأُولَى بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ حَيْثُ قَالَ بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَاةِ:

«قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ وَلَمَعَ لَامِعٌ وَلاَحَ لَائِحٌ وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ وَاسْتَبَدَلَ اللهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا وَيَوْمٍ يَوْمًا وَانْتَظَرْنَا الْغَيْرَ انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرِ. وَإِنَّمَا الْأُئِمَّةُ قُومًا اللهُ عَلَى خَلْقِهِ وَعُرْفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ».

نهج البلاغة/ الخطبة ١٥٢ / ج ٣ / ٢٣٨

قَالَ الشَّارِحُ: «قَوْلُهُ انْتَظَرْنَا الْغَيْرَ انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرِ: هَذَا الْكَلَامُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَتَرَبَّصُ بِعُثْمَانَ الدَّوَائِرَ وَيَرْتَقِبُ حُلُولَ الْخُطُوبِ بِسَاحَتِهِ».

وَرَأَى الشَّارِحُ يُحَاوِلُ الْإِجَابَةَ عَلَى هَذَا الْإِسْكَالِ وَتَنَاقُضِهِ مَعَ الْوَاقِعِ التَّارِيخِيِّ الَّذِي دَافَعَ فِيهِ عَلِيُّ عليه السلام عَنْ عُثْمَانَ مَرَارًا وَمَنَعَ مِنْهُ الثَّوَارَ.

وَذَلِكَ أَنَّ الشَّارِحَ ظَنَّ أَنَّ أَوَّلَ الْكَلَامِ: «طَلَعَ طَالِعٌ وَلَمَعَ لَامِعٌ وَلاَحَ لَائِحٌ وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ» - هُوَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَقَالَ: «هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ مِنَ الْاِعْوَجَاجِ أَوْ آخِرِ أَيَّامِ عُثْمَانَ، وَاسْتَبَدَلَ اللهُ بِعُثْمَانَ وَشِيعَتِهِ عَلِيًّا وَشِيعَتَهُ فَلِذَلِكَ قَالَ عليه السلام: اسْتَبَدَلَ اللهُ بِيَوْمٍ يَوْمًا وَبِقَوْمٍ قَوْمًا».

أَقُولُ: كُلُّ ذَلِكَ يَزْعُمُهُ الشَّارِحُ مِنْ أَجْلِ الْإِنْقَاءِ عَلَى صِحَّةِ خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، بَلْ وَالشُّطْرِ الْأَوَّلِ مِنْ خِلَافَةِ عُثْمَانَ مَعَ أَنَّ النِّصْرَ لَا يُشِيرُ مِنْ قَرِيبٍ وَلَا مِنْ بَعِيدٍ إِلَى آيَةٍ فَتْرَةٍ مُحَدَّدَةٍ، بَلْ هُوَ عَامٌّ، بَلْ هُوَ لَوْ تَمَعَّنْتَ يُشِيرُ إِلَى «طَالِعٍ وَلاَحٍ وَلَامِعٍ» كَانَ مُخْتَفِيًا طَوَالَ الْوَقْتِ. وَبِالتَّالِي فَإِنَّ «الْمَائِلَ وَالْيَوْمَ وَالْقَوْمَ الْمَبْدَلِينَ» هُمْ كُلُّ الَّذِينَ سَبَقُوهُ فَانْتَبَهَ.

وَلِذَلِكَ قَالَ إِنَّ مَعْرِفَةَ الْإِمَامِ الْمَفْرُوضِ الطَّاعَةِ وَاجِبَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِ وَإِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا إِذَا عَرَفَ أُئِمَّةَ الْحَقِّ وَعُرَفَاءَ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ وَمَنْ أَنْكَرَهُمْ دَخَلَ النَّارَ.

بَلْ حَصَرَ الدُّخُولَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ بِمَعْرِفَتِهِمْ أَوْ إِنكَارِهِمْ عَلَى التَّرْتِيبِ بِأَدَاةٍ

الْحَضِرِ فَقَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ» وَقَالَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ».

قَالَ الشَّارِحُ: «هَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْيَمِهِمْ فَمَنْ أُوْقَ كُتِبَ لَهُ يَمِينُهُ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١].

فَقَدْ قَالَ الْمَفْسُورُونَ: يُنَادَى فِي الْمَوْقِفِ يَا أَتْبَاعَ فُلَانٍ وَا أَصْحَابَ فُلَانٍ. فَيُنَادَى كُلُّ قَوْمٍ بِاسْمِ إِمَامِهِمْ وَيَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ عَارِفًا بِإِمَامِهِ».

ثُمَّ قَالَ: «وَأَصْحَابُنَا كَأَفَّةٍ قَاتِلُونَ بِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ وَصِحَّتْهَا وَهِيَ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ الْأَئِمَّةَ. أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: الْأَئِمَّةُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ وَيَعُدُّونَهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا. فَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا لَا يَقُولُ ذَلِكَ لَكَانَ عِنْدَهُمْ فَاسِقًا وَالْفَاسِقُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عِنْدَهُمْ أَبَدًا. وَجَاءَ فِي الْخَبَرِ الْمَرْفُوعِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: مَنْ مَاتَ بِغَيْرِ إِمَامٍ مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً». . . انتهى الْمَقْصُودُ مِنْ كَلَامِهِ.

أَقُولُ: انْظُرْ إِلَى غَرَابَةِ هَذَا التَّفْسِيرِ فَكَأَنَّهُ يُزْعَمُ أَنَّ مَنْ عَرَفَ الْإِمَامَ الْمُتَنَحِّبَ دَخَلَ الْجَنَّةَ!

وَبِالطَّبَعِ فَكُلُّ الْخَلْقِ يَعْلَمُونَ الْإِمَامَ بَعْدَ اخْتِيَابِهِ فَهَلْ يَدْخُلُ الْجَمِيعُ إِلَى الْجَنَّةِ؟

أَمِ الْمَقْصُودُ مِنْ كَلَامِهِ ﷺ أَنَّ الْوَاجِبَ مَعْرِفَةُ الْإِمَامِ الْحَقِّ سَوَاءً انْتَخَبَهُ النَّاسُ أَمْ لَمْ يَفْعَلُوا؟ . .

فَيَا لِعَبَاءِ الْعُقُولِ إِذَا عَمِيَتِ الْقُلُوبُ!

إِنْ هَذَا الشَّارِحُ يُرِيدُ إِرْضَاءَ نَفْسِهِ وَالْمُطَابَقَةَ مَعَ مَذْهَبِهِ فِي الْاِعْتِزَالِ، لِأَنَّهُ قَالَ: «وَأِنْ قُلْنَا غَيْرَ ذَلِكَ فَهُوَ عَيْنُ قَوْلِ الشَّيْعَةِ!». .

إِذَنْ فَلْيُخَالِفِ الْمَنْطِقَ وَلْيَكْذِبْ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَلْيُسَوِّفْ وَيُزَوِّرِ الْأَقْوَالَ حَتَّى لَا يُطَابِقُ كَلَامُ الْإِمَامِ آرَاءَ الشَّيْعَةِ!!

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ».. فَهُوَ أَوْضَحُ وَبَيِّنَاتٌ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّارِحُ، وَلِذَلِكَ تَوَرَّطَ فِيهِ فَقَالَ: «وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ الْقَوْلِ إِشْكَالٌ عِنْدَ أَصْحَابِنَا وَلَكِنْ الْإِشْكَالُ فِي قَوْلِهِ «وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ»!

وَزَعَمَ أَنَّ إِنْكَارَهُمْ لَهُ وَإِنْكَارَهُ لَهُمْ يَتِمُّ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمْ وَادَّعَى أَنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ هُوَ الْوَحِيدُ الْمُمْكِنُ لِلْحِفَاطِ عَلَى رَأْيِ السَّلَفِ فِي صِحَّةِ خِلَافَةِ الصِّدِّيقِ وَالْفَارُوقِ!

أَلَا تَعْجَبُ أَخِي الْقَارِئُ مِنْ تَزْوِيرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَكَذِبِهَا عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟

وَصَاحِبُ هَذَا الْقَوْلِ هُوَ نَفْسُهُ صَاحِبُ الشَّعْرِ الْمَارِّ ذِكْرُهُ أَنْفًا وَالَّذِي عَدَدَ فِيهِ مَثَالِبَ أَبِي بَكْرٍ وَمَنَاقِبَ عَلِيٍّ.
فَمَاذَا تُسَمِّي هَؤُلَاءِ؟..

جَهْلَةً أَمْ مُنَافِقِينَ أَمْ عُثْمَانَ أَمْ أَغْيِيَاءَ أَمْ هُوَ قَوْمٌ تُحَرِّكُهُمُ الْأَهْوَاءُ وَالانْتِمَاءَاتُ الْقَبْلِيَّةُ أَمْ هُمْ قَوْمٌ وَلَعُوا بِالْخَلْطِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؟
وَهَلْ تَخْسِبُ أَنَّ الْآخِرِينَ أَقَلُّ إِمْعَانًا فِي هَذَا الْخَلْطِ مِنْ أَبِي الْحَدِيدِ ذِي الْعَقْلِ الْبَلِيدِ!!؟

وَأَعُودُ إِلَى الْأَضَلِّ:

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَصَابَ خَيْرَهَا وَسَبَقَ شَرُّهَا».. فَالضَّمَاثِرُ تَعُودُ إِلَى الْوَلَايَةِ، حَيْثُ أَصَابَ مِنْهَا الْخَيْرَ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْبَشِيرُ النَّذِيرُ وَسَبَقَ الشَّرُّ الَّذِي

قَامَ هُوَ بِتَأْسِيسِ أَرْكَانِهِ وَيُفَسِّرُهُ قَوْلُهُ اللَّاحِقُ وَهُوَ: «أَدَّى إِلَى اللَّهِ طَاعَتُهُ وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ».

فَيَا لَهَا مِنْ كَلِمَةٍ جَامِعَةٍ تَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى أَنَّهُ أَكْفَرُ خَلْقِ اللَّهِ فِي التَّارِيخِ، لِأَنَّهُ لَمْ يُؤَدِّ إِلَى اللَّهِ الطَّاعَةَ - طَاعَةَ نَفْسِهِ، بَلْ أَدَّى إِلَى اللَّهِ طَاعَةَ اللَّهِ، وَلَمْ يَتَّقِ اللَّهَ بِحَقِّ نَفْسِهِ، بَلْ بِحَقِّ اللَّهِ ذَاتِهِ وَهَذَا مُنْتَهَى الطُّغْيَانِ وَالْكُفْرِ.

فَعَجَبًا لِمُحَمَّدَ عَبْدَهُ وَابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ، بَلْ عَجَبًا لَأَسَاطِينِ الشَّيْعَةِ وَهُمْ يُفَسِّرُونَ كَلَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِغَيْرِ مُرَادِهِ، بَلْ بِخِلَافِ مُرَادِهِ وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَيُعْظَمُونَ قَدْرَهُ!

ثُمَّ يَأْتِي هَذَا الْكَاتِبُ الْكَاذِبُ وَالْمُلَفَّقُ النَّاصِبُ فَيَأْخُذُ أَقْوَالَهُمْ وَيَدَّعِي التَّجْدِيدَ فِي التَّنْظِيرِ لِلشُّورَى وَمِنْ كَلَامِ عَدُوِّ الشُّورَى اللَّدُّودِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ!

وَمَا عِشْتَ أَرَاكَ الدَّهْرُ عَجَبًا!

فَانْظُرْ إِلَى تَخْرِيجِ مِثْمَ الْبَحْرَانِي الَّذِي هُوَ أَعْجَبُ!

بلى... إِنَّ الْأَمَرَ لَكَمَا قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«الْعِلْمُ عِلْمَانِ: مَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ وَلَا يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ».

النهج/الفقرة ٢٧٨/ج ٥/٥٧٧

إِنَّهُمْ عُلَمَاءٌ يَبْدَأُ عَنْهُمْ عُلَمَاءُ عِلْمِ مَسْمُوعٍ وَلَيْسَ عَنْدهُمْ ذَرَّةٌ مِنَ الْعِلْمِ الْمَطْبُوعِ، بَلْ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ.

ثُمَّ خَتَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَامَهُ بِالْقَوْلِ: «فَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ لَا يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ وَلَا يَسْتَقِينُ الْمُهْتَدِي».

وَهَذَا مُنْتَهَى الدِّمِّ وَهُوَ وَاضِحٌ جَدًّا إِلَى حَدِّ يَسْتَحِيلُ مَعَهُ إِمْكَانُ تَأْوِيلِهِ لِيُطَابِقَ مَا زَعَمُوهُ مِنَ الْمَدِيحِ فِي مَا سَبَقَهُ مِنْ كَلَامٍ.

والله لا أَسْتَحِي أَبَدًا أَنْ أَصِفَ الشَّرَّاحَ بِوَاحِدَةٍ: إِمَّا التَّفَاقُ وَإِمَّا الْعَبَاءُ وَأَلَّا
فَلَنْ أَقْبَلَ بِأَنْ أَكُونَ مِثْلَهُمْ فَأَكْذِبَ حَتَّى لَوْ كُنْتُ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْمَلَّةِ وَلَا شَأْنَ لِي
بِصَرَاعِ الْقَوْمِ...

فَكَيْفَ وَأَنَا أَتَشَرَّفُ بِالانتِسَابِ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ وَهَوَايَ أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ عَلَيَّ
بِالرِّضَا وَالْغُفْرَانِ؟

لِنَرْجِعَ إِلَى الْأَصْلِ فِي الْفَقْرَةِ «ت» - الْأَمْرُ السَّادِسُ.

الضَّفَّةُ السَّادِسَةُ:

قَوْلُهُ ﷺ فِي وَضْفِ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ: «وَاسْتَرْعَاهُمْ عِبَادَهُ...» .
مَعْلُومٌ أَنَّ اللَّفْظَ هُنَا مَقْصُودٌ أَيْ جَعَلَ الْعِبَادَ هُمُ الرِّعِيَّةَ وَأَهْلَ الْبَيْتِ هُمُ
الرُّعَاةُ لُطْفًا بِالْعِبَادِ وَتَحَنُّنًا مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ. وَلَكِنْ لَا تَحْسَبِ أَنَّ الْعِبَادَ هُمُ كُلُّ
الْخَلْقِ، بَلْ مَنْ أَرَادَ الدُّخُولَ فِي طَاعَتِهِمْ فَهُوَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَإِلَّا فَهُوَ مِنْ عِبَادِ
الشَّيْطَانِ، وَيُثْبِتُ هَذَا الْفَرْقَ فِي الْقُرْآنِ بَيْنَ الْعَبِيدِ وَالْعِبَادِ فَتَدَبَّرْ.

الضَّفَّةُ السَّابِعَةُ:

قَوْلُهُ ﷺ: «وَجَعَلَهُمْ طَيِّبِينَ...» .
وَمَرْجِعُ هَذَا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ... إِنَّ فِعْلَهُمْ هُوَ الطَّيِّبَاتُ فَقَطْ. وَلَوْ تَدَبَّرْتَ
الْقُرْآنَ لَوَجَدْتَ الْآيَاتِ الْمَذْكُورِ فِيهَا هَذَا اللَّفْظَ كُلَّهَا فِيهِمْ ﷺ.

الضَّفَّةُ الثَّامِنَةُ:

قَوْلُهُ ﷺ: «أَوْجَبَ عَلَى النَّاسِ حَقُّهُمْ...» .
ذَلِكَ أَنَّ الْحُجَّةَ لَيْسَتْ قَائِمَةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً وَلَا التَّابِعِينَ لِخَاتَمِ النَّبِيِّينَ
تَحْدِيدًا، بَلْ عَلَى كُلِّ الْخَلْقِ. وَلِذَلِكَ قَالَ «النَّاسَ» وَلَمْ يَقُلْ «أَهْلَ الْإِسْلَامِ» أَوْ
«الْمَلَّةَ» أَوْ «الْعَرَبَ»... الخ. وَهَذَا الْوُجُوبُ فِي الْحَقِّ لَا مُبَرَّرَ لَهُ، بَلْ مُحَالٌ لَوْ
كَانَ الْأَمْرُ شُورَى.

وَلَكِنْ قَدْ يَقُولُ الْقَائِلُ: فَكَيْفَ جَمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ بَيْنَ قُبُولِ قَوْلِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الشَّرَائِعِ وَسِوَاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَرَفَضُوا أَقْوَالَهُ هَذِهِ؟

أَقُولُ: مَاذَا تَعْنِي بِأَهْلِ السُّنَّةِ؟

أَوَلَا تَذَرِي أَنَّ «أَهْلَ السُّنَّةِ» هُوَ لَفْظٌ مُوَهِّمٌ جِدًّا . . فَإِنِّي وَجَدْتُ بَعْضَهُمْ يَتَشَبَّهُ سِرًّا، وَبَعْضُهُمْ يَدْعُو لِلتَّشْبِيهِ بِطَرِيقَتِهِ الْخَاصَّةِ وَإِنْ كَانَتْ عَجِيبَةً تَدُلُّ عَلَى الْخَوْفِ وَالْجُبْنِ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ، وَبَعْضُهُمْ ضَالًّا مُتَحَيِّرًا لَا يَذَرِي، وَبَعْضُهُمْ رَاضٍ بِمَا عِنْدَهُ وَلَا يُرِيدُ مَعْرِفَةَ الْمَزِيدِ وَلَا التَّحْقِيقَ فِيمَا عِنْدَهُ، وَبَعْضُهُمْ عَابِدٌ صَنِيمٌ، وَبَعْضُهُمْ مُنَاصِبًا الْعَدَاوَةَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ، وَبَعْضُهُمْ أَهْلُ شِقَاقٍ وَنِفَاقٍ .
وَعِنْدِي: لَيْسَ هُنَاكَ شَيْعَةٌ وَسُنَّةٌ حَقًّا، بَلْ هُنَاكَ دَرَجَاتٌ مِنَ الْإِيمَانِ وَدَرَجَاتٌ مِنَ الْكُفْرِ، وَهِيَ مَبْنُوثةٌ عِنْدَ كُلِّ الطَّوَائِفِ .

فَهَلْ تَقْدِرُ أَيُّهَا الْمُعْتَرِضُ أَنْ تَصَوِّغَ لِي نَظْرِيَّةً مُتَكَامِلَةً وَاحِدَةً لَا خِلَافَ فِيهَا فِي آيَةِ مَسْأَلَةٍ مِنْ مَسَائِلِ الدِّينِ وَتَقُولَ: «هَذِهِ هِيَ نَظْرِيَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ»؟

لا . . وَرَبِّكَ لَا تَسْتَطِيعُ!

فَإِذَا لَمْ تَخُنْكَ الْفِتْنَاتُ فِي هَذَا الزَّمَانِ خَانَكَ التَّارِيخُ . رَبَّمَا يَكُونُ عَدَدُ الْمَذَاهِبِ الْفِعْلِيَّةِ بَعْدَ الْخَلْقِ! وَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا بِعَدَدِ كُلِّ نَاعِيٍّ لَهُ فِتْنَةٌ تَابِعَةٌ! .

نَعَمْ . . إِنَّ الَّذِينَ يَجْمَعُونَ حُبَّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مَعَ حُبِّ أَعْدَائِهِ وَيَخْتَارُونَ مِنْ كَلَامِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ - إِذَا أَعْجَبَهُمْ قَالُوا: مَا أَحْسَنَهُ، وَإِذَا لَمْ يُعْجِبْهُمْ قَالُوا: هَذَا لَيْسَ مِنْ كَلَامِهِ - لَا يَخْتَلِفُونَ بِشَيْءٍ عَنْ كُلِّ الَّذِينَ قَالُوا لِلرُّسُلِ حِينَمَا لَمْ تُعْجِبْهُمْ دَعْوَتُهُمْ: هَذَا لَيْسَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُرْسِلْكُمْ وَأَنْتُمْ تَكْذِبُونَ!

لَيْسَتْ هُنَاكَ آيَةٌ مُشْكِلَةٌ فِي الدِّينِ!

المُسْكِلَةُ فِي النُّفُوسِ الَّتِي كُلُّ مِنْهَا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ!
هُنَاكَ سَيَتَلَى الْخَلْقُ وَهُنَاكَ تَتَكَشَّفُ النَّوَايَا . . أَمَّا الْآنَ فَاعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ
خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ.

الضَّفَّةُ التَّاسِعَةُ:

قَوْلُهُ ﷺ: «أَوْجَبَ مَوَدَّتَهُمْ».

لَقَدْ قُلْتُ سَابِقًا: إِنَّ وَجُوبَ مَوَدَّةِ قَوْمٍ يَجِبُ التَّوَقُّفُ عِنْدَهُ وَالتَّفَكُّيرُ فِي سَبَبِهِ .
فَإِنَّ هَذَا الْوَجُوبَ مِنْ أَضْعَابِ التَّكَالِيفِ، بَلْ هُوَ عِنْدِي أَضْعَبُ تَكْلِيفٍ شَرْعِيٍّ
نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مُطْلَقًا. ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَقْدُورِ الْمَرْءِ أَنْ يُحِبَّ وَأَنْ يَكْرَهُ كَمَا
يَشَاءُ. فَالْحُبُّ وَالْكُرْهُ هُمَا مِنَ الْمَشَاعِيرِ الْإِرَادِيَّةِ.

وَمُحَالٌّ أَنْ يَأْمُرَ اللَّهُ بِمَوَدَّةٍ كَائِنْ يُمْكِنُ أَنْ يَخْطِئَ وَلَوْ بِالنَّظَرَةِ أَوْ الْخَلْجَةِ،
لَأَنَّهَُا مَدْعَاةٌ لِلْبُغْضِ، فَلَوْ قَطَّبَ شَخْصٌ بِوَجْهِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُونِي لِبُغْضِهِ بِدَرَجَةٍ
مَا!

فَكَيْفَ يَأْمُرُ اللَّهُ الْخَلْقَ أَنْ يُحِبُّوا شَخْصًا مَا مِنْ بَنِي الْبَشَرِ؟
هَذَا مُحَالٌّ . . اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ هَذَا الشَّخْصُ يُحِبُّهُ اللَّهُ جِدًّا وَتُحِبُّهُ الْمَلَائِكَةُ
وَلَا يَظْلِمُ مِقْدَارَ ذَرَّةٍ وَلَا يُحْتَمَلُ مِنْهُ أَنْ يَقْطَبَ حَاجِبُهُ فِي يَوْمٍ مَا إِلَّا بِالْحَقِّ
وَاللَّحَقِّ! بَحِيثٌ إِنَّ الْمُبْغِضَ لَهُ ظَالِمٌ وَالْمُحِبَّ لَهُ عَادِلٌ وَمُحِبٌّ لِلَّهِ وَلِلْحَقِّ.

يَا قَوْمُ إِنَّكُمْ تَبْحَثُونَ عَنْ دَلِيلٍ عَلَى الْعِصْمَةِ!

سُبْحَانَ اللَّهِ!

إِنَّ دَلَائِلَ الْعِصْمَةِ بِعَدَدِ الشَّجَرِ وَالْحَصَى وَالْمَدَرِ وَلَكِنَّكُمْ عُمِيَانُ . . فَإِنَّ آيَةَ
الْمَوَدَّةِ وَخُذَهَا دَلِيلُ الْعِصْمَةِ!

دَعُوا هَذَا جَانِبًا!

فإني اتحدّاكم أمّامَ كُلِّ أُمَمٍ الْعَالَمِ أَنْ تَأْتُونِي بِفِعْلٍ وَاحِدٍ لِرَسُولِ اللَّهِ أَوْ عَلَيِّ
 بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِيهِ خَطَأٌ مَا وَلِيكَونَ كِتَابُ اللَّهِ هُوَ الْحَكْمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ .
 وَفِي عَيْنِ الْوَقْتِ اتحدّاكم أَنْ تَأْتُونِي بِعَمَلٍ وَاحِدٍ لِلثَّلَاثَةِ الَّذِينَ سَبَقُوا خَالِصِ
 لَوَجْهِ اللَّهِ وَلَا قَدَحَ وَلَا مَغْمَرٍ فِيهِ لِأَحَدٍ وَالْحَكْمُ بَيْنَنَا هُوَ كِتَابُ اللَّهِ وَالتَّارِيخُ !
 مَا لَكُمْ لَا أَبَا لَكُمْ أَعْمَاكُمْ اللَّهُ فِي كُلِّ اتِّجَاوٍ فَلَا تَتَّقُونَ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا
 خَلْفَكُمْ !!

ث - وَمِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ أَوْلَى
 النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ
 قَالَ : إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَإِنْ بَعُدَتْ لِحِمَّتُهُ وَإِنْ عَدُوٌّ مُحَمَّدٍ مِنْ عَصَى
 اللَّهَ وَإِنْ قَرَبَتْ قَرَابَتُهُ .

نهج البلاغة/ الخطبة ٩٢/ ج ٥/ ٣٧٣ من شرح ابن أبي الحديد

أَقُولُ : هَذِهِ هِيَ قَاعِدَةُ الْوَلَايَةِ ، فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَحْتَجُّ عَلَى الْإِمَامَةِ بِالْقَرَابَةِ
 وَلَا يَرَى الْوَلَايَةَ لِمُحَمَّدٍ إِلَّا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَلَكِنْ لَا يَغْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا عَالِمُ النُّفُوسِ .
 فَلَا أَحَدٌ يُزَكِّي نَفْسَهُ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَهَى عَنْ تَزَكِيَةِ النَّفْسِ فَقَالَ :

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِنْمِرِ وَالْفَوَحِشِ إِلَّا اللَّعْمُ إِنَّ رَيْكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ
 أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ
 أَنْفَقَ﴾ [النجم : ٣٢] .

فَكَيْفَ يَزْعُمُ هَذَا الْأَفَّاكُ الْكَذُوبُ أَنَّ النَّاسَ قَادِرُونَ عَلَى انْتِخَابِ شَخْصٍ مَا
 لَوَلَايَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيُزَكُّونَهُ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ مَعَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ فَاسِقُونَ وَمُنَافِقُونَ
 وَشَاكُونَ ؟ !

فَمِنْ الطَّبِيعِيِّ مَعَ نَزَاهَةِ الْإِنْتِخَابَاتِ أَنْ لَا يَفُوزَ إِلَّا مُمَثِّلُ الْأَكْثَرِيَةِ الْفَاسِقَةِ . .
 فَكَيْفَ «وَالْمُشِيرُونَ غُيْبٌ» كَمَا قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟

هَذَا هُوَ قَانُونُ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا غَيْرَ!!
قَالَ تَعَالَى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٤٩) أَنْظِرْ
كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِمْ إِنَّمَا تُبَيِّنُا ﴿٥٠﴾ [النساء: ٤٩-٥٠].

لَا جَرَمَ أَنْ يَقُولَ هَذَا الْقَوْلَ أَكْثَرِيَّةُ الْأُمَّةِ، لِأَنَّهَا حَطَبُ جَهَنَّمَ. فَلَا أَكْثَرِيَّةَ هُمْ
أَهْلُ الْبَاطِلِ. قَالَ تَعَالَى:

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ يَدْنِكَ لِنُكْوِتَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا
لَغَنَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

﴿... وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾
[الأنعام: ١١٩].

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ
النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

﴿ثُلَّ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَذَكَّرُ
الْأَلْبَبُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

وَقَرَّرَ الْقُرْآنُ فِي أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ آيَةً أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَأَنَّهُمْ فَاسِقُونَ
وَكَافِرُونَ وَلَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَعْقِلُونَ وَلَا يَشْكُرُونَ وَلَا يُؤْمِنُونَ:

فَأَيْنَ تَضَعُونَ هَذِهِ الْآيَاتِ؟

أَمْ تَقُولُونَ: إِنَّهَا تَخْصُ النَّاسَ كُلَّهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ قَدْ خَرَجُوا
مِنْ هَذَا الْوَصْفِ؟

هيهات...!

فَمَنْ أَيْنَ لَكُمْ عِلْمٌ بِالْمُنَافِقِينَ وَأَعْدَادِهِمْ وَهُوَ يُؤَكِّدُ: إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَا
تَعْلَمُهُمْ، إِنَّمَا الَّذِي يَعْلَمُهُمْ هُوَ اللَّهُ؟

فَلِمَاذَا إِذَنْ نَافَقُوا إِذَا كَانُوا قَدْ كَشَفُوا لَكَ أَنْفُسَهُمْ؟
 إِنَّمَا رَحَمَكُمُ اللَّهُ فَأَخْبَرَكُم بِالْوَلِيِّ لِإِخْبَاطِ مُؤَامَرَاتِهِمْ عَلَيْكُمْ . فَإِنْ أُبَيِّتُمْ
 وَرَدَدْتُمْ هَدْيَةَ اللَّهِ وَنِعْمَتَهُ كَفَرْتُمْ وَكُنتُمْ مِنْ أَوْلِيكَ الْمَوْصُوفِينَ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ .
 فَمَنْ يَرْفَعُ مِنْكُمْ عَقِيرَتَهُ وَيُحَاجِّجُنِي فِي هَذَا؟
 مَنْ مِنْكُمْ يَرُدُّ عَلَيَّ هَذَا الدَّلِيلَ الصَّارِخَ فِي الْإِمَامَةِ؟!
 مَنْ مِنْكُمْ يُحَاجِّجُنِي فِي كِتَابِ اللَّهِ؟!
 اتَّحَدَّاكُمْ أَنْ تَأْتُوا بِشَطْرِ آيَةٍ تَزْعُمُونَ أَنَّهَا لَكُمْ وَهِيَ لَيْسَتْ إِلَّا عَلَيْكُمْ بِشَرِّطٍ
 أَنْ لَا تَفْسُرُوهَا إِلَّا فِي مُجْمَلِ نِظَامِ الْقُرْآنِ وَلَا تَتَنَاقُضَ مَعَ آيَةٍ أُخْرَى!!
 فَإِنَّهُ لَا طَرِيقَ لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَخْفَرُوا بِالْقُرْآنِ قَبْلَ الْإِمَامَةِ ، وَمُحَالٌ أَنْ تَتَمَكَّنُوا مِنَ
 الْكُفْرِ بِالْإِمَامَةِ مِنْ دُونِ الْقُرْآنِ .
 وَلِلذَلِكَ لَمْ يَأْتِ الْكَاتِبُ النَّاصِبُ بِآيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا الْحَدِيثِ
 الشَّرِيفِ . وَكُلُّ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ أَقْوَالُ رِجَالٍ . فَهُوَ عَابِدُ أُوثَانٍ شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ
 بِفِعْلِهِ . قَالَ تَعَالَى :
 ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ ءَابَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا
 يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ ﴿[يس: ٦-٧] .
 لَكِنَّهُمْ يَا هَذَا دَخَلُوا الْإِسْلَامَ وَأَصْبَحَتِ الْكَثْرَةُ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ فَهَلْ تُكَذِّبُ
 اللَّهُ؟!
 لِمَاذَا لَا تَقُولُ لِلَّهِ : أَنْتَ كَاذِبٌ لِأَنَّكَ قُلْتَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَكِنَّهُمْ آمَنُوا وَدَخَلُوا
 فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْفَتْحِ جَمِيعًا وَدَخَلُوا الدِّينَ أَفْوَاجًا؟!
 نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَطَطِ الْقَوْلِ وَحَاشَا لِلَّهِ أَنْ يَجْرُوَ عَلَى قُدْسِهِ الْكَافِرُونَ .
 أَلَسْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ سُورَةَ النَّصْرِ هِيَ فِي فَتْحِ مَكَّةَ وَقَدْ نَزَلَتْ تُبَشِّرُ بِهَذَا الْفَتْحِ؟

فَتُعَسَّاءَ لَكُمْ وَتَبَأَ لِعُقُولِكُمْ فَإِنَّكُمْ تَقُولُونَ هَذَا فِي الشَّرْحِ وَتُبْتِثُونَ فِي نَفْسِ
الْمُضْطَّهِقِ أَنَّهَا نَزَلَتْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ (١)!!

ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَغْمَاكُمْ وَأَصَمَّكُمْ وَجَعَلَ كُلَّ أَقْوَالِكُمْ حُجَّةً عَلَيْكُمْ.
فَمَنْ هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ؟ وَمَنْ هُمُ
الَّذِينَ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ؟

مَعْلُومٌ إِنَّ الْإِنتِخَابَ لَا غَايَةَ مِنْهُ إِلَّا إِعَادَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْقَضَاءَ عَلَى الدِّينِ.
وَهَذَا الْأَمْرُ وَاضِحٌ مِثْلُ وَضُوحِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالنِّسْبَةِ لَنَا وَلَا يَشْكُ فِيهِ إِلَّا
شَاكٌ بِمُحَمَّدٍ أَضْلًا، وَلَكِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى التَّصْرِيحِ فَيَتَّخِذُ هَذَا الطَّرِيقَ!

وَهَذَا مِنْ طَبِيعَةِ الْبَاطِلِ فَإِنَّهُ دَوْمًا مُخَاتِلٌ جَبَانٌ رَغِيدٌ لَا يُصْرِحُ بِآرَائِهِ
مُبَاشَرَةً، وَإِنَّمَا يَسْتَرْهَا بِسِتَارِ الْحَقِّ. وَقَدْ أَلْبَسَ أَسْلَافُكُمْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ فَمَا
أَغْنَى ذَلِكَ عَنْهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَتَاعَ الدُّنْيَا فَأَكَلُوا وَتَمَتَّعُوا «كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ
مَثْوًى لَهُمْ».

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يَسْمَوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢]

لِذَلِكَ قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ ﷺ:

«إِعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ».

فَاعْرِفْ مَنْ هُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ اللَّهُ لَوْلَايَةِ مُحَمَّدٍ، وَلَكِنْ تَعْرِفُهُ مَا لَمْ تَعْرِفْ أَنَّ اللَّهَ
لَا بُدَّ أَنْ يَخْتَارَ وَلَا يَتْرُكَ الْخَيْرَةَ لِلنَّاسِ لِأَنَّهُ لَوْ فَعَلَ لَنَاقَضَ فِعْلُهُ هَذَا كُلَّ مَا فَعَلَهُ
مِنْ قَبْلِ، لِأَنَّ الْإِمَامَ عَلِيًّا ﷺ مَا اخْتَجَّ بِالْقُرْبَى وَلَا اخْتَجَّ بِاللَّحْمَةِ وَلَا
بِالصُّحْبَةِ وَإِنَّمَا اخْتَجَّ بِالْحَقِّ!.

(١) سَبَقَ وَأَنْ يَبَيِّنَ الْمُؤَلِّفُ بِالتَّفْصِيلِ هَذَا الْأَمْرَ فِي كِتَابِهِ الْآخِرِ «طُورُ الْإِسْتِخْلَافِ» فَرَاغَ
أَوَائِلَهُ لِتَجَدُّهِ جَلِيًّا.

فَلَمَّا اخْتَجُّوا بِالصُّحْبَةِ تَنَاقَضُوا ، لِأَنَّهُ أَيْضًا قَدْ سَبَقَهُمْ جَمِيعًا بِالصُّحْبَةِ !
فَلَمَّا اخْتَجُّوا عَلَى الْأَنْصَارِ تَنَاقَضُوا مَرَّةً أُخْرَى ، لِأَنَّهُمْ اخْتَجُّوا عَلَيْهِم
بِالْقُرْبَى لِأَنَّ الْأَنْصَارَ سَبَقُوهُمْ بِالصُّحْبَةِ وَالنَّصْرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَبَقِيَ الَّذِي اخْتَارَهُ
اللَّهُ أَيْضًا هُوَ الْأَقْرَبُ بِهِ نَسَبًا .

فَالْقَاعِدَةُ لَيْسَتْ بِالْقُرْبَى وَلَا بِالصُّحْبَةِ ، وَإِنَّمَا الْأُولَى بِهِ هُوَ الْأَكْثَرُ طَاعَةً لِلَّهِ
وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَقَدْ بَيَّنَّهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ وَشَهِدُوا أَنَّهُ قَامَ فِي
غَدِيرِ خُمٍ فَوَلَّاهُ عَلَيْهِم ، وَشَهِدُوا أَنَّهُمْ أَرَادُوا التَّمَلُّصَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ وَأَنَّهُ ﷺ
أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ كِتَابًا فِيهِ فَمَنْعُوهُ مِنْهُ !

وَلَكِنَّ الْحَقْمَى سَيَقُولُونَ : لِمَاذَا لَمْ يُصِرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى كِتَابَةِ هَذَا الْكِتَابِ
حَتَّى لَوْ خَالَفُوهُ وَامْتَنَعُوا ؟ ! .

نَعَمْ . . إِنَّ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ هَذَا السُّؤَالَ هُمْ حَقْمَى بِالْفِعْلِ ، لِأَنَّ الْخَلْقَ إِذَا
أَصْرُوا عَلَى رَفْضِ رَحْمَةِ اللَّهِ فَلَا إجْبَارًا !

تُرَى مَاذَا تَفْعَلُ لِشَخْصٍ تُرِيدُ أَنْ تُقَدِّمَ لَهُ هَدِيَّةً عَظِيمَةً نَافِعَةً وَهُوَ يُدْبِرُ عَنْكَ
وَيَصْرُخُ وَيَسْتَغِيثُ وَيَدْعِي أَنَّكَ تُرِيدُ لَهُ الشَّرَّ وَأَنَّكَ وَضَعْتَ فِي هَذِهِ الْهَدِيَّةِ
مَكِيدَةً ؟ ! ! .

أَلَا تَقُولُ لَهُ : إِذْهَبْ إِلَى الْجَحِيمِ فَإِنَّكَ لَا تَسْتَحِقُّ هَذِهِ الْهَدِيَّةَ ؟ أَمْ أَنَّكَ
سَتَحَاوِلُ إِجْبَارَهُ عَلَى قَبُولِهَا ؟ .

وَمَاذَا يَنْفَعُ الْإِجْبَارَ فَإِنَّهُ سَيَقُومُ بِتَحْطِيمِ الْهَدِيَّةِ وَإِتْلَافِهَا مَا دَامَ يَرَاكَ عَدُوًّا لَا
حَمِيمًا !

سَتَقُولُ : وَمَا ذَنْبُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَنْ حَيْثُ حُرِّمُوا مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ ؟ !

نَعَمْ . . ذَنْبُهُمْ أَنَّهُمْ سَكَتُوا وَوَهَنُوا وَضَعَفُوا وَاسْتَكَانُوا !!

وَمَنْ هُمْ يَا هَذَا ؟

إِنَّهُمْ ثَلَاثَةٌ فَقَطْ! وَمَعَ ذَلِكَ دَبَّ الشُّكُّ فِي أَحَدِهِمْ إِلَى الضُّحَى!

سَتَقُولُ: وَمَا ذَنْبُ الَّذِينَ لَمْ يَهِنُوا وَلَمْ يَضَعِفُوا؟!

الْجَوَابُ: هَؤُلَاءِ لَا ذَنْبَ لَهُمْ وَلَا جَرَمَ عَلَيْهِمْ وَلَكِنَّهُمْ قَلَّةٌ.

فَهَلْ يُجِبُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَزِيرَةِ كُلَّهُمْ عَلَى وَلَايَةِ عَلِيٍّ مِنْ أَجْلِ الْأُخُوَّةِ الْأَرْبَعَةِ:
عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَالْمِقْدَادِ وَأَبُو ذَرٍّ وَسَلْمَانَ؟

هَؤُلَاءِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَضْبِرُوا وَلَهُمْ أَفْضَلُ جَزَاءِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ بِمَا صَبَرُوا، هَؤُلَاءِ
سَيُؤْتِيهِمُ اللَّهُ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ - مَرَّتَيْنِ لَا ضِعْفَيْنِ - فَافْهَمُوا وَتَأَمَّلُوا.

فَإِنَّهُمْ يَخْتَلِفُونَ عَنِ الَّذِينَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ ضِعْفَيْنِ، ثُمَّ يَكُونُ جَزَاؤُهُمُ الْنِهَائِيُّ
بِغَيْرِ حِسَابٍ إِلَّا «عَطَاءٌ حِسَاباً» مِثْلَ غَيْرِهِمْ. وَكَذَلِكَ هُوَ الْأَمْرُ لِكُلِّ صَابِرٍ مِثْلَهُمْ
عَارِفٍ بِالْحَقِّ وَأَهْلِيهِ مُذْعِنٍ لِأَمْرِ اللَّهِ، أَسْلَمَ وَأَطَاعَ وَلَمْ يَرْفَعْ عَقِيرَتَهُ لِيُزَكِّي نَفْسَهُ
أَوْ غَيْرَهُ اسْتِكْبَاراً عَلَى اللَّهِ.

أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْتَكْبِرُونَ!!

وَإِنِّي لَا أُعْجِبُ مِنْ قَوْمٍ يُطْلِقُونَ شِعَارَ الْاِسْتِكْبَارِ عَلَى الْأَوْرَبِيِّينَ، وَإِنَّمَا بَوْرَةُ
الْاِسْتِكْبَارِ عَلَى اللَّهِ وَمَرْكَزُهُ وَنَوَاتُهُ الَّتِي يَخْرُجُ مِنْهَا هِيَ أَقْبِيَةُ الْمُدَّعِينَ بِعِلْمَاءِ
الدِّينِ مِنْ كُلِّ الْمَلَلِ وَمَرَائِزِ الْبَحْثِ الدِّينِيِّ. فَهُمْ أَظْلَمُ الْخَلْقِ وَأَكْثَرُهُمْ
اسْتِكْبَاراً عَلَى اللَّهِ وَإِنْ أَقَامُوا لَيْلَهُمْ وَنَهَارَهُمْ وَإِنْ أَرَادَوْهَا صَلَاةً خَالِصَةً لِرُؤُوسِهِ
اللَّهِ. . . ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الدُّوَلِ الْغَرِبِيَّةِ مَا قَالُوا إِنَّهُمْ يَحْكُمُونَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا قَالُوا
هَذَا حُكْمُ اللَّهِ، بَلْ اعْتَرَفُوا بِأَنَّ هَذَا هُوَ حُكْمُهُمْ فِي الْأَشْيَاءِ وَهَذَا هُوَ عِلْمُهُمْ
الَّذِي اِكْتَفَوْا بِهِ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ فَكَفَرُوا.

أَمَّا الَّذِينَ تَصَدَّوْا لِدِينِ اللَّهِ وَحَمَلُوهُ دُونَ أَنْ يُحْمَلَهُمُ اللَّهُ ثُمَّ قَالُوا: هَذَا هُوَ
حُكْمُ اللَّهِ. وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ حُكْمُهُمْ فَقَدْ كَفَرُوا مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً عِنْدَمَا حَمَلُوا الدِّينَ
عَنْ أَهْلِهِ الْمُؤَكَّلِينَ بِهِ وَمَرَّةً عِنْدَمَا حَكَمُوا بِقَوَاعِدَ مِنْ عِنْدِهِمْ وَنَسَبُوا الْحُكْمَ إِلَى

الله وَهُوَ لَيْسَ حُكْمُهُ. لَذَا فَهُمْ فَوْقَ هَذَا قَدْ اسْتَكْبَرُوا ضِعْفَيْنِ فَلَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ ضِعْفَيْنِ. لَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي الْأُخُوَّةِ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَعَهُمْ كُلُّ مَنْ سَارَ فِي طَرِيقِهِمْ:

﴿وَلِذَا بُنِيَ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِمْ مُسْلِمِينَ﴾ (٥٣) أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ [الفصص: ٥٣-٥٤].

أَمَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَسْمَاءَ وَلَا يُحَاسِبُونَ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ قَبْلَ الرُّجَالِ فَإِنَّهُمْ مُلْعُونُونَ وَلَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ ضِعْفَيْنِ، لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا الْقُرْآنَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ مِثْلَمَا جَعَلُوا كَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ كَأَيِّ كَلَامٍ، لَا يَهْتَمُّهُمْ تَأْوِيلُهُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ مِنْ أَجْلِ أَوْلَانِهِمْ.

يَقُولُونَ: مَا قَصَدَ بِالْوَلِيِّ يَوْمَ الْغَدِيرِ الْوَلَايَةَ الْعَامَّةَ وَلَا عَنَى بِالْوَلِيِّ فِي آيَةِ الْوَلَايَةِ الْوَلَايَةَ الْعَامَّةَ.

يَقُولُونَ هَذَا طَاعَةً لِلرُّجَالِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُمْ:

﴿يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا ءَاتِنَا ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَّا لَعَنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ [الأحزاب: ٦٦-٦٨].

وَيُسْتَجَابُ لِأَغْوَانِكُمْ مَرَّةً أُخْرَى فَيُضَاعَفُ عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ.

خ - وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ

لَا يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ إِنَّمَا يُعَابُ مِنْ أَخْذِ مَا لَيْسَ لَهُ.

نهج البلاغة/ ج ٥ / ٤١٦

أَرَادَ ﷺ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الْجَامِعَةِ تَصْحِيحَ مَا رَانَ عَلَى الْعُقُولِ الْمَرِيضَةِ مِنْ أَوْهَامٍ وَأَفْكَارٍ هِيَ مَقْلُوبٌ لِلْحَقَائِقِ الثَّابِتَةِ.

فَالنَّاسُ دَوْمًا أَذَلَّةٌ لِصَاحِبِ السُّلْطَانِ وَيَلْقَوْنَ بِاللَّوْمِ عَلَى صَاحِبِ الْحَقِّ،
يَقُولُونَ لَهُ: لِمَاذَا تَتْرُكُ حَقَّكَ؟ إِذْهَبْ وَافْعَلْ كَذَا وَكَذَا وَيَقُومُونَ بِإِرْشَادِهِ.

وَهَذَا مَا نُلَاحِظُهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي الشَّارِعِ وَالْمَقْهَى وَالْمَحَاكِمِ!
أَيُّهَا النَّاسُ افْهَمُوا:

إِنَّكُمْ فِي هَذَا لَا تُدَافِعُونَ عَنِ الْحَقِّ، بَلْ عَنِ الْبَاطِلِ!
فَهَلْ تَفْقَهُونَ هَذَا الْكَلَامَ؟
فَتَعَالَوْا أَوْضِّحْ لَكُمْ الْأَمْرَ:

إِنَّ كُلَّ صَاحِبِ حَقٍّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُقَابِلُهُ طَرَفٌ آخَرُ هُوَ الَّذِي سَلَبَ حَقَّهُ
«صَاحِبُ الْبَاطِلِ!». وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِنَّمَا أَسَاسُهُ أَنْ
تَقُولُوا لِعَاصِبِ الْحَقِّ: أَرْجِعِ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ!.. لَا أَنْ تُلقُوا بِاللَّوْمِ وَالتَّعْنِيفِ عَلَى
صَاحِبِ الْحَقِّ!

فَلِمَاذَا تَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟!

أَتَدْرُونَ لِمَاذَا؟

لَأَنَّكُمْ جُبْنَاءُ وَمُنَافِقُونَ وَرِعَادِيدُ... تَقُولُونَ لِصَاحِبِ الْحَقِّ: إِذْهَبْ وَقَاتِلْ
وَمُتْ دُونَ حَقِّكَ...، وَلَا جُرْأَةَ لَكُمْ عَلَى أَنْ تَقُولُوا لِلْمُبْطِلِ الشَّرِيرِ: أَنْتَ شَرِيرٌ
فَأَرْجِعِ الْحَقَّ لِفُلَانٍ!

لَقَدْ انْقَلَبَتِ الْمُعَادَلَةُ مِنْذُ أَزِيحِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنْ وِلَايَةِ الْأُمَّةِ وَلَا زَالَتْ
هِيَ مُنْقَلِبَةً وَلَا زَالَ النَّاسُ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ
وَلَا يَأْمُرُونَ بِهِ!

هَؤُلَاءِ هُمْ خِيَارُكُمْ فَمَاذَا يَفْعَلُ شِرَارُكُمْ إِذَنْ؟

فَلَا زِلْتُ أَسْمَعُ مَنْ يَقُولُ: لِمَاذَا تَرَكَ عَلَيَّ حَقَّه؟!

سُخْقًا لَكُمْ ..

وَمَا هُوَ حَقُّهُ؟!

أَتَزْعُمُونَ أَنَّ التَّرْبِعَ عَلَى كُرْسِيِّ حُكْمِكُمْ هُوَ حَقُّهُ؟.

لا وألف لا .. وَإِنَّمَا حَقُّهُ جَتَّتَانِ مُذْهَامَتَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ وَقَدْ

أَعَدَّهُمَا اللَّهُ لَهُ!

أَمَّا دُنْيَاكُمْ بِقَضَّهَا وَقَضِيضُهَا فَهِيَ عِنْدَهُ أَهْوَنُ مِنْ عَفْطَةِ عَنَزٍ!.

هَذَا حَقُّكُمْ يَا عُثْمَانُ ..

هَذَا حَقُّكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُعْقِلُونَ ..

وَعَلَيْكُمْ أَنْ تُنْكِرُوا عَلَى سَالِبِ الْحَقِّ مِنْكُمْ وَتَعْتَرِفُوا بِجُرْمِهِ وَجُرْمِكُمْ وَتَتُوبُوا

إِلَى اللَّهِ!

لَقَدْ انْحَرَفَتْ عُقُولُكُمْ وَزَاغَتْ قُلُوبُكُمْ وَأَعْمَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الْحَقِّ فَأَضْبَحْتُمْ

تَرُونَ الْأَشْيَاءَ بِالْمِقْلُوبِ!

الْعَيْبُ عَلَيْكُمْ لَا عَلَيْهِ وَعَلَى الَّذِينَ سَلَبُوا الْحَقَّ وَأَخَذُوا مَا لَيْسَ لَهُمْ.

وَعَجَبًا عَجَبًا لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَبْكُونَ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ!.

أَبْكُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الْمَسَاكِينُ لِأَنَّكُمْ لِلَّانَ لَمْ تَكْتَشِفُوا كَيْفَ يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ

حَقُّكُمْ بَعْلِي!

لَقَدْ قُتِلَ عَلِيٌّ فِي مِخْرَابِهِ سَاجِدًا لِلَّهِ وَهُوَ الْآنَ مُنْعَمٌ مَعَ الْخُورِ الْعَيْنِ فِي مَقْعَدِ

صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ. فَأَبْكُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَحَظَّكُمْ الْعَاثِرِ وَلَا تَبْكُوا عَلَيْهِ

حَيْثُ لَمْ يَحْصَلْ لَا هُوَ وَلَا ذُرِّيَّتُهُ عَلَى دُنْيَاكُمْ، فَإِنَّهُ أَضْلًا كَانَ يَتَجَشَّأُ مِنْ

دُنْيَاكُمْ.

أليس هُوَ الْقَائِلُ عَنِ السُّلْطَةِ وَهِيَ فِي يَدِ غَيْرِهِ:

«إِنَّهَا عِنْدِي مِثْلُ عَظْمٍ خَنْزِيرٍ فِي يَدِ مَجْدُومٍ».

ذ - وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ:

عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعْذَرُونَ فِي جَهَالَتِهِ.

وُضِعَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مُسْتَقْلِلَةً تَحْتَ رَقْمٍ «١٥٧» مِنْ شَرْحِ النَّهْجِ لِابْنِ أَبِي
الْحَدِيدِ مِنَ الْجُزْءِ الْخَامِسِ/ ص ٤٢٥.

وَإِذَا كَانَ الْوَاصِلُ إِلَيْنَا مِنْ كَلَامِهِ ﷺ هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَخَدَهَا مَعَ إِفْرَارِ الْقَوْمِ
بِهَا فَهِيَ كَافِيَةٌ وَخَدَهَا لِإثْبَاتِ الْوَلَايَةِ وَالْعِصْمَةِ وَالنَّصِّ وَالْوَصِيَّةِ وَدَوَامِ وَجُودِ
الْحُجَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَاتِّصَالِ حَبْلِ اللَّهِ الْمَتِينِ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ الْأَسْمَاءِ
وَالْأَشْخَاصِ، لِأَنَّهُ يَقُولُ عَلَيْكُمْ وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ هُوَ إِطَاعَةُ الَّذِي لَوْ جَهَلَهُ الْجَاهِلُ
فَلَا عُذْرَ لَهُ أَمَامَ اللَّهِ!

وَيَسْتَبْطِنُ هَذَا الْكَلَامُ شَرْحًا عَمَلِيًّا لِلتَّوْحِيدِ، فَهُوَ عَيْنُهُ عِبَارَةٌ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»
بِصُورَةٍ مُفْرَدَاتٍ أُخْرَى.

لَأَنَّ الْخَلْقَ لَوْ أَمَكْنَ أَنْ يَجْهَلُوا مَنْ يُطَاعُ وَلَا يُمْكِنُهُمْ تَمْيِيزُهُ مِمَّنْ يُعْصَى لَمَّا
أَمَكْنُهُمْ مُطْلَقًا تَحْقِيقُ شَيْءٍ مِنْ شَرْعِ اللَّهِ، لِأَنَّهُمْ قَدْ يُطِيعُونَ عَدُوَّ اللَّهِ وَيَعْصُونَ
وَلِيَّ اللَّهِ. فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ وَلِيُّ اللَّهِ الْمُطَاعُ مَعْلُومًا لِلْجَمِيعِ وَلَا إِشْكَالَ فِي
التَّعَرُّفِ عَلَيْهِ وَلَا عُذْرَ لِمَنْ ادَّعَى أَنَّهُ يَجْهَلُهُ.

وَمَا قَالَ ﷺ هَذَا الْكَلَامَ وَمَحَالٌّ أَنْ يَقُولَهُ إِلَّا وَهُوَ يَرَى أَنَّ النَّاسَ فِي
أَكْثَرِهِمْ قَدْ تَحَوَّلُوا إِلَى بَهَائِمٍ لِانْصِبَابِ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ صَبًّا فِتْنَةً لَهُمْ كَمَا صَرَّحَ
بِذَلِكَ بِغَضِّ الصَّحَابَةِ وَهُمْ يُقَارِنُونَ عَهْدَ عُمَرَ وَأَبِي بَكْرٍ بِعَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ،
فَأُضْبِحُوا يَقْلِبُونَ الْحَقَائِقَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ وَلِيُّ الْأَمْرِ،
وَيَتَنَاقَشُونَ فِي الْأَفْضَلِيَّةِ مِثْلَمَا أَطَالَ النِّقَاشَ فِي التَّفْضِيلِ أَكَابِرُ الْمُعْتَرِزَةِ وَالسُّنَّةِ

وَفَنَاتٍ مِنَ الشَّيْئَةِ وَالْخَوَارِجِ وَقَدْ خَصَّصَ شَارِحُ النَّهْجِ فُضُولاً لِتَوْضِيحِ أَقْوَالِ
الْمَلَأِ فِي تَفْضِيلِ الصَّحَابَةِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ! . ثُمَّ أَذْلَى هُوَ الْآخِرُ بِدَلْوِهِ وَزَعَمَ
أَنَّ وَلَايَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ حَقٌّ وَلَكِنَّ عَلِيًّا هُوَ الْأَفْضَلُ وَالْأَوْلَى مِنْهُمْ بِهَا مُنْذُ
الْبِدَايَةِ كَمَا عَلَيْهِ شَيْوُخُ الْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ أَقْوَالِ السُّنَّةِ فِي أَفْصَى طَرَفِهَا
وَأَقْوَالِ الشَّيْئَةِ فِي الطَّرَفِ الْأَفْصَى الْآخَرِ.

وَمَا دَرَى هَذَا الْمُسْكِينُ أَنَّ مُجَرَّدَ التَّحَدُّثِ عَنِ الْأَفْضَلِيَّةِ هُوَ كُفْرٌ صَرِيحٌ
وَشُرْكٌ مُبِينٌ وَظُلْمٌ عَظِيمٌ!

لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَهَى عَنِ تَرْكِيَةِ الْمَرْءِ لِنَفْسِهِ فَكَيْفَ يُرَكِّي غَيْرَهُ؟! . . . وَقَدْ تَلَوْنَا
عَلَيْكَ الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى ذَلِكَ.

نَعَمْ . . . إِنَّهَا أُمَّةٌ عُلَمَاءُ حَقَمَى وَأَغْيَاءُ أُخِذُوا مِنْ مَأْمَنِهِمْ وَاسْتَدْرَجَهُمُ اللَّهُ
وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ سِوَاءَ أَكَانُوا مِنْ هَؤُلَاءِ أَوْ هَؤُلَاءِ، لِأَنَّهُمْ قَدَّمُوا مَعْصِيَةَ اللَّهِ
أَمَامَ كُلِّ بَحْثٍ بَحْثُوهُ وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَا قَوَاعِدِ الدِّينِ وَلَا مَا يَتَّبِقُ
عَنِ التَّوْحِيدِ مِنْ قَوَائِنِ صَارِمَةٍ لَا يُمْكِنُ خَرْقُهَا.

أَوَّلُ عِبَارَةٍ قَالَهَا الشُّرَاحُ جَمِيعاً عِنْدَ شَرْحِهِمْ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الْجَامِعَةِ هِيَ:
«عَنِ نَفْسِهِ ﷺ»!! . . .

وَلَكِنْ يَا هَؤُلَاءِ لَنْ تَنْفَعَكُمْ عِبَارَةُ «ﷺ» شَيْئاً يَوْمَ الْحِسَابِ فَسَوْفَ يُجَادِلُكُمْ
عَلَيُّ ﷺ وَيَخْصِمُكُمْ وَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ مَا عَنِتُّ نَفْسِي! إِذْ كَيْفَ أُغْنِي نَفْسِي؟
وَكَيْفَ أُثْبِتُ نَفْسِي إِنِّي أُولَى بِالْإِمَامَةِ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ قَبْلَ ذَلِكَ وَيَكْفُرُونَ
بِحُرْمَةِ التَّحَدُّثِ فِي مَوْضُوعِ التَّفْضِيلِ؟!، إِنَّمَا عَنِتُّ أَنَّ الْحَدِيثَ فِي التَّفْضِيلِ
حَرَامٌ مُحَرَّمٌ لِأَنَّ صَاحِبَ الْأَمْرِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بَيِّنًا لَا عُذْرَ فِي جَهَالَتِهِ!!، فَإِذَا
أَقْرَأُوا بِأَنَّ الْحُجَّةَ لِلَّهِ وَالْاِخْتِيَارَ لَهُ وَأَسْلَمُوا فَإِنَّهُمْ سَوْفَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اسْمَهُ هُوَ
عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَمَا عَلِمْتُهُ أَنَا. فَأَنَا عَبْدٌ مَأْمُورٌ مُطِيعٌ لِلَّهِ فِي نَفْسِي وَلَسْتُ

مُطِيعاً لِنَفْسِي فِي اللَّهِ أَيُّهَا الْجَهْلَةُ الْكَذَبَةُ الْمُرَاوُونَ!!، فَهَلْ تَجِدُونَ فِي عِبَارَتِي شَيْئاً أَشِيرُ فِيهِ إِلَى نَفْسِي؟!، وَمَعْلُومٌ لَكُمْ أَنَّكُمْ مَا أَنْكَرُوا إِمَامَتِي إِلَّا بَعْدَ إِنْكَارِهِمْ أَنْ تَكُونَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ. فَكُفَرُهُمْ بِاللَّهِ سَبَقَ إِنْكَارَ إِمَامَتِي، فَكَيْفَ أَرْكَنِي نَفْسِي لِقَوْمٍ كَافِرِينَ؟!، إِنَّمَا أُرِيدُ إِزْجَاعَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، فَإِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِ عَلِمُوا مَنْ هُوَ الْإِمَامُ فَهُوَ مَشْهُورٌ إِلَى دَرَجَةٍ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ ادَّعَى النَّصَّ سِوَاهُ! لِأَنَّ الْقَوْمَ أَنْكَرُوا النَّصَّ فَكَيْفَ يَدَّعُونَ مَا أَنْكَرُوا؟!، وَكُلُّ مَا أَرَدْتُ قَوْلَهُ هُوَ أَنْ إِنْكَارَ النَّصِّ يُعْطِي الْعُذْرَ لِلْخَلْقِ فِي الْمَعْصِيَةِ، فَكَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئاً حَيْثُ أَرْسَلَ رَسُولاً!!، وَكَأَنَّهُ تَعَمَّدَ أَنْ يُضِلَّهُمْ بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ!!، وَهَذَا هُوَ الْكُفْرُ الْخَفِيُّ الَّذِي سَرَى فِي عُرُوقِ النَّاسِ الَّذِينَ ابْتَغَوْا الْعِزَّةَ فَأَصَابَتْهُمْ ذِلَّةٌ وَصَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ لِأَنَّهُمْ قَالُوا: هَذَا لِلَّهِ وَهَذَا لَنَا. فَالْشَّرْعُ لِلَّهِ، وَالْإِمَامُ الْقَائِمُ بِالْشَّرْعِ لَنَا وَنَحْنُ نَخْتَارُهُ. فَجَعَلُوا لِنَفْسِهِمْ حَدّاً مُجَاوِراً لِرَبِّ الْعِزَّةِ. . تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ أُولَئِكَ فِي الْآذِلِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ كَتَبَ اللَّهُ لِأَعْلَبِ بْنِ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٦﴾ [المجادلة: ٢٠-٢١].

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَزْعِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

ض - وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ:

مَا اخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلَالَةً.

وُضِعَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ تَحْتَ رَقْمٍ مُسْتَقِلٍّ فِي النَّهْجِ هُوَ «١٥١» مِنْ تَرْتِيبِ الشَّرْحِ وَهُوَ نَفْسُ الرَّقْمِ فِي الْأَصْلِ ج ٤٤٩/٥.

وَفِي كَلَامِهِ ﷺ هَذَا قَاعِدَةٌ تُهْدِمُ الْعَقِيدَةَ الْفَاسِدَةَ الْقَائِلَةَ بِعَدْلِ جَمِيعِ مَنْ

صَحِبَ النَّبِيُّ ﷺ وَكَانُوا الْأَسَاسَ فِي انْقِسَامِ الْأُمَّةِ وَتَشَرُّدِهَا وَضِيَاعِ حَقَائِقِ الدِّينِ .

فَالْمُحَرِّفُونَ يُرِيدُونَ التَّغْطِيَةَ عَلَى الْبَاطِلِ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ لِلْحَقِّ: «أَنْتَ بَاطِلٌ»! . فَهُوَ أَعْجَزُ مِنْ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، وَطَرِيقُهُ الْوَحِيدُ هُوَ فِي أَنْ يَقُولَ: «أَنَا وَإِيَّاكَ عَلَى الْحَقِّ»!، فَافْهَمْ هَذَا فَإِنِّي فَتَحْتُ لَكَ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ عِلْمِ اللَّهِ .

وَلِذَلِكَ اسْتَمَرَّ التَّأَكُّيدُ مِنْ قِبَلِ الْمُحَرِّفِينَ وَأَهْلِ الْبَاطِلِ عَلَى صِحَّةِ الْاِحْتِجَاجِ بِكُلِّ الصَّحَابَةِ وَعَدَمِ تَخْطِئَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَخُصُوصاً الْأَمْرَاءَ وَأَهْلِ السُّلْطَانِ . . . فَلَمَّا ظَهَرَ فُجُورُ بَنِي أُمَيَّةٍ اقْتَصَرُوا عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ سَبَقُوهُمْ وَجَمَعُوهُمْ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَظْلَقُوا عَلَيْهِمُ اسْمَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ . . . وَقَدْ سَرَقُوا الْاسْمَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي عَنَى بِهِ خُلَفَاءُ اللَّهِ الْمَنْصُوصَ عَلَيْهِمُ بِالرُّغْمِ مِنْ إِنْكَارِهِمُ النَّصَّ فَتَأَمَّلْ حُمَقَهُمْ .

فَمَا أَذْرَاكُمُ أَنْتُمْ رَاشِدُونَ إِذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ نَخْتَارُ وَلَا نَعْلَمُ مَا فِي النُّفُوسِ؟!، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقْضِ هَؤُلَاءِ قِطْعاً مَا دَامَتْ شُورَى! .

وَالنَّبِيُّ ﷺ مَا تَنَاقَضَ لِأَنَّهُ لَمْ يُسَمِّهِمْ «أَيَّ خُلَفَاءِ اللَّهِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِمُ» رَاشِدِينَ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ، بَلْ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ . . . وَلِذَلِكَ فَأَوَّلُ عَمَلٍ يَقُومُ بِهِ الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا خَرَجَ هُوَ إِقَامَةُ الْحَدِّ عَلَى السُّرَاقِ فَيَقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ، وَأَوَّلُ السُّرَاقِ هُمْ سُرَاقُ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْكَارِ وَالْعَقَائِدِ فَيُعَلِّقُ أَيْدِيَهُمْ فِي جُذُرَانِ مَكَّةَ! .

فَهَيِّنَا لَكُمْ هَذِهِ الْبِشَارَةَ يَا سُرَاقَ النَّهَارِ! وَيَا سُرَاقَ الْعِلَانِيَةِ!!

وَيَزَعُمُ الْكَذْبَةُ: «إِنَّ كَلَامَهُ ﷺ هُنَا لَا يُؤْخَذُ عَلَى عَمُومِهِ لِأَنَّ الْفُقَهَاءَ اخْتَلَفُوا فِي الْفِتْيَا فَكَيْفَ تَكُونُ إِحْدَى الدَّعَوَتَيْنِ ضَلَالَةً؟ . . . وَإِذَنْ فَلَا بُدَّ مِنْ حَمْلِهِ عَلَى أُصُولِ الدِّينِ» . . . هَكَذَا زَعَمَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ وَغَيْرُهُ، وَهَذَا مَا قَالَهُ شَارِحُ النَّهْجِ حِفَاطاً عَلَى الْبَاطِلِ .

كَذَبْتُمْ وَاللَّهِ!!

فَأَنْتُمْ تَكْذِبُونَ حَتَّى فِي أَصُولِ الدِّينِ ، لِأَنَّ الصَّحَابَةَ اخْتَلَفُوا فِي الْأَصُولِ
كُلُّهَا وَمَعَ ذَلِكَ قُلْتُمْ : إِنَّهُمْ كُلُّهُمْ عَدُولٌ!
تَبَا لَكُمْ!!

لَقَدْ دَوَّخْتُمْ عِبَارَةً عَلَيَّ هَذِهِ حَتَّى مَا عَدْتُمْ تَقْدِرُونَ عَلَى تَخْرِيجِهَا بِأَيِّ
طَرِيقٍ! .

أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ كَلَامَهُ يَجْرِي فِي مَجْرَى كَلَامِ اللَّهِ؟ . . وَمِثْلَمَا يَفْضَحُكُمْ
الْقُرْآنُ يَفْضَحُكُمْ كَلَامُ عَدْلِ الْقُرْآنِ وَالثَّقَلِ الْأَصْغَرِ! .

فَعَلَى أَيِّ حِمْلٍ تَحْمِلُونَ هَذَا الْكَلَامَ؟
وَهَلْ لَكُمْ قُدْرَةٌ عَلَى حَمْلِ أَمَانَةِ ثِقَلَيْنِ نَائَتْ بِحَمْلِهَا الْجِبَالُ وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا
لَأَنَّهَا أَمَانَةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ؟!

بَلْ حَمَلْتُمْ هَذِهِ الْأَثْقَالَ لَجَهْلِكُمْ وَظُلْمِكُمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا
وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الاحزاب: ٧٢] .

وَالْإِنْسَانُ هُنَا هُوَ أَبُو بَكْرٍ أَوَّلُ حَامِلٍ لِلْأَمَانَةِ وَلَهُ قَرِينٌ شَيْطَانٌ يَغْتَرِيهِ . وَقَدْ
اغْتَرَفَ بِصِحَّةِ وَرُودِ خَبَرٍ بِهَذَا الْمَضْمُونِ الْمُدَافِعُونَ عَنْهُ . وَلَكِنَّهُمْ أَوَّلَوْهُ فَقَالُوا :
لِكُلِّ مُؤْمِنٍ شَيْطَانٌ يَغْتَرِيهِ!

لَا وَرَبِّكَ لَا . . لَيْسَ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ شَيْطَانٌ يَغْتَرِيهِ ، بَلْ شَيْطَانٌ يُؤْذِيهِ . فَهَذَا
نَعَمْ!!

أَمَّا الَّذِي يَغْتَرِيهِ فَهُوَ أَبُو بَكْرٍ إِذْ لَا سُلْطَانَ لَهُ إِلَّا «عَلَى الَّذِينَ هُمْ بِهِ
مُشْرِكُونَ» .

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٩٨) إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُكَ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَكَ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ [النحل: ٩٨-١٠٠].

فَانْظُرْ أَقْوَالَهُمْ وَدِفَاعَ الْمُعْتَرِلَةِ عَنْ شَيْطَانِ أَبِي بَكْرٍ فِي شَرْحِ النَّهْجِ وَدِفَاعِ الْجَاحِظِ عَنْهُ فِي الْجَزَائِنِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ.

وَلَكِنْ إِنْ كَانَ لَكَ شَأْنٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَالشَّهَادَتَيْنِ فَاعْرِضْ كَلَامَهُمْ عَلَى مُسَلِّمَاتِ الْكِتَابِ لِتَرَى الْمَدَى الْبَعِيدَ الَّذِي بَلَغَ إِلَيْهِ الْقَوْمُ مِنَ الْكَذِبِ وَالتَّزْوِيرِ وَاللَّفِّ وَالذَّوْرَانِ وَالْمَكْرِ وَالْخَدَاعِ لِلجَمَاهِيرِ وَالْحُمَقِ وَالْكُفْرِ الصَّرِيحِ وَالشَّرِكِ الظَّاهِرِ لِتَعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ هَذَا هُوَ شَأْنُ الْمُعْتَرِلَةِ دُعَاةِ الْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ فَمَا هُوَ شَأْنُ غَيْرِهِمْ فِي الْأَبَاطِيلِ؟!

إِنَّ هَؤُلَاءِ وَغَيْرَهُمْ هُمْ قَوْمٌ مُتْرَفُونَ وَثِقَافَتُهُمْ هِيَ ثِقَافَةُ الْمُتْرَفِينَ لَا الْمُجَاهِدِينَ فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَهُمْ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْغَاوِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ.

قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ: «وَلَا يَحْمِلُ أَصْحَابُنَا كَلَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى عُمُومِهِ لِأَنَّ الْمُجْتَهِدِينَ فِي فُرُوعِ الدِّينِ وَإِنْ اخْتَلَفُوا وَتَضَادَّتْ أَقْوَالُهُمْ لَيْسُوا وَلَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى ضَلَالٍ وَهَذَا مَشْرُوحٌ فِي كُتُبِنَا الْكَلَامِيَةِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ»! /ج ٥/ ٤٤٩.

أَقُولُ: وَهُوَ مَشْرُوحٌ فِي كُتُبِ الشَّيْعَةِ الْكَلَامِيَةِ أَيْضًا. وَلَكِنَّهُ بِالضَّدِّ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَلْ هُوَ دَعْوَةٌ أُخْرَى لِلْكُفْرِ. فَكَأَنَّ الْإِمَامَ لَمْ يَقُلْ هَذِهِ الْعِبَارَةَ وَلَا تَظْهَرُ فَائِدَةٌ مِنْهَا!!

إِذْ كَيْفَ يَخْتَلِفُونَ فِي الْأُصُولِ فَيَكُونُ بَعْضُهُمْ عَلَى ضَلَالٍ وَهَؤُلَاءِ هُمْ

أَنْفُسُهُمْ أَهْلُ الْفَتْوَى فِي الْفُرُوعِ؟ .. فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونُوا عَلَى ضَلَالٍ أَيْضًا فِي
أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ لِفَسَادِ أَصُولِهِمْ.

فَإِذَا زَعَمَ أَنَّ الْفِئَةَ الَّتِي عَلَى هُدًى فِي الْأُصُولِ وَاخْتَلَفَتْ فِي الْفُرُوعِ لَا
يَشْمَلُهَا كَلَامُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .. فَمَا أَذْرَاهُ مَا هِيَ الْفِئَةُ الَّتِي عَلَى ضَلَالٍ وَأَصْحَابُهُ
يَزْعُمُونَ أَنَّ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ فَاسِقَةٌ وَلَكِنْ بَلَا تَحْدِيدٍ؟! .. لِأَنَّهُمْ أَحْجَمُوا عَنْ
تَحْدِيدِ الْفِئَةِ الْفَاسِقَةِ!!

نَعَمْ .. نَفْسُ التَّمَلُّقِ لِلْحُكَّامِ ظَاهِرٌ، وَنَفْسُ الْخَلْطِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ يَغْلُو
وَيَضَعُدُ مِثْلَ نَفْسِ الَّذِي يَضَعُدُ فِي السَّمَاءِ فَيَكُونُ صَدْرُهُ ضَيِّقًا حَرِجًا مِنَ الْحَقِّ
أَوْ كَالَّذِي تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ.
عَنْ آيَةٍ كُتِبَ كَلَامِيَّةٌ يَتَحَدَّثُ هُوَ لَا؟!

فَإِنَّا لَوْ حَاكَمْنَا كُلَّ مَقُولَاتِهِمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَعَلَى الْمَنْطِقِ وَالْوَاقِعِ وَالْعُرْفِ
لَسَقَطَتْ وَتَهَاوَتْ.

وَكَيْفَ يَكُونُ كُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبًا وَإِنْ اخْتَلَفُوا؟
فَهَلْ أَمَرَ اللَّهُ بِالشَّيْءِ وَنَقِضِهِ فِي آنٍ وَاحِدٍ؟
إِذَنْ .. فَهَؤُلَاءِ قَدْ أَثْبَتُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ فِي التَّنْظِيرِ، وَلَكِنْ عَمَلِيًّا كَانَتْ لَهُمُ إِلَهَةٌ
بَعْدَ الْمُجْتَهِدِينَ!

مَعْلُومٌ أَنَّهُ عِنْدَ غِيَابِ الْإِخْتِيَارِ الْإِلَهِيِّ وَخَفَاءِ الْحُجَّةِ وَعَدَمِ ظُهُورِ مَنْ يَعْلَمُ
الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ تَبَقَّى الْأَحْكَامُ غَيْرَ مَبْثُوثٍ بِهَا وَلَا وَاقِعَةٍ عَلَى الْحَوَادِثِ وَيَبْقَى
كَلَامُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَامًّا. فَلَوْ قَالَ لَكَ الْمُجْتَهِدُ: أَعِدْ صَلَاتَكَ، وَقَالَ الْآخَرُ: لَا
تَعِدْ. فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ إِحْدَاهُمَا ضَلَالَةً!

هَذَا هُوَ مَنْطِقُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ
يَنْقَلِبُونَ.

ظ - وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ :

لَتُعْطَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شَمَاسِهَا عَظْفَ الصُّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا وَتَلَا عُقِبَ ذَلِكَ: ﴿وَرِيدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

شرح النهج/ الفقرة ٢٠٥/ ج ٥/ ٤٩٣

هَذِهِ وَاحِدَةٌ أُخْرَى مِنْ كَلِمَاتِهِ ﷺ تُسْقِطُ كُلَّ أُنْبَاحِ السَّلَفِ فِي الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ فِي أَنْ وَاحِدٍ.

فَلَمَّاذَا تَعَطَّفُ الدُّنْيَا عَلَيْهِمْ إِذَا كَانَ الْخُلَفَاءُ الَّذِينَ سَبَقُوهُ رَاشِدِينَ وَتَرَكَ هُوَ بِنَفْسِهِ أَمْرَ الْقَوْلِ بِخِلَافَةٍ مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَتَرَكَهَا لِلشُّورَى كَمَا يَقُولُ الْكَاتِبُ الْكَاذِبُ وَأَصْحَابُهُ؟

لَا مَعْنَى لِكَلَامِهِ ﷺ إِلَّا إِذَا كَانَ هُوَ ذَلِكَ الْمَعْنَى الَّذِي أَكَّدهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي مِثَالِ الْأَحَادِيثِ مِنْ أَنَّ الدُّنْيَا تُمَلَأُ ظُلْمًا وَجورًا ثُمَّ يَأْتِي الْمَهْدِيُّ فَيَمْلَأُهَا عَدْلًا وَقِسْطًا. وَهُوَ حَدِيثٌ وَاحِدٌ وَرَدَ بِعَشْرَةِ طُرُقٍ فِي مُعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ وَبِعَشْرَاتٍ غَيْرِهَا فِي الصَّحَاحِ السِّتَةِ، وَهُوَ أَحَدُ أَشْهُرِ الْأَحَادِيثِ فِي الْمَهْدِيِّ ﷺ وَالَّتِي بَلَغَتْ الْآلَافَ.

وَلَا أَقْصِدُ هُنَا إِثْبَاتَ ظُهُورِ الْمَهْدِيِّ ﷺ بِهَذَا الْعِنَوانِ، لِأَنَّ هَذَا وَعْدٌ إلهِيٌّ مِثْلُ وَعْدِ الْآخِرَةِ، بَلْ هُوَ وَعْدُ الْآخِرَةِ. فَمَنْ شَاءَ أَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ آمَنَ بِهِ وَلَوْ بغيرِ نَصٍّ لَأَنَّهُ تَحْصِيلُ حَاصِلِ لِمَا لِكَيَّةِ اللَّهِ وَغَايَتِهِ مِنَ الْخَلْقِ، إِذْ بِدَوْنِهِ يُصْبِحُ الْإِبْتِلَاءُ وَإِنْزَالُ الْكُتُبِ وَإِرْسَالُ الرُّسُلِ عَبَثًا مَا دَامَتْ لَا تَتَحَقَّقُ فِي يَوْمٍ مَا.

وَمَنْ الْبَدِيهِيُّ أَنَّ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ فَلَنْ يُؤْمِنَ بِالْمَهْدِيِّ ﷺ، وَلَكِنْ سَيُعْلَنُونَ إِيْمَانَهُمْ بِهِ بَعْدَ ظُهُورِهِ بِالْقُوَّةِ الْقَاهِرَةِ رُغْبًا مِنْ سَطْوَتِهِ! وَيَوْمئِذٍ:

﴿... لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا لَئِنْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

إنَّمَا أَقْصِدُ أَنَّ التَّطَوُّرَ الاجْتِمَاعِيَّ الْعَامَّ الَّذِي تَمْتَلِي بِهِ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَجورًا
 إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ الْخُلَفَاءِ الَّذِينَ تَوَلَّوْا عَلَى الْأُمَّةِ، وَعَلَى فَسَادِ الْمُؤَسَّسَةِ
 الدِّينِيَّةِ بِرُمَّتِهَا. إِذْ لَوْ كَانَتْ هُنَاكَ بَقِيَّةٌ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ لَمَا
 حَصَلَ مِثْلُ هَذَا التَّطَوُّرِ نَحْوِ الشَّرورِ، بَلْ لَحَصَلَ الْعَكْسُ مِنْهُ، وَهُوَ انْتِشَارُ
 الْعَدْلِ وَظُهُورُ الْحَقِّ.

وَلِذَلِكَ قَامَتِ الْمُؤَسَّسَةُ الدِّينِيَّةُ بِإِبْعَادِ النُّصُوصِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ هَذَا
 التَّدهُورِ وَلَمْ تَجْعَلْهَا مِنْ جُمْلَةِ دِرَاسَاتِهَا وَفَصَّلَتْ بَيْنَ الْعَقِيدَةِ وَالتَّشْرِيعِ،
 وَتَخَصَّصَ الْعُلَمَاءُ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَتَرَكُوا الْعَقَائِدَ، بَيْنَمَا الْعَقَائِدُ هِيَ مِنْ
 مُقَدِّمَاتِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَبِغَيْرِهَا لَا تُقْبَلُ الْأَعْمَالُ وَلَا يُمْكُنُ تَحْدِيدُ مُرَادِ اللَّهِ
 مِنْهَا.

وَأَصْبَحَتْ أَحَادِيثُ الْمَلَاحِمِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُنْبَوِّدَةِ وَاسْتَكْبَرَ عَلَيْهَا عُلَمَاءُ
 الدِّينِ وَعَتَوْا عَنْهَا عُتْوًا كَبِيرًا وَعَامَلُوهَا وَكَأَنَّهُمْ وَكَلَاءُ عَنِ اللَّهِ يَأْخُذُونَ مِنْهَا مَا
 يُعْجِبُهُمْ وَيَهْجِرُونَ وَيُكَذِّبُونَ بِمَا لَا يُلَائِمُ أَهْوَاهُمْ.

فَانْظُرْ إِلَى اسْتِشْهَادِهِ ﷺ بِالْآيَةِ. فَالْآيَةُ عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْمِ
 مُوسَى ﷺ لَأَنَّهَا جَاءَتْ فِي السِّيَاقِ الَّذِي يَتَحَدَّثُ عَنْ قِصَّةِ مُوسَى ﷺ
 وَفِرْعَوْنَ.

وَلَكِنَّ آيَةَ الْمَنْ حُشِرَتْ هُنَا لِغَايَةِ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمَقْصُودُ
 تَوْقُفَ هَذَا الْمَنْ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ عَلَى مُوسَى وَقَوْمِهِ لَقَالَ بِصِغَةِ الْمَاضِي
 «وَأَرَدْنَا أَنْ نَمُنَّ»، بَيْنَمَا هُوَ يَقُولُ ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى﴾ [الفصل: ٥]. وَمَعْنَى ذَلِكَ
 أَنَّ إِرَادَتَهُ تَعَالَى مُسْتَمِرَّةٌ لَا سِتْمَرَارٍ وَجُودِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ.

إِذَنْ.. فَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَرَى نَفْسَهُ مُسْتَضْعَفًا جِدًّا وَهُوَ خَلِيفَةُ لَأَنَّ
الْخُلُقَ مَا أَطَاعُوهُ وَعَصَوْهُ وَشَكُّوا فِيهِ وَحَارَبُوهُ خِلَافًا لِمَا فَعَلُوهُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ
وَعُمَرَ ^(١).

مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنَّ النَّاسَ وَبَعْدَ إِنْ ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ فَسَقَةٌ لَا بُدَّ أَنْ يَجْتَمِعُوا
عَلَى الْبَاطِلِ وَيَتَفَرَّقُوا عَنِ الْحَقِّ!

فَالَّذِي قَالَهُ عُمَرُ مِنْ: «أَنَّ الْعَرَبَ لَا تَرْضَى وَلَا تَجْتَمِعُ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ» هُوَ حَقٌّ وَوَاقِعٌ!، ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ جِدًّا وَهُوَ شَيْطَانُ الْأُمَّةِ أَنَّهَا تَجْتَمِعُ
عَلَيْهِ هُوَ وَلَا تَجْتَمِعُ عَلَى الْحَقِّ. وَمَنْ هُوَ الْأَعْلَمُ بِالْحَقِّ غَيْرُ النَّفِيسِ؟! فَلَا
يُذَرِّكُ الْحَقُّ كُلَّهُ إِلَّا الْبَاطِلَ كُلَّهُ. وَمِنْ هُنَا قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام فِي تَكْمِلَةِ الْآيَةِ:
﴿وَنُكَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَمْلَكَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا
يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٦].

قَالَ عليه السلام: «الْمُرَادُ بِفِرْعَوْنَ الْأَوَّلِ وَهَامَانَ الثَّانِي وَجُنُودَهُمَا شَيْعَتُهُمَا وَمَا
يَحْذَرُونَ هُوَ ظُهُورُ الْمَهْدِيِّ عليه السلام».

وَهَذَا هُوَ وَخِذُهُ الْمُطَابِقُ لِللُّغَةِ الْقُرْآنِيَّةِ لِأَنَّ الْأَفْعَالَ مُسْتَقْبَلِيَّةٌ كُلُّهَا.. «نُرِيدُ -
نَمْنَنَ - نُرِي».. وَإِنَّمَا جَاءَتْ وَسَطَ الْحَدِيثِ عَنْ مُوسَى عليه السلام وَفِرْعَوْنَ، لِأَنَّ
الصَّرَاعَ هُوَ ذَاتُ الصَّرَاعِ وَالْجَبَّاهَاتِ هِيَ نَفْسُ الْجَبَّاهَاتِ.. فَالْحَدَّثُ مَاضٍ
وَالْقَانُونُ مُسْتَمِرٌّ فَافْهَم!

فَإِنْ قُلْتَ: «فَكَيْفَ يُسَمَّى الْأَوَّلَ - أَيُّ أَبَا بَكْرٍ - فِرْعَوْنًا، وَعُمَرَ بِاسْمِ هَامَانَ
وَهُمَا إِسْمَانِ لِفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ الَّذِينَ كَانَا مَعَ مُوسَى عليه السلام؟»!

(١) لَكَ اللَّهُ يَا سَيِّدِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.. لَكَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَمِنَّا يَا سَيِّدِي.. وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ.. وَرَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا أَحْمَدٍ.. مَا أَقْسَى مَا تَرِينَا إِلَيْهِ مِنْ مَظْلَمَةٍ بِحَقِّ هَذَا الْإِمَامِ
الْحَقِّ وَلَا مِثْلَهَا مَظْلَمَةً لَا قَبْلَ وَلَا بَعْدَ!!..

أَقُولُ: هَذِهِ لَيْسَتْ أَسْمَاءُهُمْ حَتَّى يَخْصُلَ التَّيَاسُ، بَلْ هِيَ أَلْقَابٌ مِثْلُ الْجَنْبِ
وَالطَّاغُوتِ وَالْجَبَّارِ الْعَنِيدِ وَأَمْثَالِهَا. فَإِنَّ حُكَّامَ وَمُلُوكَ مُضَرَ كُلِّ مِنْهُمْ يُسَمَّى
فِرْعَوْنًا، وَهُوَ لَقَبٌ مُلُوكِيٌّ لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِاسْمِهِ الْخَاصِّ، وَلِكُلِّ مِنْهُمْ اسْمُهُ
الْخَاصُّ وَمَعْنَى «فِرْعَوْنَ» - الْمُسْتَكْبِرُ عَلَى اللَّهِ - لِأَنَّ مَعْنَاهُ عِنْدَهُمْ «الْمَلِكُ الَّذِي
لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ» وَقِيلَ هُوَ الَّذِي يَرِيدُ أَنْ يَنْفَرِدَ بِالْحُكْمِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى. فَهُوَ إِذَنْ
لَقَبٌ يُطَابِقُ فِي الْوَاقِعِ كُلِّ طَاغُوتٍ. وَكَذَلِكَ هَامَانُ لَيْسَ اسْمُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ لَقَبٌ
لَوْزِيرِهِ مُسْرُوقٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْمُطِيعِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَعْنَاهُ: «الْمَشْغُوفُ بِطَاعَةِ
فِرْعَوْنَ وَتَأْيِيدِهِ» - وَانْطَبَاقُهُمَا عَلَى الْعَمَرَيْنِ مِنْ أَوْضَحِ الْأُمُورِ.

وَمِنْ هُنَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ «تُرِيدُ وَنَمُنُّ». وَإِنَّمَا قَالَ أَهْلُ اللَّغَةِ
أَنَّ اللَّفْظَ بِالْمُضَارِعِ وَلَكِنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ الْمَاضِي... إِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ فَلَا تَنْهَمُ كَفَرَةً
يَرُدُّونَ عَلَى اللَّهِ كَلَامَهُ كِي لَا يَنْكَشِفَ الْقِنَاعُ عَنْ أَسْيَادِهِمُ الطَّوَاعِيَةِ وَالْجَبَّارَةِ.
فَنَحْنُ نَأْخُذُ بِتَفْسِيرِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام الْمُطَابِقِ لِلَّغَةِ وَالْقُرْآنِ وَنَتْرُكُ كَلَامَ
الْمُفْتَرِينَ عَلَى اللَّهِ.

وَيَبْقَى أَنْ يَقُولَ مُفَسِّرُو الشَّيْعَةِ شَيْئًا آخَرَ مُجَافَةً لِلْحُكَّامِ أَوْ خَوْفًا مِنَ
السُّلْطَانِ أَوْ إِغْوَاءٍ مِنَ الشَّيْطَانِ. يَبْقَى هَذَا مِنَ الْمُتَحَوِّلِ وَالْمُتَغَيِّرِ وَالَّذِي لَا
عِلَاقَةَ لَهُ بِتَوَابِتِ الْمَبَادِئِ الْإِمَامِيَّةِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَيْتِ أَنْفُسِهِمْ فَنَحْنُ نَتَّبِعُ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَلَا نَتَّبِعُ مَنْ اتَّبَعَهُمْ. وَلَوْ فَعَلْنَا مَا تَزْعُمُونَ لَضَلَلْنَا إِذَنْ وَمَا كُنَّا مِنَ الْمُهْتَدِينَ وَلَا
يَحِقُّ لَنَا الْادِّعَاءُ بِأَنَّنَا أَتْبَاعُ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام، فَكَمْ مِنْ مُدَّعٍ لَوْلَا يَتَّبِعُهُمْ وَهُوَ عَدُوٌّ
لَهُمْ، وَالكَاتِبُ الْكَاذِبُ أَوْضَحَ مَثَالٍ عَلَى ذَلِكَ.

نَعَمْ... إِنَّهُ تَطَوَّرَ مُسْتَمِرٌّ حَصَلَ فِي الْفِكْرِ الشَّيْعِيِّ وَلَكِنْ غَابَ عَنْ هَذَا
الْأَحْمَقِ أَنَّ هَذَا التَّطَوُّرَ هُوَ آرَاءُ رِجَالٍ وَأَقْوَالُ قَوْمٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ
فِي اتِّبَاعِهِمْ وَإِنْ تَزَعَّمُوا طَائِفَةَ الشَّيْعَةِ وَاشْتَهَرُوا فِيهَا. فَأَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ وَعَقَائِدُهُمُ الثَّابِتَةُ شَيْءٌ وَأَقْوَالُ شِيعَتِهِمْ شَيْءٌ آخَرٌ. وَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ هَذَا

التَّعْيِيرُ وَلَكِنَّهُ لَا يَنْفَعُكَ أَيُّهَا الْكَاتِبُ الْكَاذِبُ بِشَيْءٍ، بَلْ يَدِينُكَ، لَأَنَّهُ تَطَوَّرَ
بِاتِّجَاهِ الانْجِرَافِ وَالِابْتِعَادِ عَنِ عَقِيدَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليه السلام، فَهُوَ عَلَيْكَ لَا لَكَ.

فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَزْعَمَ أَنَّكَ مِنْ أَوْلِيائِهِمْ ثُمَّ تَأْخُذُ بِأَقْوَالِ الْمُحَرِّفِينَ وَالْمُنْحَرِفِينَ
لِلْإِنْكَارِ مُسَلِّمَاتٍ كَانَتْ عِنْدَهُمْ. وَفَوْقَ هَذَا فَإِنَّ الْمَوْسَسَةَ الدِّينِيَّةَ لَمْ تَسْتَطِعْ بِكُلِّ
جَبْرَوْتِهَا مِنَ الْخُرُوجِ مِنْ تِلْكَ الْمُسَلِّمَاتِ وَإِنْكَارِهَا بِالرُّغْمِ مِنْ كُلِّ مَا حَصَلَ
لِديهَا مِنْ تَطَوُّرَاتٍ.

نَعَمْ. . . إِنَّ لِلاتِّجَاهِ الثَّابِتِ أَهْلَهُ وَإِنَّهُمْ لَوْ عَلِمْتَ أَيُّهَا الْأَبْلَهُ الْأَحْمَقُ هُمْ
الْأَقْلُ عَدَدًا فِي الطَّائِفَةِ، بَلْ بَيْنَ طَوَائِفِ أُخْرَى، وَالْأَشَدُّ إِيْمَانًا بِأَهْلِ الْبَيْتِ
وَالَّذِينَ يَكُونُ لَعْنُ أَضْنَامِ قُرَيْشٍ مِنْ أَوْرَادِهِمِ الْيَوْمِيَّةِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ
«أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ وَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ». وَهُمْ يَقُولُونَ الْحَقَّ
وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ أَخَذَ اللَّهُ مَوثِقَهُمْ فَأَمَنُوا وَأَسْلَمُوا فَسَلِمُوا
وَانْكَشَفَتْ لَهُمُ الْحَقَائِقُ.

وَلنُخْتِمَ هَذَا الْكَلَامَ بِقَوْلِهِ عليه السلام :

«لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ «الْحَقِّ» كَمَا لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ».

نهج البلاغة/ الفقرة ١٨٧

فَالَّذِينَ صَمَتُوا عَنْ قَوْلِ الْحُكْمِ الْحَقِّ هُمْ كَالَّذِينَ قَالُوا جَهْلًا سَوَاءً بِسَوَاءٍ.
فَهُؤُلَاءِ خَذَلُوا الْحَقَّ وَهُؤُلَاءِ نَصَرُوا الْبَاطِلَ كَمَا ذَكَرَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ.

أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْكَاتِبُ الْكَاذِبُ فَقُلْتَ بِالْجَهْلِ، وَأَمَّا الَّذِي قُلْتَهُ فَهُوَ الْقَوْلُ
الْآخَرُ لِلَّذِينَ صَمَتُوا عَنِ الْحُكْمِ فَجَاءَ كَلَامُكَ مِثْلَ:

﴿أَوْ كَظُلُمْتَ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ. مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ. سَحَابٌ طُلُمْتُ

بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُ لَمْ يَكْدِرْهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾

[النور: ٤٠].

وَنَشْرُكَ الْغَيْنَ إِجْلَالًا لِلْمُعَيَّبِ عَنِ الْعَيْنِ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمُ تَرَاهُ فِيهِ كُلُّ عَيْنٍ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

إِلَى هُنَا فَقَدْ انْتَهَى الْقِسْمُ الْأَوَّلُ الْمُسَمَّى «الإِمَامَةُ بَيْنَ الثَّابِتِ وَالْمُتَحَوِّلِ» وَالَّذِي أَرَدْنَا فِيهِ إِبْتِهَاتَ وجودِ الثَّابِتِ فِي الإِمَامَةِ بِمَا أَوْرَدْنَاهُ اقْتِصَاراً عَلَى مَا جَاءَ فِي كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي أَنَّ الإِمَامَةَ هِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَمِنْ اللَّهِ وَلِلَّهِ، وَلَا شَأْنَ لِلْخَلْقِ بِهِ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي ابْتَدَأَ الْكَاتِبُ النَّاصِبُ بِانْكَارِ وجودِهِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ أَوْ سِوَاهُ . وَقَدْ اقْتَصَرْنَا عَلَى هَذَا الْكَلَامِ الْمُقَدَّسِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَشْيَةً أَنْ تَنْطَلِي إِدْعَاءَاتُ هَذَا الْمُلَفَّقِ عَلَى السُّدُجِ وَالْجَهْلَةِ وَأَنْصَافِ الْمُتَقَفِّينَ مِنْ أَمْثَالِهِ عَلَى أَمَلٍ أَنْ نَجْعَلَ الْقِسْمَ الثَّانِي فِيمَا يَرَاهُ الْأَخُوهُ الْقُرَّاءُ ضَرُورِيّاً .

وَلِلَّهِ الْحَمْدُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا الْأَكْرَمِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَالْأَوْصِيَاءِ الْمَرْضِيِّينَ وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَاللَّعْنَةُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَالْمُفَرِّقِينَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ آمِينَ .

انْتَهَى الْقِسْمُ الْأَوَّلُ وَيَلِيهِ الْقِسْمُ الثَّانِي
وَهُوَ بِعنوان «الْوَجْهُ الْآخِرُ لِلشَّيْخَيْنِ» .

قِرَاءَةٌ جَدِيدَةٌ لِلْفَضَائِلِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الفهرس

المقدمة	٧
تقديم	١٠
مُجَمَّلُ أَكَاذِبِ الْكَاتِبِ فِي مُقَدِّمَتِهِ	١٩
مصادر الحديث	٥٣
تنبيه	٥٤
تنبيه	٥٨
عودة إلى ذكر أقواله <small>عليه السلام</small> في الإمامة	٨٤
مصادر النص	٩٥
الحديث الأول: حديث حملِ الراية	١٠٣
الحديث الثاني: حديث حملِ اللواء «لواءِ الحمد»	١٠٣
الحديث الثالث: حديث سِقَايَةِ حَوْضِ الْكَوْثَرِ	١٠٤
الحديث الرابع: حديث صاحبِ الْجَوَارِ	١٠٤
الحديث الخامس: حديث قَسِيمِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ	١٠٤
الحديث الأول	١٠٥
الحديث الثاني	١٠٥
الحديث الثالث	١٠٥
الحديث الرابع	١٠٦
شرح بَعْضِ معاني الآيات	١٤٢

١٦٧ لا مُعَقَّبَ لِحُكْمِ اللَّهِ
١٦٧ ولا سَبَقَ لِحُكْمِ اللَّهِ
٢٢١ أ - الْحِكْمَةُ الْمَجْهُولَةُ
٢٢٤ ب - نَظَرِيَّةُ التَّمَحِيصِ
٢٢٧ ج - نَظَرِيَّةُ الْخَوْفِ
٢٦٥ الصِّفَةُ الْأُولَى
٢٦٨ الصِّفَةُ الثَّانِيَةُ
٢٧٢ هَذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ أَعْمَالِ عَائِشَةَ
٢٧٨ الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ
٢٧٩ الصِّفَةُ الرَّابِعَةُ
٢٨٠ الصِّفَةُ الْخَامِسَةُ
٣١٠ الصِّفَةُ السَّادِسَةُ
٣١٠ الصِّفَةُ السَّابِعَةُ
٣١٠ الصِّفَةُ الثَّامِنَةُ
٣١٢ الصِّفَةُ التَّاسِعَةُ
٣٣٥ الفهرس